

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف

بدر الدين محمود العينى
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م

(العصر الأيوبى)

الجزء الرابع

٦١٦ ـ ٦٢٨ هـ/ ١٢١٩ - ١٢٣٠م

تحقيق ودراسة

دكتور/ محمود رزق محمود
جامعة المنيا

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

بدرالدين العينى، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد،
١٣٦١ - ١٤٥١.
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان/ تأليف بدر الدين
محمود العينى؛ تحقيق ودراسة محمود رزق محمود. . القاهرة:
دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2010-
مج 4 ؛ 29 سم.
تدمك 4 - 0771 - 18 - 977
المحتويات: العصر الأيوبى ٦١٦ - ٦٢٨هـ/ ١٢١٩ -
١٢٣٠م
١ - مصر - تاريخ ـ العصر الأيوبى (١١٧١ - ١٢٥٠)
أ - محمود، محمود رزق (محقق ودارس)
ب - العنوان.
٩٥٣,٠٧٢٩٣

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٢٤٤/٢٠١٠
I.S.B.N. 977 - 18 - 0771 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

بعون من الله وتوفيقه تم تحقيق ونشر ثلاثة أسفار من مخطوط عقد الجمان ، العصر الأيوبى ، والآن أضع بين يدى القراء والباحثين السفر الرابع من هذا المخطوط الذى يبدأ من سنة (٦١٦هـ - ٦٢٨هـ) (١٢١٩م - ١٢٣٠م) ، وهى فترة من أخطر فترات التاريخ الأيوبى بسبب أن كثيرا من أحداثها تتسم بالغموض وعدم وضوح الرؤيا ، وذلك لسرعة الأحداث وكثرتها وتضارب أسبابها ، ويبدو أن هذا الأمر جعل كثيرا من المؤرخين الذين تناولوا هذه الفترة يكتبون تفسيرات متباينة قد لاتتسق بعضها مع الواقع التاريخى المعاش لهذه الفترة ، والبعض الآخر تناولها فى عجالة دون تعليق أو تفسير ، ولكل عذره ، فكثير من الوثائق والمخطوطات التى تناولت هذه الفترة لم تصل إلى أيديهم بسبب فقدانها أو عدم العثور عليها حتى الآن ، وبذلك أصبحت فى حكم المفقودة حتى أن ماوقع بين أيديهم يمثل أحيانا نظرة أحادية قد تكون بعيدة عن الموضوعية فى بعض الأحيان . لهذا كان العبء ثقيلا على من يتناول هذه الفترة محققا أو مؤلفا أو دارسا ، فإماطة اللثام عن صحة الأحداث ليست بالأمر السهل ، وإنما يتطلب صبرا وجهدا صعبا ، واستخدام جميع أدوات البحث العلمى التى تناسب العمل الذى يقوم به ، فإن كان محققا فعليه إثبات صحة النص ، ومقابلته ووضع الحواشى والتعليقات التى تتضمن تحليل النصوص وصحتها ، ومثال على ذلك إستيلاء الصليبيين على دمياط الذى أدى إلى موت الملك العادل أخى صلاح الدين كمدا ، وتولى ابنه الكامل بدلا منه ، فكان آخر سلاطين بنى أيوب العظام ، ولم تتم توليته فى سهولة ويسر كما كان يحدث فى السابق ، على الرغم من أنه حكم مصر نيابة عن أبيه قبل وفاته إلا أن الصراع الأسرى على الحكم بين الأخوة مالبث أن أطل برأسه بين الكامل والفائز والأشرف والمعظم عيسى وابنه الناصر ، وقد

حسم الصراع فى النهاية لصالح الكامل بعد أن كلفه الكثير من الجهود والمال ، وأوجد شرخا عميقا فى كيان الأسرة الأيوبية ، ولم تتوقف مشاكل الكامل عند هذا الحد بل واجه كثيرا من المخاطر الخارجية منها استيلاء الفرنجة على دمياط وظهور الخطر التتارى فى الجناح الشرقى بعد استيلاء جنكيزخان على خوارزم وبلاد ماوراء النهر ، فكان هذا بمثابة تهديد للقوى الإسلامية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل واجه المسلمون خطرا جديدا هو تحول الخوارزمية بعد هزيمتهم من جنكيزخان إلى مهاجمة المسلمين وتوغلهم فى بلاد الإسلام ، وبذلك حاقت بالعالم الإسلامى أخطار عدة ، كان أخطرها وأكثرها إيلاما على نفسية العالم الإسلامى ماقام به السلطان الكامل من استنجاده بالامبراطور فردريك الثانى صاحب صقلية وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة فى غرب أوروبا فى مساعدته ضد أخوته وأعدائه نظير تنازله عن بيت المقدس والأراضى التى حررها صلاح الدين من الصليبيين ، فكان هذا بداية النهاية بالنسبة للدولة الأيوبية ، ولقد كثرت الآراء وتباينت الأسباب والدوافع التى دفعت الكامل إلى ماقام به . وإن كنا نرجح أن قيامه بهذا راجع إلى طبيعته الشخصية وتكوينه النفسى الذى غلب عليه روح التسامح قبل روح القتال ، فانفرد برأيه دون أخوته ، فأضاع على الأيوبيين بوجه خاص والمسلمين بوجه عام مازرعه أسلافه .

بقى على أن أشير هنا إلى أمرين كبيرين هما :

أولا : إن هذا السفر تضمن الكثير من الأحداث السياسية والتراجم الشخصية ووفيات بعض الأعيان ... الخ .

ثانياً : اعتمدت فى تحقيق هذا الجزء على القسمين الثانى من الجزء السابع عشر (ميكروفيلم ٣٧٦٦٦) ويشتمل على السنوات من ٦١٦هـ / ٦٢٠هـ ، والقسم الأول من الجزء الثامن عشر (ميكروفيلم ٣٥٧٥٦) ويشتمل على السنوات من ٦٢١هـ / ٦٢٨هـ وهما من نسخة دار الكتب المصرية الورقية رقم ١٥٨٤ / تاريخ ، والتى تتكون من ٣٦ جزءاً .

والشكر موصول ودائم للزميلات من أعضاء اللجنة ممن كان لهن الفضل فى مساعدتى بكل تفان وإخلاص فى إخراج هذا العمل العلمى وأخص بالذكر :

الأستاذة/ نفيسة محمد محمد صميدة

الأستاذة/ سهير عبد العاطى يوسف

السيدة/ إيزيس سامح زكى

كما قامت الأستاذة/ نفيسة محمد محمد صميدة بعمل كشاف الأعلام وكشاف المصطلحات ، والأستاذة/ سهير عبد العاطى يوسف بعمل كشاف الأمم والشعوب وكشاف أسماء الكتب الواردة فى النص ، و السيدة/ إيزيس سامح زكى بعمل كشاف الأماكن .

والله من وراء القصد ، وبه التوفيق والسداد .

المحقق

دكتور/ محمود رزق محمود

الهرم ــ الأريزونا

مائة

[illegible] ترجمه [illegible] الرحبي للغزالي وقال ابن خلكان والطايفة المالكية بمصر

[illegible] كان مدرسا بمصر وتوفي بها ما كان [illegible] الالف [illegible]

[illegible] سنة [illegible] الفرج النيح وشاس بالشام [illegible] والسمان

[illegible] الدين محمد [illegible] عبد الله الزين امام المالكية بدمشق

[illegible] من محل [illegible] وكان عالما بالاصول والفروع والعربية

[illegible] صالح الدين منصور [illegible] توفي [illegible]

[illegible] الكشميهني [illegible] وكان صالحا [illegible]

٦٩٩ [illegible] هذا البيت [illegible] الاطلاع [illegible]

فاذا انتهى اليكم بالذي طيبتكم فيطيب

[illegible] المطلب [illegible] العلوي [illegible] المدرس [illegible]

[illegible] وشرح [illegible] الكبير

[illegible] وكان [illegible] فاضلا ورعا دينا

[illegible] ببغداد ومولده [illegible] وكان [illegible]

[illegible] وهو الذي [illegible] الله [illegible] ولده اليه [illegible]

[illegible] الى الاشرف [illegible] وكان [illegible] مال عظيم [illegible]

[illegible] سنة [illegible] الاشرف دنانير [illegible]

[illegible] [illegible] ثم [illegible]

[illegible] الى [illegible] [illegible]

[illegible] وقيل [illegible] وقيل [illegible] ولم [illegible]

[illegible] [illegible] البحث

[illegible] ابو [illegible] السبط [illegible]

[illegible] الناس [illegible] الوفا وكان [illegible] السبط [illegible]

[illegible] وكان [illegible] ومائة [illegible] ودفن [illegible]

[illegible] المنصور محمد بن عماد الدين زنكي [illegible]

[illegible] نور الدين محمد [illegible] زنكي [illegible] المنصور

[illegible] الملك العادل [illegible] ايوب [illegible]

[illegible] اولاد [illegible] شاه [illegible]

[illegible] الشام [illegible] شادي [illegible] الملوك

[illegible] الملك العادل والمعظم توران شاه [illegible] المعظم

[illegible] الملك المعظم توران شاه [illegible]

[illegible] مع [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السادسة عشر بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين[1] الله، وصاحب مصر هو السلطان الملك الكامل[2] بن السلطان الملك العادل بن أيوب، وصاحب دمشق هو السلطان الملك المعظم[3] بن العادل، وصاحب حلب هو الملك العزيز[4] بن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين، وصاحب بلاد الروم هو السلطان علاء[5] الدين كيقباذ ابن كيخسرو السلجوقى، وصاحب البلاد الشرقية مثل حران[6] والرها[7] وغيرها الملك الأشرف موسى[8] بن الملك العادل، وصاحب الموصل ناصر

(*) يوافق أوله ١٩ مارس سنة ١٢١٩م.

(١) الناصر لدين الله: هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، ولد ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفى سنة ٦٢٢ هـ. لمعرفة المزيد من ترجمته انظر: البداية والنهاية، جـ١٣، ص ١١٤ - ص١١٥؛ الشذرات، جـ ٥، ص ٩٧.

(٢) الملك الكامل بن السلطان العادل: هو أبو المعالى محمد بن الملك العادل أبى بكر الملقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية، توفى بدمشق يوم الأربعاء، ودفن يوم الخميس، وذلك لتسع بقين من شهر رجب سنة ٦٣٥هـ بالكلاسة. وفيات الأعيان، ج٥، ص ٧٩ -ص ٩٢؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٥٩ - ص١٦٠؛ الشذرات، ج٥، ص ١٧١ - ص١٧٣.

(٣) الملك المعظم بن العادل: هو شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفى يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة ٦٢٤هـ بدمشق، ودفن بقلعتها. وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٤ - ص٤٩٥؛ الشذرات، ج٥، ص ١١٥ - ص١١٦.

(٤) الملك العزيز بن الملك الظاهر غازى: هو محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب بن شاذى، الملك العزيز غياث الدين بن الملك الظاهر بن الناصر، صاحب حلب، ولد خامس ذى الحجة سنة ٦١٠ هـ من ضيفة خاتون بنت الملك العادل بن أيوب، ولى السلطنة وعمره أربع سنين، وجعلوا طغريل الخادم أتابكه يسوس الأمور، توفى سنة ٦٣٤هـ، ودفن بالقلعة، وكان عمره ثلاث وعشرين سنة وشهور، ومدة ملكه قريب العشرين سنة، وأقيم بعده ولده الملك الناصر يوسف، وهو طفل أيضا.
انظر: وفيات الأعيان، ج٤، ص٩ - ص١٠؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٥٦؛ شفاء القلوب، ص ٣٠٨؛ الشذرات، ج٥، ص١٦٨؛ ترويح القلوب؛ ص٩٥.

(٥) السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قيليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقى صاحب الروم، توفى سنة ٦٣٤هـ.
انظر: وفيات الأعيان، ج٥، ص٨٣؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٥٦.

(٦) حران: مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام. معجم البلدان، ج٢، ص ٣٣٢ -ص ٣٣٣.

(٧) الرها: مدينة بالجزيزة بين الموصل والشام. معجم البلدان، ج٢، ص ٨٧٦.

(٨) الملك الأشرف: أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب الملقب الملك الأشرف مظفر الدين، ولدسنة ٥٧٨هـ بالديار المصرية بالقاهرة، وقيل: بقلعة الكرك، وتوفى يوم الخميس رابع المحرم سنة ٦٣٥هـ بدمشق. انظر: البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٥٧- ص١٥٨؛ الشذرات، ج٥، ص ١٧٥ - ص١٧٦.

الدين[١] محمود بن القاهر بن أرسلان شاه ، والمدبر لمملكته بدر الدين لؤلؤ[٢] ، وصاحب أمد ناصر[٣] الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ، وصاحب خوارزم وسمرقند وبلاد تركستان وخراسان إلى بلاد العراق السلطان علاء[٤] الدين خوارزم شاه محمد بن تكش ، ولكنه فى أمور عظيمة وحروب شديدة ، بسبب ظهور جنكزخان ومشيه إلى بلاد الإسلام ، وصاحب مكة الأمير قتادة[٥] بن إدريس الحسنى الزيدى ، وصاحب بلاد الغرب السلطان المستنصر يوسف[٦] بن السلطان الناصر محمد بن السلطان يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، وكان الملك الأشرف بن العادل مقيمًا بظاهر حلب يدبر أمر جندها وإقطاعها ، والملك الكامل بمصر فى مقابلة الفرنج ، وهم محدقون محاصرون لثغر[٧] دمياط[٨] .

---

(١) ناصر الدين محمود : ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن عماد الدين بن زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل ، كان مولده فى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكته ، ثم حجر عليه ومنعه من الطعام والشراب ثلاثة عشر يوما حتى مات كمدا وجوعا وعطشا عام ٦٣٠هـ ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكى .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٦ .

(٢) بدر الدين لؤلؤ : الملقب بالملك الرحيم ، توفى فى شعبان عن مائة سنة ، وقد ملك الموصل نحوا من خمسين سنة ، وكان ذا عقل ودهاء ومكر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه حتى أبادهم ، وأزال الدولة الأتابكية عن الموصل ، وتوفى سنة ٦٥٦هـ .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٢٧ .

(٣) ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق الملك الصالح صاحب أمد وحصن كيفا ، توفى بالقولنج سنة ٦١٨هـ ، وكان قبيح السيرة ظالما ، وقد أورد ابن الأثير ، الكامل وفاته فى سنة ٦١٩هـ ، ج١٢ ، ص٤١٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٠ ، وأورد ابن كثير وفاته سنة ٦١٧هـ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ .

(٤) السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش : كانت مدة ملكة إحدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا ، واتسع ملكه ، وأطاعة العالم بأسره ، ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه ، فإنه ملك من حد العراق إلى تركستان ، وبلاد غزنه وبعض الهند ، وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس ، توفى سنة ٦١٧هـ . لمعرفة المزيد عنه . انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٣٧١ ـ ص٣٧٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٢٧ – ص١٢٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٧٦ .

(٥) قتادة بن إدريس الحسنى الزيدى : هو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى العلوى الحسينى صاحب مكة أبو عزيز ، عاش أكثر من ثمانين سنة ، وكان عادلا منصفا ، توفى سنة ٦١٧هـ .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٣ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص ٧٦ .

(٦) السلطان المستنصر يوسف بن السلطان الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن : ولد أول شوال سنة ٥٩٤هـ ، ولم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن وجها منه ولا أبلغ فى المخاطبة ، إلا أنه كان مشغوفا براحته ، فضعفت الدولة فى أيامه ، ومات فى شوال أو ذى القعدة سنة ٦٢٠هـ ولم يخلف ولدا .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ١٥ – ص١٦ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٩٤ .

(٧) ثغر : كل موضع قريب من أرض العدو . معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٢٧ .

(٨) ورد هذا الخبر بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣ .

ذكر استيلاء الفرنج على دمياط

قال بيبرس : وفى هذه السنة استولى الفرنج على دمياط ، واشتدت نكايتهم على أهلها(١) ، وكان الأمير جمال الدين الكنانى قد كتب قصيدة على لسان دمياط وسيَّرها إلى الملك الكامل فى سهم نشاب حال الحصار قبل أن يتسلم الفرنج الثغر وهى قوله :

يامالكى دمياط ثغر هُدمِّت ... شرفاته وكان تُجَثُّ أُصُولُه
بقربك من أذكى السلام تحية ... كالمسك طاب دقيقُه وجليلُه
ويقول عن بُعْد وإنك سامعٌ ... حى كأنك جارُه ونَزيلهُ
يأيها الملك الذى ما أن يرعى ... بين الملوك شبيهه وعديله
هذا كتاب موضح من حالتى ... ماليس يمكنُنِى لديك أقوله
أشكو إليك عدو سوء أحدقت ... بجميعه فرسانه وخيوله
كالبر قد مُنِعَت إليه طريقُه ... والبحرُ عَنَّ لنصرِه أسطوله
فخضوعه باد على أبراجه ... وحنينُه وبكاؤه وعويله
ولو استطاع لأَمّ بابك ... لاتذا لكنه سُدَّت عليه سبيله
ورسوله فى أن تجيب سؤاله ... دين الإله وخُلقُه ورسوله
فقد انتهت أدواؤه ... وتحكمت علاته ونحى عليه نُحوله
وبقى له رُمْقُ يسيرُ يرتجى ... أن يشتفى لما دعاك عليله [٣٩٣]
فاحرُس حماهُ بعزْمة يُشْفَى بها ... داءُ فمثلك يُرْتَجَى تَعْليله
فالله أعطاك الكثير بفضله ... ورضاه من هذا الكثير قليلة
فالعُذر عن نصر الإله ودينه ... ماساغ عند المسلمين قبوله
فالدين ناظره إليك مُحَدِّق ... ما أن يمل من الدموع هُمولُه
ولئن قعدت عن القيام بنصره ... جَفَّت نضارته وبان ذُبولُه
ووهت قوى القرآن فيه ورُمِّغت ... صُلبانُه وتُلِى به إنجيلُه
وَعلا صَدَا الناقوسِ فى أرجائه ... وخفى على سمع الورى تهليلُه

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الذيل على الروضتين ، ص١١٦ - ص١١٧ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢ -ص٣٣ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٢٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٦ - ص٣٩٧ .

هذا وحقك وصف صورة حاله حقا وحملتُه وذا تفصيلُه
وكفاك ياابن الأكرمين بأنه أضحى عليك من الورى تعويلُه
حقّق رجاه فيك يامن لم يخب أبدا لراجى جوده تأميله
واذخر ليوم البعث فعلاً صالح الله ضامنُ أجرِه وكفيلُه

فأمر الكامل أهل مصر والقاهرة بالخروج إلى المنصورة فخرجوا ، وأرسل إلى أخيه الأشرف مظفر الدين موسى يستدعيه لنصرته على الفرنج وتابع إليه الكتب[1] . وكان فيما كتب له به هذه الأبيات :

يامسعفى إن كنت حقاً مسعفى فارجل بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أوموجعا بتجشم فى سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولاتنخ إلا على باب المليك الأشرف
وأقر السلام عليه من عبد له متوقع لقدومه متشوف
وإذا وصلت حماه فقل له عنى بحسن توصل وتلطف
أن تأت عبدك عن قليل تلقه مابين كل مهند ومثقف
أو تبطء عن إنجاده فلقاؤه بك فى القيامة فى عراص الموقف

وقال ابن كثير[2] : ولم يزل الفرنج مضايقين دمياط حتى هجموها فى عاشر رمضان من هذه السنة ، فقتلوا وأسروا من بها ، وجعلوا الجامع كنيسة ، واشتد طمع الفرنج فى الديار المصرية ، وحين أُخذت دمياط ابتنى الملك الكامل مدينة سماها المنصورة عند مفترق البحرين الآخذ أحدهما إلى دمياط والآخر إلى أشمون طناح [3]ونزل بها بعساكره .

وفى المرآة[4] : وفى شعبان أخذت الفرنج دمياط ، وكان المعظم قد جهز إليها ابن الجرحى ومن معه ، وصفوا رؤوس القتلى على الخنادق ، وكانوا قد طموا الخنادق ،

(١) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٣ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٢٢ .
(٢) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩١ .
(٣) أشمون طناح : أو أشموم من أقدم المدن المصرية واسمها القبطى Chemoum Ermam وسماها العرب أشمون الرمان نسبة إلى اسمها القبطى ، وسميت أيضا أشمون طناح نسبة إلى طناح التى كانت معها فى كورة واحدة ، وأشمون الرمان هى الآن قرية عادية من قرى مركز دكرنس محافظة الدقهلية .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨٢ .
(٤) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٣٩٦ .

وضعف أهل دمياط وأكلوا الميتات ، وعجز الكامل عن نصرتهم ، ووقع فيهم الفناء والوباء ، فراسلوا الفرنج على أن يسلموا إليهم البلد ويخرجون منه بأهليهم وأموالهم ، واجتمع الأقساء وحلّفوهم على ذلك ، فركبوا فى المراكب وزحفوا فى البحر والبر ، وفتح لهم أهل دمياط الأبواب ، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور[٣٩٤] ، وغدروا بأهله ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسرا ، وباتوا تلك الليلة فى الجامع يفجرون بالنساء ويفضحون البنات ، وأخذوا المنبر والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى الخزائن ، وجعلوا الجامع كنيسة ، وكان أبو الحسن بن قفل بدمياط ، فسألوا عنه فقيل : هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين تأوى إليه الفقراء ، فما تعرضوا له ، ووقع على الإسلام كآبة عظيمة ، وبكى الكامل والمعظم بكاء شديدا ، ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة ، وكان المعظم يقول لى بعد ذلك : لو كان الدعاء يسمع لَسُمِعَ دعاء أهل دمياط ، فإن الله تعالى قد أخبرنا أنه يستجيب دعانا فى عدة مواضع من كتابه ، وأما أهل دمياط لما كثر فسقهم وفجورهم سلّط الله عليهم من انتقم منهم ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾[1] الآية ، ثم قال الكامل للمعظم وقد سقط فى يده : قد مات ماذُبح وجرى المقدور بما هو كائن ، وما فى بقائك ها هنا فائدة ، والمصلحة أن تنزل إلى الشام وتشغل خواطر الفرنج ، وتستجلب العساكر من الشرق .

وقال السبط[2] : كتب المعظم إلىَّ وأنا بدمشق كتاباً بخطه يقول فى أوله أخوه عيسى الكاملى : قد علم الأخ العزيز ـ وذكر ألقابًا كثيرة ـ وقال : قد جرى على دمياط ماجرى ، وأريد أن تُحرض الناس على الجهاد ، وتعرفهم ماجرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفرة أهل العناد ، وأنى كشفت الضِّياع المتعلقة بالشام فوجدتها ألفى قرية ، منها ألف وستمائة أملاك لأهلها ، وأربع مائة سلطانية ، وكم مقدار ماتقوم هذه الأربعمائة من العساكر؟وأريد أن تخرج الدماشقّية ليذبوا عن أملاكهم الأصاغرة بينهم والأكابر ، ويكون لقاؤنا وهم فى صحبتك إلى نابلس[3] فى وقت سماه . فجلست بجامع دمشق ، وقرأت

(١) اقتباس من القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، آية(١٦) وهى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ .

(٢) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٧ .

(٣) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٣٤ .

كتابه عليهم ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وقالوا : نتمثل أمره بحسب الاستطاعة . وتجهزوا ، فلما حل ركابه بالساحل ووقع التقاعد عن الأماثل ، وكانوا معذورين لأن لكل مقام مقالاً ، وللحرب رجالاً ، وكان تقاعدهم سببا لأخذه الثُمنْ والخمس من أموالهم[٣٩٤] ، والمؤاخذة على أفعالهم ، وكتب إلى : إذا لم يخرجوا فسر أنت إلىّ وأقدم علينا . فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية[١] ، فأقمنا حتى فتحها عنوة ، ثم سرنا إلى النهر[٢] ففتحه وهدمه ، وعاد إلى دمشق بعد أن أخرب بلاد الفرنج[٣] .

وفى تاريخ[٤] ابن العميد : وفى سنة خمس عشرة وستمائة نزلت الفرنج على دمياط فى حياة الملك العادل فى ثالث ربيع الأول ، وأقاموا فى بر الجيزة مقابل دمياط ، فخرج الملك الكامل إليهم بعساكره ، ونزل فى بر دمياط قِبالتهم ، وبحر النيل بين الفريقين ، وجرت وقائع وحروب كثيرة فى البر والبحر ، ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة وهم فى بر الجيزة ، وفيها خرجت الفرنج بجموعهم ورجعت على دمياط وحاصروها أشد حصار ، وملكوا بر دمياط ، فرحل الكامل ونزل قريبا منهم ، وجرت وقائع وحروب شديدة ، وركبت الفرنج لِقتال المسلمين ، فتلقاهم الكامل بعساكره وكسرهم وأسرهم جماعة كثيرة من ملوكهم وكنودهم[٥] ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبعث الملوك والكنود والأسرى مكبلين بالحديد إلى القاهرة [٣٩٥] ثم بعد ذلك استولوا على دمياط وأحدقوا بها برا وبحرا ، ومنعوا عنها الميرة ، وهلك أهلها من الجوع والوباء ، ووقع فيهم الفناء ، ومات أكثر أهلها ، ولم يبق بها من المقاتلة إلا قليلا ، فزحف الفرنج عليها وملكوها وأسروا من وجدوه بها ، وذلك يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان من سنة ست عشرة وستمائة . وكانت مدة الحصار عليها ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوما . ولما ملكت الإفرنج دمياط تأخر

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين ، وقيسارية أيضاً مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢١٤ .

(٢) النقر : كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٧ ، حيث ينقل عنه العينى .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٧ .

(٤) أخبار الأيوبيين ، ص١٠ -ص١١ .

(٥) كنود ـ كنت : مفردها كند وهو كبير الفرنج لغناه وأملاكه الواسعة . معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، ص ١٣١ .

الكامل بعساكره ورحل إلى أشمون طناح ، فأقام بها مديدة ، ثم رحل إلى المنزلة التى قبالة طلخا[١] على رأس بحر أشمون ورأس بحر دمياط ، وخيم هنالك وبنى الناس الآدر[٢] والفنادق والحمامات والأسواق ، وسميت المنصورة وكان كذلك .

ولما استولى الفرنج على دمياط سيروا كل من وجدوه فيها إلى عكا فى المراكب ، ورحلوا ونزلوا قبالة المنصورة ، ونازلوا الكامل وبينهم بحر أشمون وبحر دمياط[٣] .

وقال ابن[٤]كثير : وفى هذه السنة توجه الملك المظفر محمود صاحب حماة إلى مصر ومعه الطواشى[٥] مرشد المنصورى بعسكر نجدة الملك الكامل بمصر ، وذلك بعد أن حَلَّف والده الملك المنصور الناس بأن يكون الملك المظفر ولى عهده ، فسار الملك المظفر بإذن والده الملك المنصور فوصل إلى الكامل ، وأكرمه وأنزله فى ميمنة عسكره ، وهى منزلة أبيه وجده فى الأيام الصلاحية ، وبعد أن توجه الملك المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل . قال القاضى جمال الدين بن واصل : وحضرت العزاء وكان عمرى اثنتى[٦]عشرة سنة ، ورأيت الملك المنصور وهو لابس الحداد على زوجته المذكوره ، وهو ثوب أزرق وعمامة زرقاء ، وأنشدته الشعراء المراثى ، فمن ذلك قصيدة قالها حسام الدين الكردى ، منها فى لبس الملك المنصور الحداد :

ماكنت أعلم أن الشمس قد غربت حتى رأيت الدجى مُلْقَى على القمر
لو كان من مات يُفْدى قبلها لَفدَى أم المظفر آلاف من البشر[٧]

---

(١) طلخا : وتكتب طلخاء ، وهى موضع بمصر على النيل المفضى إلى دمياط ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٤٣ .

(٢) الآدر : جمع دور وهى مساكن الحريم السلطانية ، وهى ذوات بساتين ومناخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور . انظر : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٣٧١ – ص٣٧٢ .

(٣) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٣٧٥ ـ ص٣٧٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١١٦ ـ ص١١٧ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢ ـ ص٣٣ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٢٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٨٧ ـ ص٨٩ ، ص٩٤ ـ ص٩٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٦ .

(٤) بالبحث فى ابن كثير ، البداية والنهاية لم تجد هذا الخبر ، وإنما ورد فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٦٤ ـ ص٦٥ .

(٥) الطواشى : والجمع طواشية ، وهم خدام السلطان . انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٥٦ .

(٦) «اثنى» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه هو الصحيح لغة .

(٧) ورد هذان البيتان فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٦٦ ـ ص٦٧ .

ذكر تخريب سور القدس الشريف

وفى أول المحرم وقيل فى سابع المحرم أخرب الملك المعظم أبراج القدس وسوره خوفاً من استيلاء الفرنج عليه ، فاضطرب الناس وخرجوا منه متفرقين فى البلاد ، وهان عليهم مفارقة ديارهم وضياع أموالهم ، وقد كان القدس يومئذ على أتم الأحوال من العمارة وكثرة السكان[١] . وفى المرآة[٢] : كان المعظم قد توجه إلى أخيه الكامل إلى دمياط ، وبلغه أن طائفة من الفرنج على عزم القدس ، فاتفق الأمراء على خرابه ، وقالوا : قد خلا الشام من العساكر فلو أخذه الفرنج حكموا على الشام . وكان بالقدس أخوه العزيز عثمان وعز الدين أيبك الأستاذ دار[٣] ، فكتب المعظم إليهما بحران فتوقفا . وقالا : نحن نحفظه . فكتب إليهما المعظم : لو أخذوه لقتلوا كل من فيه وحكموا على دمشق وبلاد الإسلام . فألجأت الضرورة إلى خرابه ، فشرعوا فى السور أول يوم من المحرم ، ووقعت فى البلد ضجة مثل يوم القيامة وخرجت[٤] النساء «المخدرات»[٥] والبنات والشيوخ والعجائز والشبان والصبيان إلى الصخرة والأقصى ، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم ، بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصى من الشعور ، وخرجوا هاربين وتركوا [٣٩٦] أموالهم وأثقالهم ومما شكوا أن الفرنج تصبحهم ، وامتلأت بهم الطرقات ، فبعضهم ذهب إلى مصر وبعضهم إلى الكرك وبعضهم إلى دمشق ، وكانت البنات المخدرات يمزقن ثيابهن ويربطنها على أرجلهن من الحفا ، ومات خلق كثير من الجوع والعطش ، وكانت نوبة لم يكن فى الإسلام مثلها ، ونهبت الأموال التى كانت لهم فى القدس ، وبلغ قنطار الزيت عشرة دراهم ، ورطل النحاس نصف درهم ، وأكثر الشعراء فى ذم دولة المعظم ودعوا عليها ، فقال بعضهم :

فى رجب حلل المحرم   وخرب القدس فى المحرم

---

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١١٥ - ١١٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٢٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٠ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٥ .

(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٣٩٥ .

(٣) الأستاذ دار : وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان ، وله مطلق التصرف فى استدعاء مايحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكسوة . انظر : صبح الأعشى ج٤ ، ص٢٠ ، ج٥ ، ص٤٥٧ .

(٤) «وخرج» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

(٥) للمخدرات» كذا فى الأصل ، والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص١١٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٥ ، ص ٣٩٦ .

قال السبط[١] : وأنشدني قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي لنفسه :

مررت على القدس الشريف مُسلماً على ماتبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين مني صبابة على مامضى من عصرنا المتقدم
وقد رام علج أن يعفى رُسومه وشمر عن كفي لئيم منمم
فقلت له شلت يمينك خلها لمعتبر أو سائل أو مُسلّم
فلو كان يُفدى بالنفوس فديته بنفسى وهذا الظن فى كل مسلم

ذكر حصار التتار خوارزم

وفى هذه السنة كان حصار التتار خوارزم ، وذلك أنه لما انفصلت عنها تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش ومن معها من أولاد ولدها وحريمه كما ذكرنا ، وافى التتار إليها ، فأول من وصل تاجى بك ، وبعده أنطاى بن جنكيزخان ثم حقطاى بن جنكيزخان ثم دوشى خان بن جنكيزخان ، وتتابعت إليهم الأمداد صحبة بقرجن نُوين ، وطُلُن ، وأشتون نُوين ، وقصان نُوين ، فى مائة ألف أويزيدون ، ونصبوا عليها المجانيق والمتاريس والدبابات ، ورؤوا أن بلد خوارزم خالية من حجارة يرمون بها فى المجانيق ، فوجدوا هناك من أصول التُوت العظيمة شيئا غليظاً جداً ، فصاروا يقطعونه قطعا مدورة ويرمون به بعد وضعه فى الماء يوما وليلة ، ثم أن دوشى خان عرض عليهم أن يسلموها بالأمان ، وقال : إن أباه أنعم بها عليه ، ومنع العسكر من التعرض إليها منتظراً تسليمها له ، فمال كُبراؤها إلى مسالمته وسفهاؤها إلى حربه ، وخرج الأمر من أيدى الأعيان . فساق دوشى خان فى ذلك الجيش العظيم ، فأخذوها فى جملة واحدة ، وصار الناس يذبّون عن أنفسهم وحريمهم ، فحين أعضل الأمر أرسلوا إلى دوشى خان العقبة علاء الدين محتسب[٢] خوارزم ، فأكرمه دوشى خان ، فقال له : إنّا قد رأينا هيبة الخان ، وقد آن أن نشاهد مرحمته ، فاغتاظ ، وقال : ماذا

(١) بالبحث لم نجد هذه الأبيات فى مرآة الزمان ووجدت فى الذيل على الروضتين ، ص١١٦ .
(٢) المحتسب : من وجوه العدول وأعيانهم ، ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة ، ويتحدث فى أمر المكاييل والموازين ، ولايحال بينه وبين مصحة إذا رآها .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٠٢ .

رأيتم من هيبتى؟ وقد أفنى عسكرى هؤلاء الرجال وطاولوا معهم القتال ، وأنا الذى شاهدت هيبتهم وسأريهم هيبتى . وأمر بإخراج الناس فرادى ومثنى وجموعا ، ونودى بانعزال أرباب الصنائع ، فمنهم من فعل ونجا ، ومنهم من اعتقد أن أرباب الحرف يساقون إلى بلاد التتار ويقيم من سواهم بالديار فلم ينعزل ، فناله خسار ياله من خسار ، ووضع[٣٩٧] السيف فيهم فأهلكوا عن آخرهم[١] .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الشيخ محيى الدين بن الجوزى محتسب بغداد أمر بإزالة المنكرات وكسر الملاهى ببغداد ، ذلك فى مستهل هذه السنة[٢] .

ومنها أن المعظم ألبس قاضى القضاة زكى الدين أبا العباس الطاهر بن محيى الدين القباء[٣] والكلوتة[٤] بمجلس الحكم من داره بباب[٥] البريد[٦] .

وقال السبط[٧] : كان فى قلبه منه حزازات كان يمنعه من إظهارها حياؤه من والده العادل ، وخوفه من الشناعات ، وكان يشكو إلىَّ من القاضى مرارًا ويقول : إنه لاينفذ الأحكام ولايقيم معالم الإسلام . واتفق موت العادل ومرض أخته ست الشام عمة المعظم ، وكانت قد أوصت بدارها مدرسة ، وأحضرت القاضى الزكى والشهود ، وأشهدتهم عليها ، وأوصت إلى القاضى ، وبلغ المعظم فعز عليه وقال : يحضر إلى دار عمتى من غير إذنى ويسمع كلامها هو والشهود . ثم اتفق أن القاضى أحضر جابى

---

(١) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢١ - ص٤٢٢ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٩٤ ، ص١٧٠ - ص١٧٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٦١ .

(٢) ورد هذا الحدث فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٠ .

(٣) قباء : هو ثوب له أكمام ضيقة .
انظر : ماير : الملابس المملوكية ، ص٢٥ .

(٤) الكلوتة : غطاء للرأس ، ولمعرفة المزيد
انظر : ماير ، الملابس المملوكية ، ص٥٨ ، ص٥٩ ، ص١٠٥ ، ص١٠٦ .

(٥) باب البريد : يوجد داخل دمشق .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٣٧ .

(٦) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٧ .

(٧) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٧ - ص٣٩٨ .

المدرسة العزيزية[١] وطلب حسابها ، فأغلظ له فى القول ، فأمر بضربه فضرب بين يديه كما يفعل الولاة ، فوجد المعظم سبيلاً إلى إظهار ما كان فى نفسه ، وكان الجمال المصرى وكيل بيت المال عدواً للقاضى ، فجاء فجلس عند القاضى فى مجلس الحكم ، والشهود حاضرون والناس ، فبعث المعظم ببقجة فيها قباء وكلوتة ، وأمره أن يحكم بين الناس وهما عليه ، وقام من خوفه فلبسهما وحكم بين اثنين . قال أبو شامه[٢] : جابى المدرسة المضروب هو السديد خطيب عقربا[٣] ، واسمه سالم بن عبد الرزاق بن يحيى ابن عمر بن كامل أخو الجمال والمؤيد العقربانى ، وكانت الخلعة إشارة إلى أنك تفعل فعل والى الشرطة فالبس لبس من يفعل ذلك ، قال : ومن لطف الله تعالى أن كان مجلس الحكم بداره ، وإلا والعياذ بالله لو كان فى مكان آخر لتكلف المرور فى الطرقات بذلك الزى الشنيع فى حق مثله إلى بيته . ثم أن القاضى لزم بيته بعدها ، ولم تَطل مدة حياته ، فمرض مرضة رَمَى كَبده فيها قطعًا ، ومات فى صفر سنة سبع عشرة وستمائة على مانذكره إن شاء الله تعالى .

وقال السبط[٤] : وكانت حركة شنيعة وواقعة قبيحة لم يجر فى الإسلام أقبح منها ، وكانت من غلطات المعظم . ولقد قلت له : مافعلت إلا بصاحب الشرع ، ولقد وجبت عليك دية القاضى . فقال : هو الذى أحوجنى إلى هذا ، ولقد ندمت[٥] .

واتفق أن المعظم بعث إلى الشرف[٦] بن عنين الشاعر حين تزهد خمراً ونرداً وقال : سبح بهذا ، إشارة إلى أن زهده ليس له صحة ، فكتب إليه ابن عنين :

يأيها الملك المعظم سنة أحدثتها تبقى على الآباد
تجرى الملوك على طريقك بعدها خِلع القضاة وتحفة الزهاد[٧]

---

(١) المدرسة العزيزية : جوار المدرسة المعظمية بالصالحية ، أنشأها الملك العزيز عثمان بن الملك العادل أخو الملك المعظم ، توفى سنة ٦٣٠هـ . انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٤٩ - ص٥٥٠ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص١١٧ - ص١١٨ .
(٣) عقربا : كذا فى الأصل ، وفى ياقوت «عَقْربلا» : وهى بلدة بغور الأردن ، قرب بيسان وطبرية . معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦٨٨ .
(٤) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٨ .
(٥) إلى هنا توقف العينى من النقل عن سبط ابن الجوزى .
(٦) الشرف بن عنين : هو أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الملقب شرف الدين الكوفى الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور ، ولد بدمشق تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٤ - ١٩ .
(٧) وردت هذه الأحداث فى الذيل على الروضتين . ص١١٨ .

وفيها ....[1]

وفيها حج بالناس من العراق أقباش الناصرى ، ومن الشام مملوك المعظم ، ويقال له : شقيقات[2] .

قال السبط[3] : وكنت فى الحج ومعنا عز الدين بن القيسرانى من حلب ، والصفى ابن مرزوق .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أبو البقاء صاحب[4] الأعراب عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ، العكبرى الأصل ، البغدادى المولد والدار ، الفقيه الحنبلى ، الحاسب[٣٩٨] الفَرَضِى النحوى الضرير ، الملقب محب الدين ، أخذ النحو عن أبى محمد بن الخشاب ، وأخذ عن مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من ابن البطى وغيره ، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله فى فنونه . وكان الغالب عليه النحو ، وصنف فيه مصنفات مفيدة منها : شرح كتاب «الإيضاح» لأبى على الفارسى ، وشرح ديوان المتنبى ، وله «إعراب القرآن» فى مجلد ، وكتاب «إعراب الحديث» ، وكتاب «شرح اللمع» لابن جنى ، وكتاب «اللباب فى علل النحو» ، وكتاب «إعراب شعر الحماسة» ، وشرح «المفصل» للزمخشرى شرحاً مستوفى ، وشرح «الخطب النباتية» و«مقامات الحريرى» ، وصنف فى الحساب أيضا ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، واشتهر اسمه فى البلاد وهو حىّ ، وبَعُد صيته ، وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ؛ وتوفى يوم الأحد ثامن شهر ربيع الآخر ، سنة ست عشرة وستمائة ، ودفن بباب حرب[5]وكان صالحاً ديناً .

---

(١) بياض بالأصل بمقدار سطر .

(٢) ورد هذا الخبر فى ، الذيل على الروضتين ، ص١١٩ .

(٣) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٨ .

(٤) الكامل ، ج١٠ ، ص٣٩٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١١٩ ـ ص١٢٠ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٠٠ ـ ص١٠٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٢ ـ ص٩٣ .

(٥) باب حرب : أحد أبواب بغداد ، وينسب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبى جعفر المنصور ، وينسب إلى حرب المحلة المعروفة بالحربية ، وبها قبر أحمد بن حنبل . انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٦٤ ـ ص٦٥ .

الحافظ عماد[١] **الدين أبو القاسم على بن الحافظ بهاء الدين أبى محمد قاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى**، سمع الكثير، ورحل، فمات ببغداد فى هذه السنة، ومن لطيف شعره قوله فى المروحة :

ومــــروحــــةٍ تروحُ كلَّ همٍّ ثلاثةُ أشـــهـــرٍ لابد منهـــا
حُـــــزَيـران وتـمـــــوزُ وآبُ وفى أيلولَ يُغنـى الله عنهـــا

أبو سعيد[٢] **محمد بن محمود بن محمد بن عبد الرحمن**، المروزى الأصل، الهمذانى المولد، البغدادى المنشأ والوفاة، كان حسن الشكل كامل الأوصاف، له خط حسن، وكان يعرف فنونا كثيرة من العلوم، شافعى المذهب، ويتكلم فى مسائل الخلاف، حسن الأخلاق، ومن شعره :

أرى قسم الأرزاق أعجب قسمة لذى دعة مُثر ومكدّ به الكدُّ
وأحمقُ ذومالٍ وأحمقُ معدمٌ وعقلٌ بلاحظٍ وعقلٌ له جُدُّ
يعمّ الغنى والفقر ذا الجهل والحجَى ولله من قبلُ الأمورِ ومن بعدُ

أبو زكرياء يحيى[٣] **بن القاسم بن درع بن الخضر، الشيخ تاج التكريتى**، قاضيها، ثم درس بالنظامية ببغداد[٤]، وكان مُتْقِنًا لعلوم كثيرة منها : التفسير، والفقة، والأدب، والنحو، واللغة، وله مصنفات فى ذلك كله، وجمع لنفسه تاريخًا، ومن شعره قوله :

لابد للمرء من ضيق ومن سعة ومن سرور يوافيه ومن حزنِ
والله يطلب منه شكر نعمته مادام فيها ويبغى الصبر فى المحنِ
فكن مع الله فى الحالين معتنقًا فرضيْكَ هذين فى سر وفى علن
فما على شدةٍ يبقى الزمانُ يكنْ ولا على نعمةٍ تبقى على الزمنِ

ومن شعره قوله :

لو كان قاضى الهوى علىّ ولى ماجارَ فى الحكمِ مَنْ علىَّ ولى
يايوسفى الجمال عندك لم تبقَ له حيلة من الحيلِ
إن كان قُدَّ القميصُ من دبرٍ ففيك قُدَّ الفؤادُ من قُبُلِ

---

(١) انظر : الذيل على الروضتين، ص١٢٠؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٢ - جـ٩٣؛ شذرات الذهب، ج٥، ص٦٩ - ص٧٠.
(٢) البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٣.
(٣) انظر : الذيل على الروضتين، ص١٢٠؛ البداية والنهاية، جـ١٣، ص٩٣؛ مرآة الزمان، جـ٨، ص٤٠٠.
(٤) المدرسة النظامية ببغداد : بناها الوزير نظام الملك أبو على الحسن بن على، سنة ٤٥٧هـ، ودرس بها الشيخ أبو إسحق الشيرازى. وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٩.

مات فى رمضان من هذه السنة ، ودفن بالشونيزية[١] .

الشيخ الإمام العلامة[٢] جمال الدين[٣] أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس ، الجذامى السعدى ، الفقية المالكى ، مصنف كتاب «الجواهر الثمينة فى مذهب عالم المدينة» ، وهو من أكثر[٣٩٩] الكتب فوائد فى الفروع رتَّبة على طريق« الوجيز للغزالى» . وقال ابن خلكان : والطائفة المالكية بمصر ، عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده ، وكان مدرساً بمصر ، وتوفى بدمياط فى جمادى الآخرة ، وقيل : فى رجب من هذه السنة . وكان قد توجه إليها بنية الجهاد لمَّا أخذها الفرنج . وشاس بالشين المعجمة والسين المهملة بينهما ألف .

برهان الدين على[٤] بن علوش بن عبد الله المغربى ، إمام المالكية بدمشق ، توفى يوم الأحد ثانى شعبان ، ودفن بجبل قاسيون[٥] ، وكان عالمًا بالأصول والفروع والعربية ، ونشأ له ابن فاضل فى علم الطب يلقب بناصر الدين منصور بن على ، توفى أيضًا وهو شاب(رحمهما الله) .

محمد[٦] بن محمد بن محمود الكشميهنى[٧] ، توفى فى هذه السنة ، وكان صالحًا صاحب مجاهدات ورياضات ، وأوصى أن يكتب على كفنه هذا البيت طلباً لإصلاح حاله :

يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى إليكم يلقى طيبكم فيطيب

الشريف[٨] افتخار[٩] الدين عبد المطلب بن الفضل ، العلوى ، البلخى ، المدرس بمدرسة الحلاويين بحلب ، مات فى حلب فى هذه السنة ، وكان عارفًا بمذهب

---

(١) الشُونِيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربى . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٨ .
(٢) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٣ - ص٩٤ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٩ .
(٣)«جلال الدين» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٣ - ٩٤ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٩ .
(٤) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢١ .
(٥) قاسيون : هو الجبل المشرف على مدينة دمشق . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣ .
(٦)انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ .
(٧) «الكشمينى» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ .
(٨) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ ؛ شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٦٩ .
(٩) «مختار الدين» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ .

أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ وشرح «الجامع الكبير» وغيره ، وكان يروى كتاب «الشمائل» للترمذى وغيره ، وكان سيدا عاقلاً فاضلاً ورعاً دينا .

محمد[١] **بن جميل** ، صاحب مخزن الخليفة ، مات ببغداد ، ومولده بهيت[٢] ، وكان فاضلاً بارعاً .

محمد سبط[٣] **العقاب** ، ولقبه بدر الدين ، وهو الذى ضم إليه الخليفة ولدى ولده إليه لما خرجا إلى شُشتر[٤] ، وأرسله الخليفة إلى الأشرف مراراً ، وكان فقيرًا فحصل له مال عظيم ، فبعثه الخليفة إلى الأشرف فى هذه السنة ، فبدا منه عند الأشرف دناءة نفس وسقوط هِمَّة ، وبلغ الخليفة ، وكان قد حظى عنده وبلغ أعلى المراتب ، فلما عاد من الرسالة اعتقله فى داره ، وقيل له : بعثناك إلى ششتر فخُنت فى المال ، فاعمل حسابك . فأصبح فى داره مصلوبًا . فقيل : إنه صلب نفسه . وقيل : بل غلمانه صلبوه . وقيل : بل الموكلون به . ولم يغسل ولم يكفن ولم يصل عليه ، وحُمِل إلى مقابر المُقَتَّلين ، فدفن بها . وقال الناس : إن فى ذلك لعبرة .

ريحان[٥] **بن تكان بن موسك أبو الخير** ، المقرى ، شيخ السبط ، كان صالحا سليم الصدر ، أقام بالحربية سبعين سنة ، يُقرىء الناس القرآن ، فختم ألوفاً ، وكان من الأبدال . وقال السبط[٦] : قرأت عليه القرآن ، وسمعت الحديث ، وأُضر فى آخر عمره ، وكانت وفاته فى صفر ، ودفن بمقابر أحمد ، روى عن أبى الوقت وغيره .

صاحب سنجار المنصور[٧] **محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى** ، مات فى هذه السنة ، وأبوه كان ختن نور الدين محمود بن زنكى على ابنته ، وكان المنصور هذا

---

(١) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ .

(٢) هيت : سميت هيت لأنها فى هوة من الأرض . وهى بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . انظر : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٢٠ ـ ص٤٢١ .

(٣) انظر : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

(٤) ششتر : ويقال لها تُسْتَر وهو تعريب ششتر ، وهى أعظم مدينة بخوزستان . معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٤٧ ـ ص٨٤٨ .

(٥) انظر : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٨ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٧ .

(٦) انظر : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٨ .

(٧) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣١ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٢٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٩ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٧٠ .

ملكاً عادلاً ، وهو الذى حصره الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ثم رحل عنه بشفاعة الخليفة الإمام الناصر لدين الله ، وخلف عدة أولاد : سلطان شاه ، وزنكى ، ومظفر الدين وغيرهم .

الخاتون الجليلة المصونة ست[1] الشام ، بنت أيوب بن شاذى ، أخت الملوك : السلطان صلاح الدين ، والسلطان الملك العادل ، والمعظم تورانشاه ، وكانت شقيقة المعظم ، كان لها من الملوك محارم خمسة وثلاثون ملكاً منهم الملك المعظم تورانشاه صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها فى تربتها فى القبر القبلى من الثلاثة ، وفى الأوسط منها زوجها [٤٠٠] وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبى ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهى وابنها حسام الدين عمر فى القبر الثالث . ويقال للمدرسة والتربة : الحسامية[2] نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين ، وكان من أكابر الأمراء عند خاله صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكانت ست الشام من أكثر النساء خدمة وإحسانا إلى الفقراء والمحاويج ، وتعمل فى كل سنة فى دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك ، فتفرق على الناس ، وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار ، السادس عشر من ذى القعدة من هذه السنة ، فى دارها التى جعلتها مدرسة ، وهى الشامية الجوانية ، ونقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها عظيمة حافلة جدا(رحمها الله تعالى) .

---

(١) الذيل على الروضتين ، ص١١٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٩٨- ص٣٩٩ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٦٧ .

(٢) المدرسة والتربة الحسامية : بالعونية على الشرف الشمالى من دمشق وأنشأتها أم الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ، وهى الشامية البرانية ونسبت إليه .

انظر : الذيل على الروضتين ، ص١١٩ ؛ الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢ ، ص١٤٣ ، ص١٤٤ ؛ شذرات الذهب ،ج٥ ، ص٦٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السابعة عشر بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والمسلمون فى كرب شديد من أمور : (الأول) : من جهة الفرنج وهم متملكون دمياط ، والسلطان الملك الكامل مقيم فى المنصورة لأجلهم ، مرابط للجهاد .(الثانى) وهو معظمها خروج التتار من بلادهم واستيلاؤهم[١] على بلاد المسلمين وفسادهم . و(الثالث) وقوع الفتن فى أطراف البلاد : من ذلك أن الملك الأشرف كان قد أقطع عماد[٢] الدين أحمد بن سيف الدين على المشطوب رأس عين[٣] فخرج عليه ، وجمع جمعا ، وحسن لصاحب سنجار[٤] محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الأشرف ، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل ، وحضر ابن المشطوب بتل أعفر[٥] وأخذه بالأمان ، ثم قبض عليه ، وأعلم الملك الأشرف بذلك ، فسر به غاية السرور ، واستمر ابن المشطوب فى الحبس ، ثم سار الأشرف من حران واستولى على دنيسر[٦] ، وقصد سنجار ، فأتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل أن يعطى الرقه عوضا عن سنجار ليسلم سنجار إلى الأشرف ، فأجاب الأشرف إلى ذلك وتسلم سنجار فى مستهل جمادى الأولى ، وسلم إليه الرقة[٧] وهذا كان من سعادة الأشرف فإن أباه الملك العادل نازل سنجار فى جموع كثيرة ، وطال مقامه عليها ولم يملكها ، وملكها ابنهُ الأشرف بأهون سعى . وبعد أن فرغ الأشرف من سنجار سار إلى

(*) يوافق أوله ٨ مارس سنة ١٢٢٠م .

(١) «استيلائهم» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٢) عماد الدين أحمد : هو أبو العباس أحمد بن سيف الدين أبى الحسن على بن أحمدبن أبى الهيجاء بن عبد الله بن أبى الخليل بن مرزبان الهكارى المعروف بابن المشطوب الملقب عماد الدين ، والمشطوب لقب والده ، وولد عماد الدين سنة ٥٧٥هـ تقديرا ، وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٦١٩هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٨٠ ـ ١٨٤ .

(٣) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودونيسر .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٣١ .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٥٨ ـ ١٦٠ .

(٥) تل أعفر : يقال عنه أيضاً يعفر ، وهو اسم قلعة وربض بن سنجار والموصل فى وسط واد فيه نهر جارى .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٦٣ .

(٦) دُنَيْسر : بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين ، ولها اسم آخر يقال لها : قوچ حصار .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦١٢ .

(٧) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، وهى فى بلادة الجزيرة بالعراق .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٨٠٢ ـ ٨٠٤ .

الموصل[1] ، ووصل إليها فى تاسع عشر جمادى الأولى ، وكان يوم وصوله إليها يوماً مشهوداً ، وكتب إلى مظفر الدين[2] صاحب إربل يأمره أن يعيد صهره عماد الدين[3] زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود عَلَى بدر الدين لؤلؤ القلاع التى استولى عليها ، فأعادها جميعها ، وترك فى يده منها العمادية[4] ، واستقر الصلح بين الأشرف وبين مظفر الدين صاحب إربل وعماد الدين زنكى صاحب العفر[5] وشوش[6] ، وكذلك استقر الصلح بينهما وبين صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ولما استقر ذلك رحل الملك الأشرف من الموصل ثانى عشر رمضان وعاد إلى سنجار ، وسلم بدر الدين لؤلؤ قلعة تل أعفر إلى الملك الأشرف ، ونقل الملك الأشرف ابن المشطوب من حبس الموصل وجعله مقيداً فى جب بمدينة حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة ، ولقى بغيه وخروجه مرة بعد أخرى[7] .

ذكر مجىء جنكزخان إلى بخارى وغيرها من بلاد المسلمين وحربه مع السلطان علاء الدين خوارزم شاه

[٤٠١] قال ابن كثير[8] : وفى هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بجنكزخان المسمى بتموجين ـ لعنه الله ـ ومن معه من التتار المفسدين ، واستفحل أمرهم وامتد فسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا إلى بلاد العراق وماحولها ، حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها ، فملكوا فى سنة واحدة وهى هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة

---

(١) الموصل : مدينة مشهورة عظيمة ، وهى باب العراق ومفتاح خراسان ، وهى مدينة قديمة على طريق دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٨٢ .

(٢) مظفر الدين صاحب إربل : أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد ، الملقب الملك المعظم مظفر الدين ، ووالده زين الدين على المعروف بكجك صاحب إربل ، ولد بقلعة الموصل سنة ٥٤٩هـ ، وتوفى ليلة الجمعة رابع عشر رمضان سنة ٦٣٠هـ بداره ثم نقل إلى قلعة إربل ، ودفن بها .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١١٣ ـ ص١٢١ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٣٨ .

(٣) عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى آقسنقر ، توفى فى حدود سنة ٦٣٠هـ
انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٢٠٨ .

(٤) العمادية : قلعة حصينة فى شمال الموصل ، عَمَّرها عماد الدين زنكى بن آقسنقر فى سنة ٥٣٧هـ ، وكانت قبل ذلك حصنا للأكراد .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧١٧ .

(٥) عفر : حصن من أعمال فلسطين قرب بيت المقدس .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦٨٨ .

(٦) شوش : موضع قرب جزيرة ابن عمر من نواحى الجزيرة ، وهى قلعة عظيمة قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل . معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٤ .

(٧) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٧٠ ـ ص ٧٦ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٢٤ ـ ص١٢٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

(٨) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٤ .

والشام ومصر ، وقهروا جميع الطوائف التى بتلك النواحى الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم ، وقتلوا فى هذه السنة من المسلمين فى بلدان متعددة كبار ما لايحد ولا يوصف . وبالجملة فلم يدخلوا بلدًا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتله والرجال ، وكثيرا من النساء والصبيان ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذى يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويخربون المنازل ، وما عجزوا عن تخريبه أحرقوه ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ـ لعنهم الله ـ وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم وإن لم ينصحوا فى القتال قتلوهم .

وقال ابن الأثير[١] (رحمه الله) : لو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله آدم(عليه السلام) وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقًا ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ، ومن أعظم مايذكرون من الحوادث ما فعل بخت نصر ببنى إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس . وما البيت المقدس بالنسبة إلى ماخرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس[٢]؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى «من»[٣] قتلوا؟! فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ، ولعل الخلائق لايرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون النساء الحوامل وقتلوا الأجنة[٤] . وقتلوا الصلحاء والعلماء والزهاد والعباد ، وأخربوا الجوامع والمساجد ، وأحرقوا المصاحف ، ورمى الله الخذلان فى المسلمين حتى أن امرأة من التتار دخلت دارا وفيها جماعة من المسلمين فقتلت البعض وأسرت الباقين ، وهم يظنون أنها رجل ، ولما وضعت السلاح وجدوها امرأة فقتلها بعض من أسراها[٥] .

---

(١) الكامل ، ج١٠ ، ص٣٩٩ .
(٢) «فى ما البيت المقدس» كذا فى الأصل والمثبت من الكامل ، ج١٠ ، ص٣٩٩ ، حيث ينقل منه العينى .
(٣) «ما» ، كذا فى الأصل والمثبت من الكامل ، ج١٠ ، ص٣٩٩ .
(٤) إلى هنا توقف العينى عن النقل من الكامل ، ج١ ، ص٣٩٩ ، وورد هذا الحدث أيضا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٤ .
(٥) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤١٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٧ .

وحكى أن رجلا من التتار دخل دارا وفيها مائة رجل فقتلهم واحداً بعد واحد حتى أفناهم ، ولم يمد واحد منهم يده إليه ، وكان الواحد منهم يدخل الدرب وفيه جماعة فيقتلهم كلهم وحده . قلت : قد جاء هلاون بعده وفعل بين المسلمين أقبح منه ، ثم فى آخر الأمر جاء تمرلنك فى سنة ثلاث وثمان مائة وأفسد وأخرب وحرق وقتل أكثر من جنكيز خان وغيره ، لأن تمرلنك دخل الروم والشام والعراق وقتل فيها ما لايعد ولايحصى ، ثم إن علاء الدين خوارزم شاه لما فرق عساكره فى البلاد ودهمته عساكر التتار وأخذوا مدينة أوترار[1] وأفسدوا فيها ، رجع خوارزم شاه بالمسلمين إلى بخارى ورتب بها الاستعداد للحصار لعلمه بالعجز عن المواجهة والمقاومة ، ورتب فيها عشرين ألف فارس ، وجعل فى سمرقند خمسين ألفا يحمونها ، وقال لهم : إنى أسير إلى بلاد خوارزم وخراسان لأجمع العساكر وأعود إليكم ، ثم رحل عائدًا فعبر نهر جيحون ، فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ، وأقام ينتظر اجتماع عساكره ، [٤٠٢] فساق جنكيزخان إلى بخارى ليحاصرها ويقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة ، فحاصرها ثلاثة أيام ، فانهزم عسكر المسلمين ، وضعفت قلوب أهل البلد وطلبوا الأمان فأعطاهم أمانا ، ففتحوا البلد ، وتحصن فى القلعة طائفة من الجند ، فأمر جنكيزخان المسلمين بأن يحفروا جميعا ويطموا الخندق بالأخشاب والتراب ، ففعلوا حتى إن الكفار كانوا يأخذون المنابر والربعات فيلقونها فى الخندق ، ثم تابعوا الزحف ، وكان بها نحو من أربع مائة فارس من المسلمين ، فبذلوا جهدهم اثنى عشر يومًا ، وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم . فلما فرغ من القلعة أمر بإحضار رؤساء البلد وأمرهم بإحضار موجودهم ، فأحضر كل ماعنده ، ثم أمرهم بالخروج من البلد مجردين من أموالهم ليس معهم سوى الثياب التى عليهم ، ودخل التتار البلد فنهبوه وقتلوا كل من وجدوه فيه ، ثم أحاطوا بالمسلمين ، فأمر أصحابه أن يقتسموهم ، وكان يوما شديدا من بكاء الرجال والنسوان وعجيج الأطفال والولدان ، وأخذ كل من استسلم منهم أسيراً ، ومنهم أقوام اختاروا الموت على الأسر فقاتلوا حتى قتلوا . وممن اختار القتل وقاتل حتى قُتل الإمام ركن الدين إمام زاده ، والقاضى صدر الدين خان ، وألقت التتار فى البلد النار ، وأحرقوا المساجد والمدارس والربط[2] .

---

(١) مدينة من بلاد الترك . انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٠١ .

(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٣٩٩ - ص٤٠٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٠ .

ثم ساروا إلى سمرقند(١) وقد تحققوا عجز السلطان خوارزم شاه عنهم ، واستصحبوا معهم من أسروا من أهل بخارى(٢) مشاة على أقبح صور الأسارى ، وكل من عجز عن المشى قتلوه ، فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأسرى والأثقال وراءهم ، فلما رأى أهل البلاد سوادهم استعظموهم . فلما كان اليوم الثانى وصل الأسارى والرجالة والأثقال وأحاطوا بالبلد ، وكان فيه خمسون ألف مقاتل من الخوارزمية ، وأما عامة أهل البلاد المجتمعين إليها فلايحصون كثرة ، فخرج اليهم الشجعان وأهل الجلد والقوة رجّالة ، ولم يخرج إليهم أحد من الخوارزمية لما فى قلوبهم من خوف التتار ، فقاتلهم الرجّالة بظاهر البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم ، وكان التتار قد كمنوا لهم كمينا ، فلما استجروا أهل البلد إلى أن تعدوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ، فبقوا فى الوسط وأخذتهم السيوف من كل جانب ، فقُتلوا عن آخرهم شهداء ـ رضى الله عنهم ـ وكانوا سبعين ألف على ماقيل ، فلما رأى الباقون من العامة والجند ذلك ضعفت قلوبهم وأيقنوا بالهلاك ، فقال الجند : نحن أتراك من جنس هؤلاء ولايقتلوننا ، وطلبوا الأمان فأجابوهم إلى ذلك ، ففتحوا أبواب البلد ، وخرجوا إلى الكفار بأهلهم وأموالهم ، فقالوا لهم : ادفعوا إلينا أسلحتكم ، ففعلوا ، فلما أخذوا أسلحتهم وضعوا السيوف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، وأخذوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وأولادهم ، ولما كان اليوم الرابع نادوا فى البلد أن اخرجوا ومن تأخر قتل ، فخرج جميع من فى البلد من الرجال والنساء والأطفال ، ففعلوا بهم كما فعلوا بأهل بخارى من السبى والنهب والقتل ، ثم دخلوا البلد فنهبوا ماكان فيها ، وكان خوارزمشاه بمنزله مقيما ، وكلما اجتمع [٤٠٣] إليه عسكر سيَّره إلى سمرقند ، فيرجعون ولايقدمون على الوصول إليهم ، فنعوذ بالله من الخذلان . فلما فرغ جنكيزخان من سمرقند سير من عساكره عشرين ألفا فى طلب خوارزم شاه(٣) .

---

(١) سمرقند : إحدى بلاد ماوراء النهر مبنية جنوب وادى الصغد . معجم البلدان ج٣ ، ص١٣٣ .

(٢) بخارى : إحدى بلاد ماوراء النهر بينها وبين جيحون يومان .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥١٧ .

(٣) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٠٥ ـ ص٤٠٦ .

ذكر إرسال جنكزخان عسكراً وراء خوارزم شاه

ولما فرغ جنكزخان من سمرقند أقام هناك وأرسل السرايا إلى البلدان ، فبعث سرية إلى بلاد خراسان ، وسرية وراء خوارزم شاه ، وهم عشرون ألف ، وقال لهم : اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء[١] .

وقال أبو الفتح : كان خوارزم شاه مقيما بحدود كتلف[٢] وأندخوذ[٣] ، ولما سمع بذلك ضعف قلبه واضطرب حاله ، ورحل فى وقته ، وعدّا جيحون ، وفارقه سبعة آلاف من الخطائية[٤] ، واتصل علاء الدين صاحب قُندَز[٥] بجنكزخان مظاهراً ، وبمغادرة السلطان مجاهراً ، وانقطع إليه الأمير ماه[٦] ، وأخذ الناس فى التخاذل والتسلل إلى جنكزخان . وفى تاريخ بيبرس : لما اتصل بجنكز خان حال السلطان ووجله جرد إليه مقدمين فى ثلاثين ألف من عسكره ، وهما يمه نوين وسبطى بهاد[٧] حتى عبروا النهر صوب خراسان ، فعاثوا وأفسدوا وأبادوا من وجدوا[٨] .

وكان السلطان خوارزم شاه نازلاً بمرج دولة أباد وهى من أعمال همذان[٩] ، وليس معه إلا عشرون ألف فارس فلم ترعة إلا صيحة[١٠] الغارة وإحداق خيل العدو به ، فنجا بنفسه وفاتهم فى نفر يسير من خواصه ، وقُتل جُلُّ أصحابه ، وانتهى إلى حافة البحر

---

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٠٦ .

(٢) كيلف فى الأصل والصحيح ما أثبتناه ، وهى بلدة فى خراسان بين مدينتى بلخ ومرو . سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٠٠ .

(٣) أندخوذ : إحدى مدن خراسان ، بين بلخ ومرو .
معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧٢ ؛ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٦٧ ، حاشية(١) .

(٤) الخطائية : نسبة إلى قبائل الخطا الذين أسسوا دولة لهم فى إقليم التركستان فى مستهل القرن السادس الهجرى (الثانى الميلادى) على يد(ابى لوتاشى) سيرة جلال الدين ، ص٣٦ ، حاشية ٣ .

(٥) قيدر فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه . سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٠١ .

(٦) «الأمير جاه ررى» : كذا فى سيرة منكبرتى ، وهو من قدماء بلخ ، ص١٠١ .

(٧) هما القائدان المغوليان شبى ، وسوبوتاى ، أرسلهما جنكزخان فى إثر علاء الدين محمد خوارزم شاه على رأس جيشين يتكون كل منهما من ألف فارس ، وقد طارداه حتى اضطراه إلى الاعتصام بإحدى جزر بحر قزوين . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٠٢ ، حاشية (١) .

(٨) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص١٠٠ - ص١٠٢ .

(٩) همذان : مدينة عتيقة بالجبال بأرض فارس بجوار أذربيجان والموصل والرى . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٩٨١ .

(١٠) فى الأصل ضمة ، والصحيح ما أثبتناه ، سيرة منكبرتى ، ص١٠٥ .

وأقام عند الفرضة[١] يبكى وينذر النذور، ويصلى الصلوات الخمس، ويعاهد الله بإقامة العدل إن كتب سلامته، فكبسه التتار، فركب مركبا هو وأولاده الحاضرون معه وهم: جلال الدين منكبرتى خوارزم شاه، وقطب الدين أزلاغ شاه، وناصر الدين آق شاه، ولم يكن معه سواهم لأن أولاده كانوا متفرقين فى الممالك، وسار فى البحر فوصل إلى الجزيرة فريدًا طريدًا، لايملك طارفا ولاتليدًا، وكان قد اعتراه مرض ذات الجنب فازداد به مرضه، وكان فى أهل مازندران[٢] ناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب، فقال: فى بعض الأيام أشتهى أن يكون عندى فرس يرعى حول خيمتى هذه، وقد ضربت له خيمة صغيرة، فأحضر إليه تاج الدين حسن أحد سرهنكيته[٣] فرساً. هذا ما آل إليه وجرت به المقادير عليه[٤].

وفى تاريخ ابن كثير[٥]: ولما ساق التتار وراء خوارزم شاه أدركوه وبينه وبينهم نهر جيحون، وهو آمن بسببه، فلم يجدوا سفناً، فعملوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة، ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بذنبه، فيجره الفرس فى الماء، وهو يجر الحوض الذى فيه سلاحه حتى صاروا كلهم فى الجانب الآخر، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه، فهرب منهم إلى نيسابور[٦]، ثم منها إلى غيرها، وهم فى أثره لايمهلونه يجمع لهم،[٧] فصار كلما أتى بلدًا ليجتمع فيه عساكره يدركونه فيهرب منهم، حتى ركب فى بحر طبرستان، وسار إلى قلعة فى جزيرة فيه، فكانت وفاته فيها. وقيل: إنه لايعرف بعد ركوبه فى البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدرى أين ذهب[٨].

(١) الفرضة: هى الثغر أو الميناء، سيرة منكبرتى، ص١٠٦، حاشية ٣.
(٢) مازندران: اسم لولاية طبرستان. انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٢.
(٣) سرهنكيته: أى أحد قواده. سيرة منكبرتى، ص١٠٧، حاشية ١.
(٤) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى، ص١٠٥ - ص١٠٧.
(٥) البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٥ - ص٩٦.
(٦) نيسابور: من أعظم مدن إقليم خراسان.
انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٨٥٧.
(٧) «له» كذا فى الأصل، والمثبت من البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٦، حيث ينقل عنه العينى.
(٨) إلى هنا توقف العينى عن النقل من البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٥ - ص٩٦.

وقال أبو الفتح المنشيء : قاسى السلطان خوارزم شاه من الشدائد والجفلات إلى أن مات بالجزيرة فى بحر قلزم ، ولما عبر نهر جيحون وصل إليه[٤٠٤] عماد الملك محمد بن السديد الساوى وزير ابنه ركن الدين صاحب العراق ، وقد كان ركن الدين وجهه إلى باب السلطان لقضاء أشغاله ، ثم رحل السلطان من حافة جيحون إلى نيسابور ، ولم يقم بها إلا ساعة من نهار من رعب تمكن فى صدره ، وسار إلى جهة العراق ، ونزل بمرج دولة أباد وهى من أعمال همذان ، وأقام بها أيامًا يسيرة ومعه من عسكره مقدار عشرين ألف فارس ، فلم يدر إلا صبيحة الغارة ، فهرب هو بنفسه ، وشمل القتل جل أصحابه ، وقُتِل عماد الملك الوزير ، وجاء السلطان إلى بلد الجبل ثم منها إلى حافة البحر ، وأقام عند الفرضُة بقرية من قراها ، فيحضر المسجد ويصلى به إمام الفريضة فى القرية ، فأقام بها إلى أن كبسه التتار بها ومعهم ركن الدين كبود خانه ، وكان السلطان قد قتل عمه نصرة الدين[وابن عمه][١] عز الدين كيخسرو ، فانتهز ركن الدين الفرصة فى هذا الوقت ، ولكنه فاتهم حيث ركب المركب ، ووقعت منهم سهام فى المركب ، وخاض خلفه طائفة من التتار حرصًا على أخذ السلطان[٢] .

ذكر مافعل هؤلاء السرايا فى بلاد الإسلام

ولما فاتهم السلطان خوارزم شاه بركوبه البحر توجهوا إلى نهب البلاد وأخذها ، فقصدوا الرى فدخلوها على حين غفلة من أهلها ، فقتلوهم وسبوهم وأسروهم ، ثم صاروا إلى همذان فملكوها ثم إلى زنجان[٣] فقتلوا وأسروا وسبوا ، ثم قصدوا قزوين[٤] فنهبوها وقتلوا من أهلها نحوًا من أربعين ألفا ، ثم قصدوا بلاد أذربيجان ، فصالحهم ملكها أزبك ابن البهلوان[٥] على مال حمله إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات

(١) [وابن عمه] مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى لاستقامة المعنى ، ص١٠٦ .

(٢) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص١٠٤ ـ ص١٠٦ .

(٣) زنجان : بلد كبير من نواصى الجبال بين أذربيجان وبينها (الجبال) وهى قريبة من أبهر وقزوين . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٤٨ .

(٤) قزوين : مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرن فرسخاً . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٨٨ .

(٥) أزبك بن البهلوان : هو أحد غلمان السلجوقية ، وصاحب إقليم أذربيجان وأرّان ، تزوج بابنة السلطان طغرل السلجوقى انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٤٧ ، ص٥٢ ، ص١٥٥ .

والانهماك على الشهوات ، فتركوه وساروا إلى موقان[١] فقاتلهم الكرج[٢] فى عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج ، وأقبلوا إليهم بجدهم وجديدهم ، فكسرهم التتار مرة أخرى أقبح هزيمة وأشنعها[٣] .

ثم ساروا إلى مراغة[٤] فحصروها ونصبوا عليها المجانيق ، وتترسوا بالأسارى من المسلمين ، وعلى البلد امرأة ـ ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ـ ففتحوا البلد بعد أيام ، وقتلوا من خلقه ما لايعلم عددهم إلا الله تعالى ، وغنموا منه شيئًا كثيرا ، وسبوا وأسروا على عادتهم ، ثم قصدوا مدينة إربل[٥] فضاق المسلمون لذلك ذرعاً فصالحهم أهلها ، وترك التتار عندهم شحنة ، فذهبوا ثم اتفق أهل إربل على قتل شحنتهم ، فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسراً ، فقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم سارا إلى أردبيل[٦] ثم إلى تبريز[٧] ثم إلى بيلقان[٨] فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وحرقوها ، وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهن ويشقون بطونهن عن الأجنة ، ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فاقتتلوا معهم فكسروهم أيضاً كسرة فظيعة ، ثم فتحوا بلداناً كثيرة يقتلون أهلها ويسبون ويأسرون من الرجال مايقاتلون به الحصون ، يجعلونهم بين أيديهم ترساً يتقون بهم الرمى

---

(١) موقان : ولاية بأذربيجان فى الجبال . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٨٦ .

(٢) الكرج : أمة من المسيحيين كانت مساكنها بجبال القوقاز المجاورة لتفليس ، ثم استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م ، ولم يزالوا متملكين لها حتى أغار عليهم جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢١هـ /١٢٢٤م .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥١ ـ ص٢٥٢ ؛ مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٩٢ .

(٣) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٠٩ ـ ص٤١١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٦ .

(٤) مراغة : بلدة مشهورة بأذربيجان ـ معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧٦ .

(٥) إربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل ، وأكثر أهلها أكراد وقد استعربوا .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٨٩ .

(٦) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٧ .

(٧) تبريز : من مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٣٢ .

(٨) بيلقان : مدينة قرب الدربند الذى يقال له باب الأبواب تعد فى أرمينية الكبرى قريبة من شروان .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩٧ ـ ص٧٩٨ .

وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب ثم ساروا إلى بلاد اللان[١] والقفجاق[٢] فاقتتلوا معهم قتالاً عظيما فكسروهم ، وقصدوا أكبر مدائن القفجاق ، وهى مدينة سوداق[٣] ، وفيها من الأمتعة والثياب والقندس والسنجاب شىء كثير جدًا ، ولجأت القفجاق إلى بلاد الروس ، وكانوا [٤٠٥] نصارى ، فاتفقوا معهم على قتال التتار ، فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة فظيعة جداً ، ثم صاروا نحو بُلْغَار[٤] فى حدود العشرين وستمائة ، ففرغوا من ذلك كله وعادوا نحو ملكهم جنكز[٥]خان[٦] .

وكان جنكزخان يسمى هؤلاء السرية المغرّبة ، وكان قد أرسل سرية أخرى فى هذه السنة إلى ترمذ[٧] فأخذتها وأخرى إلى فرغانة[٨] فملكوها ، وجهز جيشا آخر نحو خراسان ، فحاصروا بلخ[٩] فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنًا كثيرة أخرى حتى انتهوا إلى الطالقان[١٠] فأعجزتهم قلعتها وكانت حصينة ، فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا ، فكتبوا إلى جنكزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهرًا ، ثم قتل

---

(١) اللان : بلاد واسعة فى طرف أرمينية .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٤٣ .

(٢) القفجاق : فى إقليم خوارزم ، ويسكنه جنس من الترك يسكنون صحارى الدَّشْت وهم أهل حل وترحال على عادة البدو . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٥٦ .

(٣) «سرداق» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٧ ، وتكتب أيضا «صوداق» ، والعامة يقولون : سُرْداق . (سوداق) . وهى فرضة للتجار فى ذيل جبل على شط بحر القرم ، ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون من سواحل بلاد الروم ، وأهلها مسلمون . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٦٠ .

(٤) بُلْغَار : هى مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال ، ومن بلغار إلى أول حد الروم نحو عشرين يومًا ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٢٣ .

(٥) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤١١ - ص٤١٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٧ .

(٦) جنكيز خان : كان اسمه «تموجين» ثم اتخذ لنفسه هذا الاسم ومعناه أعظم الحكام بعد أن نجح فى تزعم القبائل المغولية فى شرق آسيا ، وبعد أن انتخب فى خاقانا عليها سنة ٦٠٣هـ (١٢٠٦م) . ولد سنة ٥٤٩ / ٥٥٠ هـ (١١٥٤ / ١١٥٥م) ، وتوفى سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧م) .
انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، محمد بن أحمد النسوى ، دار الفكر العربى ١٩٥٣ ، حاشية(٤) ، ص٣٩ - ٤٠ .

(٧) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقى . معجم البلدان ، ج١ ،ص٨٤٣ .

(٨) فرغانة : مدينة واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٧٩ .

(٩) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧١٣ .

(١٠) الطالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ والأخرى بلدة وكورة من قزوين وأبهر ، وهى أكبر مدينة بطخارستان .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٩١ .

من فيها ومن فى البلد بكماله من الخاصة والعامة ، ثم قصدوا مدينة مرو[١] مع جنكزخان وقد عسكر بظاهرها نحو من مائتى ألف مقاتل من العرب وغيرهم ، فاقتتلوا معهم قتالاً عظيما حتى انكسر المسلمون . فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢] . ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسبوهم وعاقبوهم بأنوع المذلات حتى إنهم قتلوا فى يوم واحد سبع مائة ألف إنسان فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها مافعلوا بأهل مرو ، ثم إلى طوس[٣] فقتلوا وخربوا مشهد على بن موسى الرضى وتربه الرشيد الخليفة ، فتركوه خرابا ، ثم ساروا إلى هراة[٤] ، فقتلوا خلقها واستنابوا عليها ، ثم ساروا إلى غزنة[٥] وبها جلال الدين بن السلطان خوارزم شاه[٦] .

ذكر ماجرى بين التتار وبين جلال الدين بن خوارزم شاه على غزنة

أرسل جنكيزخان طائفة كبيرة من التتار إلى غزنة ، وكان بها جلال الدين منكبرتى ابن السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، فوقع بينهم قتال شديد ، فكسرهم جلال الدين ، وكان مجىء جلال الدين إلى غزنة بعد أمور كثيرة بينه وبين التتار على مانذكره . وأصل ذلك أن جلال الدين لما كسر التتار على غزنة عادوا إلى هراة فإذا أهلها قد نقضوا ، فقتلوهم عن آخرهم ، ثم عادوا إلى ملكهم جنكيزخان فأرسل جنكيزخان طائفة أخرى إلى خوارزم فحاصروها حتى فتحوها قهراً فقتلوا أهلها قتلاً ذريعاً ونهبوها ، وأرسلوا الجسر الذى يمنع ماء جيحون منها فغرقت دورها وهلك جميع أهلها ، ثم عادوا إلى ملكهم

(١) مرو : هى مرو الروذ وهى مدينة قريبة من مرو الشاهجان وهى على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٠٦ .

(٢) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤١٩ـ ص٤٢٠ .

(٣) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٦٠ ـ ص٥٦٣ .

(٤) هَرَاةُ : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٩٥٨ .

(٥) غزنة : من طرف خراسان وأول بلاد الهند .
انظر : تقويم البلدان ، ج٣ ، ص٤٦٦ ـ ص٤٦٧ .

(٦) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤١٨ ـ ص٤٢١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٧ ـ ص ٩٨ .

جنكيزخان وهو مخيمٌ على الطالقان ، فجهز منهم طائفة إلى غزنة ، فاقتتل معهم جلال الدين المذكور فكسرهم كسرة عظيمة على ماذكرنا ، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكيزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله ، فقصده جنكيزخان فتواجها ، وقد مزق جلال الدين بعض جيشه ولم يبق له بُدّ من القتال ، فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يعهد مثلها قبلها من قتال ، ثم ضعف أصحاب جلال الدين فذهبوا فركبوا فى البحر يعنى بحر الهند ، فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة(١) .

وفى تاريخ النويرى(٢) : ولما فرغ التتار من خراسان عادوا إلى ملكهم جنكيزخان ، فجهز جيشا كثيفا الى غزنة(٣) وبها جلال الدين منكبرتى بن خوارزم شاه مالكا لها ، وقد اجتمع إليه كثير من عسكر أبيه . قيل : كانوا ستين ألفا مقاتلين ، وكان الجيش الذى أرسله جنكيزخان اثنى عشر ألفا[٤٠٦] فالتقوا مع جلال الدين واقتتلوا ، فانتصر المسلمون وانهزمت التتار ، وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا ، ثم أرسل جنكيزخان جيشا آخر أكثر من الأول مع بعض أولاده ، فوصلوا إلى كابل(٤) واقتتلوا مع المسلمين فانهزم التتار أيضا وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وغنموا شيئا كثيرا ، وكان فى عسكر جلال الدين أمير كبير مقدام هو الذى كسر التتار على الحقيقة يقال له : بغراق فوقع بينه وبين أمير آخر كبير يقال له : ملك خان صاحب هراة وله نسب إلى خوارزم شاه ، وكان سبب الوقوع المكسب قتل فيه أخو بغراق ، فغضب بغراق وفارق جلال الدين ، وسار إلى الهند وتبعه ثلاثون ألف فارس ، ولحقه جلال الدين واستعطفه ، فلم يرجع ، فضعف عسكر جلال الدين بسبب ذلك ، ثم وصل جنكيزخان بنفسه فى جيوشه ، وقد ضعف جلال الدين بما نقص من عسكره بسبب بغراق ، فلم يكن له بجنكيزخان قدرة ، فترك جلال الدين البلاد وسار إلى الهند ، وتبعه جنكيزخان حتى أدركه على ماء عظيم وهو نهر السند ، ولم يلحق جلال الدين ومن معه أن يعبروا النهر فاضطر إلى القتال ، وجرى بينهم وبين جنكيزخان

---

(١) ورد هذا الحدث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٢ ـ ص٤٢٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٢) لم يرد هذا الخبر فى النويرى ، وإنما ورد فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٢ ـ ص٤٢٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان وهى الحد بين خراسان والهند .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٩٨ .

(٤) كابل : تقع بين الهند وغزنة ونواحى سجستان فى ظهر الغور .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٣٠ .

قتال عظيم لم يسمع قبله مثله ، وصبر الفريقان وأقاموا ثلاثة أيام على ذلك ، فقتل من الفريقين خلق عظيم ، وذلك يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وكانت الكرة أولا على جنكيزخان ثم عادت على جلال الدين ، وكان القتل والجرح فى التتار أكثر ، ثم تأخر كل منهما عن صاحبه[١] .

فعبر جلال الدين ذلك النهر إلى جهة الهند ، وأسر التتار ولد جلال الدين ابن سبع سنين ، وقتل بين يدى جنكيزخان صبرا ، ثم إن جلال الدين لما أراد عبور النهر رأى والدته وأم ولده وجماعة من خدمه يصحن ويبكين ، ويقلن : بالله اقتلنا وخلصنا من الأسر ، فأمر بهن فغرقن فى النهر ، وهذا من أعظم البلايا ونوادر المصائب والرزايا . ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم ، فنجا منهم الى ذلك البر تقدير أربعة آلاف رجل حفاة عراة ، وأرمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه إلى موضع بعيد ، وقعد أصحابه ثلاثة أيام ، فبقوا حائرين إلى أن اتصل بهم جلال الدين فاتخذوا بمقدمه عيداً ، ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ، ووصل إلى لهاور من الهند وأقام بها ، ثم إن جنكيزخان لما أيس من جلال الدين عاد إلى غزنة واستولى عليها وقتل أهلها ، ونهب أموالها[٢] . وسنذكر بقية ماجريات جلال الدين وماجريات أخوته أولاد علاء الدين خوارزم شاه فى أثناء السنين الآتية إن شاء الله .

ذكر بقيه الحوادث

منها أن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل استولى على أخلاط[٣] وميافارقين[٤] ، وذلك أنه كانت بيده الرها[٥] وسروج[٦] ، وكانت ميافارقين وأخلاط بيد

---

(١) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٢ - ص٤٢٣ ؛ سيرة منكبرتى ، ص١٥٤ - ص١٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٩٨ .

(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ص١٥٨ - ص١٦٢ .

(٣) أخلاط : من أَجَلّ مدن أرمينية تحف بها البساتين وعليها حصن .
انظر : ليسترينج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١٧ ، ص٢١٨ ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٧ .

(٤) ميافارقين : بلد طيب حصين من أرض الجزيرة بالعراق ، وميافارقين العربية تحريف Mayphark eth ميفركت الأرامى أو موفركن Moufargin الأرمنى .
انظر : ليسترينج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٣- ص١٤٤ .

(٥) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٨٧٦ .

(٦) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٥ .

الملك الأشرف ، ولم يكن للأشرف ولد فجعل أخاه المظفر المذكور ولى عهده ، وأعطاه ميافارقين وأخلاط وبلادها ، وهى إقليم عظيم يضاهى ديار مصر ، وأخذ الأشرف منه الرها وسروج[١] .

ومنها أن الملك المعظم عزل المعتمد مبارز[٢] [٤٠٧] الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاها العزيز خليل[٣] .

ومنها أن فى المحرم هبت رياح ببغداد ، وجاءت بروق ، وسمعت رعود شديدة ، وسقطت صاعقة بالجانب الغربى على المنارة المجاورة لعُوق[٤] ومُعِين[٥] فثلمتها ، ثم أصلحت وغارت الصاعقة فى الأرض[٦] .

ومنها أن صاحب سنجار قتل أخاه ، فسار الأشرف إليها فأخذها ، وعوض صاحب سنجار الرقة[٧] .

وفيها أن ابن المشطوب نافق على الأشرف ، وعاث فى أرض سنجار ، وساعده صاحب ماردين[٨] ، وكان نجم الدين بن عصرون مع ابن المشطوب قدوزّر له ، فسار الأشرف ونزل على دنيسير ، وجاء الملك الصالح فأصلح بين صاحب ماردين والأشرف ، ودخل ابن مشطوب إلى تل أعفر[٩] ، وسار إليه فارس الدين بن صبرة من نصيبين ، وبدر الدين لؤلؤ من الموصل وحصراه فى تل أعفر ، فأنزله بدر الدين لؤلؤ بالأمان وحمله معه إلى الموصل ، ثم قيّده وبعث به إلى الأشرف ، فألقاه الحاجب عَلىِ فى الجب ، فمات

---

(١) انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٢) مبارز الدين ابراهيم : هو مبارز الدين سنقر الصلاحى ، كان مقيما بحلب ثم انتقل إلى ماردين ، ومات غبنا سنة ٦٢٠هـ ، وكان محببا إلى الناس ، ولم يكن فى زمنه أكرم منه .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٤ - ص١٣٥ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤١٢ - ص٤١٣ ، الشذرات ، ج٥ ، ص٩٣ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠١ .

(٤) «عُون» : كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه حيث أن «عُوق» حى من اليمن .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٤٦ .

(٥) مُعِين : قرية باليمن . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٨١ .

(٦) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٧) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٧٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٨) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٨ .

(٩) تل أعفر : اسم قلعة بين سنجار والموصل فى وسط واد فيه نهر جار ، ويقال عنها أيضا تل يعفر ، وتليعفر .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٦٣ ؛ بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٣٠ ، حاشية ٣٩ .

بالقمل والجوع ، وكان نور الدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا[١]مع الأشرف وقد كاتب عليه ، واتفق مع ابن المشطوب ، فاعتقله الأشرف وبعث به مع العلم تعاسيف إلى قرقيسيا وعانه ، وعلق نور الدين برجليه تحت القلعتين وعذبه ، فسُلمت إلى تعاسيف جميع بلاده ، وأراد الأشرف أن يرميه فى الجب فتشفع إلى الملك المعظم ، فشفع فيه إلى الأشرف فأطلقه ، وسار نور الدين إلى دمشق وأحسن المعظم إليه ، فاشترى فى العقيبة بستان ابن جيوش وأقام به . قلت : العلم تعاسيف اسمه قيصر ، وتعاسيف لقبه[٢] .

ومنها أنه كانت فى رجب وقعة بين الملك الكامل وبين الإفرنج فى أرض البرلس[٣] ، وكانت وقعة عظيمة ، قتل الكامل منهم عشرة آلاف ، وغنم خيولهم وسلاحهم ، ورجعوا إلى دمياط مهزومين[٤] .

وفيها (. . . . .)[٥]

وفيها حج بالناس من العراق أقباش[٦] الناصرى ، ولكنه قتل كما نذكره فى الوفيات . ومن الشام المعتمد مبارز الدين إبراهيم ، ولم يحج أحد من العجم بسبب خروج التتار فى البلاد وفسادهم[٧] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

شيخ[٨] الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه من بيت رئاسة وإمرة عند بنى أيوب ، وكان شيخ الشيوخ هذا فقيهاً فاضلاً ، درس بتربة الشافعى بمصر وبمشهد الحسين وولى مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها ، وكانت له حرمة وافرة عند الملوك ، وأرسله الملك الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فمات بالموصل بالإسهال ، ودفن بها عند قضيب البان عن ثلاث وسبعين سنة .

(١) قرقيسا : بلد على نهر الخابور . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٥ ـ ص٦٦ .
(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٢١ ـ ص ١٢٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٠ .
(٣) البَرَلُّس : بليدة على شاطئ نيل مصر ، قرب البحر من جهة الاسكندرية . معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٩٣ .
(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠١ .
(٥) بياض فى الأصل بمقدار نصف سطر .
(٦)لمعرفة المزيد من التفاصيل عن الحدث وأقباش .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ـ ص١٢٣ .
(٧) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠١ .
(٨) انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ .

وقال أبو شامة[١] :

وصل إلى الموصل فى منتصف جمادى الآخرة فتوفى بها بعلة الذرب فى الرابع والعشرين منه .

ابن الجهنى[٢] **أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبى بكر بن المجلى الموصلى** ، ويعرف بابن الجهنى ، كان شاباً فاضلاً ، ولى كتابة الإنشاء لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، ومن شعره : [٤٠٨]

نفسى فداءُ الذى فكرتُ فيه وقد غدوتُ أغرق فى بحر العجبِ
يبدو بليل على صبح على قمر على قضيب على وهم على كثب

رضى[٣] **الدين المؤيد بن محمد بن على الطوسى الأصل النيسابورى الدار** ؛ المحدث ، مات فى هذه السنة ، وكان أعلى المتأخرين إسنادا ، سمع كتاب مسلم من الفقيه أبى عبد الله محمد بن الفضل الفراوى وكان الفراوى فاضلا ، قرأ الأصول على إمام الحرمين ، وسمع الفراوى صحيح مسلم على عبد الغافر فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت ولادة رضى الدين فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومات فى شوال من هذه السنة .

الشيخ[٤] **عبد الله اليونينى** ؛ أسد الشام ، من قرية يقال لها : يونين . من بعلبك ، وكانت له زاوية يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، له همة عالية فى الزهد والورع بحيث أنه كان لايقتنى شيئا ولا يملك مالا ولاثيابا ، ولايتجاوز قميصا فى الصيف وفروة فوقه فى الشتاء ، وعلى رأسه قبع من جلد الماعز ، شعره إلى ظاهره ، وكان لاينقطع عن غزاة من الغزوات ، ويرمى عن قوس زنته ثمانون رطلاً بالدمشقى ، وكان يجاور فى بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتى فى الشتاء إلى عيون العاسريا التى فى سفح الجبل المطل على قرية دومة ، شرقى دمشق ، لأجل سخونة الماء فيقصد بالزيارة هنالك ، ويجئ تارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند القادسية ، وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة .

(١) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٥.
(٢)انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ ـ ص١٠٢ .
(٣)انظر : الشذرات ، ج٥ ، ص٧٨ .
(٤)انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٥ـ ص١٢٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ ـ ص١٠١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٢ ـ ص٤٠٧ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٧٣ ـ ص٧٤ .

وحكى السبط[١] عن القاضى جمال الدين يعقوب الحاكم بكرك البقاع أنه شاهده مرة وهو يتوضأ من ثورا[٢] عند الجسر الأبيض ، إذمر نصرانى ومعه حمل بغل خمرا[٣] ، فعثرت الدابة عند الجسر ، فسقط الحمل ، فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولايعرفه ، فاستعان به على رفع الحمل ، فاستدعانى الشيخ ، فقال : تعال يافقيه ساعدنا على تحميل هذا[٤] الحمل على الدابة فتساعدنا عليه ، وذهب النصرانى فتعجبت من ذلك ، وتبعت الحمل وأنا ذاهب إلى المدينة ، فانتهى به إلى العقيبة[٥] فأورده إلى الخَمَّار بها فإذا هو خل ، فقال له الخمار : ويحك ذا خل . فقال النصرانى : أنا والله أعرف من أين أتيت . ثم ربط الدابة فى خان ، ورجع إلى الصالحية . فسأل عن الشيخ فعرفه ، فجاء إليه فأسلم على يديه . وكان لايقوم لأحد يدخل إليه ، ويقول : إنما يقوم الناس لرب العالمين . وكان يدخل إليه الملك الأمجد صاحب بعلبك ويجلس بين يديه ، فيقول له الشيخ : يامجيد فعلت كذا وكذا ، ويأمره بما يأمره وينهاه بما ينهاه عنه ، وهو يمتثل جميع مايقوله ، وماذاك إلا لصدقه فى زهده وورعه ، وكان يقبل الفتوح ولكن لايدخر منه شيئاً لغد ، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز فيفركه ويستفه ويشرب فوقه الماء البارد ، وذكروا أنه كان يحج فى بعض السنين فى الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة[٦] من الزهاد وصالح العباد[٧] .

وقال ابن كثير[٨] : ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجمى من أصحاب الحسن البصرى ثم من[٩] بعده من الصالحين . وقال السبط[١٠] : كنت قد اجتمعت به فى الشام من سنة ستمائة إلى سنة ثلاث وستمائة ، وكان له تلميذ اسمه توبة ، وكان من الصالحين الأجواد ، وسافرت إلى العراق فى سنة

---

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٣ ـ ص٤٠٤ .
(٢) ثورا : اسم نهر عظيم بدمشق .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٣٨ .
(٣) «خمر» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٤) «هذا هذا» كذا فى الأصل ، والصحيح هو المثبت لاستقامة المعنى .
(٥) العُقَيْبَة : مدينة تقع فى الجانب الشمالى من دمشق ، وهى مستقلة بذاتها .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩٤ .
(٦) «كثيرة» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ ، لاستقامة المعنى .
(٧) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ ـ ص١٠١ .
(٨) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ .
(٩) «عمر» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ ، حيث ينقل عنه العينى .
(١٠) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٣ .

أربع وستمائة ، وحججت ، فلما كان[٤٠٩] يوم عرفة صعدت جبل عرفات وإذا بالشيخ عبد الله قاعد على رأس الجبل مستقبل الكعبة ، وعليه الثوب الخام ، وعلى رأسه القلنسوة[1] السوداء ، فسلمت عليه ، فرحب بى وسألنى عن طريقى ، وقعدت عنده[2] إلى قريب الغروب ، ثم قلت له : ماتقوم تروح إلى المزدلفة . قال : اسبقنى أنت على رفاق . فنزلت من الجبل وأتيت المزدلفة ، ووقفت بها ، وجئت إلى منى فدخلت مسجد الحنيف ، وإذا بالشيخ توبة خارج من المسجد ، فسلم على ، فقلت له :أين نزل الشيخ؟ ظناً منى أنه قد حج معه ، فقال : أيما شيخ؟ قلت : الشيخ عبد الله . قال : خلفته ببعلبك . ففطنت ، فقلت : مبارك . ففهم فلزم بيدى وبكى . وقال : بالله حدثنى إيش معنى هذا؟ فقلت : رأيته البارحة على عرفات وحدثته الحديث ورجعت أنا على بغداد ، وجاء توبة إلى دمشق ، وحدّث الشيخ عبد الله الحديث ، فحدثنى توبة قال : قال لى الشيخ : ماهو صحيح منك ، فلان فتى ، والفتى مايكون غمازاً . فلما عدت إلى الشام عتبنى الشيخ فقلت : توبة تلميذك . فقال : لا تعد إلى مثلها . كأنه كره أن يتحدث له بكرامة فى حال حيوته . وقال ابن كثير[3] ناقلا عن السبط[4] قال : حكى لى عبد الصمد خادمه قال : لما كان يوم الجمعة من العشر الأول من ذى الحجة نزل فصلى الجمعة بجامع بعلبك وهو صحيح ليس به شيء ، ودخل الحمام قبل الصلاة ، واغتسل ، وكان عليه ثوبان قد سماهما لامرأتين[5] ، وجاءه داود المؤذن وكان يغسل الموتى ، فقال له : ويحك ياداود انظر كيف تكون غدا؟ فما فهم داود . وقال : ياسيدى كلنا غدا فى غفارتك . ثم صعد الشيخ إلى المغارة ، وكان قد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرة عند اللوزة التى كان ينام تحتها ويقعد عندها ، وعندها قبر ، وكان فى نهار الجمعة ، قد نُحرت الصخرة وبقى منها مقدار نصف ذراع . فقال لهم : لاتطلع الشمس إلا وقد فرغتم منها . قال : وبات طول

---

(١) قلنسوة : جمعها قلانس وهى كلوتة مطرزة أى زركش .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٤٢ .

(٢) «عنه» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان حيث ينقل عنها العينى ، ج٨ ، ص٤٠٣ .

(٣) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ .

(٤) مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص٤٠٥ ـ ص٤٠٦ .

(٥) ذكر سبط ابن الجوزى ان المرأتين هما أم أيدمر ، والأخرى أم مهجة ، ولم يذكر صنعتهما له . ج٨ ، ص٤٠٥ .

الليل يذكر أصحابه ومعارفه ويدعو لهم ، وطلع الصبح فصلى بى ، وخرج إلى صخرة كان يجلس عليها ، فجلس عليها وبيده سبحته ، وقام الفقراء يتممون الصخرة ، وطلعت الشمس وقد فرغوا منها ، والشيخ قاعد نائم والسبحة بيده . وجاء خادم من القلعة إليه فى شغل ، فرآه نائماً قاعدا ، فما تجاسر أن يوقظه ، فقعد ساعة ، فطال عليه ، فقال : ياعبد الصمد ما أقدر أقعد أكثر من هذا . قال : فتقدمت إليه وقلت : سيدى سيدى فما تكلم ، فحركته فإذا به ميتّ ، وقد فرغوا من الصخرة ، وعملوا فيها ساعة ، وهو ميت ، وارتفع الصياح ، وكان صاحب بعلبك فى الصيد ، فأرسلوا وراءه فجاء ، فرآه على تلك الحال لاوقع ولا وقعت السبحة من يده ، وهو كأنه نائم ، فقال : دعونا نبنى عليه بنيانًا وهو على حاله ليكون أعجوبة الدنيا أن الإنسان يموت وهو قاعد ولايتغير . فقالوا : اتباع السنة أولى ، وطلع داود فغسله ، ودفع الثوبين الى المرأتين . ولما ألحدوه قال له الحفار : ياشيخ عبد الله اذكر ما عاهدتنا عليه . قال : ففتح عينيه ونظر إلىَّ شزرا . ودفن عند اللوزة يوم السبت ، وقد جاوز ثمانين سنة - رضى الله عنه ورحمه . وكان الشيخ محمد الفقيه اليونينى من جملة تلامذته ومن يلوذ به . وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك(١) .

الملك(٢) المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة [٤١٠] توفى فى ذى القعدة منها بقلعة حماة ، وكانت مدة مرضه أحداً وعشرين يوما ، وورم دماغة قبل موته ، وكان شجاعا عالما محبا للعلماء ، ورد إليه منهم جماعة كثيرة ، قيل : الشيخ سيف الدين الآمدى ، وكان فى خدمة المنصور قريب من مائتى متعمم من النحاة والعلماء والمشتغلين بغير ذلك ، وصنف المنصور عدة مصنفات مثل : المضمار فى التاريخ فى عشر مجلدات ، وطبقات الشعراء ، وكان معتنيا بعمارة بلده والنظر فى مصالحه ، وهو الذى بنى الجسر الذى خارج باب حمص ، واستقر له بعد وفاة والده من البلاد : حماة ، والمعرة(٣) ، وسلمية(٤) ، ومنبج(٥) ، وقلعة نجم(٦) ، فلما فتح

---

(١) لمعرفة المزيد عن الشيخ عبد الله اليونينى .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٥ - ١٢٨ .

(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٧٧ - ص٨٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٧٧ - ٧٨ .

(٣) المعرة : هى مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٥ .

(٤) سلمية : بليدة من ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٣ .

(٥) منبج : بلد قديم بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٥٤ - ٦٥٦ .

(٦) قلعة نجم : قلعة حصينة تطل على الفرات على جبل ، وهى المعروفة «بجسر منبج» معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٦٥ .

بارين[١] وكان بيد ابراهيم بن المقدم ، ألزمه عمه السلطان الملك العادل أن يردها عليه ، فأجاب إلى تسليم منبج وقلعة نجم عوضا عنها ، وهما خير من بارين بكثير ، ولكنه اختار ذلك لقرب بارين من بلده ، وجرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها ، وكان ينظم الشعر ، ولما توفى الملك المنصور كان ولده الملك المظفر المعهود إليه بالسلطنة عند خالة الملك الكامل بديار مصر فى مقابلة الفرنج ، وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان عند خاله الآخر الملك المعظم بدمشق ، وهو فى الساحل فى الجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها ، وسار إلى عثليث[٢] ونازلها ، وكان الوزير بحماة زين الدين بن فريج ، فاتفق هو وأكابر الدولة على استدعاء الملك الناصر صلاح الدين لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس الملك المظفر ، فأرسلوا إلى الملك الناصر وهو مع الملك المعظم كما ذكرنا ، فمنعه الملك المعظم من التوجه إلا بتقرير مالى عليه يحمله إلى الملك المعظم فى كل سنة ، قيل : إن مبلغه أربع مائة ألف درهم . فلما أجاب الملك الناصر إلى ذلك وحلف عليه ، أطلقه الملك المعظم . فقدم الملك الناصر إلى حماة ، واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج وبالجماعة الذين كاتبوه ، واستحلفوه على ما أرادوا ، وأصعدوه إلى القلعة ، ثم ركب من القلعة بالصناجق السلطانية ، وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة لأن مولده سنة ستمائة . ولما استقر الملك الناصر فى حماة وبلغ أخاه الملك المظفر ذلك استأذن الملك الكامل فى المضى إلى حماة ظنا منه أنه إذا وصل إليها يسلمونها له بحكم العهد الذى كان له فى أعناقهم ، فأعطاه الملك الكامل الدستور ، وسار حتى وصل إلى الغور ، فوجد خاله المعظم صاحب دمشق هناك ، فأخبره ابن أخيه[٣] الناصر قد تملك حماة ، ويخشى عليه أنه إن وصل إليه يعتقله ، فسار الملك المظفر إلى دمشق وأقام بداره المعروفة بالزنجيلى ، وكتب الملك المعظم والملك المظفر إلى أكابر حماة فى تسليمها إلى الملك المظفر ، فلم يحصل منهم إجابة ، فعاد الملك المظفر إلى مصر وأقام فى خدمة الملك الكامل ، وأقطعه إقطاعا بمصر . وكان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) بارين : مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب . معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٦٦ .

(٢) عثليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف الحصن الأحمر ، فتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣هـ . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦١٦ .

(٣) «أخاه» كذا فى الأصل والصحيح لغة ما أثبتناه .

الملك[١] **الصالح ناصر الدين محمود بن قرا أرسلان بن أرتق**، صاحب آمد، توفى فى هذه السنة فى صفربآمد، وكان شجاعا عاقلا جوادا محبا للعلماء، وكان مصاحباً للملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل، يجيء إلى خدمته مرارا، وملك بعده ولده الملك المسعود، وكان بخيلا فاسقاً، فأخذه الملك الكامل وحبسه بمصر ثم أطلقه، فأخذ أمواله التتار. قال أبو شامة[٢]: أخذ الملك الكامل منه آمد وحمله إلى مصر، فحبسه فى الجب مدة ثم أطلقه، فمضى إلى التتار[٤١١] ومعه أموال فأخذت منه.

الملك[٣] **الفائز غياث الدين ابراهيم بن الملك العادل**، كان قد انتظم له الأمر فى الملك بعد أبيه على الديار المصرية على يدى الأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب كما ذكرنا، لولا أن الملك الكامل تدارك ذلك سريعا، ثم أرسله أخوه فى هذه السنة إلى أخيهما الملك الأشرف موسى يستحثه فى سرعة المسير إليهم بسبب الفرنج، فمات بين سنجار والموصل، وقد ذُكِر أنه سُمَّ فَرُدَّ إلى سنجار فدفن بها عند تربة عماد الدين زنكى.

الأمير[٤] **أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوى الحسنى الزيدى**؛ صاحب مكة شرفها الله تعالى، مات فى جمادى الأولى من هذه السنة، وقد بلغ من السن سبعين سنة. وذكر ابن الأثير[٥] وفاته فى سنة ثمانى عشرة وستمائة، وكان شيخا طويلا مهيبا لايخاف من أحد من الخلفاء ولا الملوك، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد، وكان الخليفة يود أن لو حضر عنده فيكرمه، وكان يأبى من ذلك ويمتنع منه أشد الامتناع، ولم يفد إلى أحد قط ولاذل لخليفة ولا ملك: قد كتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه:

---

(١) انظر: الذيل على الروضتين، ص١٢٤؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٠.
(٢) الذيل على الروضتين، ص١٢٤.
(٣) البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٩، ص١٠٠؛ مرآة الزمان، ج٨، ص٤٠١.
(٤) الكامل، ج١٠، ص٤٢٦ ـ ص٤٢٧؛ الذيل على الروضتين، ص١٢٣؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٩؛ مرآة الزمان، ج٨، ص٤٠١؛ شذرات الذهب؛ ج٥، ص٧٦.
(٥) الكامل فى التاريخ، ج١٠، ص٤٢٦ ـ ص٤٢٧.

ولى كفُّ ضرغام أَذِلُّ ببطشِها وأَشْرى بها بين الورى وأبيع
وكل[١] ملوكِ الأرضِ تلثمُ ظَهرَهَا وفى وسطها[٢] للمجدبين ربيع
أأجعَلُها تحت الرحا ثم أبتغى خلاصاً لها إنى إذا لرقيع
وما أنا إلا المسكُ فى كل بقعة[٣] يَضُوُع وأما عندكم فيضيعُ[٤]

وقال أبو شامة[٥] : ولما كتب إليه الخليفة ، قال : أنت ابن العم والصاحب ، وقد بلغنى شهامتك وحفظك للحاج وعدلك ، وشرف نفسك وعفتك ونزاهتك ، وقد أحببت أن أراك وأشاهدك وأحسن إليك ، فكتب إليه هذه الأبيات ، وقال أيضا : ولم يرتكب كبيرة على ماقالوا ، وكان فى زمانه يؤذن فى الحرم بحى على خير العمل على مذهب الزيدية ، وكان عادلا منصفا نقمة على عبيد مكة والمفسدين ، والحاج فى أيامه مطمئنون آمنون على أنفسهم وأموالهم .

وفى تاريخ النويرى[٦] : وكانت ولايته قد اتسعت إلى نواحى اليمن ، وكان حسن السيرة فى مبدء أمره ، ثم أساء السيرة وجدد المظالم والمكوس[٧] وصورة ماجرى له أن قتادة كان مريضا فأرسل عسكرا مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبى ﷺ وأخذها من صاحبها ، فوثب الحسن بن قتادة فى أثناء الطريق على عمه فقتله ، وعاد إلى أبيه قتادة بمكة فخنقه ، وكان له أخ نائب[٨] بقلعة ينبع[٩] فأرسل إليه الحسن فحضر إلى مكة فقتله أيضا ، وارتكب من ذلك أمراً عظيما فى قتل أبيه وعمه

(١) «تظل» كذا فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٩ .
(٢) «سطحها» كذا فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٧ .
(٣) «بلدة» كذا فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٧ .
(٤) وردت هذه الأبيات فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٩ .
(٥) الذيل على الروضتين ، ص١٢٣ .
(٦) نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٠ .
(٧) المكوس : مفردها مكس ، وهى ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة الموجودة فى الموانى ، وكانت المكوس فى عهد المماليك مقررة على البيوت والحوانيت والخانات والحمامات والأفران والطواحين وغيرها ، وهى ضريبة جائرة وغير شرعية .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٢٥ .
(٨) «نائبا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٩) ينبع : هى قرية غَنَّاء بين مكة والمدينة ، وهى قريبة من طريق الحاج الشامى .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٠٣٩ .

وأخيه فى أيام يسيرة ، ولم يمهل الله حسنا أيضا بل سلبه الملك وشرده فى البلاد ، وقيل : بل قتل . وذلك أن الأمير أقباش أمير حاج العراق قدم مكة فى هذه السنة ومعه خلع للأمير حسن بن قتادة المذكور بولايته لإمرة مكة بعد أبيه ، فنازع فى ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال : لايؤمر عليها غيرى . فوقعت فتنة أفضت إلى قتل أقباش غلطا ، وتشتت حال حسن المذكور وشرد فى البلاد وقيل : بل قتل كما ذكرنا[١] .

الأمير[٢] أقباش بن عبد الله الناصرى ؛ اشتراه الخليفة وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار ، ولم يكن بالعراق أجمل صورة منه ، ثم قربه[٤١٢] الخليفة إليه ولم يكن يفارقه ، فلما ترعرع ولاه إمرة الحج والحرمين ، وكان عاقلا متواضعا محبوبا إلى القلوب ، حج ومعه خلع للتقليد لحسن بن قتادة ، كان قتادة قد مات فلما وصل أقباش إلى عرفات جاءه راجح بن قتادة أخو حسن بن قتادة وسأله أن يوليه إمارة مكة وقال : أنا أكبر ولد قتادة . فلم يجبه ، وظن حسن أن أقباش قد ولاه فأغلق أبواب مكة ، وجاء أقباش فنزل بالشبيكة[٣] بعد أيام مِنى ، ووقعت الفتنة بين حسن وأخيه ، ومنع حسن الناس من الدخول إلى مكة ، فركب أقباش ليسكن الفتنة ويصلح بين الأخوين ، فخرج عبيد مكة وأصحاب حسن من باب المعلى يقاتلونه ، فقال : ماقصدى القتال . فلم يلتفتوا عليه ، وانهزم أصحابه وبقى هو وحده ، وجاء عبد فعرقب فرسه فوقع إلى الأرض ، فقتلوه وحملوا رأسه إلى حسن بن قتادة على رمح ، فنصبه بالمسعى عند دار العباس ، ثم رد إلى جسده ودفن بالمعلى[٤] ، وأراد حسن نهب الحاج العراقى فمنعه المبارز المعتمد وخوفه الكامل والمعظم ، فأجابه ، ووصل الخبر إلى بغداد فحزن الخليفة حزنا عظيما ، ولم يخرج الموكب للقاء الحاج ، وأدخل الكوس والعَلَمُ فى الليل ، ولم ينتطح فيه عنزان فى قتل أقباش ، وقد كان أولى أن يتناطح الكباش ، وكان قتله فى سادس عشر ذى الحجة .

---

(١) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٦ ـ ص٤٢٧ ؛ مفرج الكروب فى سنة ٦١٩هـ ، ج٤ ، ص١٢١ـ ص١٢٥ .

(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٢٣ـ ص١٢٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠١ .

(٣) الشُّبَيْكَة : واد قرب العرجاء ، بين مكة والزاهر على طريق التنعيم ، ومنزل من منازل حاج البصرة . والشبيكة ماء لبنى سلول . معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٤) المعلى : وتكتب أيضا المعلا ، وهو موضع بالحجاز .
معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٧ .

السلطان[١] علاء الدين خوارزم شاه :والكلام فيه على أنواع : **(الأول) فى ترجمته :** هو السلطان محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان بن أطسِز بن محمد بن أنوشتكين . وخوارزم شاه لقبه ، سمى بذلك لأن كرسيّ مملكته كانت خوارزم ، وكذلك كل من لقب بذلك كان لهذا المعنى ، وكانت كُنيتُه أبا الفتح ، ورث المملكة عن أبيه علاء الدين تكش ، وقد ذكرنا أن جده أرسلان بن أطسز توفى فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وملك بعده ابنه الصغير سلطان شاه محمود ، ودبّرت والدته مملكته . وكان علاء الدين تكش مقيما بخندق أقطعه أبوه إياه[٢] ، ولما مات سلطان شاه فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة استقر فى مملكة خوارزم أخوه علاء الدين تكش بن أرسلان والد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وفى أيامه انقرضت دولة بنى سلچوق ، وكان أعورا ، ملك بخارى فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وكانت للخطا[٣] ، ثم مات تكش فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وملك بعده علاء الدين محمد بن تكش الملقب بخوارزم شاه المذكور .

وكان ملوك التتار فى أيامه ست أنفس ، كل واحد منهم سُمِّى خان[٤] ، وكان خانهم الأعظم الكبير الذى عاصر السلطان علاء الدين المذكور ألطون خان[٥] توارث المملكة كابرا عن كابر بل كافراً عن كافر ، وكانوا مقيمين بطوغاج ، وهى واسطة الصين ، وكان من جملتهم فى عصره ملك سمى دوشى خان ، وكان قد تزوج بعمة جنكيزخان ، وهى من قبيلة معروفة بالتمرجى سكان البرارى ، ومنشأهم موضع يسمى أرغون[٦] ، وكانوا

---

(١) انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٠٦ - ص ٤٠٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٥ - ص٩٦ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٧٦ .

(٢) «إياها» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ماأثبتناه .

(٣) الخطا : هم قبائل أسسوا دولة لهم فى إقليم التركستان فى مستهل القرن السادس الهجرى على يد «بى لوتاشى» ، وقامت دولتهم على الحدود الشرقية للأقاليم الإسلامية ، فاشتبكوا مع المسلمين فى صراع طويل .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٦ ، حاشية (٣) .

(٤) «خانا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه . وخان : لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الامبراطورية المغولية ، وهو يختلف عن لقب «خاقان» الذى أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم . وقد استعمل المغول لقب «خان» أيضا بمعنى «خاقان» من باب الاختصار .
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، محمد أحمد النسوى ، ص٣٨ ، حاشية(٤) .

(٥) ألطون خان : وتكتب أيضا «ألتون» وهى كلمة تركية معناها ذهب ، وألتون خان لقب كان يطلقه المغول على حكام إمبراطورية كين الصينية ، وكانت تسكن فى الأصل بالقرب من نهر آمور .
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٨ ، حاشية(٦) .

(٦) أرغون : الراجح أنه مكان يقع بين الجبال الواقعة فى جنوب بحيرة بيكال .
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٩ ، حاشية(٥) .

مشهورين بالشر والغدر ، واتفق أن دوشى خان مات فجاء إليها جنكيزخان معزيا ، ولم يخلف ولدا فتولى عوض دوشى خان ، فلما سمع بذلك ألطون خان الذى هو أكبر الخانات غضب غضبا شديدا حيث ولى جنكيزخان بغير أمره ، فأخر الأمر بعد ماجريات كثيرة قوى جنكيزخان وملك البلاد [٤١٣] ثم قصد بلاد المسلمين ، وجرى بين عسكره وعسكر خوارزم شاه ماجريات كثيرة قد ذكرناها فى أثناء السنين المتقدمة ، فآل آخر الأمر إلى أن تشتت حال خوارزم شاه ، وتوفى فى هذه السنة على مانذكره إن شاء الله تعالى[١] .

(الثانى) فى سيرته : كان فاضلا عالما بالفقه والأصول وغيرهما ، وكان صبوراً على التعب وإدمان السير[٢] . وقال ابن كثير[٣] : وقد كان السلطان خوارزم شاه محمد فقيها حنيفا فاضلا ، له مشاركات فى فنون من العلم ، يفهم جيدا ولم يكن بعد ملوك بنى سلجوق أكثر حرمة ولا أعظم ملكا منه ، لأنه إنما كانت همته فى الملك لا فى اللذات والشهوات ، ولهذا قهر الملوك بتلك الأراضى ، وأحل بالخطا بأسا شديدا حتى لم يبق ببلاد خراسان وماوراء النهر وكذلك عراق العجم وغيرها من البلاد والمماليك سلطان سواه ، وجميع البلاد تحت أيدى نوابه ، وكان قد اتسع ملكه وعظم محله ، مَلَكَ من حد العراق إلى تركستان ، وملك بلاد غزنة ، وبعض الهند وسجستان وملك بلاد غزنة وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخراسان وبعض فارس .

وفى المرآة[٤] : قصد العراق فى أربع مائة ألف ، ووصل إلى همذان يريد بغداد ، وقيل : كان معه ستمائة جتر[٥] تحت كل جتر ألف ، وكان قد أفنى ملوك خراسان وماوراء النهر ، وقتل صاحب سمرقند وأخلى البلاد من الملوك واستقل بها فكان ذلك سببا لهلاكه . قال : وكان لما نزل همذان سبعون ألفا من الخطا فى عسكره فكاتب القمى يعنى وزير بغداد عساكره ووعدهم بالبلاد ، فاتفقوا مع الخطا على قتله ، وبعث القمى إليهم بالأموال والخيول والخلع سراً ، فكان ذلك سببا لوهنه ، ولما علم خوارزم شاه بذلك

---

(١) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣٨ - ٤٠ .
(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٣٧١ .
(٣) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٦ .
(٤) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٣٩٣ - ص٣٩٤ .
(٥) الجتر : مظلة أوقبة من حرير أصفر مزركش من الذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب حيث كانت تحمل على رأس السلطان فى العيدين .
انظر : القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٧ - ص ٨ .

سار من همذان طالبا خراسان ، فنزل مرو والتقى فى طريقه الخيل والخلع والكتب المنفذة إلى الخطا فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره .

(الثالث) فيما يختص به دون سائر الملوك لايشاركه فيها غيره . منها الجتر منشوراً على رأسه إذا ركب . ومنها الككج وهى أنبوبة تتخذ من الذهب الأحمر بين أدنى مركوبة تخرج منها المغرفة وتشد إلى طرف اللجام . ومنها الأعلام السذج السرد محمولة . ومنها أن جنائبه[١] كانت تجر قدامه وجنائب الملوك كانت من ورائهم . ومنها أن أذناب خيله تلف من أوساطها مقدار شبرين ولو فعل ذلك غيره قطع ذنب فرسه ، ومنها الجلوس بين يديه على الركبتين لمن يريد مخاطبته .

وقال أبو الفتح : من أراد أن يقضى شغلا لشخص عنده كان يبرك على ركبتيه بين يديه ثم يكلمه ، وليس لأحد أن يقف حذاه ولو أنه كان ملكا أو وزيرا كبيرا .

ومنها أنه كانت[٢] تحمل البقج[٣] السود على أكتاف الجمدارية[٤] ولاتحمل لغيره على الكتف . ومنها أن نوبة[٥] كانت خمس[٦] ، وعادة النوب للأمراء أصحاب السناجق[٧] كانت ثلاث[٨] ، وكانت دبادبه[٩] سبعا وعشرين دبدبة من الذهب الأحمر قد رصعت

---

(١) الجنائب : جمع جنب وهى الخيول التى كانت تسير وراء السلطان فى الحروب لاحتمال الحاجة إليها .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٩٢ .

(٢) «كان تحمل» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣) البقجة : الصرة من الثياب وغيرها . المنجد ، ص٤١ .

(٤) الجمدارية : هو لقب فارسى مركب من لفظين : جاما ، وهى الثياب ، ودار ، ومعناها صاحب . فالجمدار هو صاحب الثياب أى المشرف على خزائن الملابس السلطانية ومايتعلق بها . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٤٢٩ .

(٥) النوبة : لها معان اصطلاحية كثيرة ، أحدها فرق الجند التى تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان ، وهى خمس نوبات ويكون تغييرها فى الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح ، والنوبة أيضا عند المغنيين اسم لآلات الطرب إذا أخذت معا ، وربما أطلقت على المطربين معا إذا اجتمعوا ، ويقال : ضربت النوبة بمعنى صدر الأمر للعسكر بالتقهقر ، والنوبة أيضا بمعنى الوقعة الحربية .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٥٣ .

(٦) «خمسة» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٧) السناجق : السنجق لفظ تركى استعمل بمعنى القلم أو الراية وبمعنى الرمح الذى يطعن به أو اللواء . والسناجق رايات صُفر صغار تُحْمَل على رؤوس الملوك فى ركوبهم .
صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٨ ؛ ج٥ ، ص٤٥٨ ؛ معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، محمد أحمد دهمان ، ص ٩٣ .

(٨) «ثلاثة» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٩) دبادب : الدبادب هى الطبول التى تستخدم لتوصيل الأخبار للسلطان ، وهى تُدَق عند ركوب السلطان فى المواكب أو السفر أو الأعياد ، وغير ذلك ، ولها أشكال وأسماء مختلفة مثل : الوَطْواط ، والشَبّابة ، والبوق ، وبوق الجنبا . . .الخ
انظر : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص١٣٤ ؛ ج٥ ، ص٩٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٣٠١ ، ٣٣٤ ؛ ج١٤ ، ص١٦٨ ، ص٢٠٣ .

بأنواع الجواهر ، وكذا باقى آلات النوبتية ، وجعل سبعة وعشرين ملكا يضربونها فى أول يوم مرفسيه ، وكانوا من أكابر الملوك أولاد السلاطين منهم : ابن طغربل أرسلان السلچوقى ، وأولاد غياث الدين صاحب الغور ، والملك علاء الدين صاحب باميان ، والملك تاج الدين صاحب بلخ ، وولده الملك الأعظم صاحب ترمذ ، والملك سنجر صاحب بخارى وأشباهم[١][٤١٤] . وكان يمد السماط بين يدى السلطان علاء الدين خوارزم شاه فى أوانى الذهب والفضة ليس فيها شئ غير ذلك .

(الرابع) فى عاداته وخاصة نفسه : كان يختص به فى المراتب التى لايشاركه فيها غيره ، حيث صار بابه مُزْدَحم ملوك الأرض وعظمائها ، وكانوا يفاخرون بلثم ترابه ، وقل من نجا منهم من نقمته ، ورَقى إلى درجة الملوكية جماعة من مماليكه ، فصار طشتداره[٢] ملكا ، وركبداره[٣] ملكا ، وسلحداره[٤] ملكا ، وجماعة من أمراء أخوريته[٥] ملوكا ، ومع هذا لم يُعطلوا ما كان من وظائفهم من خدمة الطشت والركاب[٦] . وكان بختيار الرومى الركبدار يقف بفرس النوبة على الباب ، وجهان بهلوان الطشتدار كذلك يقف فى نوبته ، وكان لكل طائفة من الحاشية أعلام سود تعرف بها ، فعلامةالدوادارية[٧]

(١) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص٢٠٧ - ص ٢٠٨ .

(٢) طشتدار : الطشتدار هو لقب على بعض رجال الطشت خاناه ، وهو مركب من لفظين إحدهما طشت وهو الذى يغسل فيه ، والثانى دار ومعناه ممسك الطشت .
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٦٩ .

(٣) ركبدار : الركبدارية هم الذين يحملون على أيديهم عند الركوب فى المواكب والميادين والأعياد ونحوها الغاشية ، وهى سرج من أديم مخروزة بالذهب فيرفعونها على أيديهم ، ويلفتونها يمينا وشمالاً ، وهى من خواص المملكة .
انظر : صبح الأعشى ج٤ ، ص٧ .

(٤) سلحدار : هو لقب على الذى يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك وهو مركب من لفظين أحدهما عربى وهو السلاح والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك فيكون المعنى ممسك السلاح
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٦٢ .

(٥) الأمير أخورية : هو الذى يتحدث على أسطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل فى حكم الاصطبلات ، وهو مركب من لفظين إحدهما عربى وهو أمير والثانى فارسى وهو آخور ومعناه أمير المعلف . صبح الأعشى ج٥ ، ص٤٦١ .

(٦) الركاب : هو موكب السلطان .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٦١ .

(٧) الدوادار : لقب يطلق على من يحمل دواة السلطان أو الأمير وهى وظيفة تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه وتقديم البريد .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٩ ؛ ج٥ ، ص٤٦٢ .

الدواة ، وعلامة السلحدارية القوس ، وعلامة الطشدارية الطشت والإبريق ، وعلامة الجمدارية البقج ، وعلامة الأمير أخورية البغل ، وعلامة البهلوانية الدبوس ، وعلامة الجاندارية الحربة ، وعلامة الجاوشية قبة من الذهب مضروبة بخيط على قلانسهم تعرف من بعيد فَيُحْتَرز منهم ، وكانوا يطردون الناس ضربا من غير احتراز ، وكان حجاب[١] الميمنة غير حجاب الميسرة ، ولكل فرقة منهم كبير يعرف بخاص حاجب ، وهكذا البهلوانية ، والجاويشية ، والملوك ، والخانات[٢] ، والأمراء أصحاب الميمنة والميسرة ، وإذا حضروا مجلس السلطان لاتقف كل فرقة إلا عن جهتها .

وأما السماط فكانوا يمدوه والناس وقوف ، ولايقدر أحد أن يجلس ولا يمد يده إلى لقمة حتى يأكل السلطان لقمة من الخونجات[٣] التى بين يديه ، ثم يؤمر الناس بالجلوس للأكل فتحمل الخونجات الخاص إلى الجهتين برسم الملوك والخانات ، ويجلس سائر الناس على السماط العام ، والزبادى كلها ذهبية وفضية . ومن عادته إذا عاد من سيره لم يخاطب إلا بالحجاب .

(الخامس) فى وفاته : قد ذكرنا ماجرى بينه وبين جنكيزخان ، وآخر الأمر لما هرب من التتار دخل قلعته التى فى وسط بحر طبرستان وهم يسمونه بحر القلزم وليس كذلك ، ويحصن بها من التتار ، وحصل له مرض ذات الجنب[٤] ، وأقام هناك فريدا وحيدا طريدا لايملك طارفا ولاتليدا ، والمرض يزداد به ، وكان فى أهل مازندران أناس يتقربون إليه بالمأكول ومايشتهيه ، وكان إذا أهدى إليه شئ وهو فى تلك الحالة يطلق لمن أهدى إليه بشئ ، ولم يكن عنده من يكتب فتولى ذلك بنفسه ، وكان يعطى مثل السكين والمنديل

---

(١) الحُجّاب : الحاجب هو الشخص الذى يقف على باب الخليفة أو السلطان ، وقد تطورت وظيفته حتى أصبح ينظر فى الشكاوى بين الأمراء والجند ، أما حاجب الميمنة فهو أمير عشرة أو أمير خمسة ، وحاجب الميسرة جندى من أجناد الخليفة ، وكان هذا فى العصرين الأيوبى والمملوكى .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٩ - ص٢٠ ، ص٢١٨ .

(٢) الخانات : هم أعلى عساكر المملكة .
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٩١ .

(٣) الخوان : ذكر القلقشندى أن المائدة لايقال لها مائدة بدون طعام وإلا فهى خوان .
انظر : صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٥٨ .

(٤) مرض ذات الجنب ، يبدو أنه مرض الشلل النصفى .

علامة بإطلاق البلاد والأموال ، ثم أدركته المنية وهو بالجزيرة على تلك الحالة فى هذه السنة ، وغسلة شمس الدين محمود بن بلاغ الجاويش ومقرب الدين مقدم الفراشين ، ولم يكن عنده مايكفن به ، فكفن فى قميصه ، ودفن بالجزيرة فى هذه السنة على سنة سبع عشرة وستمائة(١) . وذكر فى المرآة(٢) وفاته فى سنة خمس عشرة وستمائة والصحيح ماذكرناه ، لأن أبا الفتح المنشىء النسائى كاتب إنشائه ذكر وفاته فى هذه السنة والعمدة عليه فى هذا ، وكانت مدة مملكته إحدى وعشرين سنة وشهورا . وفى المرآة(٣) : ولما نزل خوارزم شاه همذان كان فى عسكره[٤١٥] سبعون ألفا من الخطا وكانوا اتفقوا على قتله ، ولما علم بذلك سار من همذان طالبا خراسان ، فنزل مرو وكان خاله من الخطا وكانوا قد حلفوه أن لا يطلعه على مادبروا عليه ، فجاء إليه فى الليل وكتب فى يده صورة الحال ، ووقف بإزائه فنظر إلى السطور وفهمها وهو يقول : خذ لنفسك فالساعة تُقْتَل ، فقام وخرج من تحت ذيل الشقة ومعه ولداه جلال الدين وآخر ، فركب وسار بهما ، ولما خرج من الخيمة دخل الخطا والعساكر من بابها ظنا منهم أنه فيها ، فلم يجدوه فنهبوا الخزائن والخيول والخيام والجوارى ، وأما خوارزم شاه فإنه هرب إلى البحر وركب فى مركب صغير إلى جزيرة ، وهرب ولده جلال الدين إلى الهند ومعه أخوه ، وصعد خوارزم شاه إلى الجزيرة وبها قلعة ليتحصن بها ، فأدركه الموت دون صعود القلعة ، فدفنوه على ساحل البحر ، وجاء الخطا فدلوا عليه ، فنبشوه وقطعوا رأسه ، وأخذوه وعادوا ، وتفرقت الممالك بعده ، وظهر التتار على الخطا بعد سنتين ، وصار الخطا تبعا لهم وأخذوا البلاد .

(السادس) فى خزائنه وأمواله : وفى المرآة(٤) : لما نهب الخطا خزائنه فى الليلة قصدوا قتله كما ذكرناه الآن ، كان فى خزائنه عشرة(٥) ألف ألف دينار ، وألف حمل قماش أطلس وغيره ، وكان له عشرون ألف فرس وبغل ، وكان له عشرة آلاف مملوك مثل الملوك ،

(١) انظر وفاته فى الكامل ، ج١٢ ، ص٣٧٠ ؛ سيرة منكبرتى ، ص١٠٤ - ١٠٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص٢٤٨ - ص٢٥١ .
(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٣٩٤ .
(٣) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص ٣٩٣ - ص٣٩٤ .
(٤) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٣٩٤ .
(٥) «ألف ألف دينار» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان حيث ينقل عنه العينى ، ج٨ ، ص٣٩٤ .

فتمزق الجميع ونهب . وفى تاريخ بيبرس : وقد كانت جُشارات[١] خيله تنيف على ثلاثين ألف جشار متفرقة فى البلاد ، وقال أبو الفتح المنشىء كاتب إنشاء خوارزم شاه : حكى لى الأمير تاج الدين عمر البسطامى وكان من جملة الكتاب للدرج[٢] ، قال : وصل السلطان فى مسيرة إلى العراق فاستحضرنى وأحضر عشرة صناديق ، ثم قال : هل تعلم ما فيها؟ قلت : السلطان أخبر بها . قال : هذه كلها جواهر لاتعرف قيمتها غير أن هذين - وأشار إلى صندوقين منها - فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الأرض بأسرها ، فأمرنى بحملها إلى قلعة أَرْدَهَن[٣] ، وهى من أحصن قلاع الأرض فحملتها إليها ، وأخذت خط الوالى بها وبوصولها مختومة ، ولما انتشر التتار فى الأقطار ، وأمنوا جانب السلطان خوارزم شاه حاصروا القلعة المذكورة إلى أن صالحهم الوالى بها على تسليم الصناديق إليهم ، فتسلموها بختُومها وحملت إلى جنكيزخان ، فسبحان الملك القهار ، وما الدنيا لساكنها بدار ، ولا الركون إليها إلا انخداع واغترار .

(السابع) فى أولاده : قال بيبرس فى تاريخه : وكان له من الأولاد خمسة وهم : جلال الدين منكبرتى ، ومظفر الدين أزلاغ شاه ، وآق شاه ، وهؤلاء الثلاثة كانوا معه وكانت ولاية العهد لأزلاغ شاه ، ولما مرض وهو فى الحالة المذكورة نقل ولاية العهد من أزلاغ شاه إلى جلال الدين منكبرتى ، وقال : إن عرى السلطنة قد انفصمت ، والدولة قد وهنت وانهزمت ، وهذا العدو قد قويت شوكته ، وما يأخذ ثأرى منه إلا جلال الدين منكبرتى ، وشد بيده سيفه على وسطه ، وأوصى أخوته بطاعته ، ولم يلبث بعد ذلك إلا أياما قلائل حتى مات (رحمه الله) ، وابنه الرابع ركن الدين غور صانجتى ، وكان بالعراق يوم مات أبوه ، والخامس غياث الدين تترشاه وكان بكرمان . وقال أبو الفتح المنشئ : إن السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد[٤١٦] قسم الملك بين أولاده ، وكان ذلك فى

(١) الجشار : هو مكان رعى الماشية من خيل وغيره . انظر : المقريزى ، السلوك ، ج١ ، ص٤٩٠ ، حاشية (٢) .
(٢) كُتَّاب الدرج : هم الطبقة الثانية من موظفى ديوان الإنشاء ، وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير أو رسالة الدوادار ونحو ذلك ، وسموا كتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات فى دروج الورق . انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، جـ ١٥ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٣) قلعة أردهن : قلعة حصينة من أعمال الرى ، بين دنباوند وطبرستان . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٤ .

قوة سلطنته ، فعين لكل واحد منهم بلادا ، ففوض خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولى عهده قطب الدين أزلاغ شاه ، وفوض ملك غزنة ، وباميان[١] ، والغور ، وبُست[٢] ، وبكباباذ ، وزمين دور[٣] ومايليها من بلاد الهند إلى ولده الكبير جلال الدين منكبرتى ، واستوزر له الصدر شمس الملك شهاب الدين الهروى ، وحيث كان لم ير انفصال جلال الدين عن خدمته لمحبته له ، واعتقاده ببسالته استناب عنه ببلاد الهند كُرْبُز ملك ، فنهض إليها وضبطها فحسنت فى السياسة سيرته ، وأذعنت له من الملوك جيرته ، وأقام بها إلى أن سار إليها جلال الدين بعد خروج التتار على مايأتى شرحه . ونصّ ملك كرمان وكيش[٤] ومكران على ولده غياث الدين تترشاه ، واستوزر له الصدر تاج الدين بن كريم الشرق النيسابورى ، فسار تترشاه إليها بعد ظهور التتار ، فملكها إلى أن خلت العراق ممن يقوم بضبطها بعد وفاة السلطان وتسحب جلال الدين إلى الهند . ولما سار تترشاه إلى العراق وملكها استناب الحاجب براق بكرمان ، وسنذكر باقى أحواله فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وسلم ملك العراق إلى ولده ركن الدين غورشاه ، وكان أحسن أولاده ، واستوزر له عماد الملك محمد بن سديد الساوى ، وقد ناب المذكور عن نظام الملك فى الوزارة عدة سنين ، ونال فيها رتبة لم ينلها من قبل هؤلاء . وسبب تسميته بغور شاه أنه ولد يوم وردت البشارة على السلطان بالتملك للغور ، وزوجه السلطان بابنة هزار رَسف ملك الجبال ، وكان سبب تزويجه أنه كان ملكه مجاورا[٥] بلاده[٦] .

---

(١) باميان : بلدة وكورة فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٨١ .

(٢) بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦١٢ .

(٣) زمين دور : وتكتب أيضا «زمين داور» وهى بلدة بين سجستان والغور .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٧٢ ، حاشية (١) .

(٤) كيش : جزيرة فى وسط البحر تعد من أعمال فارس وتعد من أعمال عُمان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٣٣ .

(٥) «مجاور» : كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٦) انظر : سيرة منكبرتى ، ص٧١ ـ ٧٣ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص٢٥٢ ـ ص٢٥٤ .

الست الجليلة تركان خاتون[١] والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد المذكور، وكانت من قبيلة بياورت، وهى فرع من فروع يمك[٢]، وهى فرع من فروع الحطابية، وكانت بنت ملك من ملوكهم، تزوج بها السلطان تكش بن أرسلان والد السلطان خوارزم شاه، ولما صار الملك إلى ولده محمد المذكور قدم إلى والدته قبائل يمك من الترك، فعظم شأن ابنها السلطان محمد، وتحكمت هى أيضا فى الملك بسببهم، فلم يملك ابنها إقليما إلا وأفرد لخاصها منه ناحية جليلة، وكانت ذات مهابة ورأى، وكانت تنصف المظلوم من الظالم، وكانت جسورة على القتل، وعظم شأنها بحيث أنه إذا ورد توقيعان عنها وعن ولدها السلطان محمد ينظر إلى تاريخهما فيعمل بالأخير منهما، وكان طغراء توقيعها عصمة الدنيا والدين ألغ تركان خاتون ملكة نساء العالمين، وعلامتها اعتصمت بالله وحده، وكانت تكتبها بقلم غليظ، وتجود الكتابة بحيث يعسر أن يزور عليها علامتها. وكان لها من كتاب الإنشاء سبعة من مشاهير الفضلاء وسادات الكبراء[٣].

قال أبو الفتح: وكان لها خيرات وسبلات[٤] فى البلاد، ولو أتينا بما شاهدناه من عظم شأنها لطال الكلام، وكان خروجها من خوارزم فى أواخر سنة ست عشرة وستمائة على ماذكرنا، وذلك عند وصول رسول جنكيزخان إلى خوارزم، وورد الخبر بإجفال[٥] ابنها السلطان خوارزم شاه[٤١٧] عن حافة جيحون، فقلقت لذلك قلقا عظيما، فاستصحبت معها ما أمكنها استصحابه من حرم السلطان وصغار أولاده ونفائس خزائنه، وقد ذكرنا أنها أمرت بقتل من كان بخوارزم من الملوك والأسارى وأبناء الملوك، وهم اثنان وعشرون نفسا، واستصحبت معها أمير خان ابن صاحب يازر لأجل معرفته بالطرقات،

(١) تركان خاتون: هى زوجة علاء الدين تكش خوارزم شاه وتنتسب إلى قبيلة كانكالى التى كانت تسكن فى شمالى إقليم خوارزم، وقد أنجبت له علاء الدين محمد. وكان لهذه المصاهرة أثر كبير فى سياسة الدولة الخوارزمية الداخلية بوجه خاص فى عهد علاء الدين محمد.
انظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، محمد أحمد النسوى، ص٦٢، حاشية (٣)، دار الفكر العربى ١٩٥٣.
(٢) لعل المقصود بكلمة «يمك» قبائل كانكالى.
انظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص٩٩، حاشية(٢).
(٣) وردت ترجمة تركان خاتون بالتفصيل فى سيرة منكبرتى، ص٩٩.
(٤) السابلة: لغة هى الطريق المسلوك والمارون عليه.
انظر: المعجم الوسيط ماده «سبل».
(٥) جفل: بمعنى ألقى ونفر وشرد وهرب.
انظر: المنجد مادة جفل.

فلما قاربت تخوم يازر خافت أن يفارقها المذكور فأمرت بضرب عنقه فقتل صبرا ، وصعدت قلعة إيلال من أمهات قلاع مازندران ، فأقامت بها إلى أن فرغ التتار من إجلاء السلطان وإلجائه إلى الجزيرة التى مات بها ، وحوصرت إيلال أربعة أشهر ، وبنى حولها سور ، وعملت على السور أبواب تغلق بالليل وتفتح بالنهار ، وهذه[1] عادتهم فى حصار القلاع المنيعة إلى أن يخلص الحصار ، ثم أُسرت تركان خاتون وحملت إلى جنكيزخان

قال أبو الفتح : حدثنى بدر الدين هلال الخادم ـ وكان من جملة خدامها ـ وذلك حين نجى بنفسه هاربا ، أنى قلت لها : هلمى نهرب إلى جلال الدين منكبرتى ولد ولدك وفلذة كبدك فإن الأخبار تواترت بشوكته واتساع مملكته . فقالت : بُعدا وسحقا ، وكيف يهون على أن أكون فى نعمة ابن جيجاك بعد ولدى أزلاغ شاه؟! وجيجاك هى أم جلال الدين . قالت : والأسر عند جنكيزخان بما أنا فيه من الذل والهوان أحب إلى من ذلك . وكانت تبغض جلال الدين بغضا شديدا ، وسبب ذلك أن ولدها السلطان خوارزم شاه كان يهوى جارية مغنية اسمها جيجاك ، وكانت جميلة غاية الجمال ، وكان السلطان يحبها محبة شديدة إلى أن ملكت قياده وسلبت فؤاده ، وكان لتركان خاتون والدته قرابة ، وكان قصدها أن تزوجه بها فتمنع السلطان من ذلك بسبب جيجاك ، فلما سمعت جيجاك أن والدة السلطان قصدت تزويجه بقرابتها منعته نفسها أياما ، وبقى السلطان كلما يدخل عليها لم ينل منها مراما ، وقالت له فى بعض الأيام : إن كنت تحبنى وتختارنى فاكتب كتابى . فحملته محبتها على أن كتب كتابها وتبع إرادتها ودخل عليها ، فحملت بجلال الدين من وقته وساعته ، فحصلت البغضة عند ذلك من تركان خاتون لجيجاك المذكورة ، ثم لازالت على السلطان حتى تزوج بقرابتها ، فحملت منه بأزلاغ شاه ، فبهذا السبب حصلت بغضتها لجلال الدين بسبب والدته جيجاك والمحبة لأزلاغ شاه بسبب قرابتها .

قال أبو الفتح : وحكى لى الخادم المذكور فقال : آل أمر تركان خاتون فى الأسر من العسر أنها كانت تحضر سماط جنكيزخان فتحمل منه[2] مايقوتها أياما ، وكان حكمها ينفذ فى أكثر أقاليم الأرض ، فسبحان المغير من حال إلى حال ! وأما صغار أولاد السلطان الذين كانوا معها فقتلوا جميعا إلا أصغرهم سناً ، وهو كماجى شاه ، وكانت هى تستأنس به ،

---

(١) «هذا» : كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٢) «منها» : كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

وكانت يوما تسرح رأسها وتقول : عندى من ضيق الصدر مالم أكن أجده قبل ذلك إذ أتاها بعض سرهنكية جنكيزخان فأخذ الصبى من عندها ، وكان آخر عهدها به ، فلما حضر بين يديه أمر بخنقه فخنق ، فقد جوزيت فى الدنيا بما ارتكبت من إهلاك بنى الملوك [٤١٨] الذين ذكرناهم .

وأما بنات السلطان اللاتى(١) كن معها فقد تزوج بكل واحدة منهن شخص من المزندة ، ماخلا بنت كانت تسمى خان سلطان وكانت مزوجة بالسلطان عثمان صاحب سمرقند ، فإن دوشيخان بن جنكيزخان استخصها لنفسه ، وتزوج بتركان سلطان وهى شقيقة أزلاغ شاه دا نشمند الحاجب الذى ورد رسولا إلى تركان خاتون ، وحملت إلى جنكيزخان مغنيات خوارزم شاه وفيهن بنت زنجية ذات حسن وجمال ، وكان عند جنكيزخان كَحَّال يسمى زين السمرقندى ، وكان قد داوى عين جنكيزخان من الرمد ، فطلب تلك المغنية فوهبها له ، وكان الكحال مفرطاً فى قبح الصورة وسوء العشرة ، فأبغضته هى ، وحق لها ذلك حيث تكون فراشا لكحال قبيح الصورة بعد السطان خوارزم شاه الذى كان أحسن الناس وجها ، وكانت بعد أن وهبها له أقامت عند الوزير نظام الملك وهو يدافع عنها ، ولم يسلمها إلى الكحال ، فاشتكى الكحال إلى جنكيزخان ، فغضب وأمر بإحضار الوزير ، وأمر بقتله ، وكان هو وزير السلطان خوارزم شاه ، وكان أسر فيمن جملة من أسر ، ولما قتل جنكيزخان الأسرى أبقى هذا لكونه قد عزله خوارزم شاه ، وكان معزولا بطالا ، وأيضا أبقاه لاسترفاع حَسْبانات بعض البلاد ، فلما شكاه الكحال أمر بقتله(٢) .

وأما تركان خاتون فإنها قتلت أيضا بسمرقند . قال ابن كثير(٣) : وكان التتار أسروها كما ذكرنا ، وأرسلوها بما معها من الجواهر النفيسة والذهب والفضة إلى ملكهم جنكيزخان وهو نازل بسمرقند ، وكان آخر العهد بها . والملك لله الواحد القهار .

---

(١) «التى كانت» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٢) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٩٤ ـ ص٩٨ .
(٣) بالبحث لم يرد هذا الخبر فى ابن كثير ، البداية والنهاية .
انظر : هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٩٦ ، الحاشيتين (٣) ، (٤) .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثامنة عشر بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، والدنيا مكدرة ، والبلاد مخبطة ، بسبب الفرنج المتملكين دمياط ، وبسبب استيلاء جنكيزخان على البلاد .

ذكر ماجريات الفرنج

وفى هذه السنة قوى طمع الفرنج المتملكين لدمياط فى الديار المصرية ، وتقدموا عن دمياط إلى جهة مصر ، ووصلوا إلى المنصورة ، واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً ، وكتُب السلطان الملك الكامل متواترة إلى أخوته وأهل بيته يستحثهم على إنجاده ، فسار الملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق إلى أخيه الملك الأشرف ، وهو ببلاده الشرقية ، واستنجده وطلب منه المسير إلى أخيهما الملك الكامل ، فجمع الملك الأشرف عساكره واستصحب عسكر حلب معه ، وكذلك استصحب معه الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حماة ، وكان الملك الناصر خائفا من السلطان الملك الكامل من التعرض إليه فسار معه بعسكر حماة ، وكذلك سار صحبة الملك الأشرف كل من صاحب بعلبك الملك الأمجد بهرام شاه بن الملك فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وصاحب حمص الملك المجاهد شيركوه ، وسار الملك المعظم عيسى بعسكر دمشق ووصلوا إلى الملك الكامل ، وهو فى القتال مع الفرنج على المنصورة ، فركب والتقى أخويه ومن فى صحبتهما من الملوك وأكرمهم ، وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الإسلام وتجملهم ، واشتد القتال بين الفريقين ورُسُل الملك الكامل وأخوته مترددة إلى الفرنج[٤١٩] بسبب الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس الشريف ، وعسقلان وطبرية ، واللاذقية ، وجبلة ، وجميع مافتحه السلطان صلاح الدين (رحمه الله) من الساحل ، ماعدا الكرك والشوبك ، على أن يجيبوا إلى الصلح ويسلموا دمياط إلى المسلمين ، فلم يرض الفرنج بذلك ، وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس ، فإن الملك المعظم خربها كما ذكرنا . وقالوا : لابد من تسليم الكرك والشوبك . وبينما الأمر متردد فى الصلح والفرنج متمنعون ، إذ عبر جماعة من عسكر المسلمين فى بحر المحلة إلى الأرض التى عليها

(*) يوافق أوله : ٢٥ فبراير١٢٢١م .

الفرنج من بر دمياط ، ففجروا فجرة عظيمة في النيل ، وكان ذلك في قوة زيادة النيل ، والفرنج لا خبرة لهم بأمر النيل ، فركب الماء تلك الأرض ، وصار حائلا بين الفرنج وبين دمياط ، وانقطعت عنهم الميرة والمدد ، فهلكوا جوعاً ، وبعثوا يطلبون الأمان على أن ينزلوا عن جميع مابذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ، ويعقدوا مدة الصلح[١] .

وكان فيهم عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الآراء بين يدى السلطان الملك الكامل فى أمرهم ، فبعضهم قال : لانعطيهم أمانا ونأخذهم ونتسلم منهم مابقى بأيديهم من الساحل من عكا وغيرها ، ثم اتفقت آراؤهم على إجابتهم إلى الأمان لطول مدة البيكار[٢] ، وتضجر العسكر لأنهم كان لهم ثلاث سنين وشهور فى القتال معهم ، فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك ، وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل ، فبعث ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة إلى الفرنج رهينة ، وحضر من الإفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونائب الباب صاحب رومية[٣] الكبرى وكندريس[٤] وغيرهم من الملوك ، وكان ذلك فى سابع رجب من هذه السنة ، واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين ، وجلس لهم مجلسا عظيما ، ووقفت بين يديه الملوك من أخوته وأهل بيته جميعهم ، وسلمت دمياط إلى المسلمين فى تاسع عشر رجب من هذه السنة ، وقد حصنها الفرنج إلى غاية مايكون ، وولاها السلطان الملك الكامل الأمير شجاع الدين جلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وهَنَّت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم[٥] . من ذلك ماقاله الراجح الحلى الشاعر وهو :

هنيئا فإن السعد راح مخلدا وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً
حبانا إله الخلق فتحا بدا لنا مبينا وإنعاما وعزاً مؤيدا
تهلل وجهُ الدهر بعد قطوبه وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا

(١) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ج١٠ ، ص٣٧٧ - ص٣٨٠ ، أحداث ٦١٤هـ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٨ - ١٢٩ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٢ - ص٩٦ .

(٢) البيكار : لفظ فارسى معناه الحرب عامة .مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٧٠ .

(٣) رومية : هما روميتان ، إحداهما بالروم والأخرى بالمداين ، وتقع شمالى وغربى القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوما أو أكثر . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٨٦٧ .

(٤) كُنْدريس : يقصد بكلمة «كند» الكلمة الإنجليزية Count ، «كونت» ولعله يعنى لويس دوق بافاريا الذى كان أحد رهائن الصليبيين . انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٨ ، حاشية(٣) .

(٥) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٧ - ص١٠٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ .

ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ ... طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمهُ ... صقيلا كما سلَّ الحسام مجردا
فلم ينج إلا كل شلو مُجدّل ... ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسانُ الكون فى الأرض رافعا ... عقيرته فى الخافقين وتمنشدا
أَعُبَّادَ عيسى إن عيسى وحزبَه ... وموسى جميعا يخدمون[1]محمدا[2]

قال أبو شامه[3] : وبلغنى أنه أشار عند ذلك إلى الملك المعظم عيسى ، والملك الأشرف موسى ، والملك الكامل محمد . قال : وهذا من أحسن شىء اتفق . قلت : قول الشاعر راح مخلدا غير وجه ، والصواب[٤٢٠] دام مخلدا على مالا يخفى .

وفى تاريخ بيبرس : وأنشد الشعراء قصائد التهانى ، وفرحوا بانتزاح العدو وبلوغ الأمانى . فمنها ما قاله شرف الدين بن جبارة من قصيدة أولها :

أبىَ الوجدُ إلا أن أبيت مسهدا

ومنها :

لقد حمل الإفرنج موضعه الذى ... سقاهم كؤوس الحتف ملئ من الرَّدى
وكل شجاع كان يحكى عطارداً ذكاء ... فلما أن رآه تبلداً

أعباد عيسى إلى آخره .

وقال غيره يمتدح فيها الكامل ، أولها :

لواء نصرك فى الهيجاء منشور .

ومنها :

به غدا الثغرُ للإسلام مبتسما ... بعد العبوس وفيه اللهُ مذكورُ
بعد الأناجيل آيات القرآن به ... تُتْلَى وقد نسخ الناقوس تكبيرُ
يقول محرابُه لو كان يسمعنا ... محمدٌ ناصرٌ والشرعُ منصور

(١) «ينصران» كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٥ .
(٢) وردت هذه الأبيات فى الذيل على الروضتين ، ص١٢٩ـ ص١٣٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٩ .
(٣) الذيل على الروضتين ، ص١٣٠ .

وقال ابن عنين يمدح الملك الأشرف :

قسما بما ضمت أباطح مكة   وبمن حواه من الحجيج الموقف
لو لم يقم موسى بنصر محمد   لرقى على درج الخطيب الأسقف
لولاه ماذل الطيب وأَهلُه   فى ثغر دمياط وعز المصحف

وقال أيضاً يمتدحه ويذكر مناصرته بقصيدة طويلة أولها :

يأيها الملك الذى إنعامه   لم يبق فى الدنيا فقيرا مرملا
لقد اتقيت الله حق تقاته   ونهجت للناس الطريق الأمثلا
لولاك لانقصمت[1] عرى الإسلام   فى مصر وأهمل[2] ذكره وتبدلا
وتحكمت فيها الفرنج وغادرت   أعلاجُها محرابَ عمرو هيكلا[3]

وقال ابن كثير[4] : فوقع الصلح على ما أراد الملك الكامل ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفه بين يديه ، ومَدَّ سماطا عظيما ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر ، وكان ذلك يوم الأربعاء تاسع عشر رجب من هذه السنة ، وتراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها من البلدان ، ورجع الملك المعظم إلى الشام ، واصطلح الأشرف والكامل على أخيهما الملك المعظم . وفى تاريخ بيبرس : فى المحرم من هذه السنة وصل الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل منجدا لأخيه الكامل إلى المنصورة وتتابعت نجدات المسلمين[5] .

وفيها كسر مشايخ الغربية جسر البرمون[6] ، وأطلقوا النيل على الفرنج الذين كانوا نازلين مقابل المنصورة ، فأحاط الماء بهم ، وثارت الشوانى الإسلامية لمحاربة مراكب الفرنج التى فى البحر ليشغلوهم عن نصرة الفرنج المقيمين بالبر ، فلما رأى الفرنج ذلك والماء قد أحاط بهم وغرق أكثرهم ، صاحوا بالأمان فأمنّوهم ، وأحضروا ملوكهم إلى

---

(١) « لانفضت » كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٢ .
(٢) «وأخل» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٢ .
(٣) ورد البيتان الثالث والرابع فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٢ .
(٤) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ - ص١٠٣ .
(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٢٩ .
(٦) البرمون : بلد فى محافظة الدقهلية ، بالقرب من المنصورة .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٦ ، حاشية(٢) .

المخيم السلطانى وسدوا عنهم الجسر بعد أن استقرت القاعدة على تسليم دمياط ، وأنهم لا يقصدون الديار المصرية مدة أربعين سنة ، وتحالفوا على ذلك ، وتسلم المسلمون دمياط فى تاسع عشر شعبان منها ، وسافر الفرنج إلى بلادهم ، فكانت مدة مقامهم بالديار المصرية أربعين شهرا وتسعة عشر يوما ، واستبشر المسلمون بنصر الله عز وجل(١) . وفى المرآة(٢) : وفى هذه السنة توجه الملك المعظم عيسى إلى أخيه الملك الأشرف واجتمعا [٤٢١] على حران ، وكتب صاحب ماردين ناصر الدين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم إليه ، فسأله الأشرف ، فسار إلى ماردين ونزل صاحب ماردين والتقاه فى دنيسر ، وأصعده إلى القلعة وخدمه خدمة عظيمة ، وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا على ما أرادا ، وزوج المعظم إحدى بناته ناصر الدين صاحب ماردين ، وزوج ابن ناصر الدين ابنته الأخرى ، وخلع على جميع أصحابه وأعطاهم الأموال ، ورجع المعظم إلى حران ، ووصلت الأخبار بوصول التتار إلى كرماشاهان(٣) قريبا من بغداد ، فانزعج الخليفة وأمر الناس بالقنوت فى الصلوات ، وحصن بغداد واستخدم العساكر . وفى جمادى الآخرة فتحت دمياط ، وكان المعظم من أحرص الناس على خلاص دمياط ، وكان مصافيا لأخيه الكامل ، وكان الأشرف مقصِّرًا فى حق الكامل ، وكان مباينًا له فى الباطن ، فلما اجتمعت العساكر على حران قطع بهم المعظم الفرات ، وسار الأشرف فى آثارة ، وجاء المعظم فنزل حمص ونزل الأشرف سلمية(٤) . قال السبط(٥) : وكنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاة ، فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس ، فاجتمعت بالمعظم على حمص فى ربيع الآخر ، فقال لى : قد سحبت الأشرف إلىّ ههنا بأسنانى(٦) وهو كاره ، وكل يوم أعتبه فى تأخره وهو يكاسر وأخاف من الفرنج أن يستولوا

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٣٢٨ - ص٣٣٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٦ - ص٩٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٢٩ - ص١٣٠ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٦ - ص١١٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ .

(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٠٧ .

(٣) كرماشاهان : مدينة فى عراق العجم .
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٢٢ .

(٤) سَلَمْية : بليدة من أعمال حماة .
انظر : معجم البلدان ؛ ج٣ ، ص١٢٣ .

(٥) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٧ - ص ٤٠٨ .

(٦) «بلسانى» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان حيث ينقل عنه العينى ، ج٨ ، ص٤٠٧ .

على مصر ، وهو صديقك فأشتهى تقوم وتروح إليه فقد سألنى عنك مرارا ، ثم كتب إلى أخيه كتابا بخطه يجىء ثمانين سطرا ، وأخذتها ومضيت إلى سلميَّة ، وبلغ الأشرف وصولى فخرج من الخيمة والتقانى ، وعاتبنى على انقطاعى عنه ، وجرى بينى وبينه فصول ، وقلت له : المسلمون فى ضائقة وإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت ، وعفوا آثار مكة والمدينة والشام ، وأنت تلعب ، قُم الساعة وارحل . فقال : ارموا الخيام والدهليز وسبقته إلى حمص ، والمعظم عينه إلى الطريق ، فلما قيل له : قد وصل رَكَبَ فالتقانى ، وقال : مانمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئاً . فقلت : غدا بكرة يصبح أخوك [على][1] حمص . فدعانى ، ولما كان الغد أقبلت الأطلاب ، وجاء طلب الأشرف ، والله ما رأيت أجمل منه ولا أحسن رجالا ولا أكمل عدة ، وسرُ المعظم سرورا عظيما ، وجلسوا تلك الليلة يتشاورون ، فاتفقوا على الدخول فى السحر إلى طرابلس ، ويشوشوا على الإفرنج ، وكانوا على حال ، فأنطق الله الأشرف من غير قصد وقال للمعظم : ياخوند عوض ماندخل الساحل ونضعف خيلنا وعساكرنا ونضيع الزمان ماتروح إلى دمياط ونستريح . فقال له المعظم : قول رماة البندق[2] . قال : نعم . فَقَبّل المعظم قدمه ، ونام الأشرف ، فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضارى يصيح : الرحيل الرحيل إلى دمياط ، وما كان يظن أن الأشرف يسمح بذلك ، وساق المعظم إلى دمشق[3] . وتبعته العساكر ، ونام الأشرف فى خيمته إلى قريب الظهر ، وانتبه فدخل الحمام فلم يرحول خيمته أحداً ، فقال : وأين العساكر؟ فأخبروه الخبر ، فسكت وساق إلى دمشق ، فنزل القصر يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى ، فأقام إلى سلخ جمادى ، وعرض العساكر تحت قلعة دمشق ، وكان هو وأخوه المعظم فى الطيارة فى القلعة[٤٢٢] ثم ساروا إلى مصر غرة جمادى الأخرى[4] .

---

(١)مابين حاصرتين إضافة من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٨ ، حيث ينقل عنه العينى .

(٢) رماة البندق : هم أهل الفتوة ، الأعضاء فى ذلك النظام الذى كان شائعا فى عهد الخليفة الناصر ، وهو نظام شبيه بالفروسية .

انظر : نهاية الأرب ؛ ج٢٩ ، ص١١٥ ، حاشية(٤) .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٨ .

(٤) ورد هذا الحدث بتصرف فى الذيل على الروضتين ص١٢٨ـ ص١٢٩ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٤ ـ ص١١٦ .

وأما الإفرنج فإنهم خرجوا بالفارس والراجل ، وكان البحر زائدا ، فجاؤا إلى ترعة فأرسوا إليها ، وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان ، وأحدقت بهم عساكر الكامل فلم يبق لهم وصول إلى دمياط ، وجاء أصطول المسلمين فأخذوا مراكبهم ومنعوهم أن يصل إليهم ميرة من دمياط ، وكانوا خلقا عظيما وانقطعت أخبارهم عن دمياط ، وكان فيهم مائة كند وثمانى مائة من الخيالة المعروفين ، وملك عكا والدرك[1] ، واللوكان[2] نائب البابا ، ومن الرجالة مالايحصى ، فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الملك الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط ، فمن حرص الكامل على خلاص دمياط أجابهم ، ولو أقاموا يومين أخذوا برقابهم ، فبعث إليه الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب وابن أخيه شمس الملوك ، وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سمناهم ، فالتقاهم وأنعم عليهم ، وضرب لهم الخيام ، ووصل المعظم والأشرف فى تلك الحال إلى المنصورة فى ثالث رجب ، ووقع الصلح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب ، وسار بعض الفرنج فى البر وبعضهم فى البحر إلى عكا ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، وعاد المعظم إلى الشام ، وأقام الأشرف بمصر عند الكامل ، فغير الله القلوب وصارا متصافيين واتفقا على المعظم[3] .

وفى تاريخ ابن العميد : وفى سنة ثمانى عشرة وستمائة وصل الملك الأشرف صاحب أخلاط بعساكره والملك المظفر بن الملك المنصور صاحب حماة ومعه عساكر والده ، ولم يتأخر أحد من ملوك الشام والشرق عن نجدته ، واستقر القتال بينهم وبين الفرنج بحرا وبرا ، وطلع النيل طلوعا كثيرا وجرى الماء فى بحر المحلة ، فرتب السلطان مراكب الأصطول فى بحر المحلة ليدخل منه إلى بحر دمياط ويمنع الميرة عن الفرنج ،

---

(١) «الدوك» : كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٢٩ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٦ ، حاشية (٤) ، ويقصد به الدوق ، وهو من ألقاب ملوك البندقية وحكام جنوة فى عصر المماليك . انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٤٠ .

(٢) اللوكان : معناه غير ظاهر ، وربما يكون تحريفا للقب «الكاردينال» .
انظر : نهاية الأرب ؛ ج٢٩ ، ص١١٦ ، حاشية(٥) .

(٣) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، فى أحداث عام ٦١٤هـ ؛ ج١٠ ، ص٣٧٨ - ٣٨٠ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٢٩ - ص١٣٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٣ - ص٩٩ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٦ - ص١١٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ - ص١٠٣ .

فاشتد ضررهم لذلك وعدموا القوت وانقطعت عنهم مراكبهم ، فعزموا على الرجوع إلى دمياط ، فأحرقوا أثقالهم وهربوا فى الليل ، وكانت ليلة عيد يوحنا وهو أول يوم من تَوْتَ ، فبلغ السلطان هزيمتهم ، فرسم بأن يقطع الجسور ، وأحاط بهم النيل من كل جانب ولم يقدروا على الوصول إلى دمياط ، فالتجؤا إلى تل كبير بظاهر البرمون[١] ، وأحاطت بهم العساكر من كل جانب فأيقنوا الهلكة ، وسألوا السلطان وبذلوا له أن ينزلوا عن دمياط ويؤمنهم على أنفسهم وأموالهم ، فأجابهم إلى ذلك ، وتقررت الهدنة ثمانى سنين وأن يطلقوا الأسرى من المسلمين ، والمسلمون أيضا يطلقون الأسرى من الفرنج[٢] .

وقصد السلطان أن يجتمع بالملك يوحنا صاحب عكا ونائب البابا ، فطلبوا رهائن تكون فى مراكبهم إلى أن يعودوا ، فسير السلطان ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأخاه الملك المفضل قطب الدين ومعهما جماعة من أولاد الأمراء ، وحضر الملك يوحنا وغيره إلى خدمة الكامل بظاهر البَرمون ، وحَلف لهم الملك الكامل وأخواه الأشرف والمعظم واستحلفهم ، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب من سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وتسلم السلطان دمياط ، وكانت مدة إقامة الفرنج بدمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وعشرين يوما ، ورجع الفرنج إلى بلادهم ، ودخل السلطان مصر وأطلق الأسرى من الجهتين[٤٢٣] فى زمان السلطان صلاح الدين(رحمه الله)[٣] .

وقال النويرى[٤] : توجه الأشرف إلى الشرق وانتزع الرقة من محمود ، وقيل : اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر ، ولقى بغيه على أخيه كما ذكرنا كيف وثب على أخيه فقتله وأخذ سنجار ، ثم أقام الأشرف بالرقة ، وورد إليه الملك الناصر صاحب حماة وأقام عنده مدة ثم عاد إلى بلده .

---

(١) البَرَمُون : بلد فى محافظة الدقهلية ، بالقرب من المنصورة .
انظر : نهاية الأرب ؛ ج٢٩ ، ص١١٦ ، حاشية(٢) .

(٢) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩٤ - ص٩٥ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٦ - ص١١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٢ - ص١٠٣ ؛ مراة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٨ - ص٤٠٩ .

(٣) ورد هذا الحدث فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٧- ص ١١٨ .

(٤) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ولم يرد فى نهاية الأرب كما ذكر العينى ، ج٤ ، ص١٠٥ .

ذكر ماجريات جنكيز خان اللعين

لما انبسطت يده واشتد ساعده وعضده ، وخلت البلاد قدامه ، واتسعت الأقاليم أمامه ، فرق أولاده إلى الآفاق ليملكوا ماتيسر لهم امتلاكه ، ويهلكوا من الأمم من يمكنهم إهلاكه ، وكان له من الأولاد : أوكديه خان ، وجقطاى خان ، ودوشى خان ، وطولى خان ، فأول من توجه منهم إلى البلاد الشمالية باطوخان بن دوشى خان ، ويسمى صائن خان ومُغلى وبُورى قدان ومن معهم ، ولما دخلوا تلك البلاد استولوا على من كان بها من طوائف الأتراك وقبائل القفجاق والعلان والآص والأولاق والجركس والروس وساكنى تلك الآفاق ، وتمكنوا منهم قتلا وسبيا وأسرا ونهبا ، وجلبت سبايا هذه الأجناس إلى البلاد الشامية والمصرية ، فمنهم المماليك العادلية والكاملية والأشرفية والمعظمية والناصرية والعزيزية ، وحسنت آثارهم فى الممالك الإسلامية .

وكان جنكيزخان قد جرد إلى خراسان صهره تفجار نوين(١) وأميراً من قواده اسمه يزكانوين فى عشرة آلاف فارس لنهب نسا وإحراقها ، فوصلت طائفة منهم إلى نسا مقدمهم أمير يعرف ببيك كوش ، فخرج الناس إليهم مقابلين فوقعت نشابة فى صدر بيك كوش فخر ميتا ، فنقموا بذلك على أهل نسا ، وقدّموا حصارها على حصار سائر البلاد بخراسان ، فساقوا إليها من الرجالة التى جمعت من أطراف خراسان ، وحوصرت قلعتها خمسة عشر يوما لم يفتروا عن القتال ليلا ولا نهارا ، ونصب عليها عشرون منجنيقا تخدمها الرجالة المجتمعة ، وكانوا يسوقون الأسارى تحت الخركات(٢) وهى بيوت على وضع الجملون اتخذت من الخشب ولبست بالجلود ، وإن لم يوصلوها إلى السور ضربت رقابهم ، فكان هذا دأبهم إلى أن ثلموا فيها ثلمة لاتنسد ، ثم لبس التتار بأجمعهم لأمة حربهم وزحفوا عليها ليلا ، فملكوا السور وانتشروا عليه ، والناس فى بيوتهم إلى أن أضاء النهار ، فنزلوا إليهم من السور ، فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين كأنهم قطيع غنم ثم

---

(١) تفجار نوين : لفظ نوين معناه أمير أو سيد أو قائد ، ولعل المقصود بتفجار نوين القائد Togatcher .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١١٣ ، حاشية(٤) .

(٢) الخركات : لعل المقصود بها الدبابات جمع دبابة وكانت أشبه ماتكون بالبرج المتحرك له أحيانا أربعة أدوار ، أولها من الخشب ، وثانيها من الرصاص ، وثالثها من الحديد ، ورابعها من النحاس الأصفر ، ويتحرك هذا البرج الهائل على عجلات ، وتصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار وتتصل بكل دبابة آلة تسمى كبش ، لها رأس ضخم وقرنان تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهديمها .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١١٤ ، حاشية(٤) .

قتلوهم عن آخرهم ، وكان عدة من قتل بنسا من أهلها ومن انضم إليها تقدير سبعين ألفا ، وهى كورة من كور خراسان ، ثم لم يزالوا يفسدون فى تلك البلاد ويقتلون وينهبون إلى أن كنسوا خراسان عن آخرها[١] .

ثم قصدوا نيسابور ليذيقوا أهلها نكال العذاب ، فلما قاربوها خرج أهلها مناوشين فأصابت صدر تُفْجار نوين نشابة فانتقل إلى نار الجحيم ، فلما رأوا ذلك تأخروا وكاتبوا جنكيزخان مستمدين ، فأمدهم بخمسين ألفا ، فلما قاربوها أقاموا شرقيها بقرية تعرف بشونجنان ، وهى ذات أشجار كثيرة ومياه غزيرة ، ثم ساقوا إليها مائتى منجنيق ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام ، فألحقوها بسائر المدن ، ثم أمروا الأسارى فبسطوها بالمجاريف حتى صارت أرضا ملساء ، [٤٢٤]فلعبوا فيها بالأكرة ، ومات أكثر أهلها تحت الأرض[٢] .

ولما طلع جلال الدين من الهند على مانذكره إن شاء الله ، وملك إقليم خراسان وماكان من بلاد العراق ومازندران ، ورأى خراب هذه البلاد ، ضمنوا له الدفائن بها كل سنة بثلاثين ألف دينار ، وربما كان الضامن يأخذ هذا المقدار فى يوم واحد ، إذ كانت الأموال مدفونة فى السراديب والجباب والمطامير ونحوها[٣] .

وتوجهت طائفة إلى همذان وأخذوها وقتلوا من فيها ، ثم أحرقوا المدينة ، ورحلوا عنها إلى أردويل[٤] فملكوها وقتلوا من كان فيها وخربوا ، ثم ساروا إلى تبريز وكان قد قام بأمرها شمس الدين الطغرائى ، وجمع كلمة أهلها لأن صاحبها أزبك بن البهلوان كان قد فارقها ، وكان أميراً متخلفاً ، منهمكا على الخمر ، محتجباً عن الناس ، غير مفكر فى تدبير البلاد التى فى يده ، وكان فى يده أذربيجان وأران ، فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق تبريز وقصد نقجوان[٥] ، وسير نساءه وأولاده إلى خوى[٦] ، وسار التتار إلى بَيْلقان[٧] فنهبوا وقتلوا كل أهل القرى ، ولما وصلوا المدينة حصروها ، فطلب أهلها رسولا يقررون معه الصلح ، فلما دخلها رسولهم قتله أهلها ، فزحف التتار عليهم وقاتلوهم أشد قتال ، ثم

(١) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص١١٣ ـ ص١١٥ .
(٢) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص١١٨ ـ ص١١٩ .
(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص١١٩ .
(٤) أردويل : وتسمى أيضا أردبيل ، وهى من أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة كبيرة جدا وبينها وبين تبريز سبعة أيام . معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٧ـ ص١٩٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٥١ ، حاشية(٩) .
(٥) نقجوان : بلد من نواحى أران . انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٥٢ ، حاشية(١) .
(٦) خُوَى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان ، وينسب إليها الثياب الخوية . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٢ .
(٧) بيلقان : مدينة بأرمينية الكبرى ، وتعد من أعمال أران . معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩٧ـ ص٧٩٨ .

إنهم ملكوا البلد عنوة فى شهر رمضان ، ووضعوا فيهم السيف فلم يبقوا على كبير ولا صغير ، حتى أنهم شقوا أجواف النساء وأخرجوا الأجنة من بطون أمهاتهم وقتلوهم ، ولما فرغوا من نهبها وتخريبها ساروا إلى مدينة كنجة[1] وهى أم بلاد أران ، ولما وصلوا إليها علموا بكثرة أهلها وشجاعتهم لدربتهم بقتال الكرج فلم يقدموا عليها ، فأرسلوا إلى أهلها يطلبون منهم المال والثياب ، فحملوا إليهم ماطلبوا فساروا عنهم[2] .

ولما فرغوا من بلاد المسلمين بأذربيجان وأران ساروا إلى بلاد الكرج[3] ، وكانوا قد استعدوا لهم وسيروا جيشا إلى أطراف بلادهم ليمنعوهم ، فالتقوا فكسروهم ، وقتلوا من الكرج نحو ثلاثين ألفا ، فلما وصل المنهزمون إلى تفليس[4] وبها ملك الكرج انهزم منها وأخلاها ، ففعل التتار فيها ما أرادوا من القتل والسبى وعادوا عنها[5] .

ثم قصدوا دربند شروان[6] فحصروا مدينة شماجى[7] وقاتلوا أهلها ، فصبروا ثلاثة أيام ، ثم ملكوها عليهم وقتلوا من بها من المقاتلة ، وسبوا الذريّة ، ونهبوا الأموال ، فلما فرغوا منها أرادوا عبور الدربند ، فلم يقدروا فأرسلوا رسولا إلى شروان ، أن تجهزوا إلينا أقواما من أعيان من عندكم لنتحدث معهم فى الصلح ، فسَيَّروا عشرة أنفار ، فقبضوا عليهم وقتلوا واحدا منهم ، وقالوا للباقين تعرفونا الطريق وإلا قتلناكم مثل هذا ، فعند ذلك ساروا بهم ودلوهم على طريق يتوصلون منها إلى بلاد الترك ، ففعلوا فيها ماقدمنا ذكره ، واستولوا على بلادهم وسكنوها ، وتراجع من بقى من القَفجاق ، واجتمعوا مع التتار لقرب الجنسية ، وتصاهروا والتحموا ، وسنذكر أحوال كل ملك صار الملك إليه منهم حيث يرد ذكره إن شاء الله تعالى[8] .

---

(١) كَنْجَة : مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد أران ، وهى بين خوزستان ، وأصبهان . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠٨ .

(٢)وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤١٣ - ص٤١٥ .

(٣) بلاد الكرج : فى القوقاز ، والكرج جماعة من المسيحيين كانوا يسكنون فى جبال القبق (القوقاز) . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥١ .

(٤) تفليس : بلد فى أرمينية الأولى ، والبعض يقول بأران . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٥٧ - ص٨٥٩ .

(٥)وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٢٨٣ - ص٢٨٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٥٣ .

(٦) دربند شروان : مدينة من نواحى باب الأبواب الذى يسمونه الفرس الدربند ، بناها أنوشروان فسميت باسمه . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٢ .

(٧)شماجى ، كذا فى الأصل ، أما معجم البلدان ، فقد ذكر أنها «شماخى» وهى قصبة بلاد شروان فى طرف أران . ج٣ ، ص٣٢٧ .

(٨)وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٣٨٤ - ص٣٨٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٥٤ - ص ٥٥ ؛ ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الأحداث ذكرها ابن واصل فى حوادث سنة ٦١٦هـ .

ذكر سلطنة جلال الدين خوارزم شاه منكبرتى بن السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش

ولما مات السلطان علاء الدين[٤٢٥] فى السنة الماضية ركب جلال الدين منكبرتى البحر إلى خوارزم بأخويه أزلاغ شاه وآق شاه ومعهم زهاء سبعين نفسا ، فلما قاربوها التقوهم فيها بالدواب والأسلحة والأعلام ، وتباشر الناس بقدومهم واجتمع عندهم من العساكر السلطانية بخوارزم زهاء سبعة آلاف فارس أكثرهم البياووتية[١] ، تقدمهم توجى بهلوان الملقب قتلغ خان ، فمالوا إلى أزلاغ شاه للحمة والقرابة وتواطؤا على أن يقبضوا على جلال الدين فيسلمونه أو يقتلونه ، وأحس أينانج خان بما دبّر عليه فأعلمه بذلك ، وأشار عليه بالرحيل ، فرحل صاعدا نحو خراسان فى ثلثمائة فارس مقدمهم دَمُرْ ملك ، وأقام أخواه أزلاغ شاه وآقْ شاه بخوارزم بعده ثلاثة أيام ، ثم وفاهم الخبر بقصد التتار وحركتهم نحو خوارزم من جهة ماوراء النهر ، فرحلوا على إثر جلال الدين صوب خراسان[٢] .

ولما تحقق جنكيزخان مسيرهم سير إليهم طائفة من أصحابه ، فلما قطعوا المفازة التى بين خوارزم ونيسابور خرج عليهم التتار فقاتلوهم ، فهزمهم جلال الدين منكبرتى ، وهذه أول وقعاته مع التتار ، وكانت الوقعة بقرب مدينة نسا[٣] ، وحصّل صاحب نسا إقامة يقدمها لجلال الدين فلم يُقِم بل سار إلى أن وصل نيسابور منصوراً ، وبعد ثلاثة أيام وصل أخواه أزلاغ شاه وآق شاه مجفلين من التتار ، فوجدا[٤] الإقامة التى جهزها صاحب نسا مجهزة فقدمها إليهما ، فأمر أزلاغ شاه لصاحب نسا بزيادة على إقطاعه ، فبينما هم فى تقرير الإقطاع إذ أتاهم الخبر بأن عسكراً من التتار قد وصل إلى قلعة نسا لكشف أخبار جلال الدين ومقصده ، ومن وصل معه من العساكر السلطانية ، ولم يعلموا بوصول أزلاغ شاه وآق شاه ، فعند ذلك ركب أزلاغ شاه وآق شاه ورحلا لوقتهما

---

(١) البياووتية : نسبة إلى قبيلة بياووت وهى فرع من قبائل كانكالى Cancalis التى كانت تقيم فى السهول الواقعة فى شمال خوارزم والشمال الشرقى من بحر قزوين .
انظر : D'ohssom, op. cit, t. i, P. 196. ؛ سيرة جلال الدين ص ١٢٢ ، حاشية (٣) .

(٢) وردت هذه الأحداث فى سيرة جلال الدين ، ص١٢٢ .

(٣) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين نيسابور ستة أو سبعة أيام .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٧٦ .

(٤) «فوجدوا» كذا فى الأصل والصحيح لغة ما أثبتناه .

وتبعهما التتار إلى بلد خبوشان[1] ولحقوهما بقرية تسمى وست ، فوقف لهم أزلاع شاه واصطف حذاءهم ، وجد الفريقان فى القتال ، فانجلت الحرب عن هزيمة الكفار واتقائهم بجنة الفرار ، وجد أزلاع شاه فى طلبهم فلم ينج منهم إلا راكب جواد ، أو مختب فى واد ، واغتر أزلاع شاه ومن معه بما تيسر لهم من الانتصار ، وظنوا أنه لم يبق بنواحى خراسان أحد من التتار ، فلم يرعهم إلا إحاطة الأطلاب بهم إحاطة الأطواق بالأعناق ، واستشهد أزلاع شاه وآق شاه وجماعة ممن معهم ، وعاد التتار برأسيهما وقد نصبا على الرماح يدورون بهما البلاد ، وكان مع أولئك الذين قتلوا جواهر نفيسة ولم يفتش التتار أحداً منهم ، فخرج عوام تلك القرية فأخذوها وباعوها بأبخس الأثمان[2] .

وأما جلال الدين فأقام بنيسابور عازماً على الجهاد ، فكاتب الأمراء وأصحاب الأطراف بسرعة الوصول واستجاشة الجمهور ، وكان اختيار الدين زنكى بن محمد بن حمزة قد عاد إلى نسا فملكها ، ولم يجسر أن يظهر الاستقلال خوفا من السلطان وأولاده ، فلما بلغ جلال الدين كتب له [٤٢٦] توقيعا بكل ماتمكنت منه يده ، فلما استقر جلال الدين بنيسابور علم به التتار فأسرعوا فى طلبه ، فخرج من نيسابور فيمن انضوى إليه من العساكر إلى أن وصل إلى [القلعة][3] القاهرة التى بناها مؤيد الملك صاحب كرمان ، وهَمَّ أن يتحصن بها ، فوجه إليه عين الملك خَتن مؤيد الملك يحذره ذلك ، ويقول له : إن مثلك لايحسن به أن يتحصن بقلعة ، فإن حصون الملوك متون الخيول ، فأمر جلال الدين بإحضار مافى الخزانة من الذهب ، وفرق على أصحابه وخواصه ، وانفصل عن القاهرة ، وجد إلى تخوم بُسْت[4] فأخبر أن جنكيزخان مقيم بالطالقان ، فسير إلى أمين ملك صاحب هراة ، وهو ابن خال السلطان جلال الدين ومعه نحو عشرة آلاف فارس ، فحضر إليه واتفقا على كبس التتار المحاصرين لقلعة قُنْدهار[5] ، فنهضا إليهم فكبسوهم وقتلوهم فلم يفلت منهم إلا نفر يسير وتوجهوا مخبرين ملكهم جنكيزخان بما تم عليهم ، وساق جلال الدين إلى غزنه ، ودخلها منصوراً فى سنة سبع عشرة وستمائة[6] .

---

(١) خَبُوشان : بليدة بناحية نيسابور . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٠٠ .
(٢) لمعرفة المزيد عن هذه الاحداث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص ١٢٦ ـ ص١٣١ .
(٣) ما بين حاصرتين إضافة من سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٣٢ ، لتوضيح المعنى .
(٤) بُسْت : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، وهى من أعمال كابل . معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١٢ .
(٥) قندهار : قلعة من بلاد السند أو الهند . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٨٣ ـ ص١٨٤ .
(٦) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٣٢ ـ ص١٣٤ .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الملك المعظم وَلَّى قضاء دمشق كمال الدين المصرى[١] الذى كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلا بارعا ، وقرأ منشوره بهاء الدين بن أبى اليسر فى رجب[٢] .

ومنها أن الملك الكامل لما رجع إلى القاهرة بعد فراغه من أمر الفرنج ركب من قلعة الجبل ، وجاء إلى منظرة الصاحب صفى الدين بن شكر التى على رأس الخليج بمصر ، وذلك فى شهر ذى القعدة من هذه السنة ، وطلع إليه وتحدث معه بسبب الأمراء الذين كانوا مع الأمير عماد الدين بن المشطوب فى نوبة الملك الفائز ، وقد ذكرنا أن جماعة من الأمراء اتفقوا على أن يخلعوا الكامل من السلطنة ويولوها الملك الفائز أخاه ، وكان سبب اجتماعهم هو الأمير عماد الدين بن المشطوب ، فإنه كان أساس هذه الفتنة ، ووافقه الأمير عز الدين الحميرى ، والأمير أسد الدين الهكارى ، والأمير مجاهد الدين ، وجماعة من الأمراء غيرهم ، وآخر الأمر انتقض عليهم ما أبرموه . وجاء الملك الكامل إلى الوزير المذكور يستشيره فى أمر هؤلاء المذكورين ، فاتفق رأيهما على نفى هؤلاء المذكورين من البلاد ، وكانوا فى الجسر الذى قبالة دمياط يعمرونه ، فكتب لهم بأن ينصرفوا من ذلك ويخرجوا من ديار مصر إلى الشام ، فمضى جميعهم إلى الشام ولم يتعرض الكامل إلى شئ من موجودهم وأعطى أخبازهم[٣] لمماليكه[٤] .

وفيها . . . .[٥]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومعه كتاب إلى مكة والمدينة بإعادة ولى العهد أبى نصر إلى العهد وكتب من الديوان إلى الآفاق بذلك[٦] .

وحج بالناس من الشام أمير يقال له شقيقات[٧] .

---

(١) «المهرى» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٣ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٣ .

(٣) الأخباز : هى الإقطاعات من الأراضى أو الإيرادات منها ، وهى جمع خبز وهو الإقطاع للجند أو إيراده كما كان يفهم فى ذلك الزمان . انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٩ ، حاشية(١) .

(٤) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٨ - ص١١٩ .

(٥) بياض بمقدار ست كلمات .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص١٣٠ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٠٩ .

(٧) الذيل على الروضتين ، ص١٣٠ .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ الصالح شهاب[١] **الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسى الحنبلى** الزاهد العابد الناسك، كان يقرأ على الناس يوم الجمعة الحديث النبوى وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المظفرى، وقد سمع الحديث الكثير، ورحل وحفظ مقامات الحريرى فى خمسين ليلة، وكانت له فنون كثيرة، وكان ظريفا مطبوعاً، وكانت وفاته يوم الأحد سلخ صفر، ودفن بقاسيون عند أهله.

الشيخ موفق[٢] **الدين أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسى** خطيب بيت الأبار، كان شيخا صالحا، وخطب على منبر دمشق مدة غيبة جمال الدين محمد الدولعى فى الرسالة العادلية إلى بلاد الشرق، [٤٢٧] مات فى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من رجب من هذه السنة.

المحدث البارع تقى[٣] **الدين أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطى** قرأ الحديث، ورحل وكتبه، وكان حسن الخط متقنا فى علم الحديث حافظاً له، وكان الشيخ تقى الدين بن صلاح يثنى عليه ويمدحه، ويتأسف لفقده على فوائد كانت تحصل من عنده. وقال أبو شامة[٤]: وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندى بدمشق تاريخ الخطيب، وطبقات ابن سعد، وشيئا كثيرا، وكان ثقة، وتوفى بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية فى طريق المنيبع، وصلى عليه الموفق الحنبلى بجامع دمشق، والفخر ابن عساكر بباب النصر، والجمال المصرى قاضى القضاة عند قبره.

أبو الغيث[٥] **شعيب بن أبى طاهر بن كليب بن مقبل الضرير البصرى**، الفقيه الشافعى، أقام ببغداد إلى أن توفى بها، وكان لديه فضائل، وله وسائل، ومن شعره قوله:

إذا كنتم للناس أهل سياسة ... فسوسوا كرام الناس بالجود والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا ... عليه فإن الذل أصلح للنذل

---

(١) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص١٣٠؛ البداية والنهاية ج١٣، ص١٠٣؛ مرآة الزمان، ج٨، ص٤١٠؛ شذرات الذهب، ج٥، ص٨٢.

(٢) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص١٣١؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٤.

(٣) انظر ترجمته فى الذيل على الروضتين، ص١٣١؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٤؛ مرآة الزمان، ج٨، ص٤٠٩.

(٤) الذيل على الروضتين، ص١٣١.

(٥) انظر ترجمته والبيتين فى البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٤.

أبو العز[١] شرف بن على بن أبى جعفر بن كامل ، المقرى الضرير الفقيه الشافعى ، تفقه بالنظامية ، وسمع الحديث ، ورواه ، وأنشد عن الحسن بن عمرو الحلبى :

تمـــثلتم لى والديار بعـــيـــدة فخيل لى أن الفؤاد لكم مغنى
وناجـاكم قلبى على البعـد بيننا فـأوحشتم لفظا وآنستم معنى

أبو سليمـان[٢] داود بن ابراهيم بن منذار الجبلى ، أحد المعيدين بالمدرسة النظامية ، ومما أنشده :

أيا جامعاً أمسك عنانك مقصرا فإن مطايا الدهر تكبو وتقصر
ستـقـرع سنا أو تعض ندامـة يديك إذا خـان الزمـان وتقـصـر
ويلقـاك رشـد بعـد غـيك واعظ ولكنه يلقـاك والأمـر مـدبر

أبو المظفر[٣] عبد الودود بن محمود بن المبارك بن على بن المبارك بن الحسن ، الواسطى الأصل البغدادى الدار والمولد ، كمال الدين ، المعروف والده بالمجير[٤] ، تفقه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسته عند باب الأزج ، ووكله الخليفة الناصر ، واشتهر بالديانة والأمانة ، وباشر مناصب كباراً ، وحج مراراً عديدة ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق ، وكان يقول :

ومـاتركت ست وسـتون حـجـة لنا حجة أن يركب اللهو مركبا

جلال الدين[٥] الحسن ، من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الإسماعيلية ، وكان قد أظهر فى قومه شعائر الإسلام ، وحفظ الحدود المحرمات ، والقيام فيها بالزواجر الشرعية ، مات فى هذه السنة ، وتولى بعده ابنه .

---

(١) انظر ترجمته والبيتين فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٤ .
(٢) انظر ترجمته والأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٤ ـ ص١٠٥ .
(٣) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ .
(٤) «بالمجيد» كذا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ .
(٥) انظر ترجمته فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٣ .

أبو الدر[١] **ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب** ، الملقب أمين الدولة ، المعروف بالملكى نسبة إلى السلطان أبى الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر ، نزل الموصل وأخذ النحو عن أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان ، النحوى ، وقرأ عليه من تصانيفه جملة ، وكان يلازمه ، وقرأ عليه ديوان المتنبى والمقامات للحريرى[٤٢٨] وغير ذلك ، وكتب الكثير وانتشر خطه فى الآفاق ، وكان فى نهاية الحسن ، ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه من حسن الخط ، ولا يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله ، مع فضل غزير ونباهة تامة ، وكان مُغْرى بنقل صحاح الجوهرى ، فكتب منها نسخا كثيرة ، كل نسخة فى مجلد واحد . وقال ابن خلكان[٢] : رأيت منها عدة نسخ ، وكل نسخة تباع بمائة دينار ، وكتب عليه خلق كثير ، وانتفعوا به ، وكانت له سمعة كبيرة فى زمانه وقصده الناس من البلاد ، مات بالموصل فى هذه السنة ، وقد أسن وتغير خطه من الكبر .

---

(١) الكامل ، ج١٠ ، ص٤٢٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٣ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٨٣ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١١٩- ص١٢٢ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة التاسعة عشر بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة الناصر لدين الله ، والشرور قائمة فى البلاد الخراسانية ومايتاخمها بسبب جنكيزخان ، وقد ذكرنا أن جلال الدين بن السلطان علاء الدين دخل غزنة منصورا فى السنة الماضية . وقال أبو الفتح المنشئ : وصل جلال الدين إلى غزنة فى سنة ثمانى[1] عشرة وستمائة ، وتباشر الناس بوصوله ، واتصل بخدمته سيف الدين بغراق الخلنجى[2] وأعظم ملك صاحب بلخ ، ومظفر ملك صاحب الأفغانية ، والحسن قزلق ، [كل][3] هؤلاء فى ثلاثين ألف فارس ، ومعه من عسكره وعسكر أمين الملك مثلها ، ولما بلغ جنكيزخان ماحل بعسكره من النقمة بقندهار جرد إليه ابنه طولى خان فى عسكر كثير ، واستقبله جلال الدين بنفسه ، فالتقيا ، وحمل جلال الدين على قلب عسكر طولى خان ، فأنزل الله نصره عليه ، وكانت الكسرة على التتار فولوا مدبرين ، وركب جلال الدين مع عسكره فى طلبهم ، وكيف لايركب أقفيتهم وقد أفجعوه بأخوته وأبيه ، وقتل طولى خان المذكور فى معركة القتال ، وكثر الأسر حتى كان الفراشون يحضرون أساراهم إلى بين يدى جلال الدين ، فيدقون الأوتاد فى آذانهم تشفيا منهم ، وجلال الدين يتفرج ووجهه بالبشاشة يتبلج ، وقد عذبوهم فى الحياة الدنيا ، ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[4] . ولما وصل الخبر إلى جنكيزخان قام وجمع عساكره ورحل إلى ملتقى جلال الدين فى ذلك الوقت ، واتفق أن العسكر الخلجية[5] قد فارقوا جلال الدين صحبة سيف الدين بغراق غضاباً ، وسبب ذلك أنهم لما كسروا ابن جنكيزخان ببيروان[6] زاحمتهم الأتراك فى المكاسب ، وكان الأتراك ينفرون ويأخذون المكاسب منهم ، فاشمأذت لذلك نفوسهم ، ونفرت قلوبهم ، ووقع الخلف بينهم ، وكلما اجتهد جلال

(*) يوافق أوله : ١٥ فبراير١٢٢٢م .
(١) «ثمان» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .
(٢)«الخلجى» فى سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٥٤ .
(٣) مابين حاصرتين إضافة من سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٥٤ لاستقامة المعنى .
(٤) سورة طه ، آية ١٢٧ .
(٥) الخلنجية : كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص١٥٥ ، والخلجية نسبة إلى خلج ، وهو موضع قرب مدينة غزنة . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٥٥ ، حاشية (٦) .
(٦) بيروان : فى الشمال الشرقى من مدينة غزنة . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٦ .

الدين فى إرضائهم زادت الأتراك عصبية وشرا ، ثم لما بلغ جلال الدين نهوض عدو الله إليه فى معظم جيوشه وقد فارقه الأمراء وقع فى قلبه الخوف حيث علم أنه لاطاقة له بهم ، فرأى أن يتأخر إلى حافة ماء السند ، ثم يكاتب لهؤلاء المفارقين له ، فإن أجابوا ، يلتقى جنكيزخان [بهم مبكراً](١) فعاجله جنكيزخان ، وكان جلال الدين قد ثاربه قولنج شديد عند خروجه من غزنة ، ولم يرمع ذلك الجلوس فى المحفة ، وكان يركب الفرس تجلداً على مابه من الألم إلى أن من الله عليه بالعافية[٤٢٩] وقد ورد الخبر فى أثناء هذه الحالة أن مقدمة جنكيز خان قد نزلت بجردير(٢) ، فركب جلال الدين وكبسهم وقتل منهم جمعا كثيرا ، ولم يفلت منهم إلا القليل ، ولما بلغ جنكيزخان ذلك هاله ، ثم رجع جلال الدين إلى مخيمه بحافة ماء السند ، وضاق الوقت عما كان يأمله فى جمع المراكب ، ورجوع الأمراء الذين كانوا فارقوه ، ووصل مركب واحد فأمر بتعبير والدته وحرمه ، فانكسر المركب ، وتعذر العبور ، ووصل جنكيزخان ، ﴿وَإِذَا(٣) أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾(٤) .

ذكر المصاف بين جلال الدين وجنكيزخان على حافة ماء السند

وكان مع جلال الدين مقدار ثلاثين ألف راكب ، ومع جنكيزخان مقدار مائة ألف ، ثم تصافوا نهار الأربعاء لثمان خلون من هذه السنة(٥) . فلما تلاقى الفريقان حمل جلال الدين بنفسه على قلب عسكر جنكيزخان ، وولى جنكيزخان بنفسه هزيما ، وكادت الدائرة تدور على الكفار ، وكان جنكيزخان قد أفرد الكمين عشرة آلاف نفس من الفرسان الأبطال ، فخرجوا على ميمنة جلال الدين ، فكسروها وقلبوها على القلب فتبدّد نظامه ، ونزعت من الثبات أقدامه ، وانجلت المعركة عن قتلى مطروحين ، ورجع جنكيزخان على جلال الدين وحشرهم إلى ماء السند ، وكان الرجل منهم يأتى النهر فيهوى بنفسه فى تياره مع علمه بأنه غريق ، وليس له إلى الخلاص طريق ، وأسر ولد جلال الدين وعمره

(١) مابين حاصرتين إضافة من سيرة جلال الدين منكبرتى لاستقامة المعنى ، ص١٥٧ .

(٢)جردان : بلدة بين غزنة وكابل . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٦ ، وقد كتبت فى الأصل جردير ؛ سيرة منكبرتى ، ص٤١٨ .

(٣) سورة الرعد ، آية(١١) .

(٤) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص١٥٤ ـ ص١٥٧ .

(٥) المقصود أن الحدث تم فى سنة ثمانى عشرة وستمائة .
انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص١٥٨ . مع أن العينى ذكرها فى سنة٦١٩هـ .

تسع سنين فى الوقعة ، وقتل[١] بين يدى جنكيزخان . ولما جاء جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيرا رأى والدته وحرمه يصحن بأعلى[٢] صوتهن : بالله عليك اقتلنا ، والقتل أحب إلينا من الأسر فى أيدى هؤلاء الكفار . فأمر بضرب رقابهن وألقى[٣] بهن فى الماء ، وهذا من أعظم المصائب والبلايا ، وأشد المحن والرزايا . وأما عسكر جلال الدين تشتتوا وتفرقوا ، فإن عسكر جنكيزخان تتبعوهم ولقطوهم من الأودية ورؤوس[٤] الجبال وبطون الغابات ، وتحصن أعظم ملك بقلعة دروذة ، فحوصرت إلى أن أخذ ، فضرب رقبته ، ورقاب خلق كثير من الذين حصلوهم . وقال أبو الفتح المنشئ : حدثنى ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوى قال : أهويت بنفسى إلى الماء ولا أعرف السباحة ، فغطست وأشرفت على الهلاك ، فإذا أنا بصبى ومعه زق منفوخ ، فمددت يدى وهممت بتغريقه وأخذ الزق منه ، فقال : إن كنت ترضى بخلاصك دون هلاكى شاركنى فيه أوصلك إلى الساحل . ففعلت وسلمنا ، وقد طلبته بعد ذلك أشد طلب لأجَازِيه على صنيعه ، فلم أجِده على قلة عدد الناجين[٥] .

ذكر عبور جلال الدين ماء السند

ولما وصل جلال الدين إلى حافة ماء السند وقد سدت دونه المهارب ، وبين يديه تيار النهر الغالب رفس فرسه فى الماء وهو لابس عدته ، فعبر به الفرس فى ذلك الماء الذى هو كالبحر العظيم وتياره أشد من الريح العقيم ، فلطف الله عز وجل به إلى أن أرماه إلى ذلك[٤٣٠] الجانب ، وقد تخلص أيضا من عسكره أربعة آلاف رجل حفاة عراة ، وفيهم ثلاثمائة[٦] فارس ، ولايدرون ما حال جلال الدين؟ هل هو تخلص أم غرق؟ وكان جلال الدين قد رماه الموج ومعه ثلاثة من مماليكه وهم : قلبرس بهادر ، وقانقج ، وسعد الدين على الشربدار[٧] . ثم إنهم تلاقوا بعد ثلاثة أيام ، واتخذوا يوم ملاقاتهم عيداً وظنوا

(١) «ووسط» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص١٢٩ ، حيث يتفق مع المعنى .
(٢) «بأعلا» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .
(٣) «وألقا» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .
(٤) «ورؤس» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .
(٥) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص١٥٨ ، ص١٥٩ .
(٦) «ثلثمائة» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص١٦٠ .
(٧) الشربدار : المقصود بها الخدمة بشرابخاناه السلطان أو الأمير .
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٥٤ ، ص٤٦٧ ، ص٤٦٩ .

أنهم أنشئوا خلقا جديدا ، وليس عندهم شيء يؤكل ولاشيء يلبس ، وكان فى زردخانة[١] جلال الدين شخص يعرف بجمال الزّراد ، وكان قد جمع شيئا كثيرا من المأكول والملبوس بعد الوقعه ، ولم يظفر به أحد فحماه الله تعالى بلطفه حتى حصل مركبا وملأه من ذلك ، وعبر إلى ذلك الجانب ، وجلال الدين ومن معه حائرون ثائرون ، وليس عندهم شيء فإذا بجمال الزراد قد جاء إليه بالمركب المشحون بالخيرات ، فوقع هذا عند جلال الدين فى موقع عظيم ، ففى الحال ولاه الأستاذ دارية ، ولقبه باختيار الدين ، وكان هناك ملك اسمه شنطره[٢] سمع بخبر جلال الدين وأنه خلص من الأسر والغرق ، وأنه فى عدد يسير قام وجمع ألف فارس وخمسة آلاف راجل ليستأصل جلال الدين ، وبلغ خبره لجلال الدين ، ورأى الموت قد جاءه من كل جهة وليس معه إلا نفر يسير ، وغالبتهم جرحى بلا استعداد ، وتحقق أن الهنود إذا ظفروا بهم يقتلونهم بأشد قتله ، واتفقوا على أن يعبروا النهر أيضا ويختفوا فى بعض الآجام المختلفة ، ويعيشوا بما تنال أيديهم من الغارات ، فحين تآمروا على ذلك وتوجهوا صوب مقصدهم ، وتأخر عنهم جلال الدين بمن معه من أصحاب الخيل على رسم اليزك[٣] ، فإذا براية شنطرة تحتها عسكره ، فحرض جلال الدين أصحابه ، وقال : لاينجينا إلا الثبات ، والنصر من الله تعالى . فوقف إلى أن جاؤوا بقضهم وقضيضهم ، فعند ذلك تقدم جلال الدين وأوتر قوسه ورمى صوب شنطره ، فأصابت نشابته بإذن الله صدر شنطره ، وهتكت حجاب قلبه ، فخر ميتا ، وانهزم عسكره ، وتقوى جلال الدين ومن معه بخيلهم وسلبهم[٤] .

وكان هنا ملك آخر يسمى قباجه ، وله نائب فى بلدة ، يسمى قمر الدين ، ولما سمع بذلك تقرب إلى جلال الدين ، وقدم له دهليزا وغيره ، فوقع ذلك منه موقعا مشكورا محمودا[٥] .

---

(١) الزردخاناه : دار السلاح ، وهى كلمة فارسية مركبة ، أطلقها المقريزى على السلاح نفسه ، ومن معانى الزردخاناه السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب .
انظر : المقريزى ، السلوك ، ج١ ق٢ ، ص٣٠٦ ، حاشية(١) .

(٢) «شنطرة» : كذا فى الأصل ، أما فى سيرة جلال الدين منكبرتى «زانه شتره» وهو صاحب جبل الجودى .
انظر : ص١٦١ .

(٣) اليزك : لفظ فارسى معناه الطلائع . انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٦٤ .

(٤) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٦٠- ص١٦٢ .

(٥)انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٦٢ .

ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة

ولما استراح جلال الدين من ثقل هذه الوطئات بلغه أن بنت أمين الملك سلمت من الغرق ، وجاءت إلى أوجا[١] وهى مدينة من مدن قباجة ، فأرسل إلى قباجة يقول : إن بنت أمين الملك تنتمى[٢] إلى بقرابة فليجهزها إليه صحبة الرسول . فامتثل قباجة كلامه وأرسلها إليه ، مع تقادم جليلة فى جملتها فيل ، فقبل ذلك جلال الدين وتأكدت المودة بينهما إلى أن قضت الأيام بالبين والفرقة لأسباب ، منها : أن شمس الملك شهاب الدين كان وزير جلال الدين ، استوزره له أبوه السلطان علاء الدين ، فقدر الله تعالى أن الوقعة رمته إلى قباجة ، فأواه وأكرم مثواه ، فأرسل جلال الدين إلى قباجة واستدعى شمس الملك ، فتوهم شمس الملك أنه إنما [٤٣١] يطلبه لإيقاع أمر فيه فامتنع قباجة من إرساله . ومنها أن قزل خان[٣] بن أمين الملك كانت الوقعة أرمته إلى مدينة كلور[٤] من مدن قباجة ، وكان شابا طريا حسنا جميلا ، وكانت فى أذنه درة ثمينة ، فشرهت نفوس من أووه عندهم فقتلوه ، وحملوا الدرة إلى قباجة فشكرهم على ذلك ، وأقطع لقاتله ضيعة ، ولما سمع جلال الدين بذلك حقد عليه ، وصبر على ذلك إلى أن جاء إليه الأمراء المنفصلون من أخيه غياث الدين بيرشاه وهم : سنجق خان ، وإيلجى بهلول ، وأرخان سلحدار السلطان ، وبكتيارق جنكشين ، فقوى بهم جلال الدين وقصد مدينة كلور فحاصرها ، ودام القتال عليها ، وباشر الزحف بنفسه ، فأصابته نشابه فى يده فأصبح كالأسد ، ولم يفتر عن القتال ليلا ونهارا إلى أن استولى عليها وأخذ مافيها ، ثم انتقل منها إلى قلعة برنوزج وزحف عليها وباشر القتال بنفسه ، وأصابته نشابة أخرى هناك ، وتأكدت الوحشة بهذه الأمور بينه وبين قباجة ، ولما رأى قباجة أن بلاده تطوى شيئا فشيئا ، حشد وجمع وركب فى عشرة آلاف نفس من الفرسان ، وأنجده شمس الدين إيلتمش[٥] ببعض عسكره وعزم على المصاف ، فعاجله جلال الدين والتقى معه

(١) «أوجاهى» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص١٦٣ .
(٢) «تمت» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص١٦٣ .
(٣) «قرن خان» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص١٦٤ .
(٤) كلور : من مدن إقليم البنجاب . انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٦٤ ، حاشية(٢) .
(٥) شمس الدين إيلتمش : أحد أرقاء الترك فى الدولة الغورية ، وسار إلى بلاد الهند بعد سقوط هذه الدولة ، وأسس إمارة فى الجزء الشمالى من هذه البلاد ، وحكم مدينة دهلى ٦٠٨ / ٦٣٤هـ (١٢١١ / ١٢٣٦ م) .
انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٦٥ ، حاشية(١) .

وكسره ، وغنم مامعه من الأثقال وغيرها ، ولما فرغ جلال الدين من كسر قباجة نزل على لهاوور[١] ، وكان بها ابن قباجة ، وكان قد عصى على أبيه قباجة ، فرأى جلال الدين أن يقُره عليها على مال يحمله إليه ، ثم رحل منها إلى صوب سيستان[٢] ، وبها فخر الدين السلاوى واليا عليها من قبل قباجة ، فتلقاه بالطاعة ، وسلم مفاتيحها إليه ، فجبى المال وأرضى الرجال ، ثم رحل عنها صوب أَوْجَا[٣] فحاصرها أياما ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ثم صالحوه على مال ، فحمل إليه ، ثم رحل صوب جانسير[٤] ، وكان رأيُها يعنى ملكها ، والرأى هو الملك بلغة الهند من أتباع أيلتمش وأنصاره ، فخرج طائعا إليه وحضر إلى خدمته ، ثم أتى الخبر إلى جلال الدين بأن إيلتمش قاصد له فى ثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف راجل وثلاث مائة فيل ، فتجرد نحوه جلال الدين وقدم قدامه جهان بهلوان أزبك ، وهو من حماة الأبطال برسم اليزك ، فساق وخالفه يزك إيلتمش فى الطريق ، وتوسط أزبك عسكر شمس الدين إيلتمش ، فقتل منهم جماعة وخرج آخرين ، ثم ورد عقيب ذلك رسول إيلتمش فى طلب الموادعة ويقول : ليس يخفى عليك ماوراك من عدو الدين ، وأنت اليوم سلطان المسلمين وابن سلطانهم ، ولست أستحل أن أكون عونا عليك ، ولايليق بمثلى أن يجرد السيف فى وجه مثلك ، وإن رأيت زَوَّجْتُك بابنتى لتستحكم الثقة وتزول الوحشة . فمال جلال الدين إلى ما قال ، وأصحب رسوله باثنين من أصحابه ، وهما : برذنك بهلوان وسنقرجق طايسى ، فمضيا إليه واختاراه عليه ، ثم ترادفت الأخبار بأن إيلتمش وقباجة وسائر ملوك الهند وعامة أمرائها وكبرائها قد اتفقوا على قلع جلال الدين من إقليمهم ، واستشار جلال نصحاءه[٥] فى تدبير هذا الأمر ، واتفقت آراؤهم على الخروج [٤٣٢] إلى العراق وأشار عليه جهان بهلوان أزبك بلزوم بلاد

---

(١) لهاور (لوهور) : مدينة كبيرة من بلاد الهند . انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص٣٥٨ .

(٢) سيستان : وتطلق المراجع العربية القديمة عليها سجستان ، وهى تقع فى جنوب خراسان .
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٣٧٢ .

(٣) أَوْجَا : لعل المقصود بها «أوج» وهى قرية صغيرة للخَرْلَخية ، وهم صنف من الأتراك بما وراء سيحون .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٩٧ .

(٤) «جانسير» كذا فى الأصل ، أما بلدان الخلافة الشرقية فذكرها «خانسار» وهى منطقة تقع بين قم وأصفهان .
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٤٥ .

(٥) « نصحائه» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

الهند خوفا من جنكيزخان ، واستهوانا بمن فى الهند من الملوك ، فحمله شغفه وحبه بتملك الممالك الموروثة والحكم فيها ، فخف للنهوض إليها ، واستناب جهان بهلوان أزبك على ماكان ملكه من بلاد الهند الحسن قزلق ، ولقبه بوفا ملك ، واستمر وفا ملك بها وبالغور وغزنة إلى آخر أيامه ، فوصل إلى العراق ، وسيأتى ماجرى له وعليه مفصلا إن شاء الله تعالى[١] .

ذكر ما جريات ملوك الشرق والشام

منها أن بدر الدين لؤلؤ تملك الموصل فى هذه السنة ، واستقل بملكها وسمى نفسه الملك الرحيم ، وذلك بعد وفاة الطفل الذى كان نصبه فى المملكة وهو ناصر الدين محمود بن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى ابن أقسنقر ، وكان لؤلؤ قد اعتضد بالملك الأشرف بن العادل فدافع عنه ونصره ، وخلع لؤلؤ البيت الأتابكى بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا وأربعين سنة ، سوى ماتقدم له من الاستيلاء والتحكم فى أيام أستاذه نور الدين أرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود[٢] .

ومنها أن الملك المعظم قصد حماة لأن الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله إليه فى كل سنة إذا ملك حماة ، فلم يف له فقصد المعظم حماة ، وجرى بينهم قتال قليل ، ثم ارتحل الملك المعظم إلى سلمية[٣] واستولى على حواصلها وولى عليها ، ثم توجه إلى معرة النعمان[٤] فاستولى عليها وقرر أمورها ، وأقام فيها واليا من جهته ، ثم عاد إلى سلمية وأقام بها حتى خرجت السنة على قصد منازلة حماة[٥] .

---

(١) لمعرفة المزيد من هذه الأحداث . انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص١٦٣- ص١٦٩ .

(٢) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١١٤ - ص ١١٥ .

(٣) سَلَمْية : بليدة من أعمال حماة . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٣ .

(٤) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص ، بين حلب وحماة .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٤ - ص٥٧٥ .

(٥) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١١٧ - ص١١٨ .

ومنها أن الأتابكى طغريل الخادم مدبر مملكة حلب فوض إلى الملك الصالح أحمد ابن الظاهر أمر الشغر وبكاس[١] ، فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليهما وأضاف إليه معرة مِصْرين[٢] وغيرها[٣] .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه نقل تابوت الملك العادل من القلعة إلى تربتة بالمدرسة[٤] العادلية الكبيرة ، وصلى عليه أولا تحت النسر بالجامع الأموى ، ثم جاؤوا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن المدرسة كملت بعد ، وقد تكامل بناؤها فى هذه السنة أيضا ، وقد درس بها القاضى جمال الدين المصرى ، وحضر عنده السلطان الملك المعظم ، فجلس فى الصدر وعن شماله القاضى وعن يمينه صدر الدين الحُصيرى شيخ الحنفية ، وكان فى المجلس الشيخ تقى الدين بن الصلاح إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الآمدى[٥] إلى جانب المدرس ، وإلى جانبه شمس الدين بن سنى الدولة ، ويليه النجم خليل قاضى العسكر وتحت الحُصَيرى شمس الدين بن الشيرازى ، وتحته محيى الدين بن الزكى ، وحضر فيه خلق من الأعيان والأكابر ، وفيهم فخر الدين[٦] بن عساكر(رحمهم الله)[٧] .

---

(١) الشغر وبكاس : بكاس قلعة من نواحى حلب على شاطئ العاصى ، تقابلها قلعة الشغر بينهما واد كالخندق ، وهما قرب أنطاكية . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٠٤ .

(٢) معرة مِصْرين : بليدة وكورة من نواحى حلب . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٤ .

(٣) ورد هذا الحدث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١١٦ .

(٤) المدرسة العادلية الكبيرة (الكبرى) : داخل دمشق شمالى الجامع بغرب وشرقى الخانقاه الشهابية وقبلى الجاروخية بغرب وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما طريق ، وأول من أنشأها نور الدين محمود بن زنكى ، وتوفى ولم تتم ، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ثم توفى ولم تتم ، فتممها ولده الملك المعظم ودفن فيها والده ونسبها إليه . انظر : الدارس ، ج١ ، ص٣٥٩ .

(٥) الشيخ سيف الدين الآمدى : هو أبو الحسن على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى الفقيه الأصولى الملقب سيف الدين الآمدى ، كان فى أول اشتغاله حنبلى المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعى ، وتوفى فى رابع صفر يوم الثلاثاء سنة ٦٣١هـ ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، وكانت ولادته فى سنة ٥٥١ هـ .
وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٩٣ - ص٢٩٤ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٤٤ - ص١٤٥ .

(٦) فخر الدين بن عساكر : هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الملقب بفخر الدين المعروف بابن عساكر الفقيه الشافعى . ولد سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى فى العاشر من رجب يوم الأربعاء سنة عشرين وستمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية بظاهر دمشق .
وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٣٥ .

(٧) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص ١٣٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٠ ، ص١٢١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ .

ومنها أن الملك المعظم أرسل الصدر البكرى[١] محتسب دمشق إلى جلال الدين ابن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تمالآ عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد البكرى أضاف إليه مشيخة[٢] الشيوخ مضافا إلى الحسبة[٣] .

ومنها أنه وقعت حروب كثيرة بين القفجاق والكرج ، وقتال كثير بسبب ضيق بلاد القفجاق عليهم[٤] .

ومنها أن الملك الأشرف سار إلى خدمة أخيه الملك الكامل وأقام عنده بمصر متنزها [٤٣٣] إلى أن خرجت هذه السنة[٥] .

ومنها أنه ولى قضاء القضاة ببغداد أبو عبد الملك محمد بن فضلان[٦] .

ومنها أن الكرج خرجوا ونهبوا بيلقان[٧] فى هذه السنة ، وذلك أن التتار لما أخربوها وساروا عنها ، وتراجع من سلم من أهلها وعمروها ما أمنكهم ، فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم الكرج ووضعوا السيف فى أهلها ، وجرى هذا جميعه وصاحب بلاد أذربيجان أزبك بن البهلوان بتبريز لايتحرك له همة ، بل قد قنعت همته بالأكل والشرب والفساد[٨] .

ومنها أن بدر الدين لؤلؤ مَلَكَ قلعة شوش من أعمال الحميدية ؛ وسبب ذلك أن صاحبها زنكى ابن أرسلان سار إلى أذربيجان ليخدم عند صاحبها أزبك ، وأقطعه إقطاعا عنده فبقى هناك ، فسير بدر الدين عسكرا إليها فحاصرها وأخذها من نوابه[٩] .

ومنها أن الملك المسعود يوسف الملقب بأُطْسِزْ والعامة يسمونه أَقْسِسْ ، وهو ابن الملك الكامل بن الملك العادل ، حج بالناس من اليمن ، وكان قد استولى على اليمن

---

(١) الصدر الكشهنى فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ ، وهو صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبى الفتح .

(٢) مشيخة الشيوخ : يراد بها الإشراف على دور الصوفية (الخانقاهات) . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٠ ، حاشية (١) .

(٣) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ؛ ص١٣١ ، نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٠ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٣٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٨ - ١٠٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .

(٥) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٩ .

(٦) «محمد بن فلان» فى البداية والنهاية ، كما ورد هذا الحدث فيه ، ج١٣ ، ص١٠٦ .

(٧) بيلقان : مدينة قرب الدربند ، وتُعَد فى أرمينية الكبرى قريبة من شروان . معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩٧ - ص٧٩٨

(٨) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٣٢ - ص٤٣٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١١٣ - ص١١٤ .

(٩) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٠ ، ص ٤٣٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١١٥ .

من سنة اثنتى عشرة وستمائة ، وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب كما ذكرنا ، فلما وقف بعرفة وتقدمت أعلام الخليفة الإمام الناصر لدين الله لترفع على الجبل ، تقدم الملك المسعود بعساكره ومنع من ذلك ، وأمر بتقديم أعلام أبيه السلطان الملك الكامل على أعلام الخليفة ، فلم يقدر أصحاب الخليفة على منعه من ذلك ، ثم عاد الملك المسعود إلى اليمن ، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وعظم عليه ، وأرسل إلى الملك الكامل يشكو ، فاعتذر الكامل عن ذلك ، فقبل عذره ، وأقام الملك المسعود فى اليمن مدة يسيرة ، ثم عاد إلى مكة ليستولى عليها ، فقاتله حسن بن قتادة ، فانتصر الملك المسعود وانهزم حسن بن قتادة ، واستقرت مكة فى ملك الملك المسعود وولى عليها نائبا ، وذلك فى ربيع الأول من سنة عشرين ثم عاد إلى اليمن[١] .
وقال ابن كثير[٢] : ولما حج الملك المسعود المذكور فى هذه السنة بدت منه أفعال ناقصة بالحرم الشريف من سكر ، ورشق حمام المسجد بالبندق من أعلى قبة زمزم ، وكان إذا نام فى دار الإمارة يضرب الطائفون بالمسعى بأطراف السيوف لئلا يشوشوا عليه وهو فى نوم سكره ، قبحه الله ، ولكنه كان مع هذا كله مهيبا محترما ، والبلاد آمنة مطمئنة .

وقال أبو شامة[٣] : استولى أقسس على مكة وأعمالها ، وأذل المفسدين فيها وشتت شملهم ، وهو الذى بنى القبة على مقام إبراهيم عليه السلام ، وكثر الجلب إلى مكة من مصر واليمن فى أيامه ، فرخصت الأسعار ، ولعظم هيبته قلت الأشرار وأمنت الطرق والديار .

ومنها أنه كان بالشام جراد كثير أكل الزرع والثمار والأشجار ، ولم يعهد مثله فى الشام ، فأظهر المعظم أن ببلاد العجم طيراً يقال له السمرمر يأكل الجراد ، فأرسل الصدر البكرى محتسب دمشق ، ورتب معه صوفية ، وقال : تمضى إلى بلاد العجم فهناك عين يجتمع فيها السمرمر ، فتأخذ من مائها فى قوارير وتعلقها على رؤوس الرماح ، فكلما رآه

(١) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٠ ، ص٤٣٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٣٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٢٤ ـ ص١٢٥ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣١ ـ ص١٣٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١١ .
(٢) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٥ .
(٣) الذيل على الروضتين ، ص١٣٢ .

السمرمر تبعك ، وما كان مقصوده إلا أن يبعث البكرى إلى جلال الدين بن السلطان علاء الدين ليتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه ، فاجتمع البكرى بجلال الدين كما ذكرنا ، وكان الجراد قد قل فلما عاد البكرى كثر الجراد[١] .

ومنها . . . . . .[٢]

ومنها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام كريم الدين الأخلاطى ومعه الركن الفلكى وخلق كثير ، وكانت وقفة الجمعة ، وازدحم الناس فى المسعى فمات جماعة[٣] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

عبد[٤] القادر بن داود أبو محمد الواسطى ، الشافعى ، الملقب بالمحب ، اشتغل بالنظامية ، وكان فاضلا دينا صالحا . ومما أنشده من الشعر :

الفرقدان[٥] كلاهما شهدا له والبدرُ ليلةَ تَمِّهِ بسهادِهِ
دَنِفٌ[٦] إذا أعشى[٧] الظلام تضرمت نارُ الجوى فى صدره وفؤاده
فجرَتْ مدامع جفنه فى خده مثل المياه[٨] تسيل من أطواده[٩]
شوقا إلى مُضْنِيه لم أَرَ هكذا مشتاق مضنى جسمه ببعاده
ليت الذى أضناهُ سحرَجفونِه قبل المماتِ يكونُ من عوادِه[١٠]

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ؛ ص١٣١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٠ .
(٢) بياض بالأصل بمقدار نصف سطر .
(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى الذيل على الروضتين ؛ ص١٣٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٠ .
(٤) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(٥) الفرقدان : نجمان قرب القطب . البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(٦) الدنف : المريض من العشق ، أو الذى يلازمه المرض . البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(٧) «أعشى» فى الأصل ، «اعتبق» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(٨) «المياه» فى الأصل ، «المسيل» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(٩) «أطواده» فى الأصل ، «أطواره» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .
(١٠) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ .

أبو طالب[١] **يحيى بن على الباعقوبى** ، الفقيه الشافعى ، أحد المعدلين ببغداد ، كان شيخا مليح الشيبة ، جميل الوجه ، كان يلى بعض الأوقاف ، ومما أنشده لبعض الفضلاء :

لحملُ تهامةٍ وجبال أحْد ... وماءُ البحر ينقل بالزبيلِ
ونقل الصخر فوق الظهر يوما ... لأهون من مجالسة الثقيل

اتفق أنه طولب بشىء من المال فلم يقدر عليه ، فاستعمل شيئا من الأفيون المصرى ، فمات من يومه ، ودفن بالوردية[٢] .

إمام الحنابلة بمكة الشيخ نصر[٣] **بن أبى الفرج المعروف بابن الحصرى** ، جاور بمكة مدة ، ثم ساقته المنية إلى اليمن ، فمات بها فى هذه السنة ، وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ .

وقال السبط[٤] : سمعت منه الحديث بمكة فى سنة أربع وستمائة ، وكان متعبدا ، لايفتر من الطواف ، صالحا ثقة .

الشهاب عبد[٥] **الكريم بن نجم الحنبلى** ، أخو البهاء ، والناصح ، كان فقيها مناظرا ، بصيرا بالمحاكمات ، وهو الذى أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علم الدين السخاوى ، توفى فى ربيع الأول منها فى دمشق .

قطب الدين[٦] **بن العادل** ، توفى فى هذه السنة بالفيوم ، ونقل إلى القاهرة .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٦ - ١٠٧ .
(٢) الوَرْدِية : مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقى قريبة من باب الظفرية . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٩٢٠ .
(٣) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ .
(٤) بالبحث لم نجد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، ولكن وجد بالتفصيل فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٣ .
(٥) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٣ .
(٦) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١١ .

الملك ناصر[١] الدين **محمود بن الملك القاهر مسعود صاحب الموصل** ، مات فى هذه السنة ، وكان ظالما[٢] ، وقد ذكرناه عن قريب .

الشيخ يونس[٣] **بن يوسف بن مساعد**[٤] ، شيخ الفقراء المعروفين باليونسية ، كان رجلا صالحا وله كرامات مشهورة ، وكانت وفاته فى هذه السنة بقرية القنية[٥] من أعمال دارا ، وقد ناهز تسعين سنة ، وقبره مشهور هناك .

(١) انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٣٤ ؛ وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ٢٥٦ - ص٢٥٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٨٧ .

(٢) «ططا» هكذا كتبت فى الأصل ، وما أثبتناه من الكامل ، ج١٠ ، ص٤٣٤ .

(٣) انظر : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٢ .

(٤) «ساعد» فى الأصل ، والمثبت من المختصر ، ج٣ ، ص١٣٢ .

(٥) القُنَيَّة : قرية من نواحى ماردين . شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٨٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة العشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وصاحب مصر السلطان الملك الكامل بن الملك العادل ، وصاحب دمشق الملك المعظم بن العادل ، وصاحب حلب الملك العزيز بن الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وصاحب الروم الملك علاء الدين كيقباذ[1] ، وصاحب البلاد الشرقية الملك الأشرف بن العادل ، وصاحب الموصل وغيرها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ، وصاحب أذربيجان وغيرها أزبك ابن البهلوان[2] ، وصاحب سمرقند وخوارزم وماوراء النهر كلها جنكيزخان ، وعساكره تعبث فى البلاد الإسلامية ، وصاحب [٤٣٥] عراق العجم غياث الدين تترشاه بن السلطان خوارزم شاه ، وصاحب مكة واليمن الملك المسعود بن الملك الكامل ، وصاحب الغرب الملك المستنصر ، ولكنه مات فى هذه السنة على مانذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ماجريات ملوك بنى أيوب

استهلت هذه السنة والملك الأشرف بديار مصر عند أخيه الملك الكامل ، وأخوهما المعظم بسلمية مستول عليها وعلى المعرة ، عازم على حصار حماة ، وبلغ الأشرف ما فعله المعظم بصاحب حماة ، فعظم عليه واتفق مع أخيه الكامل على الإنكار على المعظم ، فأرسل إليه الكامل ناصح الدين الفارسى ، فوصل إلى المعظم وهو بسلمية ، وقال له : السلطان يأمرك بالرحيل . فقال : السمع والطاعة . وكانت أطماعه قد قويت على الاستيلاء على حماة ، فرحل مغضبا على أخويه الكامل والأشرف ، ورجعت المعرة وسلمية للناصر صاحب حماة[3] . وكان الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أخو الملك الناصر مقيما عند الكامل

(*) يوافق أوله ٤ فبراير ١٢٢٣م .

(١) علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو أحد سلاطين السلاجقة الروم . (٦١٦ ـ ٦٣٤هـ) ـ (١٢١٩ - ١٢٣٦ م) .
انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٢٦١ ، حاشية(١) .

(٢) أزبك بن البهلوان : يلقب أزبك بن محمد بمظفر الدين ، حكم من سنة (٦٠٧ ـ ٦٢٢هـ) ـ (١٢١٠ - ١٢٢٥ م) .
انظر : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٣٧ ، حاشية(٢) .

(٣) حماة : مدينة كبيرة يجرى بها نهر العاصى ، بينها وبين شيزر نصف يوم ، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل ، وبينها وبين حلب أربعة أيام .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٣١ - ص٣٣٢ .

بديار مصر كما ذكرناه ، وكان الكامل يؤثره بِمُلك حماة ، لكن الأشرف غير مجيب إلى ذلك ؛ لانتماء الملك الناصر صاحب حماة إليه ، وجرى بين الأشرف والكامل فى ذلك مراجعات كثيرة آخرها أنهما اتفقا على نزع سلمية من يد الناصر وتسليمها إلى الملك المظفر ، فتسلمها المظفر ، وأرسل إليها وهو بمصر نائبا من جهته حسام الدين أبا على بن محمد بن على الهذبانى ، واستقر بيد الناصر حماة والمعرة وبعرين[١] ثم سار الأشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية[٢] من أخيه الكامل للملك العزيز صاحب حلب[٣] ، وعمره يومئذ عشر سنين ، ووصل الأشرف بذلك إلى حلب ، وأركب العزيز فى دست السلطنة[٤] . ثم اتفق مع الأشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية[٥] فأرسلوا عسكرا وهدموها إلى الأرض[٦] .

وقال ابن كثير[٧] : وكان الملك الأشرف لما عاد من عند أخيه الكامل صاحب مصر إلى الشام تلقاه أخوه المعظم ، وقد فهم أنهما تماليا عليه ، فبات بدمشق ليلة ، وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك ، ثم إن الأشرف لما سار إلى بلاده وجد أخاه الشهاب غازى الذى استنابه على خلاط[٨] وميافارقين[٩] قد قوى رأسه ، وكاتبه المعظم صاحب

---

(١) بعرين (بارين) : بليدة بين حمص والساحل . معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٧٢ .

(٢) السناجق السلطانية : مفردها سنجق وهو الرمح ، وهو لفظ تركى المقصود به الأعلام السلطانية . صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٥٨ ؛ عقد الجمان العصر المملوكى ، ج٢ ، ص٢٠ ، حاشية (١) .

(٣) حلب : مدينة عظيمة ، وهى قصبة جند قنّسرين ، ومنها إلى قنسرين يوم ، وإلى المعرة يومان ، وإلى أنطاكية ثلاثة أيام ، وإلى الرقة أربعة أيام . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

(٤) دست السلطنة : وظيفة من أجَلّ الوظائف وأسناها وأنفسها وأعلاها والقائم بها سفيرا لرعية إلى الملك فى حاجتهم ؛ وترجمان معرب عن شكايتهم ، وكاشف أحسن ناشر عن ظلامتهم ؛ جالس على بساط الأنس بقرب الحضرة ؛ منفذ نهى مليكه وأمره ؛ مبلغ الحاجة من أنعامه جوده وبره . ويتولى هذه الوظيفة كاتب الدست . القلقشندى :صبح الاعشى ج١ ، ص ٢٣٥ ـ ص ٢٣٦ .

(٥) قلعة اللاذقية : اللاذقية مدينة فى ساحل بحر الشام تعد من أعمال حمص وهى غربى جبلة وهى الآن من أعمال حلب وبها قلعتان متصلتان . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٣٨ ـ ص ٣٣٩ .

(٦) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٢٦ ـ ص ١٢٩ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٦ ـ ص١٢٧ .

(٧) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ .

(٨) خلاط : بلدة عامرة مشهورة ، وهى قصبة أرمينية الوسطى . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٥٧ ـ ص ٣٥٨ .

(٩) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٠٣ .

إربل[١] ، وحسنوا له مخالفة أخيه الأشرف ، فكتب إليه الأشرف ينهاه عن ذلك فلم يقبل ، فجمع له العساكر ليقاتله .

وفى تاريخ بيبرس : لما قدم الأشرف إلى حلب من الديار المصرية ومعه الخلع السلطانية والتقليد بالسلطنة لغياث الدين محمد بن الظاهر ، التقاه محمد المذكور ودخل هو والعساكر الحلبية الخيمة فى خدمة الأشرف ، ومد السماط[٢] ، ولما رفع أفيضت الخلع الكاملية على العزيز محمد ، ووقف الملك الأشرف[٣] قائما فى خدمته ، ثم أحضر له الركوب فركبه ، وحمل الملك الأشرف الغاشية[٤] بين يديه حتى خرج من الخيمة وركب إلى القلعة ، وأقام الأشرف بحلب عشرة أيام ، ثم توجه إلى حران ، وبلغه أن المظفر شهاب الدين غازى بن العادل عصى عليه بخلاط ، وذلك أنه كان قد أنعم بها عليه ، وهى مملكة عظيمة جدا وسمى إقليمها بأرمينية ، وأضاف إليه ميافارقين وحانى[٥] وجبل جور[٦] ولم يقنع بذلك حتى جعله ولى عهده فى جميع بلاده ، وحلف له العساكر وجميع النواب[٤٣٦] بالبلاد إذ لم يكن للأشرف ولد ذكرٌ ، وكان قد وقعت الوحشة بين المعظم وأخويه الكامل والأشرف كما ذكرنا بسبب ترحيلهما إياه عن حماة ، وتوهم منهما أنهما يقصدان أخذ بلاده منه ، فأرسل إلى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك

---

(١) فى الأصل «وصاحب إربل» والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ .

(٢) السماط أو الخوان : كلمة فارسية معناها سفرة الطعام .
انظر : محمود التونجى ، المعجم الذهبى ، ص٢٤٥ .

(٣) هو الملك الأشرف موسى بن العادل أبو بكر بن أيوب . مَلَكَ دمشق بعد ابن أخيه الناصر داود سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م . وذلك بالاتفاق مع أخيه الملك الكامل محمد ، توفى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨م .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٣٣٠ - ص ٣٣٦ .

(٤) الغاشية : أصل الغاشية السرج أو الغطاء المزركش الذى يوضع على ظهر الفرس وفوق البرذعة . وكان سلاطين الأيوبيين والمماليك من بعدهم يخرجون فى المواكب وبين أيديهم غاشية . ويقول القلقشندى : «وهى غاشية سرج من أديم مخرزوة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدى السلطان عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركابدارية ، رافعا على يديه ، يلفتها يمينا وشمالا وهى من خواص هذه المملكة .
مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٢٥٤ .

(٥) حانى : مدينة بديار بكر . معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨٨ .

(٦) جبل جور : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية وفيها قلاع وقرى .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٠ .

صاحب إربل يدعوه إلى الإتفاق معه ، ويأمره أن يقصد مملكته بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ويحضره ، وكان بدر الدين لؤلؤ منتميا إلى الأشرف ، وكان مظفر الدين كوكبورى يعاديه ويكرهه لقلعه البيت الأتابكى ، واستيلائه على ولدى القاهر ، وهما ابنا ابنته ، وأخذه من زوج ابنته الأخرى عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه بلاده ، فأجاب مظفر الدين الملك المعظم إلى ذلك ، وتجهز لقصد الموصل[١] وحصارها وكاتب أخاه المظفر غازى يحسن له الخروج عن أخيه الأشرف ، ويأمره أن يعصى بخلاط وينزع يده من الطاعة ، ووعدهما من نفسه أنه يخرج من دمشق فى عساكره ويقصد البلاد الشرقية وينزعها من يد الأشرف ، فأجابه المظفر إلى ذلك وعصى بخلاط على أخيه الأشرف ، وأظهر مغاضبته والتجنى عليه ، فراسله الأشرف واستماله وعاتبه على مافعل ، فلم يَرْعو إلى ذلك وأصر على خلافه ، واتفق المعظم والمظفر صاحب إربل على مخالفة الأشرف ومحاربته ، ورحل المعظم عن دمشق فى عساكره ، ونزل بمكان يسمى القطنة[٢] فى البرية على نية قصد الأشرف أخيه ، ثم إن الأشرف انتصر على أخيه المظفر فى السنة الآتية وأخذ خلاط منه ثم عفى عنه وأقره على ميافارقين ، وكان الأشرف أرسل إلى أخيه الكامل وعرفه بصورة الحال ، فأرسل الكامل إلى أخيه المعظم يقول له : إن تحركت من بلدك سرت إليه وأخذته منك . فخافه المعظم ، وعاد إلى دمشق . وبقية الكلام يأتى فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى[٣] .

---

(١) الموصل : هى المدينة المشهورة العظيمة ، وهى مدينة قديمة على طرف دجلة ويقابلها من الجانب الشرقى نينوى ، وهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٨٣ .
(٢) القطنة : وتكتب أيضا «قطنا» وهى من قرى دمشق . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣٧ .
(٣) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٣ - ص١٣٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٢٩ - ص١٣٠ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٦ - ص١٢٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ .

ذكر ماجريات بني خوارزم شاه

وفى هذه السنة خرج على غياث تترشاه بن السلطان خوارزم شاه صاحب بلاد الجبال خاله يغان طايسى ، وكان من أكبر أمرائه وأقربهم إليه ، فاقتتل مع غياث الدين ، فانهزم يغان طايسى[١] ومن معه ، وأقام غياث الدين فى بلاده ، وكان غياث الدين قد ملك كرمان[٢] «ولما توجه[٣] جلال الدين منكبرتى إلى الهند»فى سنة سبع عشرة وستمائة كما ذكرنا تغلب غياث الدين على الرى وأصفهان وهمذان وغيرها من عراق العجم ، وهى البلاد المعروفة ببلاد الجبل ، فخرج على غياث الدين خاله يغان طايسى كما ذكرنا[٤] .

وقال أبو الفتح المنشئ : وكان السلطان خوارزم شاه قد نصّ على ولده غياث الدين تترشاه بملك كرمان ، ولم يتفق مسيره إليها حتى جرى بقزوين من الكبسة [ماسبق شرحه][٥] ، وقصد قلعة قارون ، وخدمة الأمير تاج الدين صاحبها إلى أن عاد ركن الدين غورشاه من كرمان إلى أصفهان ، فبعث إليه يحرضه على المسير إلى كرمان ، يُعْلمه بأنها خالية عمن يمانع ، صافية عمن يحامى ، فسار إلى أصفهان وبها ركن الدين ، فأكرمه أتم الإكرام ، فنهض إلى كرمان بعد ثلاثة أيام فملكها ، وزاد أمره بهاء ونوراً ، وأَمْر ركن الدين وهناً وفتورا إلى أن تم عليه من القتلة بقلعة[٦] [٤٣٧] آوند ، وعاد إلى العراق ، وخرج الأتابك يغان طايسى عن الحبس بقلعة[٧] سرجهان ، وكان سبب حبسه بها أن

(١)«إيغان طائسى» كذا فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٣٢ ـ ص١٣٣ .

(٢) كرمان : مدينة بين غزنة وبلاد الهند ، وهى من أعمال غزنة . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٦٦ .

(٣) «ولما توجه جلال الدين منكبرتى أخوه إلى الهند» هكذا وردت الجملة فى الأصل ، والصحيح هو ما أثبتناه من مفرج الكروب لاستقامة المعنى ، ج٤ ، ص١٣٢ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٣٢ ـ ص١٣٣ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٢ ـ ص١٣٣ .

(٥) مابين حاصرتين إضافة من سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، لاستقامة المعنى ، ص١٤٤ .

(٦) قلعة آوند : أستون آوند ، وهى إحدى القلاع القريبة من الرى . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٤١ ، حاشية(٦) .

(٧) قلعة سرجهان : تقع فوق قلة الجبل فى نصف الطريق بين صاين قلعة والسلطانية وتشرف على السهول الواسعة شرقا إلى أبهروقزوين . .

انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٨ .

السلطان خوارزم شاه كان قد رتبه فى خدمة ولده ركن الدين غورشاه حين ملكه العراق ليكون أتابكا لديه وردءا بين يديه ، فشكى ركن الدين إلى أبيه منه ، فأذن له فى القبض عليه فقبضه ، وحبسه بقلعة سرجهان إلى أن خلت العراق من الفتن ، ثم أخرجه والى القلعة أسد الدين الجوينى ، فاجتمعت عليه طوائف من العراقية والخوارزمية واشتد بهم أمره . فمن جملة من انضوى إليه بهاء الدين شكر مقطع ساوة[١] ، وجمال الدين عمر بن يزدار ، والأمير كيخسرو ، ونور الدين جبريل مقطع قاشان[٢] ، وابن نور الدين قيران خوان ، وأيدمر الشامى ، وكتك مقطع سمنان[٣] وأيدغدى كله[٤] ، وطغربل الأعسر ، وسيف الدين كيتارق مقطع كرخ[٥] وكان أدك خان قد استولى على أصفهان فى هذه الفترة ، وأراد غياث الدين استمالة قلبه ، وأن يجعله من حزبه ، فزوّجة بأخته أيسى خاتون ، تثبيتًا له على الطاعة ، ودافعه فى زفافها إليه إلى أن يبدو له ماينكشف عنه الوحشة القائمة بين المذكور والأتابك يغان طايسى ، إذ كانا[٦] قد استوليا على طرف العراق ، واستحوذ عليهما الشيطان ، فصمد الأتابك نحوه وهو بأصفهان فى سبعة آلاف فارس من نخب الأتراك العراقية والخوارزمية ، وحين أحسّ أدك خان برحيله صوبه ، راسل غياث الدين مستنجداً ، فأنجده بدولة ملك فى ألف فارس ، وعجله الأتابك عن وصول المدد ، فالتقيا بظاهر أصفهان ، وأُدَك خان فى خفّ من العدد ، وانجلت المعركة عن أَسْر أُدَك خان ، فكف الأتابك عن قتله لقرابته من السلطان ، غير أنه أجلسه دون بعض العراقية ، فغاظه ذلك وحمله الإدلال بقربه من السلطان على أن سافهه بأغلظ الكلام ، فأمر بخنقه ، ثم ندم الأتابك على مافعل ، فلما بلغ ذلك دولة ملك ، وكان قد جرد من كرمان نجدة لأدك

---

(١) ساوة : مدينة حسنة بين الرى وهمذان . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٤ .

(٢) قاشال فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص١٤٥ . وهى مدينة قرب أصبهان ، ومنها تجلب الغضائر القيشانى ، وأهلها من الشيعة الإمامية . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٥ .

(٣) سمنان : مدينة بين الرى ودامغان .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٤١ .

(٤) «أيدعدى» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ص١٤٥ .

(٥) «كرج» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص١٤٥ ، والكرخ عدة مواضع وكلها بالعراق .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥٢ .

(٦) «كان» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

خان على الأتابك ، رجع وكاتب غياث الدين يخبره بذلك ، فلحقه غياث الدين طالباً للثأر ، وقصد أصفهان ويغان طايسى بها ، وصّبحه بظاهرها ، فلم يريغان طايسى بداً عن الخدمة ولاخروجا عن الطاعة ، فقبل الأرض حين رآه ، وعفّر وجهه فى التراب ، فزال مافى قلب غياث الدين من الوحشة بمواطأته على قتل أُدك خان ، وزوّجه بأخته أيسى خاتون ، وزفت إليه ، واستوحش لذلك رفقاؤه من الأمراء ، ففارقوا مخيمه ، وأقاموا مجفلين إلى أن ترددت الرسل من غياث الدين إليهم فى الإصلاح ، فزال عنهم ماتوهموا ، وعادوا إلى الخدمة ، ماخلا أيدمر الشامى ، فإنه توجه إلى الأتابك أزبك صاحب أذربيجان فقتل هناك ، وتمكن غياث الدين من العراق ونفذت أوامره فى مازندران وخراسان ، فأقطع دولة ملك مازندران بأسرها فقوى على أمرها ، ويغان طايسى همذان بأعمالها ونواحيها . ولما رجع دولة ملك إلى الخدمة قويت شوكة غياث الدين ، فقصد أذربيجان وبها الأتابك أزبك ، وشن الغارة على بلد مراغة ومايلى العراق من سائر أعماله ، وأقام بأوجان[1] ، وترددت رسل أزبك إليه ، وزوّجه[2] [٤٣٨] بأخته الملكة الجلالية صاحبة نخجوان[3] ، وعاد غياث الدين إلى العراق بعد تأكد أسباب الاتفاق[4] .

كان غياث الدين بالعراق يدارى جيرانه من الملوك إلى أن قويت شوكته ، وانضم إليه أُناس من العسكر السلطانية ، واتفق إفلات أينانج إليه من حرب جرت بينه وبين التتار بظاهر جرجان[5] ، فأحسن إليه غاية الإحسان ، وبالغ فى إكرامه حتى نافسه فى ذلك خالاه دولة ملك ، وبلتى[6] ملك ،[وجنبه الأتابك][7] يغان طايسى ، وهَمُّوا بقتله بغياً وحسدًا على منزلته ، وحين علم غياث الدين بما أضمروا له من الشر والغدر ،

(١) أوجان : إحدى مدن أذربيجان . سيرة منكبرتى ، ص١٤٧ ، حاشية (٥) .

(٢) «زوج» كذا فى الأصل والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص١٤٧ .

(٣) نخجوان : بلد بأقصى أذربيجان ، وبعضهم يقول : نقجوان . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٦٧ .

(٤) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص١٤٤ - ١٤٧ .

(٥) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرسان وخراسان . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩ .

(٦) «تقى» كذا فى الأصل والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص١٤٨ .

(٧) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى ، ص١٤٨ لاستقامة المعنى .

حذَّرهم من ذلك ، فتسحب كل واحد منهم إلى جهة ، فاتفق حينئذ عود التتار ثالثا ، وكان عودهم فى هذه السنة إلى العراق وقد وجدوا شملهم مبدّد النظام ، فوقعوا بدولة ملك بحدود زنجان[١] ، فقتله شخص يسمى قذاق ، ثم وقع التتار بيغان طايسى[عند][٢] منصرفهم من زنجان ، فنهبوا وقتلوا . ونجى بنفسه إلى حدود طارم[٣] وعاد التتار فعبروا جيحون منتصرين ، وعاد من نجا منهم إلى غياث الدين فقوى بهم ، ثم سار إلى أصطخر[٤] فملكها عنوة وأخربها ، ثم ارتحل عنها إلى شيراز فدخلها عنوة ، ثم صالح أهلها على مال وآمنهم ، ومات أينانج خان هناك فدفن بشعب سلمان[٥] . ثم سار غياث الدين إلى حدود رامه[٦] من بلاد بغداد فأخلاها علم الدين قيصر نائب الديوان العزيز[٧] .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة عاد التتار ثالثة إلى العراق فوجدوا الأمراء العراقية على غير اتفاق ، فوقعوا بدولة ملك بحدود زنجان فقتلوه ، وحاق به شر غدره بابن أخته غياث الدين ، وتسحب ولده بركة خان وكان طفلاً على جادة أذربيجان إلى أن وصل إلى تبريز ، فأقام عند الأتابك أزبك ، فعطف به وأحسن إليه ، وأقام عنده إلى أن عاد السلطان جلال الدين خوارزم شاه من الهند ، ، وملك تبريز ، فلحق بركة خان بن دولة ملك بخدمته . وأما أيغان طايسى فإن التتار وقعوا به عند منصرفه من زنجان ، فنهبوا جلة سواده ، ونجا بنفسه وعرسه إلى حدود طارم ، وعاد التتار فعبروا جيحون ، وعاد من نجا من الأمراء إلى غياث الدين بوجوه سوّدها العصيان[٨] .

---

(١) زَنْجان : إحدى المدن الكبرى فى أقصى شمال بلاد الجبل ، وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان ، وتنتسب إليها جبال زنجان ، والعجم يقولون زنكان .

انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٤٨ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٦٩ .

(٢) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى لاستقامة المعنى ، ص١٤٩ .

(٣) طارم : أحد الأقاليم الجبلية المشرفة على مدينة قزوين .

انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٤٩ ، حاشية (٤) .

(٤) «اصطخر» من أهم وأقدم مدن فارس وحصونها . معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٩٩ .

(٥) شعب سلمان ، طريق فى الجبل من بلاد فارس .

انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٥٠ ، حاشية (٣) .

(٦) «أمهر» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص١٥٠ .

(٧) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص١٤٨ - ص١٥٠ .

(٨) ورد هذا الخبر بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص١٤٨ - ص١٤٩ .

ذكر ما اتفق فى الكرج

وفى هذه السنة مات ملك الكرج ولم يبق أحد من بيت المُلك غير امرأة فملّكوها ، وطلبوا رجلاً يتزوّجها ويقوم بالمُلك ويكون من بيت أهل المملكة ، فلم يجدوا من يصلح لذلك ، وكان صاحب أرزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقى من بيت كبير مشهور ، فأرسل يخطب الملكة [لولده][1] ليتزوجها ، فامتنعوا من إجابته إلا أن يتنصّر ، فأمر ولده فتنصّر ، وسار إلى الكرج وتزوج الملكة ، وكانت هذه الملكة تهوى مملوكاً لها ، وكان ابن طغريل شاه يعلم بذلك ويكاسر ، فدخل يومًا إلى البيت فوجد المملوك نائمًا معها فى الفراش ، فلم يصبر على ذلك ، فأنكر عليها ، فأخذته زوجته واعتقلته فى بعض القلاع ، ثم أحضرت رجلين كان قد وُصِفا لها بحسن الصورة ، فتزوجت أحدهما ثم فارقته ، وأحضرت إنسانًا من كَنْجَة[2] مسلما وهوته وسألته أن يتنصر ، فلم يجب إلى ذلك ، فترددت الرسل بينهما فى ذلك مدة ، فلم يجبها إلى التنصر[3] .

وفيها . . . . . .[4] [٤٣٩]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام الشرف[5] يعقوب بن محمد صاحب جركس[6] .

---

(١) [لولده] مابين حاصرتين إضافة من الكامل لتوضيح المعنى .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٧ .

(٢) كَنْجة : مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد آران . وأهل الأدب يسمونها جنزه ، وهى من نواحى كرستان وهى بين خوزستان وأصبهان . معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠٨ .

(٣) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٦ ـ ص٤١٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٣ .

(٤) بياض فى الأصل بمقدار ربع سطر .

(٥) «الشرف يعقوب صاحب جركس بن محمد» كذا فى الأصل ، والمثبت من الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٨ لاستقامة المعنى .

(٦) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٢ .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ أبو[١] الحسن الروزبهارى ، مات فى هذه السنة ، ودفن فى المكان المنسوب إليه بين السورين عند باب الفراديس .

الشيخ عبد[٢] الرحمن اليمنى ، كان مقيما بالمنارة الشرقية ، وكان شيخًا صالحاً زاهدًا ورعًا ، مات فى هذه السنة ، ودفن فى مقابر الصوفية .

الرئيس عز الدين[٣] مظفر بن الأسعد بن حمزة التميمى القلانسى ، أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجده أبو يعلى حمزة ، له تاريخ ذيل به على تاريخ ابن عساكر ، وقد سمع عز الدين هذا الحديث من الحافظ أبى القاسم بن عساكر وغيره ، ولزم مجالسة الكندى وانتفع به ، مات فى شهر رمضان منها ، ودفن بجبل قاسيون .

أبو على[٤] الحسن بن أبى المحاسن زهرة بن على بن زهرة العلوى الحسينى الحلبى ، نقيب الأشراف بها ، كان لديه فضل وعلم بالأدب وأخبار الناس والتواريخ والحديث والسير ، حافظ للقرآن المجيد ، وله شعر جيد . فمنه قوله :

قد رأيت المعشوق وهو من الـ الهجر بحال ينبو النواظر عنه
أثّر الدهر فيه آثار سوء وأدالت يدُ الحوادث منه
عاد مستبدلا ومستبدلاً عزاً بذلٍ كأنه لم يُصبه[٥]

أبوعلى[٦] يحيى بن المبارك بن الجلاجلى ، من أبناء التجار ، سمع الحديث ، وكان جميل الهيئة ، سكن بدار الخلافة ، وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن ، منه

---

(١) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٠ .
(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٠ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .
(٣) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٠ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٦ .
(٤) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ١١١ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٨٧ .
(٥) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية بهذه الصورة :

لقد رأيت المعشوق وهو من الـ الهجر تنبو النواظر عنه
أثّر الدهر فيه آثار سوء وأدالت يدُ الحوادث منه
عاد مستذلاً ومستبدلاً عزاً بذلٍ كأنه لم يصنه

انظر : ابن كثير ، ج١٣ ، ص١١١ .
(٦) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ .

قوله :

خير إخوانك المشارك فى المرّ وأين الشـريكُ فى المـرِّ أينا
الذى إن شهدتَ سرّكَ فى القو م وإن غبت كان أذنًا وعينا
مثل سر العقبان إن مسّهُ النارُ جَلاهُ الجلاءَ فازداد زَينا
وأخو السوءِ إن يغبْ عنك يشـ نئك[1] وإن يحتضرْ يكن ذاك شينا[2]

ابن قدامه[3] الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، إمام عالم بارع . لم يكن فى عصره بل ولاقبل دهره بمدة أفقه منه ، ولد بجماعيل[4] فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقدم مع أهله إلى دمشق فى سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل مرتين إلى العراق ، إحداهما فى سنة إحدى وستين مع ابن عمته[5] الحافظ عبد الغنى ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحج فى سنة ثلاث وسبعين ، وتفقه ببغداد على مذهب الإمام أحمد (رضى الله عنه) ، وبرع وأفتى وناظر وتبحر فى فنون كثيرة ، مع زهد وعبادة وورع ، وتواضع ، وحسن أخلاق ، وجود وحياء ، وحسن سمت ونور وبهاء ، وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام ، وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح ، وكانت له أحوال ومكاشفات . وقد قال الشافعى(رضى الله عنه) : إن لم يكن العلماء العالمون أولياء الله فلا أعلم لله ولياً . وله مصنفات عديدة مشهورة منها : المغنى فى شرح[مختصر][6] الخرقى ، عشر مجلدات ، والشافى فى مجلدين ، والمقنع [فى الفروع][7] والروضة فى أصول الفقه ، وغير ذلك . وقال أبو شامة[8] : كان إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين فى العلم والعمل ، صنف كتبًا كثيرة

---

(١) «تستغبك» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ .

(٢) ورد هذا الشعر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ .

(٣) انظر الذيل على الروضتين ، ص١٣٩ ـ ١٤٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٧ ـ ١٠٨ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٣ ـ ص٤١٥ .

(٤) جماعيل : قرية فى جبل نابلس من أرض فلسطين . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١١٣ .

(٥) «عمه» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٨ .

(٦) ما بين حاصرتين إضافة من هداية العارفين ، ص٤٥١ .

(٧) ما بين حاصرتين إضافة من هداية العارفين ، ص٤٥١ .

(٨) الذيل على الروضتين ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

حسانًا فى الفقه وغيره ، ولكن كلامه فيما يتعلق بالعقائد فى مسائل الصفات والكلام على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه ، فسبحان من لم يوضح له الأمر ، له فيها على جلالته فى العلم ومعرفته [٤٤٠] بمعانى الأخبار والآثار ، سمعت عليه مسند الإمام الشافعى ، وفاتنى منه نحو ورقتين عند باب استقبال القبلة بسماعه من أبى زرعة ، وسمعت عليه كتاب النصيحة لابن شاهين وغير ذلك ، ومولده فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بأرض نابلس . وقال السبط[١] : كان يحضر مجالسى دائما فى جامع دمشق وقاسيون . وقال أبو شامة[٢] : كان الموفق بعد موت أخيه أبى عمر هو الذى يَؤُم الجامع المظفرى ، ويخطب يوم الجمعة إذا حضر ، فإن لم يحضر فابنه عبد الله بن أبى عمر هو الخطيب والإمام ، وكانت وفاته يوم السبت يوم عيد الفطر ، أول شوال ، ودفن من الغد بجبل قاسيون خلف الجامع المظفرى فى مقبرتهم المشهورة ، وكانت له جنازة عظيمة .

وقال السبط[٣] : وأنشدنى لنفسه :

أَبعْدَ بياضِ الشعر أعمرُ سكنًا ... سوى القبر إنى [إن][٤] فعلتُ لأحمقُ
يخبّرنى شيبى بأنّى ميتٌ ... وشيكًا فينعانى إلىّ فيصدقُ
يخرق عمرى كلّ يوم وليلةٍ ... فهل مستطيعٌ رقع مايتخرقُ
كأنى بجسمى فوق نعشى ممددا ... فمنْ ساكتٍ أو معولٍ يتحرق
إذا سئلوا عنى أجابوا وأعوْلوا ... وأدمعهم تنهلُّ هذا الموفقُ
وغيبت فى صدعٍ من الأرض ضيقٍ ... وأودعتُ لحداً فوقهُ الصخر مطبقُ
ويحثو على التربَ أوثقْ صاحبٍ ... ويسلمنى للقبر من هو مشفقُ
فياربُّ كنْ لى مؤنساً يوم وحشتى ... فإنى بما أنزلته لمصدِّقُ
وماضرّنى أنى إلى الله صائرٌ ... ومن هو من أهلى[٥] أبرٌّ وأرفق[٦]

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٤ .
(٢) الذيل على الروضتين ، ص١٤٠ ـ ص١٤١ .
(٣) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .
(٤) ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٨ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ٤١٥ .
(٥) «أهل» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .
(٦) «أوثق» كذا فى الأصل ، والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .

وكان له أولاد : أبو الفضل محمد ، وأبو العز يحيى ، وأبو المجد عيسى ، ماتوا كلهم فى حياته . وقال ابن كثير[١] : وكان له أولاد ذكور وإناث ماتوا فى حياته ، ولم يعقب منهم سوى ابنين ، ثم ماتا وانقطع نسله .

ابن عساكر[٢] ، **الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، أبو منصور الدمشقى** ، شيخ الشافعية بها ، وليس فى أجداده من اسمه عساكر ، وإنما هى تسمية اشتهرت فى بيتهم ، ولعله من قبل أمهات بعضهم ، وهذا البيت بيت جليل كبير من الدمشقيين ، كثير الفضلاء والحفاظ والأمناء ، جمع هذا البيت رئاسة الدين والدنيا ، وأجلّهم فى زماننا ديناً وعلماً ، هذا الفخر ابن عساكر ، وفى القرن الذى قبله عمّاه صائن الدين هبة الله ، والحافظ أبو القاسم [ثم][٣] ابن عمه الحافظ أبو محمد بن أبى القاسم وابنه العماد بن القاسم ، وأخو الفخر تاج الأمناء أحمد ، وزين الأمناء الحسن ، واشتغل الشيخ فخر الدين من صغره بالعلم ، فاشتغل بالفقه على شيخة قطب الدين مسعود النيسابورى حتى برع فى ذلك ، وانفرد بعلم الفتوى ، كانت الفتاوى ترسل إليه من الأقطار . وقال السبط[٤] : ولد فخر الدين فى سنة خمس وخمسمائة ، وكان زاهداً عابداً ورعاً ، منقطعاً إلى العلم والعبادة ، شيخاً حسن الأخلاق قليل الرغبة فى الدنيا ، وكانت وفاته يوم الأحد[٥] عاشر رجب ، ودفن على الشرف القبلى عند مقابر الصوفية ، وكانت له جنازة عظيمة ، وقبره ظاهر يُزار ، وصلى عليه الملك العزيز بن العادل . وقال ابن كثير[٦] : اشتغل بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين مسعود النيسابورى ، وتزوج بابنته ، ودرس مكانه بالجاروخية[٧] ، وبها كان يسكن فى إحدى القاعتين اللتين أنشأهما ، وبها توفى

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٨ .

(٢) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٨ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٣٦ - ص١٣٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .

(٣) ما بين حاصرتين إضافة من الذيل على الروضتين ، ص١٣٦ .

(٤) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٥ .

(٥) «الأربعاء» فى الذيل على الروضتين ، ص١٣٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٩ .

(٦) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٩ .

(٧) المدرسة الجاروخية : داخل بابى الفرج والفراديس لصيقة الإقبالية الحنفية شمالى الجامع الأموى والظاهرية الجوانية . بانيها جاروخ التركمانى يلقب بسيف الدين .
الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٢٢٥ .

غربى الإيوان ، ثم ولى تدريس الصلاحية[١] الناصرية بالقدس الشريف ، ثم ولاه الملك العادل[٤٤١] تدريس التقوية[٢] ، وكان عنده أعيان فضلاء ، ثم تفرغ فلزم المجاورة بالجامع فى البيت الصغير إلى جانب محراب الصحابة ، يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى ، رحمه الله .

الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة محمد[٣] **بن سليمان بن قتلمش بن تركانشاه أبومنصور السمرقندى** ، وكان من أولاد الأمراء ، وولى حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفتى ، وكان يكتب جيداً جداً ، وله معرفة حسنة كثيرة منها : الأدب ، والعلوم الرياضية ، وعَمَّر دهرًا ، وله شعر حسن ، ولما توفى فى هذه السنة صلى عليه بالنظامية ، ودفن بالشونيزية ، ورآه بعضهم فى المنام ، فقال : ما فعل بك ربك؟ فقال :

تجافيت[٤] اللقاءَ لسوءِ فعلى وخوفاً فى المعادِ من الندامة
فلما أن قدمتُ على إلهى وحاقق فى الحساب على قلامة[٥]
وكان العدلُ أن أصلى جحيما تعطّف بالمكارم والكرامة
ونادانى لسانَ العفو منه ألا ياعبدُ يهنيك السلامة[٦]

السلطان الملك[٧] **المستنصر ، ملك المغرب** ، يوسف بن السلطان الناصر محمد بن السلطان المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، وقد تولى فى سنة عشر وستمائة ،

---

(١) الصلاحية الناصرية (بالقدس) : بالقرب من البيمارستان النورى ، بانيها نور الدين محمود بن زنكى الشهيد ، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين فاتح بيت المقدس . قال الذهبى فى العبر فى سنة تسع وستين وخمسمائة ، وقال الحافظ ابن كثير فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية ويقال لها الناصرية . الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٣٣١ .

(٢) التقوية : هى من أجل مدارس دمشق داخل باب الفراديس شمالى الجامع شرقى الظاهرية والإقباليتين ، بانيها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .
الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٢١٦ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص١٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٠ .

(٤) «تحاشيت» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ .

(٥) قلامة : هى المقلومة من طرف الظفر . لسان العرب ، ص٣١٥ ، مادة «قلم» ؛ المصباح المنير ، ص٦٢٢ . والقلامة هى القليل القليل من الشىء . البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ ، حاشية (١)

(٦) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١١ .

(٧) انظر : الشذرات ، ج٥ ، ص٩٥ .

وكان منهمكاً فى اللذات ، فدخل الوهن على الدولة بسبب ذلك ، ولم يخلف يوسف المذكور ولدًا ، فاجتمع كبراء الدولة وأقاموا عم أبيه ، وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ولقبوه المستضىء ، وكان عبد الواحد المذكور قد صار فقيرا بمراكش وقاسى شدائد الدهر ، فلما تولى اشتغل باللذات والنعيم فى المآكل والملابس من غير أن يشرب خمراً ، ثم خلع عبد الواحد المذكور بعد تسعة أشهر من ولايته وقُتل ، وملك بعده ابن أخيه عبد الله ، ويلقب بالعادل ، وهو عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن . نُجز تحرير هذا الجزء صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر الله المحرم اثنين وثلاثين وثمانمائة فى المنزل ، بحذاء المدرسة البدرية[١] بالقرب من الجامع الأزهر على يد جَامِعَةُ ومؤلفه فقير رحمة ربه ، الغنى ، أبو محمد محمود بن أحمد العينى ، عامله ربه ووالديه بلطفه الجلى والخفى . ويتلوه الجزء الذى أوله .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الحادية والعشرين بعد الستمائة

الحمد لله جميع الجزء المبارك بخط المصنف المرحوم المذكور ، رحمه الله وترحم عليه وأموات المسلمين ، كتبه الفقير طوغان شيخ المحمدى الأشرفى ناظر الحرم الشريف ، كان الله له فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله . ٨٦١ هـ

(١) المدرسة البدرية : تقع قبالة الشبلية التى بالجبل عند جسر كحيل ويعرف الآن بجسر الشبلية ، بانيها الأمير بدر الدين المعروف بلالا فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٤٧٧ .

«بسم الله الرحمن الرحيم»

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الحادية والعشرين بعد الستمائة

[٢] استهلت هذه السنة والخليفة هو الناصر لدين الله ، وأصحاب جنكيزخان دائرون فى البلاد بالفساد بين العباد ، ووصلت سرية منهم إلى الرى ، وكانت قد عمرت قليلا فقتلوا أهلها أيضا ، وكانوا قد وردوا إليها قبل هذه المرة مرتين ، ثم لما فرغوا منه ساروا إلى ساوة[١] ثم إلى قم[٢] وقاشان[٣] ، ولم يكونوا طرقا[٤] إلا هذه المرة ، ففعلوا بهما مثلما تقدم من القتل والسبى ، ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضا وسبوا ، ثم ساروا خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، فهزموهم إلى تبريز فلحقوهم ، وكتبوا إلى أزبك بن البهلوان صاحب تبريز : إن كنت مصالحًا لنا فابعث إلينا بالخوارزمية وإلا فأنت مثلهم ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأرسل برؤوسهم إليهم مع تحف وهدايا كثيرة ، هذا كله والسرية ثلاثة آلاف ، والخوارزمية وأصحاب ابن البهلوان أضعاف أضعافهم ، ولكن الله ألقى عليهم الخذلان والفشل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٥] .

ذكر ماجريات بنى خوارزم شاه

قال ابن كثير[٦] : وفى هذه السنة استولى غياث الدين تترشاه أخو جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش على غالب مملكة فارس ، وكان صاحب الفارس يقال له : الأتابك سعد بن دكلا ، وأقام غياث الدين بشيراز وهى كرسى مملكة فارس ولم يبق مع الأتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعة ، ثم اصطلح غياث الدين مع أتابك سعد على أن يكون لسعد بعض بلاد فارس ولغياث الدين الباقى[٧] .

(*) يوافق أوله : ٢٤ يناير ١٢٢٤ م .

(١) ساوه : مدينة بين الرى وهمذان ، كان بها دار كتب حرقها التتر . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٤ .

(٢) قم : مدينة كبيرة من بلاد الجبل بين ساوة وأصبهان ، وتذكر عادة مع مدينة قاشان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٧٥ ـ ص١٧٧ .

(٣) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قُمّ ، أغلب أهلها شيعة .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٥ .

(٤) «طرقتا» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

(٥) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٣٤ ـ ص١٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ .

(٦) ذكر هذا الحدث فى ابن الأثير ولم يذكر فى ابن كثير ، ولعله خطأ من الناسخ .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٠ ـ ص ٤٢١ .

(٧) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٣٦ .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة وصل جلال الدين خوارزم شاه إلى كرمان بعد مكابدة العناء والشدائد هو وأصحابه ، وقطع المفاوز المهلكة المعطشة ، وكان بكرمان براق الحاجب ينوب عن أخيه غياث الدين تترشاه ، وبراق هذا كان حاجب الكور[٣] خان[1] ملك الخطائية ، وورد رسولاً على السلطان منذ المكاشفة التى كانت بينهما ، فمنعه أن يعود إلى مراسلته رغبة فيه ، فبقى محصوراً بخوارزم إلى أن أورث الله السلطان أرضهم وبلادهم وأمصارهم ، فأحضره ورتبه فى جملة حجابه وآواه وأكرمه وأفاض عليه فضله وكرمه ، وظن أن فيه وفاء وإذا به بخلافه ، فلما دخل جلال الدين كرمان وجده فى ظاهر الأمر وفياً وفى باطن الأمر بضد ذلك ، فشاور أصحابه فيه فأشاروا بالقبض عليه واستصفاء مملكة كرمان منه ، والاستظهار بها على سائر الممالك ، ولم يوافقه على هذا الرأى شرف الملك المعروف بخواجاجهان[2] وقال : هذا أول من بذل الطاعة من ولاة البلاد وزعماء الأطراف ، وليس كل أحد يتحقق غدره ومكيدته . فرحل جلال الدين صوب شيراز ، وورد عليه الأتابك علاء الدولة صاحب يَزْد[3] مطيعا ، وأحضر من الخدم والتقادم ماعزت به منزلته ، فلقبه آتاخان وكتب له توقيعا بتقرير بلاده ، وكان الأتابك سعد صاحب فارس قد استوحش من غياث الدين تترشاه ، فرغب جلال الدين فى إصلاحه لنفسه ، وسير إليه الوزير شرف الملك خاطبا ، فأسرع إلى الإجابة ورجع منشرحا ، فاستظهر جلال الدين به ورحل من شيراز إلى أصفهان ، فخرج إليه القاضى ركن الدين مسعود بن صاعد فرحا به مسرورا بمقدمه ، وقدموا إليه كثيرا من العدد الحربية والملابيس ، ولما سمع به غياث الدين أنه قد توسط البلاد وملك كثيرا ركب إليه فى جمع من خاصته من بقايا العساكر السلطانية زهاء ثلاثين ألف فارس لطرده عمارامه ، فحزن جلال الدين لما سمع بقربه وأيس مما طمحت إليه نفسه ، وسير إلى

---

(١) الكورخان : لقب اتخذه ملوك دول الخطا لأنفسهم ومعناه خان خانان أى ملك الملوك أو سلطان السلاطين .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٤٣ ، حاشية(٤) .

(٢) خواجاجهان : عبارة فارسية معناها سيد العالم .
انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٨٢ ، حاشية(٣) .

(٣) يَزْد : إحدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخا من شيراز .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٠١٧ ؛ سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص١٧٦ ، حاشية(٢) .

غياث الدين أدك أمير آخور[١] وكان من دهاة خواصه . يقول : إن الذى قاسيته بعد السلطان[٢] من الشدائد الفادحة لو عرضت على الجبال لأشفقن منها أن يحملنها واستثقلنها فأبين أن يحملنها[٣] ، «وحين ضاقت على الأرض بما رحبت[٤]» قصدتك لأستريح عندك أياما ، فما رأيت عندك للضيف إلا ظبى السيف ، فرجعت بظمائى ، وسير إليه سلب[٤] طولى خان بن جنكيزخان وفرسه وسيفه ، فلما سمع غياث الدين بالرسالة انصرف منعطفا وتفرقت عساكره ، وكان جلال الدين سير صحبة رسوله عدة خواتيم ، وأمر بإيصالها إلى جماعة من الأمراء السلطانية يمنيهم الإحسان ويستميلهم عن أخيه ، فمنهم من أخذ الخاتم وسكت ، وأجاب إلى الانقطاع إليه والتقاعد عن نصرة غياث الدين ، ومنهم من أخذه وحمله إلى غياث الدين ، فعند ذلك أمر غياث الدين بالقبض على الرسول المذكور ، وبادر إلى خدمة جلال الدين أبو بكر ملك ، وهو من بنى أخواله والمحثين على قتاله ، وذكر له أن القلوب مشتاقة إلى لقائه ، فركب جلال الدين فى ثلاثة آلاف ضعاف إلا أنهم رجال قد أحكمتهم التجارب ، ولم يزالوا حتى أحاطوا بغياث الدين ، فعوجل عن التدبير ، وفوجئ عن النفير ، فركب فرس النوبة إلى قلعة سلوقان ، ودخل جلال الدين خيمته وبها بكلواى والدة غياث الدين ، فاستوفى لها فى الإكرام أدب الخدمة ، وأنكر انزعاج غياث الدين وأخلائه مكانه ، قال : إنه لم يبق لى من ولد أبى سواه وأنه عندى بمنزلة العين للناظر . فأرسلت والدة غياث الدين إليه من سكن روعه ، فعاد إلى الخدمة وترك منزلة السلطان ، وجاءت الخانات والأكفان فى رقابهم يعفرون وجوههم فى التراب ويقفون بين يديه استغفاراً ، وهو يسمعهم من العفو والكلام اللين

---

(١) أمير آخور : هو المشرف على الإصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال وغيرها ، وهى كلمة مركبة من لفظين أحدهما عربى وهو أمير ، والثانى فارسى وهو آخور ومعناه مكان العلف (أمير العلف لأنه متولى الدواب) . انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٩٠ ، حاشية(٣) .

(٢) المقصود بالسلطان هو علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٣) تأثر العينى بالنص القرآنى ونص الآية ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ..﴾ سورة الأحزاب ، آية(٧٢) .

(٤) تأثر العينى بالنص القرآنى ، ونص الآية :﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ..﴾ انظر : سورة التوبة ، آية(١١٨) .

ماشرح صدورهم ، ولم يمض أدنى مدة حتى حضر بابه من كان بخراسان والعراق ومازندران من المتغلبين هيبة وإجلالا مثل نواب القلاع والجند من غير استدعاء ، فمنهم من حسنت فى أيام الفترة سيرته ، ومنهم من ساءت فى الخدمة طريقته ، فأذيق وبال طغيانه ، وبقوا يمنون على غياث الدين بالخطبة المجردة ، وتفرقت الوزراء والعمال فى الأطراف بالتواقيع السلطانية ، ثم أعلم أن الخطبة أقيمت لغياث الدين بخراسان والعراق ومازندران ، لما كان جلال الدين بالهند وانضوى إليه تقرير من عسكر أبيه[١] .

وكان[٥] كل واحد من نوابه متغلبا على مكانه لايحمل أتاوه ولا يظهر بالقول طاعة ، فاستولى تاج الدين قُمِرَ على نيسابور وماحولها من أعمالها على شعث حالها ، وتغلب إلجى بهلوان على شيراز وبيهق[٢] واستولى شخص من الاسفهسلارية[٣] وقد يلقب بنظام الدين على أسفرايين[٤] ، وبندوار[٥] ومايليهما وآخر ، وكان اسفهسلار أيام السلطان الكبير يعرف بشمس الدين عمر على قلعة صلول ، واستولى تاج الدين عمر بن مسعود وكان من التركمان على أبيْوَرْد[٦] وخَرَقَان[٧] إلى مايلى مرو ، وبالجملة فإن كل من كان فى جهة من هذه الجهات بخراسان والعراق ومازندران استولى عليها ، وقعد بها ، هذا وغياث الدين منعكف على لذاته ، منهمك فى أهويته وشهواته ، لايشهد مقاما محمودا ، ولايشهر حساما مغموراً ، فتجرد إليه من التتار أثناء ذلك عشرة آلاف فارس فلم يثبت لهم ، وحين سمع بهم تسحب إلى الجبال ، فقتلوا وسبوا وأحرقوا وأخربوا ، ولما رأى الأتراك وهنه فى

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٧٤ ـ ١٧٩ .

(٢) بيهق : ومعناها بالفارسية الأجود ، وهى ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠٤ .

(٣) الاسفهسلار : اسم لوظيفة من وظائف أرباب السيوف وعامة الجند ، وصاحبها زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم وفى خدمته وخدمة صاحب الباب ، تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم ، وهى كلمة أعجمية معناها قائد الجيش .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٢ .

(٤) اسفرايين : بليدة حصينة من نواحى نيسابور على منتصف الطريق من جرجان واسمها القديم مهرجان . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٥٦ .

(٥) بندوار : مدينة قريبة من أسفرايين . انظر : سير جلال الدين منكبرتى ، ص١٨٠ ، حاشية(٨) .

(٦) أبيورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونسا . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١١١ .

(٧) خَرَقَان : قرية من قرى بسطام على طريق استراباذ
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٢٤ ؛ سيرة منكبرتى ، ص١٨١ ، حاشية(٣) .

السياسة أظهروا الفساد وخربوا البلاد ، وأفسدوا ما أبقته الأتراك من بلاد العراق ، فكانوا يأتون الضيعة فيمكثون حولها حتى تصبح ، فيخرج[١] الرعاء بمواشيهم ، فيسوقونها إلى المدينة والرعاة تستغيث فلا تغاث ، وكان ذلك كله بحكم انقطاع مواد الأموال عن خزانته ، فاضطر إلى إسكات الأتراك ، فكان إذا ألح أحدهم فى الطلب يرضيه بزيادة فى لقبه ، فإن كان أميراً لقبه ملكاً ، وإن كان ملكا لقبه خاناً ، وتحكمت والدته فيما كان تحت يد ابنه ، وتلقبت بخواندجهان[٢] ، وكان الناس فى ضنك عظيم بولاية غياث الدين ، فلما طلع السلطان جلال الدين من بلاد الهند صلح مُفسدُ الزمان وانزجر أولو العدوان[٣] .

ولما تمكن من أخيه وصار معه كأحد أمرائه ، يتصرف على حكم آرائه ، سار نحو خوزستان وأقام بها مشتيا ، وسير من هناك ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود رسولا إلى الديوان العزيز ، وكانت رسالته تتضمن تعنتا وتعتبا ، [٦] وكان من قبل جردجهان بهلوان إلجى برسم اليزك[٤] ، فصادم المذكور عسكرا من عساكر الديوان وعربًا من خفاجة ، فأوقع بهم وخرق الهيبة ، فعادوا إلى بغداد على وجه غير مرض[٥] ، وأحضرت منهم طائفة إلى السلطان فأطلقهم ، ووصل ضياء الملك بعد الحادثة إلى بغداد ، وطالت مدة المقام إلى أن ملك السلطان مراغة[٦] ، فأذن لضياء الملك فى العود ، ثم سار السلطان إلى دقوقا[٧] ، فلما أشرف عليها خرج أهلها إليه وشكوا من الإغارة التى اتفقت على بلاد الديوان ، فغاظة ذلك فأمر بالزحف عليها ، فطلعوا ووضعوا السيف فى أهلها ، ثم سار نحو أذربيجان ، فلما قاربها ساق إليها ودخلها وأقام بها أياما ، ووجه من هناك القاضى مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمى رسولا إلى ملك الروم وملوك الشام ومصر بكتب تتضمن تملكه بلاد أذربيجان ، ثم رحل من مراغة نحو عوجان[٨] ، والناس يمتارون من تبريز وبها

(١) «تتخرج» : كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٢) خواندجهان : أى سيدة العالم . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٨٢ ، حاشية (٤) .
(٣) لمعرفة المزيد عن هذا الحدث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٨٠-١٨٢ .
(٤) اليزك : لفظ فارسى معناه الطلائع .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٦٢ ، حاشية (٢) ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص١٠٥ .
(٥) «مرضى» كذا فى الأصل ، وماأثبتناه هو الصحيح لغة .
(٦) مراغة : أعظم وأشهر بلاد أذربيجان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧٦ .
(٧) دقوقا : وتكتب «دقوقاء» وهى مدينة بين إربل وبغداد .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٨١ .
(٨) عوجان : «أوجان» فى سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، وهى إحدى مدن أذربيجان . ص١٩٥ ، حاشية (٤) .

بنت طغرل[١] بن أرسلان زوجة الأتابك ، ثم سار السلطان فنزل عليها فملكها ، فسألته بنت السلطان طغرل أن يصونها ويعطيها مدينة خوى[٢] فأمر لها بها ، ونزل السلطان بدار السلطنة وتولى الرئيس نظام الملك رياستها[٣] .

ذكر ماجريات بنى أيوب

قد ذكرنا فى السنة الماضية عصيان الملك المظفر[٤] على أخيه الملك الأشرف[٥] بأخلاط ، وفى هذه السنة انتصر الأشرف عليه ، وذلك أنه لما أتى إلى أخلاط وحصرها وكان أهلها يحبونه لعدله وحسن سيرته ، وسوء سيرة أخيه المظفر شهاب الدين ، فلما نازلها سلمها أهلها إليه يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الأخرى منها ، وامتنع المظفر فى القلعة ، فلما جن الليل نزل إلى أخيه الأشرف معتذرا إليه ، فقبله وصفح عن ذنبه ولم يعاقبه على ما ارتكب من عصيانه ، وأبقى عليه ميافارقين ، وعاد الأشرف وشتى بسنجار ، وهذه من مكارم البيت العادلى ومحاسن اتفاقه[٦] .

وفى هذه السنة سيرّ الملك المعظم[٧][٧] ولده الناصر[٨] داود إلى إربل ، ليكون عند عمته[٩] زوجة مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين ، وقصد بذلك توفيق الحال بينه وبين

(١) طفرك : كذا فى الأصل ، والمثبت من نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص٢٦٨ ؛ سيرة منكبرتى ، ص١٩٥ .

(٢) خوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

(٣) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى نهاية الأرب ، ج٢٧ ، ص٢٦٧ - ٢٦٨ ؛ سيرة منكبرتى ص١٩٢ - ص١٩٦ .

(٤) الملك المظفر : هو شهاب الدين غازى بن الملك العادل صاحب ميافارقين ، توفى فى رجب سنة ٦٤٥هـ بميافارقين انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٣٣٣ .

(٥) الملك الأشرف : أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، الملقب الملك الأشرف مظفر الدين . ولد سنة ٥٧٨هـ بالديار المصرية بالقاهرة ، وقيل بقلعة الكرك ، وتوفى يوم الخميس رابع المحرم سنة ٦٣٥هـ بدمشق . انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٥٧ - ص١٥٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٧٥ - ص١٧٦ .

(٦) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ .

(٧) الملك المعظم : هو شرف الدين عيسى ، ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق ، ولد سنة ٥٧٨هـ ، وتوفى يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة ٦٢٤هـ بدمشق ودفن بقلعتها .
وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٤ - ٤٩٥ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١١٥ - ص١١٦ .

(٨) الملك الناصر صلاح الدين داود ، ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ، توفى سنة ٦٥٦هـ فى السابع والعشرين من جمادى الأولى فى قرية يقال لها البويضاء على باب دمشق ، وكانت ولادته يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى سنة ٦٠٣هـ بدمشق . وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٦ .

(٩) هى ربيعة خاتون بنت أيوب ، توفيت فى شعبان سنة ٦٤٣ هـ بدمشق ، وجاوزت الثمانين سنة ، ودفنت فى مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح قاسيون .
وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٢٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٢ .

مظفر الدين ، وذلك بعد اتفاقهما على المعاضدة والتظاهر والتوازر ، وأن يكونا يدا واحدة[١] .

وفى تاريخ ابن كثير[٢] : وفى هذه السنة أرسل المعظم ولده الناصر إلى صاحب إربل[٣] تقوية على مخالفة الملك الأشرف ، وأرسل صوفيا من الشُمَيْسَاطِيّة يقال له : الملق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه ـ وكان قد أخذ أذربيجان فى هذه السنة وقوى جأشه ـ يتفق معه على أخيه الأشرف فوعده جلال الدين النصر والرفادة . وفى المرآة[٤] : وفى هذه السنة ظهر جلال الدين فى أذربيجان واستولى عليها ، فبعث المعظم إليه رجلا صوفيا فى رسالة ، واتفق المعظم وابن زين الدين صاحب إربل مع جلال الدين على الأشرف ، وبعث المعظم ولده الناصر داود إلى ابن زين الدين رهينة وعبر الفرات عند الحديثة[٥] ، ومضى إلى إربل ، واستولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل ، وأظهر أن محمود ابن القاهر مات ، وكان قد أمر بخنقه على ماسبق .

وفى هذه السنة قدم الملك المسعود[٦] أقسس صاحب اليمن على أبيه السلطان الملك الكامل بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بالديار المصرية ، ومعه شىء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك : مائتا خادم وثلاثة أفيلة هائلة ، وأحمال عود ، وند ، ومسك ، وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ، ومن نية الأقسيس أن ينزع الشام من يد عمه الملك المعظم[٧] . وقال أبو شامة[٨] : وكان أحد الأفيلة كبيرا وعليه محفة بدرابزين ، يصعد فيها عشرة أنفس فياله ، راكب على رقبته ، وبيده كلاب حديد يضربه به كيفما أراد ، وخرج

---

(١) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧
(٢) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ .
(٣) صاحب إربل هو مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٣٧ .
(٤) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤١٦ ـ ٤١٧ ؛ وانظر أيضا : الذيل على الروضتين ص١٤٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ .
(٥) الحديثة : هى الحديثة التى على الفرات وتعرف بحديثة النورة وهى على فراسخ من الأنبار وبها قلعة حصينة فى وسط الفرات والماء يحيط بها . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٣ .
(٦) الملك المسعود أقسيس : هو الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل أبو المعالى محمد بن الملك العادل الأيوبى ، ويقال له أيضا «أطسيس» ومولده فى سنة ٥٩٧هـ ، توفى بمكة فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٢٠ .
(٧) ورد هذا الحدث فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٨ ـ ١٢٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ .
(٨) الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ .

الملك الكامل للقاء ولده ، فلما قربت الفيلة من الكامل أمرها سُوَّاسُها فوضعت رؤُسُها على الأرض بين يدى الكامل خدمه له .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه كمل عمارة دار الحديث(١) ، التى بناها الملك الكامل بين القصرين ، وولى مشيختها الحافظ(٢) أبى الخطاب بن دحية الكلبى ، وكان مكثرا كثير الفنون ، وعنده فوائد وغرائب وعجائب(٣) .

ومنها أن ببغداد[٨] قرية يقال لها بعقوبا ، فيها نخل كثير ، وليها ناظر متشيع ، وكان بها رجل من أهلها له نخل ، فصادره الناظر وأخذ منه ألفى نخلة ، فجعل يسب الناظر ويدعو عليه ، وبلغ الناظر فأحضره وأمر بضربه ، فقال له : بالله عليك أنصفنى . فقال : قل . قال : أنتم تسبون أبا بكر (رضى الله عنه) وتقولون أخذ فدك من فاطمة عليها السلام ، وإنما فى فدك نخيلات يسيرة تأخذ أنت منى ألفى نخلة ، وأسكت . فضحك الناظر ورد إليه نخله(٤) .

ومنها أن الملك الكامل قد أرضى بنى شيبة سدنة الكعبة بمال أطلقه لهم ، عوضا عما كانوا يأخذونه «بإغلاق(٥) الباب وفتحه لمن أرادوا» ، وكان الناس ينالون من ذلك شدة ، ويزدحمون عند فتح الباب ، ويتسلق بعضهم على رقاب بعض ، فينكسر بعض ويشرخ بعض ، فأزال ذلك عن الناس فى هذه السنة وما بعدها مدة بقائه فى المملكة(٦) .

---

(١) دار الحديث : ليس بمصر دار حديث غيرها ، وغير دار الحديث بالشيخونية . قال المقريزى : وهى ثانى دار عملت للحديث ، فإن أول من بنى دار حديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار ، وقد وليها بعد الحافظ ابن دحية الكلبى أخوه أبو عمرو عثمان ، ثم الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٩ ، حاشية(٢) .

(٢) الحافظ أبى الخطاب بن دحية الكلبى : هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن محمد الجُمَيِّل بن فَرْح بن خلف بن قُويس بن مَزْلال بن مَلَّال بن بدر بن أحمد بن دِحْية بن خليفة بن فروة الكلبى ، المعروف بذى النسبين ، الأندلسى البلنسى الحافظ ، وهو من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ، متقنا لعلم الحديث النبوى ، عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب ، وكانت ولادته فى مستهل ذى القعدة سنة ٥٤٤هـ . وتوفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٣٣هـ بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم .
وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٤٨ ـ ص٤٥٠ .

(٣) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٢٨ ـ ص١٢٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٢ ـ ١١٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ .

(٥) «بإغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا» تكررت هذه الجملة خطأ فى الأصل ، وتم حذف الجملة المكررة لاستقامة المعنى .

(٦) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ـ ص١٤٣ .

وفيها حج بالناس من بغداد ابن أبى فراس ، ومن الشام شجاع الدين على بن السلار ، وكان أبو شامة حج فى هذه السنة مع والده ، وذكر أنه اجتمع بمكة بالشيخ المقرئ عثمان بن أحمد الإربلى الحنبلى ، وأنه أنشده بالمسجد الحرام :

أيا نائما فى ظلام الدجى تيقظ   فصبح الدجا قد أضاء
أتاك المشيب ولوعاته   وولى شبابك ثم انقضى
فلو كنتَ تذكر ما قد جنيت   لضاق عليك اتساع الفضا

قال : ونظمت فى طريقى تلك السنة قصيدة ميمية ، ذكرت فيها المنازل من دمشق إلى عرفات ، ووصفت فيها ما أمكن من أماكن الزيارات . أولها :

مازلت أشتاق حج البيت والحرم   وأن أزور رسول الله ذا الكرم

وهى طويلة . قال : أقول فيها تعبيرا عن فتح باب الكعبة للحجيج مطلقا :

وأسرعوا نحو ذاك البيت حاسرة   رؤوسهم بين مطواف ومستلم
والباب قد أطلقوه للحجيج فلم   يروا به مانعا طولُ مقامهم[١]

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أحمد[٢] بن محمد بن على القادسى : الضرير الحنبلى والد صاحب الذيل على تاريخ ابن الجوزى ، وكان القادسى هذا يلازم حضور مجلس ابن الجوزى ويزهزه لما سمعه من الغرائب . ويقول : والله[٩] إن ذا مليح . فاستقرض منه ابن الجوزى مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولايتكلم . فقال الشيخ ابن الجوزى مرة : هذا القادسى لايقرضنا شيئا ، ولايقول : والله إن هذا لمليح . توفى فى هذه السنة .

أبو الكرم[٣] المظفر بن المبارك بن أحمد بن محمد البغدادى الحنفى ، شيخ مشهد أبى حنيفة (رضى الله عنه) وغيره ، وولى الحسبة[٤] بالجانب الغربى من بغداد ، وكان فاضلا دينا شاعرا ، مات فى هذه السنة .

(١) ورد هذا الخبر والشعر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٢ ـ ص١٤٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ .
(٢) انظر : الذيل على الروضتين ص١٤٣ ـ ١٤٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٣ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٩٤ .
(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٣ .
(٤) الحسبة : هى وظيفة شرعية من واجبات صاحبها «المحتسب» أن يراقب الآداب العامة ، وتنفيذ الأحكام الدينية ، من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويجلس فى دار العدل أيام المواكب السلطانية .
صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٧ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١١٩ ، حاشية(٣) .

محمد[١] **بن أبى الفرج بن بركة ، فخر الدين أبو المعالى الموصلى** ، قدم بغداد ، واشتغل بالنظامية[٢] وإعادتها ، وكانت له معرفة بالقراآت ، وصنف كتابا فى مخارج الحروف ، وأسند الحديث ، وله شعر لطيف .

أبو بكر[٣] **بن حلبة الموازينى البغدادى** : كان فردا فى علم الهندسة وصناعة الموازين ، يخترع أشياء غريبة عجيبة ، من ذلك : أنه ثقب حبة خشخاش سبعة ثقوب ، وجعل فى كل ثقب شعره ، وكانت له حظوة عند الدولة . مات فى هذه السنة .

أحمد[٤] **بن جعفر بن أحمد بن محمد أبو العباس الدثينى البيع الواسطى** ، شيخ أديب فاضل ، له نظم ونثر ، عارف بالأخبار والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبى العلاء المعرى فى ثلاثة مجلدات . مات فى هذه السنة ، والله أعلم .

---

(١)انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٣ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٩٦ .

(٢) النظامية : هى المدرسة التى بناها الوزير نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحاق بن العباس ، وزير السلطان ملكشاه السلجوقى ، وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس ، وقد شرع فى عمارة هذه المدرسة ببغداد سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م . وفرغت عمارتها فى سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م .

انظر : الكامل ، ج١٠ ، ص٤٩ ، ص٥٥ ؛ وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص١٢٨ ـ ص١٢٩ .

(٣)انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٣ .

(٤)انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٤ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثانية والعشرين بعد الستمائة

استهلت هذه السنة والخليفة توفى فيها وبقية أصحاب البلاد على حالهم ، ولكن أهل ماوراء النهر وخراسان وغيرها فى تشويش عظيم من جهة جنكيزخان وأصحابه الأشقياء .

ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله

والكلام فيه على أنواع :

(الأول) فى ترجمته : هو أبو العباس أحمد الملقب بالناصر لدين الله بن المستضئ بأمر الله ، أبو[1] المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة ، محمد بن القائم بأمر الله ، أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبو العباس أحمد ابن اسحاق بن المقتدر بالله أبو الفضل ،[١٠] جعفر بن المعتضد بالله أبو العباس أحمد ابن الموفق ، أبو أحمد بن المتوكل على الله ، جعفر بن المعتصم بالله أبو اسحاق محمد ابن هارون الرشيد بن المهدى ، محمد بن عبد الله أبو جعفر المنصور بن محمد بن على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى العباسى أمير المؤمنين ، وأمه أم ولد تدعى زُمرد ، ومولده يوم الاثنين عاشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين وخمسمائة[2] .

(الثانى) فى سيرته :

قال ابن الأثير[3] : كان قبيح السيرة فى رعيته ، ظالما لهم ، فخرب فى أيامه العراق ، وتفرق أهله فى البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل الشىء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دورا للإفطار فى رمضان ، ودورًا لضيافة الحجاج ، ثم أبطل ذلك . وكان قد أسقط

(*) يوافق أوله ١٣يناير ١٢٢٥ م

(١) «أبى» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ماأثبتناه .

(٢) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٣٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٤ ـ ص١١٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٩٧ ـ ص٩٨ .

(٣) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ؛ وورد هذا الخبر أيضا فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٣ـ ص١٦٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .

مكوساً ثم أعادها ، وجعل جل همته فى رمى البندق والطيور المناسيب وسرا وبلات الفتوة . وقال ابن الأثير[١] : وإن كان ماينسب العجم إليه صحيحا من أنه هو الذى أطمع التتار فى البلاد وراسلهم ، فهو الطامة الكبرى التى يصغر عندها كل ذنب عظيم . وقال ابن كثير[٢] : وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسل الوافدين عليه فعلتم فى مكان كذا وكذا وكذا ، وفى الموضع الفلانى كذا حتى ظن بعض الناس أو كثير منهم أو أكثرهم أنه كان يكاشف له ، أو أن جنيا يأتية بذلك والله أعلم .

وقال النويرى[٣] : كان قبيح السيرة ، ظالما للرعية ، وكان يتشيع ، وكان منصرف الهمة إلى رمى البندق والطيور المناسيب ويلبس سرا ويلات الفتوة ، ومَنعَ من رمى البندق إلا من ينسب إليه ، فأجابه الناس إلى ذلك إلا رجلا واحداً ، يقال له ابن السنة ، فهرب من بغداد إلى الشام .

وكان ذا هيبة عظيمة ، وكان له أصحاب فى العراق كلها يأتونه بأخبار الناس ، ويطالعونه بها ، حتى كان الرجل يخشى أن يتحدث مع زوجته إذا خليا . وذكر أن رجلا من أهل بغداد عمل دعوة فغسل يده قبل إضيافه فطالع [١١] أصحاب الأخبار الخليفة بذلك ، فكتب : سوء أدب من صاحب الدار ، وفضول من كاتب المطالعة[٤] .

وبلغه أن شخصا من أهل بغداد يرى صحة خلافة يزيد بن معاوية فأحضره ليعاقبه على هذا القول ، فكان جوابه : أنا أقول : إن الإمام[٥] لاينعزل عن الإمامة بارتكاب الفسق . فأعرض الخليفة عنه ، وأطلقه ، إذ لايمكن مخالفته فى ذلك[٦] .

وفى عيون المعارف : وكان الخليفة الناصر لدين الله بصيرا بالأمور مجربا ، سائساً مهيباً ، مقداما ، عارفاً ، شجاعا ، متأيدا ، حاد الخاطر ، متوقد الذكاء والفطنة ، بليغا ، غير مدافع عن فضلية علم ولا بادرة فهم ، يفاوض العلماء مفاوضة خبير ، ويمارس الأمور

---

(١) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ؛ وورد هذا الخبر أيضا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .
(٢) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .
(٣) بالبحث لم يرد هذا الخبر فى النويرى ، نهاية الأرب ، ولكنه ورد بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ، مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٣ ـ ص١٦٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .
(٤) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٣ .
(٥) «إن الإمام لاينعزل بالفسق عن الإمامة بارتكاب» كذا وردت هذه الجملة فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٦ ، لاستقامة المعنى .
(٦) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٦ .

السلطانية ممارسة بصير ، يرى رأى الإمامية[١] الإثنى عشر ، وكان عاكفا على جمع المال والتولية والعزل والمصادرة ، قوى النفس فيما يحاوله ، شديد الفتك والانتقام ، ولم ينقطع الحج فى أيامه أبدا[٢] .

وعمر عمارات كثيرة ، ووقف عليها وقوفاً كرباط الحريم ورباط المرزبانية ، وتربة والدته ، وتربة زوجته سلجوقى خاتون ، ابنة السلطان أرسلان بن سليمان بن قتلمش ملك الروم ، وغير ذلك مما هو أشهر أن يذكره . ودفع مرارا كثيرة إلى ثقات من خواصه أموالا كثيرة يقضى بها ديون المحبوسين وفاء ومصالحه[٣] .

وصفى له الملك ومعاناة أمور رعيته بنفسه حتى كان يمشى فى الليل فى دُرُب بغداد ليعرف أخبار الرعية ومايدور بينهم ، وُيثُيب ويعاقب على مايشاهده ويسمعه . وكان كل واحد من أرباب المناصب العالية والرعايا يخافه ، بحيث كأنه يطلع عليه فى داره ، وكثرت جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين فى أطراف البلاد ، وله مثل هذه قضايا غريبة[٤] .

وصنف كتاباً فى الأحاديث النبوية سماه «روح العارفين» ، وقرئ عليه وأسنده عن مشايخه الذين روى عنهم مافيه ، وكان تاريخ نقله لما رواه عن شيوخه سنة سبعين وخمسمائة ، وأمر الناس أن يسمعوه فى العراق وفى سائر [١٢] الآفاق[٥] .

وفى تاريخ بيبرس : وكان يفعل أفعالا متضادة ، وأطلق بعض المكوس التى جددها ببغداد خاصة ثم أعادها . وكان ذا فكرة صائبة وعقل رصين ودهاء ومكر ، وكانت هيبته عظيمة ، وسطوته شديدة[٦] . وله شعر مشهور ، منه أنه اعتقل بعض أرباب دولته فكتب إليه المعتقل ، وهو نصير الدين العجمى وزيره :

---

(١) الإمامية : هم القائلون بإمامة على (رضى الله عنه) بعد النبى ﷺ نصا ظاهرا وتعيينا صادقا غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين . الشهر ستانى ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، ج١ ، ص١٦٢ - ص١٧٣ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٧٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٦ ، حاشية(٢) .

(٢) لمعرفة المزيد من صفات الخليفة الناصر لدين الله . انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٧ - ص٩٨ .

(٣) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٩ .

(٤) ورد هذا الخبر باختصار فى شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٧ .

(٥) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٥ .

(٦)ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .

أَلْقِنى فى لظى فإن غَيرتنى فتيقن أن لستُ باليـاقوت
عَرَفَ النَّسْجُ كُلٌّ من حاكَ لكن نَسْجُ داود ليس كالعنكبوت

فكتب الخليفة فى جوابها :

نَسْجُ داود لم يُفِد صاحب الـ غار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند[1] فى لهب النـ ار يزيلُ فضيلة الياقوت[2]

وفى تاريخ ابن[3] العميد : وسيرته أنه كان فاضلا أديباً ذا رأى وتمييز[4] وحزم وسياسة ، وفكرة جيدة وبديهة حاضرة ، إلا أنه كان محبا لجمع المال ، وظلم الرعايا والتجار والمترددين إلى بغداد ، وأخذ أموالهم ، وكان يباشر الأمور بنفسه[5] .

(الثالث) فى وفاته : توفى ليلة الأحد سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكان مرضه قد طال به وجمهوره من عسار البول ، مع أنه كان يجلب له الماء من مراحل عن بغداد ليكون أصفى ، وشق ذَكَره مرات بسبب ذلك ، ولم يغن عنه هذا الحذر شيئا[6] . وفى عيون المعارف : وتوالت عليه فى آخر عمره أمراض ذهبت إحدى عينيه ، وأصابه الحصى.وعسر البول .

وقال ابن الأثير[7] : وبقى الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية ، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصارا ضعيفا ، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يوما ومات ، ولم يطلق فى أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة .

---

(١) السمند : يقال أن السمند لدابة دون الثعلب ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل إذا اتسخت ألقيت فى النار فلاتحترق ، كما يقال أن السمند لطائر ببلاد الهند لاتؤثر فيه النار ، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام ، فإذا اتسخ بعضها طرح فى النار فتأكل النار وسخه ولايحترق المنديل .
مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٨ ، حاشية(٣) .

(٢) وردت هذه الأشعار فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٨ .

(٣) أخبار الأيوبيين ، ص١٣ ، مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر .

(٤) «وتدبير» كذا فى الأصل ، والمثبت من أخبار الأيوبيين حيث ينقل عنه العينى ، ص١٣ .

(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٦٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .

(٦) الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٨ - ص٩٩ .

(٧) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ .

وفى تاريخ بيبرس : وكان الإمام الناصر قد عمى فى آخر عمره ، وقيل : بل ذهبت إحدى عينيه . وكان موته بالدوسنطارية بأمراض به عشرين يوما ، وتوفى فى أول شوال من هذه السنة[١] .

وفى المرآة[٢] : وكان قد قل بصره ، وقيل : ذهب بصره ، وكانت[١٣] به أمراض مختلفة منها : عسر البول والحصى ،ولقى منه شدة ، وشُقَّ ذَكَرُه مراراً ومازال يعتريه مرارا حتى قتله .

قال السبط[٣] : وغسله خالى أبوجعفر محمد بن يوسف ، وكان قد عمل له ضريحا عند موسى بن جعفر ، فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافة ، فحمل فى تابوت ودفن عند أهله ، وقيل : توفى فى سابع عشرين رمضان .

وفى عيون المعارف : وكان الذى ولى غسله محيى الدين يوسف بن الجوزى بن الشيخ أبى الفرج ، وصلى عليه ودفن فى دار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب فى الرصافة فى ثانى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان يوما مشهوداً عظيما .

(الرابع) فى ذكر مايتعلق به : كان عمره يوم مات تسعا وستين سنة وشهرين وعشرين يوما ، وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً ، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيين قبله فى الخلافة هذه المدة الطويلة ، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقا أكثر من المستنصر العبيدى الفاطمى ، أقام بمصر حاكماً ستين سنة ، وقد انتظم فى نسبه أربعة عشر خليفة وولى[٤] عهد على مارأيت ، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من بنى عمه وعماته[٥] .

وفى تاريخ بيبرس : لم يبلغ مدة أحد من الخلفاء إلى هذا الحد فى الخلافة ، وأما من دعى له فى الأطراف وكانوا فى حكم الخوارج فمنهم من زادت مدته على مدة الإمام

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ؛المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .
(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤١٨ .
(٣) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ - ص٤١٩ .
(٤) «ووليا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ .

الناصر ، فإن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس الملقب أيضا بالناصر لدين الله ولى نحوا من خمسين سنة ، والمستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر بأمر الله صاحب مصر ولى نحوا من ستين سنة(١) .

وفى تاريخ ابن(٢) العميد : وكانت مدة خلافته ست(٣) وأربعين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما ، أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم السبت ، وذلك لتتمة ستمائة وإحدى وعشرين سنة ، وثمانية أشهر ، وستة وعشرين يوما للهجرة ، ولتمام ست(٤) آلاف سنة وسبع مائة سنة ، وسبع عشرة سنة ، وسبعة وثلاثين يوماً [١٤] للعالم شمسية .

وقال أبو شامة(٥) : ووزر له عدة وزراء ، وكان له خادم اسمه رشيق ، قد استولى على الخلافة ، وأقام مدة فوقع عن الخليفة .

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

وهو الخامس والثلاثون من خلفاء بنى العباس . لما توفى الإمام الناصر لدين الله فى التاريخ المذكور بوُيع لولده الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد ، فأظهر العدل ، وأزال المكوس ، وأفرج عن المحبوسين ، وظهر للناس ، وكان الناصر ومن قبله من الخلفاء لايظهرون إلا نادرا . ولم تطل مدة إقامته فى الخلافة(٦) إلا أشهر(٧) .

وقال ابن كثير(٨) : ولما توفى الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد لابنه أبى نصر محمد عهدا ولقبه بالظاهر ، وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه على ، فتوفى فى حياة أبيه سنة ثنتى عشرة وستمائة ، فاحتاج إلى إعادته إلى ولاية العهد ، فخطب له ثانيا ، فحين توفى بويع له وعمره يومئذ ثنتان وخمسون سنة ، ولم يل الخلافة

---

(١) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٨ - ص١٥٩ .
(٢) أخبار الأيوبيين ، ص١٣ .
(٣) «ستة» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه هو الصحيح لغة .
(٤) «ستة» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه هو الصحيح لغة .
(٥) الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ؛ وورد أيضا هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ .
(٦) «إلا مدته أتام» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧١ .
(٧) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤١ ، ص٤٤٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ - ص١١٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٩ .
(٨) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ - ١١٦ .

من بنى العباس أسن منه . وكان عاقلا وقورا دينا عادلا محسنا ، رد مظالم كثيرة وأسقط مكوساً كان قد أحدثها أبوه ، وسار فى الناس حسناً حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن العزيز (رضى الله عنه) أعدل منه لو طالت مدته . لكنه لم يحل عليه الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر . أسقط الخراج الماضى عن الأراضى التى قد تعطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهى باعقوبا[١] سبعين ألف دينار ، وكان أبوه قد زادها عليهم فى الخراج وكانت صنجة[٢] المخزن تزيد عن صنجة البلد نصف دينار فى كل مائة ، إذا قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد . فكتب إلى الديوان ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣] فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا كان فى العام الماضى خمسة وثلاثون[٤] ألفا . فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلثمائة ألف وخمسين ألفا . وأمر القاضى أن كل من ثبت له حق بطريق شرعى فوصل إليه بلا مراجعة ، وأقام فى النظر على الأموال الجردة رجلا صالحا ، واستخلف على القضاء الشيخ العلامة [١٥] عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلى ، فى يوم الأربعاء ثامن ذى الحجة ، وكان من خيار المسلمين ومن القضاة العادلين ، ولما عرض عليه القضاء لم يقبل إلا بشرط أن يورث ذوى الأرحام . فقال : اعط كل ذى حق حقه واتق الله ولاتتق سواه ، وكان من عادة أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب «فى[٥] كل صباح» بما كان عندهم فى المحال من الاجتماعات الصالحة والطالحة ، فلما ولى الظاهر الأمر[٦] شطب ذلك كله . وقال : أى فائدة فى كشف أحوال الناس وهتك أستارهم . فقيل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية . فقال : نحن ندعو الله لهم أن يصلحهم . وأطلق كل من كان فى السجون معتقلا على

(١) باعقوبا : قرية كبيرة كان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان . معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٧٢ .
(٢) صَنْجَة : جمعها صنوج وهى صنجة الميزان كالمكيال ومكيالاتها معتبرة بالمكوك ، وصنجة دمشق وحلب وطرابلس تنقص عن الصنجة المصرية .
صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٣٦ - ٢٣٧ ؛ لسان العرب ، مادة «صنج» .
(٣) سورة المطففين ، آية رقم(٨٣) .
(٤) «وثلاثين» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) « فى كل ليلة صبيحة » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية حيث ينقل عنه العينى ، ج١٣ ، ص١١٦ .
(٦) «أمر» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لاستقامة المعنى .

الأموال الديوانية ، ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم ، وأرسل إلى القاضى عشرة آلاف دينار يوفى بها ديون من فى سجونه من المدينين الذين لايجدون وفاء ، وفرق على العلماء بقية المائة ألف . وقد لامه بعض الناس فى هذه التصرفات . فقال : إنما فتحت الدكان بعد العصر ، فما قدر ما أكسب؟ وأفعل الخير ، وكم مقدار ما أعيش؟ ولم تزل هذه سيرته حتى توفى(رضى الله عنه) فى العام الآتى[١] على ماسنذكره إن شاء الله تعالى . ورخصت الأسعار فى أيامه ، وقد كان قبل ذلك فى غاية الغلاء . حتى حكى ابن الأثير ، أنه أكلت الكلاب والسنانير[٢] ببلاد الجزيرة والموصل ، فزال ذلك . وكان الظاهرحسن الشكل ، مليح الوجه ، أبيض مشربا حمرة ، حلو الشمائل ، شديد القوى[٣] .

وفى تاريخ بيبرس : بويع له فى الثانى من شوال من هذه السنة عند وفاة والده ، وهو شيخ متقدم فى العمر فقال : متى يستفتح من يفتح دكانه بعد العصر؟ وفى المرآة[٤] : كان الإمام الناصر خطب لابنه الظاهر بولاية العهد فى سنة خمس وثمانين وخمس مائة ، وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة ، لأنه ولد فى المحرم سنة سبعين وخمسمائة ، وخطب له على المنابر ، وعزله فى سنة إحدى وستمائة ، ثم أعيد إلى العهد فى سنة ثمانى عشرة وستمائة ، ولما مات أبوه استدعى القمى تقى الوزير وقشتمر والأعيان إلى البدرية[٥] فشاهدوا الناصر ميتاً مسجى فبايعوا أبا[١٦] نصر محمدا ولقبوه بالظاهر بأمر الله ، وهذه البيعة الخاصة ثم بويع البيعة العامة ، حضر القضاة والأعيان فبايعوه وصلى على أبيه بالتاج ، وعمل العزاء ثلاثة أيام وفرق الأموال وأبطل المكوس وأزال المظالم[٦] .

---

(١) «الماضى» فى الأصل والتصحيح من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٦ . حيث ينقل عنه العينى .

(٢) السنانير : المفرد «السِّنور» وهو الهِّر ، والأنثى سنورة .

صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٥٠ ـ ص٥١ ؛ المصبّاح المنير ، مادة «سَنَر» .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٥ ـ ص١١٦ .

(٤) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤١٩ .

(٥) البدرية : إحدى مدارس الحنفية قبالة الشبلية ، بالجبل عند جسر كحيل ، وقد بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية المعروف بلالاسنة ٦٣٨هـ . انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٤٧٧ .

(٦) إلى هنا توقف العينى عن النقل من سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤١٩ .

ذكر ماجريات جلال الدين بن خوارزم شاه

قدم من بلاد الهند إلى كرمان فى هذه السنة ، وقد ذكرنا أنه هرب من غزنة لما قصده جنكيزخان فى سنة سبع عشرة وستمائة ، ثم بعد قدومه إلى كرمان قدم إلى أصفهان واستولى عليها وعلى باقى عراق العجم ، ثم سار إلى فارس وانتزعها من أخيه غياث الدين تترشاه وأعادها إلى صاحبها سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس وصار سعد وغياث الدين المذكوران[1] تحت حكم جلال الدين وفى طاعته ، ثم استولى على خوزستان[2] ، وكانت للخليفة الناصر لدين الله ، ثم سار حتى قارب بغداد ووصل إلى باعقوبا ، وخاف أهل بغداد منه واستعدوا للحصار ، ونهبت الخوارزمية البلاد ، وامتلأت أيديهم من الغنائم ، وقوى جلال الدين وجمع عسكره الخوارزمية ثم سار إلى قريب إربل ، فصالحه صاحبها مظفر الدين ودخل فى طاعته ، ثم سار إلى أذربيجان ، وكرسى مملكتها تبريز ، واستولى على تبريز ، وهرب صاحب أذربيجان وهو أزبك بن البهلوان بن الدكز ، وكان أزّبك قد قوى أمره لما قتل طغريل آخر الملوك السلجوقية ببلاد العجم ، فاستقل أزبك المذكور فى المملكة . وكان أزبك لايزال مشغولا بشرب الخمر وليس له التفات إلى تدبير المملكة ، فلما استولى جلال الدين على تبريز هرب أزبك إلى كنجة ، وهى من بلاد أران قريب بردعة ، متاخمة لبلاد الكرج ، واستقل السلطان جلال الدين بملك أذربيجان ، وكثرت عساكره ، واستفحل أمره ، ثم جرى بينه وبين الكرج قتال شديد ، انهزمت فيه الكرج وتبعهم الخوارزمية يقتلونهم كيف شاءوا ، واتفق أنه ثبت على[١٧] قاضى تبريز وقوع الطلاق من أزبك بن البهلوان على زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية الذى ذكرناه ، فتزوج جلال الدين بنت طغريل المذكور ، وأرسل جيشا إلى مدينة كنجة ففتحوها وهرب مظفر الدين أزبك بن البهلوان من كنجة إلى قلعة هناك ، ثم هلك وتلاشى أمره[3] .

---

(١) «المذكورين» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٢) خوزستان : اسم لجميع بلاد الخوز متاخم نواحى تستر وجنديسابور ، وناحية أيدج وأصفهان .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٤ .

(٣) لمعرفة المزيد عن هذا الحدث .
انظر : الكامل فى التاريخ ، ج١٢ ، ص٤٢٥ ـ ص٤٢٨ ؛ سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص١٧٤ ، ص٢١٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٢ ـ ١٥٥ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٤ ـ ص١٣٥ .

وقال ابن كثير(١) : لما استحوذ جلال الدين على بلاد أذربيجان استحوذ على مال كثير من بلاد الكرج ، فإنه كسر الكرج ، وهم سبعون ألف مقاتل فقتل منهم عشرين ألفا ، وفتح تفَلِيْس(٢) فقتل منها ثلاثين ألفا . وزعم أبو شامة(٣) : أنه قتل من الكرج سبعين ألفا فى المعركة وقتل من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد(٤) .

وفى المرآة(٥) : وفى ربيع الأول وصل خوارزم شاه جلال الدين إلى دقوقا(٦) فافتتحها عنوة ، وأوقع السيف فى أهلها ، ونهب أموالهم ، وسبى حريمهم ، وهتك نساءهم ، وأحرق البلد وهدم سوره ، وكانوا قد عصوا عليه وسبُّوه من الأسوار ، وبالغوا فى شتمه ، وعزم على قصد بغداد ، فانزعج الخليفة وأخرج المال ، وفرق فى العساكر ألف ألف دينار ، ونصب المجانيق على الأسوار ، وفرق السلاح ، وفتح الأهراء(٧) . وقال السبط(٨) : حكى لى المعظم(رحمه الله) قال : كتب إلى جلال الدين يقول : تحضر أنت ومن عاهدنى واتفق معى حتى نقصد الخليفة فإنه كان السبب فى هلاك أبى ومجئ الكفار إلى البلاد ، ووجدنا كتبه إلى الخطا(٩) وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخلع . وقال المعظم : فكتبت إليه : أنا معك على كل أحد إلا على الخليفة فإنه إمام المسلمين . قال : وبينما هو على عزم بغداد ، وكان قد جهز جيشا إلى الكرج إلى تفليس ، فكتبوا إليه : أدركنا فما لنا بالكرج طاقة ، وبغداد ماتفوت . فسار إلى تفليس فخرج إليه الكرج ، فضرب معهم

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٤ .

(٢) تفليس : بلد بأرمينيا الأولى ، وهى قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب ، وتقع على نهر أرس .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٥٧ - ص٨٥٩ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص١٤٤ .

(٤) سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢١١ - ص٢١٢ ؛ الذيل على الروضتين ص١٤٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٤ .

(٥) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤١٧ .

(٦) دقوقا : مدينة بين أربل وبغداد . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٨١ .

(٧) الأهراء : هى حواصل لخزن أنواع الغلال المتنوعة وتحمل إليها من جهات مختلفة ولاتفتح إلا عند الضرورة . وللأهراء ديوان له ناظر ، وتعرف الأهراء فى مصطلحنا الحديث بالشونة .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٥٢ .

(٨) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ - ص٤١٨ .

(٩) الخطا : هم قبائل أسسوا دوله لهم فى إقليم التركستان فى مستهل القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى على يد« بى لوتاشى» ، وقامت هذه الدولة على الحدود الشرقية للأقاليم الإسلامية .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٦ ، حاشية(٣) .

مصافا ، فقتل منهم سبعين ألفا ، وفتح تفليس عنوة ، وقتل منها ثلاثين ألفا فصاروا مائة ألف ، وذلك فى سلخ ذى الحجة(١) .

ذكر الحرب الواقعة بين المسلمين والكرج

وفى هذه السنة اتفقت الحرب بين المسلمين والكرج وذلك [١٨] أن شروان شاه رشيد صاحب الدربند(٢) كان سئ السيرة ، كثير الفساد والظلم لرعيته ، فاشتدت وطأته عليهم ، فاتفق بعض العسكر مع ولده عليه ، فأخرجوه من البلاد ، وملكوا ولده أغا ، فأحسن السيرة فأحبته العساكر والرعية ، وأرسل إلى والده يقول له : المصلحة أنك تكون فى بعض القلاع ، وأجرى لك مايقوم بك . فلما سمع رسالة ابنه سار إلى الكرج ، واستنصر بهم ، وطلب منهم أن يسيروا معه عسكرا إعانه له على استيعاده البلاد إلى نفسه من ولده ، فسيروا معه عسكراً كثيرا ، فسار بهم وسار ابنه إليه فى عسكره ، وكانوا نحو ألف فارس ، ولقى أباه والكرج وهم نحو ثلاثة آلاف فارس ، واقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت الكرج ، وقتل منهم وأسر خلق كثير ، وعادوا بأسوأ حال ، وقالوا لشروان شاه المخلوع : إنا لم نلق بسببك خيرا ، فلا تقم ببلادنا . ففارق بلادهم وبقى مترددا لايأوى إلى أحد ، واستقر ولده فى الملك ، ورد إلى الرعية ما اغتصبه أبوه من أملاكهم ، وما أخذ منهم(٣) .

وفيها سار جمع من الكرج(٤) من تفليس يقصدون بلاد أذربيجان ، وهى بيد مظفر الدين أزبك بن البهلوان ، ونزلوا وراء مضيق فى الجبال لايسلكه إلا الفارس بعد الفارس ، فأقاموا به آمنين من المسلمين اغترارا بحصانته ، وأنه لاطريق إليهم ، فركبت طائفة من العساكر الإسلامية وقصد وهم فى ذلك المضيق ، فلم يشعروا إلا وقد كبسهم المسلمون ، وبذلوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا ، وولى الباقون منهزمين ، فعظم ذلك على الكرج ، وعزموا على قصد أذربيجان للأخذ بثأرهم ، وبينما هم كذلك إذ وصل

---

(١) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٧ - ص٤١٨ ؛ وانظر أيضا الذيل على الروضتين ، ص١٤٤ .

(٢) دربند : هى باب الأبواب ، وهى مدينة على الشاطئ الغربى لبحر قزوين قبالة تفليس وتسمى أحيانا بباب الحديد ، وهى كلمة فارسية معناها فى الأصل سنبلة من حديد ، يقفل بها باب الدكان وتستعمل أيضا بمعنى المضايق والطرقات .
معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٣٧ - ص٤٤٢ ، ج٢ ، ص٥٦٤ .

(٣) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٣٠ - ص٤٣١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٦ - ص١٤٧ .

(٤) فى الأصل : «الكرد» والصحيح ما أثبتناه . الكامل ، ج١٢ ، ص٤٣١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٧ .

إليهم الخبر بوصول السلطان جلال الدين خوارزم شاه إلى مراغة ، فراسلوا أزبك بن البهلوان يدعونه إلى الصلح والاتفاق معهم على رد جلال الدين ، فعاجلهم جلال الدين قبل اتفاقهم ووصل إلى مراغة فملكها(١) .

وأتاه الخبر أن[١٩] يغان طايسى وهو خال غياث الدين تترشاه وزوج أخت جلال الدين سار إلى همذان ومعه من العساكر نحو خمسة آلاف فارس ، ليملكها ويستولى على عراق العجم ، وكان سبب قصده هذه الناحية أن الخليفة الإمام الناصر لدين الله كتب إليه يطمعه فيها ويقطعه إياها ، فسار إلى تلك الناحية ليستولى عليها ، ولما بلغ ذلك السلطان جلال الدين سار إليه جريدة(٢) ، فوصل إليه ليلاً فأحاط به وبما غنمه من أذربيجان وأران من خيل وبغال وبقر وغنم ، فلما أصبح يغان طايسى ورأى العسكر والجتر(٣) الذى يكون على رأس جلال الدين علم أنه هو ، فسقط فى يده ، فأرسل زوجته وهى أخت السلطان إليه ؛ يطلب منه الأمان ، فأمنه وأحضره عنده ، وانضاف عسكره إلى عسكر جلال الدين ، وبقى وحده ، فأضاف إليه جلال الدين عسكراً غير عسكره ، وعاد إلى مراغة ، وأعجبه المقام بها ، وكان أزبك صاحب أذربيجان قد سار من تبريز إلى كنجة خوفا من جلال الدين ، فسار جلال الدين إلى تبريز وحصرها وقاتل أهلها قتالا شديدا وزحف عليها ، فأذعن أهلها بالطاعة وطلبوا من جلال الدين الأمان ، فذكر لهم فعلهم بالخوارزمية وقتلهم إياهم ، فاعتذروا بأنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ، وإنما فعله صاحبهم أزبك بن البهلوان ، ولم يكن لهم قدرة على منعه من ذلك ، فقبل عذرهم وأمنهم ، وأمن زوجة أزبك وهى بنت السلطان طغريل على نفسها ومالها من البلاد ، وملك مدينة تبريز وسير زوجة أزبك إلى خوى ، وحضر الجامع بتبريز يوم الجمعة ، فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة الإمام الناصر لدين الله ، قام السلطان قائما حتى فرغ من الدعاء وجلس(٤) .

---

(١) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص ٤٣١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٧ ـ ص ١٤٨ .

(٢) جريدة : الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها ، ويقصد بها فى كثير من الأحيان سير السلطان على وجه السرعة دون أن يأخذ معه أثقالا أو حشدا .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢١٣ ، حاشية(٦) ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٢٣٢ ، حاشية (٢) .

(٣) الجتر : عبارة عن مظلة أوقبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، وعرف الجتر فى مصر زمن الفاطميين واستخدم أيضا زمن الأيوبيين والمماليك حيث كان يحمل على رأس السلطان فى العيدين . مفرج الكروب ، ج٤ ، ص ١٤٩ ، حاشية(١) .

(٤) انظر الكامل ، ج١٢ ، ص٤٣٢ ـ ص٤٣٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٤٨ .

ولما ملك بلاد أذربيجان أرسل إلى الكرج يؤذنهم بالحرب ، فشرعوا فى جمع عساكرهم ، فجمعوا مايزيد على ستين ألفا ، فسار إليهم جلال الدين ونازل مدينة دوين[١] وهى من بلادهم ، وكانت قبل ذلك للمسلمين ، ثم سار منها إليهم ، وضرب معهم مصافا ، فانهزمت الكرج أقبح هزيمة[٢٠] فأمر جلال الدين أن يقتلوا بكل طريق ولا يبقى على أحد منهم ، فبلغت عدة القتلى منهم عشرين ألفا ، وقيل : أكثر من ذلك . وأسر كثير من أعيانهم ، ومضى إيوانى مقدمهم منهزما ، فأدركه الطُّلب ، فصعد قلعة لهم على طريقه ، فاحتمى بها ، فرتب السلطان عليها من يحصرها ويمنعه من النزول منها ، ثم فرق عساكره فى بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويأسرون ويخربون البلاد ، وأمر العساكر بالمقام فيها مع أخيه غياث الدين تترشاه ، وعاد إلى تبريز وقبض على رئيسها وأمر بقتله ، وعلى مقدميها وأمر بحبسهم ، لأنه كان قد بلغه عنهم أنهم تحالفوا وتعاقدوا على العصيان عليه ، وإعادة البلاد إلى أزبك بن البهلوان ، ثم تزوج امرأة أزبك على ماذكرناه[٢] .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه كان غلاء شديد بالعراق والشام وبسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد ، ثم جاء عقيب ذلك فناء كثير بالعراق والشام أيضا ، فمات بسببه خلق كثير فى البلاد[٣] .

ومنها أن الملك الكامل جدد عرض عساكره بمصر ، وبرز وأقام فى الخيام بباب النصر لما عزم أخوه الأشرف على المسير إلى أخيه المعظم ليصالحه .

ومنها أن المعظم صَلَب فى سوق الغنم العتيق فى طريق الميدان الأخضر شمس الدين بن الكعكى ورفيقا له ، مُنَكَّسَيْن على رأسيهما[٤] ، وكان ابن الكعكى رأس حرب[٥] ومعه جماعة ، فكانوا ينزلون على الناس فى البساتين ، ويقتلون وينهبون ، والمعظم فى الكرك ، وبلغه أن ابن الكعكى قال لأخى المعظم : الصالح اسماعيل كان بِبُصْرَى[٦] أنا آخذ لك دمشق . فكتب إلى والى دمشق بأن يصلب ابن الكعكى ورفيقه

(١) دوين : بلدة من نواحى أران فى آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس . معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٣٢ .
(٢) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٣٤ ـ ص٤٣٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٢ ـ ص١٥٥ .
(٣) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٧ ـ ص٤٤٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٤ .
(٤) «رؤُسُهما» كذا فى الأصل والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) رأس حرب : أى رأس عصابة مسلحة . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٢ .
(٦) فى الأصل : «كان بصرى» والتصحيح من نهاية الأرب لاستقامة المعنى ، ج٢٩ ، ص١٣٢ .

منكسين ، فصلبهما فى العشر الأواخر من رمضان ، فأقاما أياما فى حر الشمس ، يسفى الريح التراب على «وجهيهما[١] ورأسيهما» ، ولا يقدران على طعام وشراب ، إلى أن مات ابن الكعكى أولا ، وكان[٢١] يستغيث كثيرا ويتعلق ، وكان رفيقه أجلد منه وأصبر ، وكان رجلاً خياطا آدم[٢] اللون ، وقيل : إنه برئ مما رمى به ، فمات وله أملاك كثيرة ظاهر باب الجابية[٣] وغيرها[٤] .

وفيها ....[٥]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام الشجاع بن السَّلاَّر[٦] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الفخر[٧] بن تيمية ، محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الشيخ فخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحرانى ، عالمها وخطيبها وواعظها ، اشتغل على مذهب الإمام أحمد (رحمه الله) وبرع فيه ، وبرز وحصل وجمع تفسيراً حافلاً فى مجلدات كثيرة ، وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، وهو عم الشيخ مجد الدين صاحب[المنتقى فى][٨] الأحكام . وقال السبط[٩] : سمعته يوم الجمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس وينشد :

أحـبـابنا قـد نَذرَتْ مـقلتى ... لاتلتـقى بالنوم أو نلتـقى
رفـقـا بقلب مـغـرم واعطِفـوا ... على سقـام الجسـد المحـرقِ
كم تمطلونى بليـالى اللقـا ... قـد ذهب العمـرُ ولم نلتقِ

(١) «وجوههما ورؤسهما» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٢) آدم اللون : هو الأبيض ، الأسود المقلتين . لسان العرب ، ماده «أدم» .
(٣) باب الجابية : بقرية الجابية من أعمال دمشق .معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص١٤٤ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ .
(٥) بياض بمقدار نصف سطر .
(٦) الذيل على الروضتين ، ص١٤٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٨ .
(٧) الذيل على الروضتين ، ص١١٦ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٣٨٦ - ص٣٨٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٠٢ .
(٨) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٧ ، لاستقامة المعنى .
(٩) يقصد «أبو المظفر سبط ابن الجوزى» ولم يرد هذا النص فى «مرآة الزمان» ولكنه ورد فى وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٨٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٧ .

وقال ابن خلكان[١] : ومولده فى اليوم الثامن والعشرين من شعبان ، سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بمدينة حران ، وتوفى بها فى «حادى عشر من صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة» . وقال السبط[٢] : مات فى خامس صفر من هذه السنة . وذكره أبويوسف محاسن بن سلامة الحرانى فى «تاريخ حران» وأثنى عليه ، ثم قال : توفى يوم الخميس بعد العصر عاشر صفر ، سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وذكره أبو البركات بن المستوفى فى «تاريخ إربل» فقال : ورد إربل حاجاً فى سنة أربع وستمائة ، وذكر فضله ، وقال : سألته عن اسم تيمية مامعناه؟ فقال : حج أبى أو جدى ، أنا أشك أيهما قال : وكانت امرأته حاملا ، فلما كان بتيما رأى جُوَيرية[٣] قد خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعَت جارية ، فلما رفعوها إليه قال : ياتيميه ، ياتيمية ، معنى أنها تشبه التى رآها بتيما ، فَسُمِّى بها ، أو كلاماً هذا معناه . وتيماء : بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء آخر الحروف ، وفتح الميم بعدها همزة ممدودة ، وهى بليدة فى بادية تبوك إذا خرج [٢٢] الإنسان من خيبر إليها يكون على منتصف طريق الشام ، وتيميه منسوبة إلى هذه البليدة ، وكان ينبغى أن يقال : تيماوية لأن النسبة إلى تيماتيماوى ، لكنه هكذا اشتهر[٤] .

الوزير ابن شكر[٥] صفى الدين أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الخالق بن شكر ، ولد بالدميرة ، بلدة «بين مصر والإسكندرية» سنة أربعين وخمسمائة ، ومات فى هذه السنة فى شعبان ودفن بتربته عند مدرسته بمصر ، وقد وُزر للملك العادل ، وعمل أشياء فى أيامه منها : تبليط جامع دمشق ، وإحاطة سور المصلى عليه ، وعمل الفوارة[٦] ومسجدها ، وعمارة جامع المِزّة[٧] ، وقد نكب وعزل فى سنة خمس عشرة وستمائة ،

---

(١) وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٨٧ ، ولكن ابن خلكان ذكر أن وفاته فى عاشر صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

(٢) يقصد «أبو المظفر سبط ابن الجوزى» ولم يرد هذا القول فى «مرآة الزمان» ولكنه ورد فى وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٨٧ - ص٣٨٨ .

(٣) جويرية : تصغير جارية .

(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١١٦ ؛ وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٣٨٦ - ص٣٨٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٧ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٢ .

(٥) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٨ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٠ ، ص١٠٥ .

(٦) الفوارة : هى البِرْكَة ، أو فوارة الماء أى منبعه . لسان العرب ، مادة «فور» .

(٧) جامع المِزّة : يوجد فى قرية المزة ، وهى قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق ، كان بينها وبين دمشق نصف فرسخ ، والمزة أصبحت الآن من ضواحى دمشق .
معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٣٢ .

وبقى معزولا فى هذه السنة ، فتوفى فيها وكان مشكور السيرة . وقال السبط[١] : وكان وزيراً مهيبا عالما فاضلا له معرفة بقوانين الوزارة ، وكان مالكى المذهب ، محبا لمن فى العلم يرغب ، وصنف كتابا سماه «البصائرُ» برواية الأوائل والأواخر ، وله فى القاهرة مدرسة مشهورة وآثار مأثورة ، ومنهم من يقول : كان ظالما . وقال : أنشدنا الحافظ السلفى لنفسه :

مهما تهاون فى أمرى أمروُ ... وغدا مصارما لا أرى إلا مبجله
فإن أساء مسئ فوق طاقته ... أحسنت مجتهدا حتى أخجله[٢]

وقال : أنشدنا الحافظ السلفى لابن رشيق وقد قيل له : لم لا تركب البحر للحج؟ فقال معتذرا :

البحر صعب المرام هول ... لاجعلتُ حاجتى إليه
«أليس[٣] ماء وطين» ... فهل ترى صبرنا عليه[٤]

ولعبد الجبار الكاتب :

لا أركب البحر خوفا ... علىَّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماءٌ ... والطين فى الماء ذايب[٥]

أبو اسحاق[٦] ابراهيم بن المظفر بن ابراهيم بن على ، المعروف بابن البدى[٧] ، الواعظ البغدادى ، أخذ الفن عن شيخه ابن الجوزى ، وسمع الحديث الكثير ، مات فى هذه السنة .

أبو الحسن[٨] على بن الحسن الرازى ثم البغدادى الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، توفى فى هذه السنة .

---

(١) لم يرد هذا القول فى سبط ابن الجوزى ، مراة الزمان .
(٢) ورد هذان البيتان فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ .
(٣) «السر ماء وطين طين» كذا فى الأصل ، والمثبت من الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ ، لاستقامة المعنى .
(٤) ورد هذان البيتان فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ .
(٥) ورد هذان البيتان فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ .
(٦) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٨ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٩ .
(٧) «ابن البذى» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٨ .
(٨) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٨ .

البها السنجارى[١] أبو السعادات ، أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهيب بن وهبان بن سرد[٢] بن عبد الله بن رُفَيْع بن [٢٣] ربيعة بن هبار[٣] ، السلمى السنجارى ، الفقيه الشافعى ، الشاعر المنعوت بالبها ، وكان فقيها فاضلا وتكلم فى الخلاف ، إلا أنه غلب عليه الشعر وأجاد فيه ، واشتهر به ، وخدم الملوك به ، وأخذ جوائزهم ، وطاف البلاد ، ومدح الأكابر ، وشعره كثير فى أيادى الناس ، يوجد قصائد ومقاطيع . قال ابن خلكان[٤] : لم أدر هل دَوَّن شعره أم لا ، ثم وجدت فى كتب التربة الأشرفية بدمشق له ديوانا فى مجلد كبير . وله من جملة قصيدة :

كَتَبَ العِذَارُ على صحيفة[٥] خده ... نُونا وأعجَمَها بنُقطةِ خاله
فسَوادُ طُرَّيه كليل[٦] صُدُودِهِ ... وبياضُ غُرَّته كيوم[٧] وصالهِ

وله أيضا :

ومُهَفْهَفٍ حُلْو الشمائلِ فاتر ... الألحاظِ فيه طاعَةٌ وعقوقُ
وقفَ الرَّحيقُ على مراشف ثغره ... فجَرَى من خدِّه راوُوقُ
سدَّت محاسنُهُ على عُشَّاقِه ... سُبلَ[٨] السلوِّ فما إليه طريق

وكان للبهاء المذكور صاحب ، وبينهما مودة أكيدة واجتماع كثير ، ثم جرى بينهما فى بعض الأيام عِتَاب[٩] وانقطاع ، وانقطع ذلك الصاحب ، فسير إليه يعتبه لانقطاعه ، فكتب إليه بيتى الحريرى اللذين[١٠] ذكرهما فى المقامة الخامسة عشرة[١١] . وهما :

لاتَزُرْ مَنْ تحبُّ فى كلِّ شهر ... غير يوم ولاتزدْهُ علَيه
فاجتِلاء الهلال فى الشهر يوم ... ثم لاتنظر العُيون إليه

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ ، ص٢١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٩ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٤ ، ص١٠٥ .
(٢) «ابن هبان بن سوار» فى وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ .
(٣) «ابن هبان» فى وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ .
(٤) وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ .
(٥) «صفيحة» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان حيث ينقل عنه العينى ، ج١ ، ص٢١٥ .
(٦) «كيوم» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٥ .
(٧) «كليل» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٥ .
(٨) «شمل» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٥ .
(٩) «عياب» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٦ .
(١٠) «الذى» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٦ .
(١١) «عشر» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٦ .

فكتب إليه البهاء من نظمه :

إذا حـققـت من خِلٍ[١] ودادًا فـزُره ولاتخفْ منه مَـلالا
وكن كـالشـمس تطلع كل يوم ولا تـكُ فـى[٢] زيـارتـه هـلالا

وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وتوفى فى أوائل هذه السنة بمدينة سنجار .

عثمان بن[٣] عيسى بن درباس بن جهم بن عبدوس ، الهذبانى المارانى ، ضياء الدين أخو القاضى صدر الدين عبد الملك ، الحاكم بالديار المصرية فى الدولة الصلاحية . وضياء الدين هذا هو «شارح المهذب» إلى «كتاب الشهادات» فى نحو من عشرين مجلدا ، وشرح «اللمع فى أصول الفقه» للشيرازى ، وكان بارعا عالما بالمذهب ، توفى فى هذه السنة .

أبو محمد[٤] عبد الله بن أحمد[٢٤] **البوازيجى ، ثم البغدادى** ، شيخ فاضل ، له رواية ، ومما أنشده :

ضـيق العُـذرَ فى الضـراعـة أنَّا لو قنعنا بقـسـمنا لكفـانا
مـالنا نعـبـد العـبـاد إذا كـان إلى الله فـقـرنا وغنانا

أبو الفضل[٥] عبد الرحيم بن نصر الله بن على بن منصور بن الكيال الواسطى [من][٦] بيت الفقه والقضاء ، وكان أحد المعدلين ببغداد ومن شعره :

فـتبـا لدنيـا لايدوم نعـيـمـهـا تسرُ يسيرا ثم تُبْدى المساويا
تريك رياء[٧] فى النقاب وزخرفا وتسـفـر عن شـوهاء . . .[٨]

---

(١) «رجل» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٦ .
(٢) «تكن من» فى الأصل ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٦ .
(٣) انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٢ - ص٢٤٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٩ .
(٤) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٩ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٣ .
(٥) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٦) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٧) «رواء» كذا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٨) بياض بمقدار كلمتين ذكرها ابن كثير وهما «طحياء عاميا» ومعنى طحياء مبسوطة . انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .

أبو على الحسن[١] بن على بن الحسن بن على بن عمار بن مهدى[٢] بن وقاح الياسرى نسبة إلى عمار بن ياسر ، شيخ بغدادى فاضل ، له مصنفات فى التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة ، وكان مقبول الشهادة عند الحكام .

أبو بكر[٣] محمد بن يوسف بن الطباخ ، الواسطى البغدادى الصوفى ، باشر بعض الولايات ببغداد ، ومما أنشده :

مـاوهب الله لامـرىء هبـة ... أحـسن من عـقله ومن أدبه
نعمـا جمـال الفتى فإن فقدا ... ففقـده للحيـاة أجـملُ به

ابن يونس[٤] شارح التنبيه ، أبو الفضل أحمد بن الشيخ العلامة كمال الدين أبى الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلى الأصل ثم الموصلى ، من بيت العلم بها والرئاسة ، اشتغل على أبيه فى فنونه وعلومه ، فبرع وتقدم ودرس ، وشرح كتاب «التنبيه» ، واختصر «إحياء علوم الدين» للغزالى مرتين صغيراً وكبيرا .

وقال ابن خلكان[٥] : وقد ولى بإربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والديه فى سنة عشر وستمائة ، وكنت أحضر عنده وأنا صغير ، ولم أر أحدا يُدَرِّس مثله ، ثم صار إلى بلده فى سنة سبع عشرة ، ومات يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة[٢٥] عن سبع وأربعين سنة .

أبو الدرياقوت[٦] بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور ، مولى أبى منصور الجيلى ، التاجر ، اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب ، واستعمل قريحته فى الشعر والنظم فأجاد فيه ، ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن ، وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأكثر نظمه فى التصابى والغزل وذكر المحبة ، وراق شعره ، وتحفظه الناس ، وله ديوان شعر ، وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام .

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٢) «ابن فهر» كذا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٣) انظر ترجمته وشعره فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠ .
(٤) انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٠٨ - ص ١٠٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٠- ص١٢١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٩ .
(٥) انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٠٨ - ص١٠٩ .
(٦) انظر : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٢٢ - ص١٢٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٥ - ص١٠٦ .

وقال ابن خلكان(١) : رأيت فى بعض التواريخ أن أبا الدُر المذكور وجد ميتا بمنزله ببغداد فى الثانى عشر من جمادى الأولى ، وقيل : الآخرة من هذه السنة . وقال الناس : إنه توفى قبل ذلك بأيام .

الشيخ على(٢) بن عبد الله الكردى الموله ، المقيم بظاهر باب الجابية ، قال أبو شامة(٣) : وقد اختلفوا فيه ، فبعض الدماشقة يزعم أنه صاحب الكرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : ماراه أحد يصلى ولايصوم ، ولا لبس مداسا بل كان يدوس النجاسات ، ويدخل المسجد على حاله ، وقال آخرون : كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه . وحكى السبط(٤) عن امرأة قالت : جاء خبر بموت أمى باللاذقية أنها ماتت . وقال لى بعضهم : لم تمت . قالت : فمررت به وهو قاعد عند المقابر ، فوقفت عنده ، فرفع رأسه وقال لى : ماتت ماتت إش تعملين؟ فكان كما قال ، ومثل ذلك كثير .

الأمير سيف(٥) الدين على بن الأمير علم الدين سليمان بن جندر ، مات فى هذه السنة فى أواخر جمادى الآخرة بحلب ، وكان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ، وقف بها مدرستين ، إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات .

الأمير عز(٦) الدين خضر بن ابراهيم بن أبى بكر بن قرا أرسلان ، صاحب خرت برت(٧) ، مات فى هذه السنة ، وملك بعده ابنه نور الدين أرتق شاه .

الملك الأفضل(٨) نور الدين على بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب [٢٦] ، كان ولى عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ، ثم أخذها منه

---

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٢٥ .

(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٧ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٠ .

(٣) الذيل على الروضتين ، ص١٤٦ .

(٤) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٠ .

(٥) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ــ ص١٤٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١١٧ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤١٩ ــ ص٤٢٠ .

(٦) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٩ .

(٧) خرت برت : هو اسم أرمنى ، وهو الحصن المعروف بحصن زياد فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤١٧ .

(٨) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٢٨ ـ ص٤٢٩ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٥ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤١٩ ـ ص٤٢١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٥ ـ ص١٥٨ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٥ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١١٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠١ .

الملك العادل عمه ، ثم كان ملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز عثمان ، فأخذها منه عمه العادل أيضا ، ثم اقتصر على ملك صرخد[١] فأخذها منه العادل ، ثم آل به الحال أن كان ملك شميساط ، وبها توفى فى هذه السنة . وكان موته فجاءة فى شهر صفر وعمره سبع وخمسون سنة ، ونقل إلى حلب ودفن بتربته بظاهر حلب بالقرب من مشهد الهروى[٢] ، وملك البلده بعده أخوه المفضل قطب الدين موسى بن صلاح الدين ، وهو شقيقه ، وكان الأفضل فاضلا متأدبا حليما عادلا جامعا للفضائل والمناقب ، إلا أنه كان قليل الحظ والسعادة ، ولم ينتظم له حال منذ توفى والده صلاح الدين ، وكان جيد الشعر ، فمن شعره قوله فى خضاب الشعر ، وتعرض فيه بسوء حظه :

يامن يسود شعره بخضابه لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة ولك الأمان بأنه لاينصل [٣]

وله أيضا :

أما آن للسعد الذى أنا طالب لإدراكه يوما يرى وهو طالبى
ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى تمكن يوما من تواصى النواصب

وقال ابن خلكان[٤] : كانت ولادته يوم عيد الفطر وقت العصر ، سنة ست ، وقيل : خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة ، ووالده صلاح الدين يومئذ وزير المصريين ، وشميساط بضم الشين المعجمة ، وفتح الميم ، وسكون الياء آخر الحروف ، وفتح السين المهملة ، وبعد الألف طاء مهملة ، وهى قلعة فى بر الشام على الفرات من ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملطية .

---

(١) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوْران من أعمال دمشق ، وهى قلعة حصينة ، وولايه حسنة . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٨٠ .

(٢) مشهد الهروى : هو مشهد الشيخ على الهروى بالقرب من المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق فى مدينة حلب . وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٢ .

(٣) ورد هذان البيتان فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٥٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٥ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٢١ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثالثة والعشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو الظاهر بأمر الله ، ولكنه مات فى هذه السنة [٢٧] ولم ينتفع بخلافته .

ذكر وفاة الظاهر

هو أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ، أبو نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، أبى العباس أحمد ، وليس فى الخلفاء من يكنى أبا نصر غيره ، وأمه أم ولد يدعى الْطُنْ ، بويع له يوم الأحد سلخ رمضان من السنة الماضية ، وتوفى يوم الجمعة الثانى عشر من رجب من هذه السنة ، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما ، ولا يعلم أنه ولى من بنى العباس أقصر مدة منه ، كما أنه لم يل منهم أطول مدة من أبيه . وكان إماما عادلا متواضعا محسنا إلى الرعية جدا ، وكان من أجود بنى العباس سيرة ، وأحسنهم سريرة ، وأكثرهم عطاء ، وأحسنهم منظراً ورواء ، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن الله أحب تقريبه وإزلافه لديه ، فاختار له ماعنده ، وأجزل له إحسانه ورفده ، وقد ذكرنا ما اعتمده فى أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ، ورد المظالم ، وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عمن عجز عن قضائها ، والإحسان إلى العلماء والفقراء ، وتولية ذوى الديانة والأمانة . وكان قبل وفاته قد أخرج توقيعا إلى الوزير بخطه ليقرأه على أرباب الدولة ، وقال الرسول : أمير المؤمنين يقول : ليس غرضنا أن يقال : برز مرسوم أو نفذ مثال ولا يبين له أثر ، بل أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال . ثم قُرِئَ عليهم التوقيع ونسخته : «بسم الله الرحمن الرحيم اعلموا أنه ليس إمهالنا إهمالا ، ولا إغضاؤنا إغفالا ، ولكن «لنبلوكم أيكم أحسن عملاً»(١) ، وقد غفرنا لكم ماقد سلف من خراب البلاد ، وتشريد الرعايا ، وتقبيح السمعة ، وإظهار الباطل الجلىّ فى صورة الحق الخفى ، حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستيصال والاجتياح استيفاء واستدراكا لأغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن

(*) يوافق أوله : ٢ يناير ١٢٢٦م .

(١) اقتباس من القرآن الكريم ، سورة الملك ، آية(٢) .

ليث باسل ، وأنياب أسد مهيب ، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته ، فتميلون رأيه إلى هواكم[٢٨] وتمزجون باطلكم بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون ، والآن فقد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقا ، ورزقكم سلطانا يُقيل العثرة ويقبل المعذرة ، ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا ممن استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى ويخوفكم مَكْرَه ، ويرجوا الله تعالى ويرغبكم فى طاعته ، فإن سلكتم مسالك خلفاء الله فى أرضه ، وأمنائه على خلقه ، وإلا[هلكتم][١] والسلام .

ولما مات وجد فى بيت داره رقاع مختومة كلها لم يفتحها ، وقال : لاحاجة لنا فيها ، كلها سعايات بالناس ، وقد ذكرنا نبذا من سيرته الجميلة فى السنة الماضية (رحمه الله)[٢] .

وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإناثا ، منهم ابنه الأكبر الذى بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله[٣] .

ذكر خلافة المستنصر بالله

وهو السادس والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، وهو أمير المؤمنين أبوجعفر منصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله ، محمد بن الناصر أحمد ، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، استدعوا به من التاج[٤] ، فبايعه الخاصة والعامة من أهل الحل والعقد ، وكان يوما مشهودا ، وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة ، وخمسة أشهر ، وأحد عشر يوما ، وكان من أحسن الناس شكلا وأبهاهم منظراً[٥] . وهو كما قال القائل :

كأن الثريا علقت فى جبينه ... وفى خده الشعرى وفى وجهه القمر[٦]

---

(١) مابين حاصرتين إضافة من الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٢ لاستقامة المعنى .

(٢) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٦ - ص٤٥٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ - ص١٥٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩١ - ص١٩٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٢١ - ص١٢٢ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٩ - ص١١٠ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٢ .

(٤) التاج : دار مشهورة جليلة من دور الخلافة ببغداد ، كان أول من وضع أساسة وسماه بهذه التسمية أمير المؤمنين المعتضد وأتمه ابنه المقتضى . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٠٦ .

(٥) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٦ - ص٢٠١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٢٢ - ص١٢٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٤ .

(٦) ورد هذا البيت فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٢ .

وفى نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آبائه وُلُّوا نسقاً واحداً ، وتلقى هو الخلافة عنهم وراثة كابراً عن كابر ، وهذا شئ لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله ، وسار فى الناس كسيرة أبيه الظاهر فى الجودة وحسن السيرة والإحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة المستنصرية التى لم يبن مدرسة مثلها فى الدنيا وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى ، واستمر بأرباب الولايات الذين كانوا فى عهد أبيه على ما كانوا عليه(١) .

وقدم رسول من صاحب الموصل[٢٩] بدر الدين يوم غرة شعبان مع الوزير ضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن الأثير الجزرى برسالة فيها التعزية والتهنئة بعبارة فصيحه بليغة(٢) .

وفى تاريخ بيبرس : وكان ابن الأثير قد اتصل بخدمته لما فارق الملك الأفضل ، ولما حضر الديوان قال : «ما لليل والنهار لايعتذران وقد عظم حادثهما ، والشمس والقمر لايخسفان وقد فقد ثالثهما»؟

فياوحشة الدنيا وكانت أنيسة ووحشة من فيها لمصرع واحد

وذلك الواحد هو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين ، الذى كانت ولايته رحمة للعالم ، واختير من أرومة النبى الذى هو سيد ولد آدم ، فذمته موصوله بذمته ، وهو شقيقه فى نسبه وخليفته فى أمته ، ولقد وقف على السنن ، وأتانا بالحسن ، وحمدت الأيام فى زمنه ، فلم يشك مر الزمن ، ومما عظم الرزية به أنه أتى عقيب رُزء ، وصَل فجعُة بفَجعةِ ، وكان يستهول أحدهما وهو وتر ، فشفع الوتر بشفعه ، فياويح الإسلام فجع فيما مضى بناصره ، وفجع الآن بظاهره ، وقرب الوقت بينهما حتى كاد يعثر أوله بآخره ، فلم تفق النفوس من برحائها حتى وافت ماطوى مضضا على مضض ، ووقع ذلك موقع نكسة عطفت على مرض ، ونكأ القرح بالقرح أوجع ، وذهاب فرع العلياء بعد أصله ذهاب بالعلياء أجمع ، وكلا هذين الرزءين رمى الناس بسهم غائر ، ليس عليه من صابر ، وما كان الله ليسوء دينه بمصاب خليفتين ، ولايجلو ظلمته بصباح سافر ، وقد جاء بسيدنا ومولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، فأرضى به كل قلب سخط ولم يرض ، وقيل : هذا بدل الكل من الكل ، لابدل البعض من البعض ، وكان الناس على خطر من

---

(١) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٢٢ - ص١٢٣ .

(٢) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٢٣ .

انتقاض أمرهم ، فأبيح لهم[١] إبرام ذلك النقض ، ونسى ماتقدم من البرح ، ودمل ما أعضل من القرح . ولئن عظم الأسف على ليلتين نقضتا برامة لقد أسلت عنهما ليلة السفح ، والعبد قائم بهذا المقام وقلبه مقسم[٣٠] للعزاء شطراً وللهناء شطرا ، فإذا نطق بهذا أسبل دمعاً ، وإذا نطق بهذا أبدى ثغرا ، وهو نائب عن مرسله فى أخذ البيعة التى يد الله فوق يدها ، والسابق إلى يومها أفضل من المتأخر إلى غدها ، وهى التى تجملت بحسنها أقلام الكرام السفرة ، وجعلها الله معدودة فى بيعة العقبة ، وبيعة الشجرة ، ولها يصح قول القائل :

وبيعة من قلوب غير شاردة ما كان فى عودها ضعفٌ ولاخور
لو أنها لعتيق لم يمت حسرا سعد ولا قال كانت فلتة عمر

وكذلك فإن العبد ينهى طاعة مرسله التى جعل يومه فيها كأمسه ، وزاد فى مبانى الإسلام فهو يبنى بها على ستة لا على خمسة ، وقد أعدها فى الدنيا معقلاً يكن فى داره ، وفى الآخرة عتاداً صالحا يسره أن يراه[٢] .

قال بيبرس : وكان الإمام المستنصر يسمى أبو[٣] جعفر القاضى ، ولما ولى سلك فى العدل والإحسان مسلك أبيه الظاهر ، وأمر فنودى ببغداد بإفاضة العدل ، وأن من كانت له حاجة أو مظلمة يطالع بها ، تقضى حاجته وتكشف مظلمته . فلما كانت أول جمعة أتت على خلافته أراد أن يصلى الجمعة فى المقصورة التى جرت عادة الخلفاء بالصلاة فيها ، فقيل له : إن المطبق الذى تسلك إليه فيها خراب ، فركب فرسا وسار إلى جامع القصر ، ظاهراً بحيث يراه الناس ، ولم يترك أحداً يمشى معه ، بل أمر كل من أراد المشى معه من أصحابه بالصلاة فى مكانه[٤] .

ولما ولى وردت إليه رسل ملوك الأطراف بالهنا بخلافته ، والعزاء عن والده[٥] . وفى تاريخ ابن كثير[٦] : ثم إن المستنصر بالله كان يواظب حضور الجماعة راكبا ظاهرا

(١) «لها» فى الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٩ .
(٢) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٨ - ص٢٠٠ .
(٣) «أبا» فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٤) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٧ ؛ تاريخ الخلفاء ، ص٤٦٠ - ص٤٦٣ .
(٥) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٨ .
(٦) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٣ .

للناس ، وإنما معه خادمان وركبدار[١] ، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة ، فقال : ماهذا؟ فقيل : التَّأْذين[٢] ، فترجل عن مركوبه وسعى ماشيا ، ثم صار يدمن المشى إلى الجمعة رغبة فى التواضع والخشوع ، ويجلس قريبا من الإمام ويستمع [٣١] الخطبة ، ثم أصلح له المطبق فكان يمشى فيه إلى الجمعة ، وركب فى الثانى والعشرين من شعبان ركوبا ظاهرا للناس عامة ، ثم تصدق بصدقات عظيمة كثيرة من سائر الأصناف على سائر الأصناف من الخلائق .

ذكر ماجريات جلال الدين بن خوارزم شاه

وفى هذه السنة التقى جلال الدين مع الكرج فكسرهم كسرة عظيمة ، وصمد إلى أكبر معاملتهم تفليس ففتحها عنوة ، وقتل من فيها من الكفرة ، وسبى ذراريهم ، ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقر ملكه عليها ، وقد كان الكُرْج أخذوها من المسلمين فى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهى بأيديهم إلى الآن حتى استنفذها منهم جلال الدين ، فكان هذا فتحا عظيما ، ولم يقدر الملوك الأول الذين هم بجوارها أن يملكوها[٣] .

وفيها عصى على جلال الدين بَراق الحاجب ، وطمع فى البلاد أن يتملكها لِبُعْده عنها ، واشتغاله بأمر الكُرج ، وأرسل إلى التتار يعرفهم بما اجتمع عليه من العساكر ، وأخذه بعض البلاد ، ومتى أخذ الباقى عظمت مملكته ، وكثرت عساكره ، وسار إليكم لقصدكم ، فلما سمع جلال الدين ذلك ترك قصد خلاط وسار إلى كرمان يطوى المراحل ، فلما سمع براق بقرب السلطان أخذ معه ما يعز عليه ، وتحصن ببعض القلاع ، فَسَيَّر إليه رسولا يطيب قلبه ، فأبى أن ينزل فأقرَّه جلال الدين على ما بيده ، ثم وصل الخبر من تفليس أن عسكر الأشرف الذى بخلاط هزموا بعض عسكره ، وأوقعوا بهم ويحثه على العود ، فعاد إليها مسرعا[٤] .

---

(١) ركبدار : وجمعها الركبدارية وهم الذين يحملون الغاشية فى المواكب الكبيرة رافعين لها يلفتونها يمينا وشمالا . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٧ ، ص١٢ .

(٢) «السقاين» فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٣ ، حيث ينقل عنه العينى .

(٣) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٠ - ص٤٥١ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢١١ - ص٢١٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٨١ - ص١٨٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٤) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٤ - ص٤٥٥ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢١٣ - ص٢١٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٨٦ - ص١٨٧ .

وذلك أن جلال الدين لما سار إلى كرمان ترك عسكراً صحبة وزيره شرف الملك ، فَقَلَّت عليهم الميرة ، فساروا إلى أعمال أرزن الروم[١] وشنوا الإغارة عليهم ، وأخذوا شيئاً من الغنائم وعادوا ، وكان طريقهم على أطراف ولاية خلاط ، فبلغ النائب بها عن الأشرف ابن العادل وهو حسام الدين على الحاجب ، فجمع عسكراً ، فأوقع بهم واستنقذ مامعهم ، فلما جرى الأمر على هذه الصورة سيَّر شرف الملك الوزير أعلم السلطان بالحال ، وكان جلال الدين والملك المعظم صاحب الشام ، وناصر الدين[٣٢] صاحب ماردين ، ومظفر الدين صاحب إربل اتفقوا على أخذ الموصل ، وأن يتغلبوا عليها ، ويكون لكل منهم نصيب ، واستقرت القاعدة على ذلك ، فبادر مظفر الدين صاحب إربل إلى الموصل ، وسار جلال الدين من تفليس يريد أخلاط ، فأتاه الخبر أن نائبه ببلاد كرمان وهو براق الحاجب قد شق العصى ، فلما علم ترك قصد خلاط وانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه ، إلا مظفر الدين فإنه سار من إربل ونزل على جانب الزَّاب[٢] ، ولم يمكنه العبور ، وكان بدر الدين صاحب الموصل سير إلى الأشرف يستنجده ، ليدفعوا مظفر الدين عن الموصل ، فسار منها إلى حران[٣] ودنيسر[٤] ، فخرب بلاد ماردين ، وأما المعظم فإنه قصد حماة وحمص ، وأرسل إلى أخيه الأشرف يقول : إن رحلت عن ماردين رحلنا عن حمص وحماة . فرحل الأشرف عن ماردين ، وعاد كل منهم إلى بلاده ، وخربت أعمال ماردين وبلاد الموصل ، وصار الغلاء بهذه الأقاليم[٥] .

وفى تاريخ النويرى : وكان نزول جلال الدين على أخلاط ثالث عشر ذى القعدة من هذه السنة ، ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة بسبب كثرة الثلوج ، وكانت هى منازلته الأولى ، وفى الخامس والعشرين من ذى الحجة نازل جلال الدين خلاط أيضا وهى منازلته الثانية ، وجرى بينهم قتال شديد ، وأدركه البرد فرحل عنها فى هذه السنة[٦] .

---

(١) أرزن الروم : بلدة من بلاد أرمينية أهلها أرمن . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٠٦ .
(٢) الزاب : المقصود به الزاب الأعلى ، وهو نهر بين الموصل واربل .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٠٢ .
(٣) حران : مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٢ - ص٣٣٣ .
(٤) دُنَيْسَر :بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين ، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦١٢ .
(٥) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٥ - ص٤٥٦ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢١٤ - ص٢١٥ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٨٧ - ص١٨٩ .
(٦) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٠ - ص٤٦١ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢٩٧ - ص٢٩٩ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٩٠ - ص١٩١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٢١ ، ولم يرد هذا الحدث فى النويرى ؛ نهاية الأرب .

وفيها أوقع السلطان جلال الدين بالتركمان الإيوانية[١] بأسا شديدا ، وكانوا يقطعون الطريق على المسلمين ، ويشوشون عليهم[٢] .

ذكر ماجريات بنى أيوب

وفى تاريخ بيبرس : ولما اتفق الملك المعظم ، والسلطان جلال الدين ، ومظفر الدين ابن زين الدين ، وصاروا يداً واحدة ، وقع الاتفاق بينهم على أن يقصد مظفر الدين صاحب إربل بدر الدين صاحب الموصل ، ويحصر بلاده ؛ ويقصد جلال الدين خلاط وأعمال الملك الأشرف ليشتغل كل منهما بنفسه ، ويقصد الملك المعظم حمص وحماة ويحاصرهما ، ، وكان الملك المجاهد أسد الدين[٣٣] شيركوه صاحب حمص والملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور صاحب حماة والحلبيون كلهم منتمون[٣] إلى خدمة الملك الأشرف ، ولم يكن أحد من البيت الأيوبى منتميا إلى الملك المعظم إلا الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك[٤] ، والملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب بصرى[٥] والسواد[٦] ، والملك العزيز عثمان ابنا الملك العادل ، وكان هذان ملازمين خدمة أخيهما لايفارقانه ، والذى قوى طمع المعظم أن أخاه الملك الكامل كان خائفاً من جنده إذا خرج من مصر بعساكره ، وأرسل إليه الملك المعظم مرارًا يقول له : إن قصدتنى لم آخذك إلا بعسكرك . فوقع عند الملك

---

(١) التركمان الإيوانية : التركمان من عشائر قضاء الرقة بمحافظة الفرات بسورية . تعد ٣٠٠ بيت ، وحوالى ١٥٠ خيمة ، منازلها على الضفة الشرقية للبليخ ، جنوبى عشيرة المشهور ، وبين قريتى تل حمام وسلوك ، وهذه العشيرة وإن كانت تركمانية اللحم والدم ، لكنها مستعربة تماما ، وتعد من العشائر التى تتعاطى الزراعة ألف شاة وألف ومائتان . والتركمان أيضا من قبائل الجولان أحد أقضية محافظة دمشق ، جاءت من بلاد التركمان إلى سورية فى أوائل القرن السابع عشر ، وتعد ٣٠٠ خيمة ولديها ١٥٠٠٠ من الغنم ، وتقيم فى القرى الآتية : خربة ، حفر ، عين عيش ، حسينى ، كافر ، سنديانة ، غديرى ، مُغير ، وغيرها ، والإيوانية :نسبة إلى إيوان كسرى .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٢٥ ؛ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحّالة ، ج١ ، ص١١٧- ص١١٨ .

(٢) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٢ - ص٤٦٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٣) «منتمين» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه هو الصحيح لغة .

(٤) بعلبك : مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل : اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٧٣ .

(٥) بُصْرَى :فى موضعين ، إحداهما بالشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حَوْران ، والثانية بصرى من قرى بغداد قرب عُكْبرَاء .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٥٤ .

(٦) السواد : موضعان أحدهما نواحى قرب البلقاء ، والثانى يراد به رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٤ .

الكامل وهم من ذلك ، ولم يجسر على الخروج من مصر ، وصمم المعظم على قصد حماة وحمص ، ورأى البداية بحمص فسير أولا جماعة من عرب دمشق ، فأغاروا على قرى حمص ، فنهبوها وأخربوها ، ووصل من جهة الملك الأشرف الأمير مانع بن حُدَيثةَ أمير آل فضل[١] فى جموع كثيرة من العرب ، لإنجاد الملك المجاهد أسد الدين شيركوه[٢] ، فانتهبوا قرى المعرة[٣] وحماة ، وقسموا البيادر[٤] ، ثم خرج الملك المعظم من دمشق فى عساكره ، ولما وصل إلى حمص اندفع مانع وعربُ حلبَ والجزيرة إلى قنسرين ، ثم نزلوا قراحصار[٥] ، ثم تركوا أظعانهم بمرج دابق[٦] ، وساروا جريدة إلى أرض حمص ، فوقعت بين عرب مانع وعرب دمشق عدة وقعات . وجرَّد الأتابك شهاب الدين طغريل عسكراً من حلب نجدةً لصاحب حمص ، فوصلوا إليها قبل أن ينازلها المعظم ، واتفق أن توافى العسكران ، فتواقعوا واقتتلوا ، ثم دخلوا إلى حمص ، وكان الملك الأشرف نازلا بالرقَّة[٧] ، وجاءه الخبر بحركة السلطان علاء[٨] الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقى - صاحب بلاد الروم - إلى جهة آمد ، وصاحبها الملك المسعود بن

---

(١) آل فضل : هم بنو فضل بن ربيعة وهم عدة بطون من طى من القحطانية ، ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذين على شقى الفرات وأطراف العراق إلى البصرة .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٧ ، حاشية(٣) .

(٢) أسد الدين شيركوه : هو أسد الدين شيركوه بن الملك المنصور ، أبو الحارث شيركوه بن شاذى بن مروان ، وُلد سنة تسع وستين وخمسمائة ، وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة بحمص ، ودفن فى تربته داخل البلد .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٨٠ .

(٣) المعرة : هى معرة مصريين وهى بليدة وكورة بنواحى حلب
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٤ .

(٤) البيادر : جمع بيدر وهو الموضع الذى تدرس فيه الغلال . لسان العرب ، مادة (بدر) .

(٥) قراحصار أو (قرى حصار) :
(الحصن الأسود) وهو اسم يطلق على أماكن كثيرة مختلفة بآسيا الصغرى مثل قرى حصار صاحب ، وقرى حصار شرقى ، وقرى حصار بهرامشاه ، وكل هذه الأماكن من الصعب الوصول إليها أحيانا ، ويحتمل أن تكون قد شيدت كمأوى لبعض جماعات السكان وقت الحروب فى آسيا الصغرى .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٧ ، حاشية(٦) .

(٦) مرج دابق : المرج هو الأرض الواسعة فيها نبت كثير تُمْرَج فيها الدواب ، وأصل المرج الفلق ، ودابق قرية قرب حلب من أعمال عَزَاز بينها وبين حلب أربعة فراسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٨٧ ، ج٢ ، ص٥١٣ .

(٧) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات وهى فى بلاد الجزيرة بالعراق .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٨٠٢ - ٨٠٤ .

(٨) علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقى صاحب الروم ، توفى سنة ٦٣٤هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٨٣ ؛ عقد الجمان (العصر الأيوبى) ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق ، وأنه استولى من بلاده على حصن منصور[١] والكختين[٢] . فسيرَّ الملك الأشرف نجدة إلى صاحب[٣٤] آمد فالتقاهم عسكر السلطان علاء الدين فهزمهم ، فرحل الملك الأشرف إلى حران وخرج من بقى من عسكر حلب إلى حاضر قنسرين[٣] لإنجاد الملك المجاهد صاحب حمص . وأخرب الملك المعظم قرايا حمص ومزارعها ، وامتدّت غاراته إلى سلميّة[٤] ، وهى للملك المظفر بن المنصور وهو عند الملك الكامل بمصر . وطال مقام الملك المعظم على حمص ، ولم ينل من قلعتها ومدينتها غرضاً ، ووقع الفناء فى عسكره ، وماتت دوابّهم ، وكثر المرض فيهم ، فرحل عن حمص فى شهر رمضان من هذه السنة[٥] .

وفيها قدم الملك الأشرف إلى أخيه المعظم جريدةً قصداً لقطع مادة الشرّ ، فالتقاه أخوه المعظم وأظهر السرور به ، وضربت البشائر لمقدمه ، وأظهر الابتهاج العظيم به ، وحكّمه فى خزائنه ، وحاله فى الباطن يُخالف ما أظهر ، والرُّسل متردّدة بينه وبين السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ووصل إليه رسوله وصحبته خلعة للمعظم فلبسها ، ولما انقضى شهر رمضان خرج المعظم والأشرف إلى المرج متنزهين ، وورد إليهما من حلب القاضى بهاء الدين بن شداد[٦] ، ومظفر الدين بن جرديك فى طلب تجديد الأيمان للملك العزيز بن الملك الظاهر ولأتابكه شهاب الدين طغريل ، ولما وصلا وجدا

---

(١) حصن منصور : من أعمال ديار مُضَر فى غرب الفرات قرب سميساط وهو منسوب إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامرى القيسى . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

(٢) حصن الكختين أوكختا : وهو قلعة عالية البناء حصينة بينها وبين ملطية مسيرة يومين فى طرف الحد الشمالى للشام على مرحلة من حصن منصور .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٨ ، حاشية(٧) .

(٣) حاضر قنسرين : كان لتنوخ ـ وهم أصناف من العرب ـ منذ أول نزولهم بالشام ، ولما فتح أبو عبيدة قنسرين دعا أهل حاضرها إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام بعضهم على النصرانية فصالحهم على الجزية ، وأن جماعة من أهلها أسلم فى خلافة المهدى .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨٥ .

(٤) سَلَميّة : بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، وكانت تعد من أعمال حمص .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٣ .

(٥) ورد هذا الحدث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٣ ـ ص٤٥٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٦ ـ ص١٧٩ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٧ .

(٦) بهاء الدين بن شداد : أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عُتبة بن محمد بن عتّاب الأسدى ، قاضى حلب ، المعروف بابن شداد ، الملقب بهاء الدين ، الفقيه الشافعى ، ولد بالموصل ليلة العاشر من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وتوفى يوم الأربعاء رابع عشر صفر ، سنة ٦٣٢هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص٨٤ ـ ص١٠٠ .

الملك الأشرف عند الملك المعظم لاينفردُ عنه بأمر ولايتجاسر ـ لكونه فى قبضته ـ على مخالفته فى قليل ولاكثير ، ولايتأتّى له الانفرادُ عنه ، فدامت المراجعات بينهما وبين الأتابك مستمرة مدة شهرين إلى أن ورد خبر نزول السلطان على خلاط ، ثم استدعيا رسولى صاحب حلب وحلفا لهما ، ورجعا إلى حلب ، ثم انتقل الأشرف والمعظم إلى البلاد الغورية[(١)] يُشتّيان بها[(٢)] .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه وصلت الخلع من الخليفة الظاهر[(٣)] بأمر الله والتقليد إلى السلطان الملك الكامل[(٤)] وأولاده الملك المسعود[(٥)] والملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخلعة لوزيره الصاحب[(٦)] صفى الدين ، وكان السلطان[(٧)] قد توفى فأمر السلطان أن يلبسها الفخر سليمان كاتب الإنشاء ، ولبس السلطان وأولاده الخلع ، وعبروا من باب [٣٥] النصر[(٨)] ، وشقوا

(١) البلاد الغورية : يقصد غور الأردن أى القرى والأماكن الواقعة بين بيت المقدس ودمشق
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٨١ ، حاشية(١) .

(٢) ورد هذا الحدث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٣ ـ ص٤٦٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٩ ـ ص١٨١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٣) الظاهر بأمر الله : هو الخليفة الظاهر بأمر الله بن الناصر ، تولى الخلافة عقب وفاة والده سنة (٦٢٢هـ) ، لكن خلافة الظاهر لم تكمل السنة فقد توفى سنة ٦٢٣هـ .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٥ ، حاشية(٢) .

(٤) الملك الكامل : أبو المعالى محمد بن الملك العادل أبى بكر الملقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية ، توفى بدمشق يوم الأربعاء ، ودفن يوم الخميس ، وذلك لتسع بقين من شهر رجب سنة ٦٣٥هـ بالكلاسة .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٧٩ ـ ص٩٢ ، الشذرات ، ج٥ ، ص١٧١ ـ ١٧٣ .

(٥) الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل (أطسيس) . توفى بمكة فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ ، ومولده فى سنة ٥٩٧هـ . انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٨٣ .

(٦) الوزير الصاحب صفى الدين عبد الله بن أبى الحسن على بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن على الشيبى أبو محمد المعروف بابن شكر الفقيه الدُميرى المالكى ، توفى يوم الجمعة ثامن شعبان وقيل شوال بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ ، ودفن برباطه ، وكان مولده بدَمِيْرَة إحدى قرى مصر البحرية فى تاسع صفر سنة ٥٤٨هـ . انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزى ، ج١ق١ ، ص٢١٩ .

(٧) ذكر العينى أن السلطان كان قد توفى ، وهذا خطأ ، الصحيح أن الصاحب صفى الدين الوزير هو الذى كان توفى فى ذلك الوقت . انظر : نهاية الأرب ج٢٩ ، ص١٣٥ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ق١ ، ص٢١٩ .

(٨) باب النصر : هو شارع الجمالية بحرى القاهرة وينتهى إلى السكة الجديدة تجاه الحسين ، وهو أحد أبواب القاهرة التى وضعها جوهر القائد .
انظر : الخطط التوفيقية ، ج٢ ، ص١٩٥ .

القاهرة ، وخرجوا من باب زويلة[١] ، وطلعوا إلى قلعة الجبل[٢] وكان يوما مشهودا[٣] .

ومنها أن الملك المسعود بن الملك الكامل سافر إلى اليمن بعد أن سأل من أبيه أن يقيم بمصر فى خدمته ، ويُسلم اليمن لمن يأمر السلطان ، فلم يوافقه الكامل على ذلك[٤] .

وقال بيبرس فى تاريخه : وفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة قدم الملك المسعود بن الملك الكامل من الحجاز إلى مصر ، ثم عاد إليها ، وخرج والده الكامل لوداعه[٥] ، ومضى على طريق السُوَيْس[٦] إلى قلعة صدر[٧] ، وعيَّد الكامل على الخضراء[٨] بالقرب من الخَشَبِى[٩] .

ومنها أنه كان قتال عظيم بين إبْرَنْس أنطاكية وبين الأرمن ، وجرت خطوبٌ كثيرة بينهم[١٠] .

---

(١) باب زويلة : نسبة إلى قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد ، وكان هناك بابان : باب زويلة الأول ، وموضعه عند مسجد ابن البناء الذى كان تسميه العامة مسجد سام بن نوح - وهو زاوية صغيرة ، وموضع هذه الزاوية مجاور لسبيل محمد على والمعروف باسم سبيل العقادين بشارع المناخلية ، وباب زويلة الكبير بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٨٥هـ ، وهو باقى إلى اليوم ، وبينه وبين موقع الباب القديم نحو ١٣٠ مترا . انظر : أخبار مصر ، المسبحى ، ج٤٠ ، ص٨٨ ، حاشية (٢) .

(٢) قلعة الجبل : على تل كبير متصل بجبل المقطم ، وهى مطلة على ظاهر القاهرة ، وظاهر الفسطاط ، وَسَوَّرَ الكامل هذا القلعة .

انظر : النجوم الزاهرة فى حُلَى حضرة القاهرة ، تحقيق دكتور حسين نصار ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، طبعة ثانية سنة ٢٠٠٠م ، ص٣٩٠ .

(٣) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٥ - ص١٧٦ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٤) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٦ .

(٥) وردت كلمة «الوداعه» فى المخطوط مكررة .

(٦) السُوَيْسُ : بليد على ساحل بحر القلزم من نواحى مصر ، وهو مينا أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة ، بينه وبين الفسطاط سبعة أيام . معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩٨ .

(٧) قلعة صُدَرٌ : قلعة خراب بين القاهرة وأيلة .
معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٧٥ .

(٨) الخضراء : موضع باليمامة وهى نخيلات . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٥١ .
معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥١ .

(٩) الخَشَبِى : بينه وبين الفسطاط ثلاث مراحل ، وهو أول الجفَار من ناحية مصر ، وآخرها من ناحية الشام .
معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٤٥ .

(١٠) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٤ - ص٤٦٦ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٥ - ص١٣٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

ومنها أنه قدم الشيخ محيى[١] الدين يوسف بن الشيخ جمال[٢] الدين بن الجوزى من بغداد فى الرسليَّة إلى الملك المعظم بدمشق ، ومعه الخلع والتشاريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نهْيُه عن موالاة جلال الدين خوارزم شاه ، فإنه خارجىٌ من عزمه قتال الخليفة وأخذ بغداد منه ، فأجابه إلى ذلك ، ثم ركب محيى الدين المذكور إلى الملك الكامل بالديار المصرية كما ذكرناه الآن ، وكان ذلك أوَّل قدومه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك منها : كان بناء المدرسة الجوزية[٣] بالنشابين فى دمشق[٤] .

ومنها أن السبط صاحب المرآة ولاه الملك المعظم تدريس الشِّبْلية[٥] بالسفح ، وحضر عنده يوم الأجلاس القضاة والأعيان[٦] .

ومنها أنه كانت زلزلة عظيمة هدمت شيئًا كثيرًا من القرى والقلاع ، ذكره ابن الأثير ، وذكر أيضا أنه ذُبِحَتْ شاة ببلدهم فوجدوا لحمها مُرًّاحتى رأسها وأكارعها[٧] .

ومنها ....[٨]

وفيها حج بالناس من العراق ابن أبى فراس ، ومن الشام على بن السلار[٩] .

---

(١) الشيخ محيى الدين بن الجوزى الصاحب العلامة سفير الخلافة أبو المحاسن يوسف بن الشيخ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد التيمى البكرى البغدادى الحنبلى أستاذ دار المستعصم بالله آخر خلفاء بغداد ، ووزر للظاهر ، ولد سنة ٥٨٠هـ ، وتوفى سنة ٦٥٦هـ شهيدا عند دخول هولاكو إلى بغداد بظاهر سور كلواذا .
انظر : الدارس ، ج٢ ، ص٢٩ - ص٣٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٨٦ .

(٢) جمال الدين بن الجوزى : هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمَّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بى الصديق - رضى الله عنه - القرشى التيمى البكرى البغدادى الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ ، وكانت ولادته تقريبا سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة ، وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٤١ - ص١٤٢ .

(٣) المدرسة الجوزية : بسوق القمح بالقرب من الجامع أنشأها محيى الدين بن الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى بعد الثلاثين فى أيام الملك الصالح عماد الدين .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢ ، ص٢٩ .

(٤) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٧ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٥ - ص١٧٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ ؛ الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢ ، ص٣٠ .

(٥) الشبلية : هى المدرسة الشبلية البرانية بسفح جبل قاسيون بالقرب من جسر ثورى ، بانيها الطواشى شبل الدولة الحسامى سنة ٦١٦هـ ، وتوفى سنة ٦٢٣هـ .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٣٠ - ص٥٣١ .

(٦) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٢١ .

(٧) وردت هذه الاخبار فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٧ - ص٤٦٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٣ .

(٨) بياض بالأصل بمقدار نصف سطر .

(٩) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

قاضى القضاة جمال[١] الدين يونس بن بدران بن فيروز المصرى ، قاضى القضاة بدمشق ، كان فقيها كثير الاشتغال ، واختصر[٣٦] كتاب «الأم» للشافعى (رحمه الله) وله كتاب مطول فى الفرائض ، وولى تدريس الأمينية[٢] بعد التقى الضرير الذى قتل نفسه ، ولاه إياها الوزير صفى الدين بن شكر ، وكان معتنيا بأمره ، ثم ولاه وكالة بيت المال بدمشق ، وترسل إلى الملوك والخلفاء عن صاحب دمشق ، ثم ولاه الملك المعظم قضاء القضاة بدمشق ، بعد عزله الركن[٣] الطاهر ، وولاه تدريس العادلية الكبيرة[٤] ، حتى كمل بناؤها ، فكان أول من درس بها ، وحضر عنده الأعيان كما ذكرنا ، وكان يقول أولا درسا فى التفسير حتى أكمل التفسير إلى آخره ، ثم توفى عقيب ذلك .

وقال أبو شامة[٥] : كان حسن الطريقة ، لم ينقل عنه ماينقم عليه بأنه أخذ شيئا لأحد ، وإنما كان ينقم عليه بعض الورثة بمصالحة بيت المال ، وأنه استناب ولده التاج محمد ، ولم يكن يرضى الطريقة ، وأما هو فكان عفيفا فى نفسه ، نزها مهيبا . وقال أبوشامة : وكان يدعى أنه قرشى شيبنى ، فتكلم الناس فيه بسبب ذلك ، وكانت وفاته فى آخر ربيع الأول من هذه السنة ، وتولى بعده شمس[٦] الدين أحمد بن خليل الخُويى[٧] .

---

(١) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٣ - ص١٢٤ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٢٤ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١١٢ .

(٢) المدرسة الأمينية : قبلى باب الزيادة من أبواب الجامع الأموى المسمى قديما بباب الساعات ، وهى شرقى المجاهدية جوار قاسارية القواسين بظهر سوق السلاح ، وكان به بابها ، وتعرف هذه المحلة قديما بحارة القباب ، وقيل إنها أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية ، بناها أتابك العساكر بدمشق ، ويقال له أمين الدولة سنة ثلاثين وخمسمائة .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص١٧٧ - ص ١٧٨ .

(٣) «الركن الظاهر» فى الأصل ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٣ .

(٤) العادلية الكبيرة : هى المدرسة العادلية الكبرى داخل دمشق شمالى الجامع بغربى وشرقى الخانقاه الشهابية ، وقبلى الجاروخية ، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما طريق ، أول من أنشأها نور الدين محمود بن زنكى وتوفى ولم تتم ، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ثم توفى ولم تتم أيضا ، فتممها ولده الملك المعظم ، وأزال الملك العادل مابناه نور الدين وعمل مدرسة عظيمة سميت العادلية سنة ٦١٥هـ .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٣٥٩ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ .

(٦) القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى الفقيه الشافعى الخويى قاضى دمشق ، توفى يوم السبت سابع شعبان سنة ٦٣٧هـ بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، ومولده فى شوال سنة ٥٨٣هـ .
الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٧) الخُرَمِىّ فى الأصل ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٤٨ ؛ وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٥٧ - ص ٢٥٨ .

وقال ابن كثير(١) : ودفن بداره التى فى رأس درب الريحان(٢) ، من ناحية الجامع ، ولتربته شباك شرقى المدرسة الصدرية(٣) اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين(٤) الشاعر ، وكان هجاء :

ما أقصر المصرى فى فعله إذ جعل التربةَ فى داره
أراح للأحياء من رجمه وأبعد الأمواتَ من ناره

البُلْدَجى(٥) الحنفى مصنف «المختار» فى مذهب أبى حنيفة (رضى الله عنه) .

وهو الشيخ الإمام أبو محمد محمود بن مودود بن محمود بن بلدجى الحنفى الموصلى ، وله(٦) بها مدرسة تعرف به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء الحنفية ، وله دين متين وشعر حسن ، وكانت وفاته بالموصل فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من ثمانين سنة ، أقول : ومن تصانيفه المشهورة : كتاب المختار وشرحه الاختيار ، ونسبته إلى بلدجى أحد أجداده ، وهو[٣٧] اسم تركى بضم الباء الموحدة ، وسكون اللام ، وفتح الدال المهملة ، وكسر الجيم ، وفى آخره ياء آخر الحروف ساكنة .

المعتمد(٧) والى دمشق ، «مبارز»(٨) الدين ابراهيم بن موسى ، ولد بالموصل ، وقدم الشام فخدم فرخشاه بن شاهشاه بن أيوب ، وتقلبت به الأحوال ، واستنابه أخو فرخشاه لأمه بدر الدين مودود الشحنة بدمشق ، ثم ولاه العادل الشحنكية(٩) استقلالا ، فأحسن

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٤ .
(٢) درب الريحان : من ناحية الجامع المبرور ، وهو الجامع الأموى .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢ ، ص٨٧ .
(٣) المدرسة الصدرية : أنشأها صدر الدين أبى الفتح أسعد المنجا التنوخى العدل سنة ٦٣٠هـ ، وكانت بجوار الجامع فى زقاق الريحان .
انظر : خطط الشام ، كرد على ، ج٦ ، ص٩٩ .
(٤) ابن عنين الشاعر : هو أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن الحسين بن عُنَيْنْ الأنصارى الملقب شرف الدين ، الكوفى الأصل ، الدمشقى المولد الشاعر المشهور ، كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ، ولد يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩هـ ، وتوفى عشية نهار الأثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٦٣هـ ، ودفن بمسجده الذى أنشأه بأرض المِزّة .
وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٧ - ص ١٨ .
(٥) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٥ - ص١٢٦ .
(٦) «وتم» فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٥ .
(٧) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٠ ، ص١٥١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٤ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٢١ ، ص٤٢٢ .
(٨) «المبارك» فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٠ .
(٩) الشحنكية : يقال لها الشحنة ، وصاحب الشحنة هو متولى رئاسة الشرطة .
انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص٤٢٧ . Dozy: Supp. Dict. Ar.

السياسة ، ولطف بالرعية ، وكان بين يديه نقيب له يعرف بسويد ، من أصدق الناس وأعرفهم بتدبير وقائع الولاية ، وكان المعتمد دينا ورعا عفيفا نزها ، اصطنع عالما عظيما من النساء والرجال ، وستر عليهم كبائر الأحوال ، وكانت دمشق وأعمالها فى أيام ولايته لها حرمة ظاهرة ، وهى حرة طاهرة .

وفى المرآة(١) : ومما جرى له أنه كان فى دمشق رجل فاتك ، وإلى جانب بيته قوم لهم ولد صغير ، فى أذنيه(٢) حلق من ذهب ، فاغتاله الرجل يوما فخنقه ، وأخذ الحلق من أذنه ، وأخرجه فى قفة ودفنه بالباب الصغير(٣) ، وفقدته أمه ، فاتهمت الرجل ، فعذبه المبارز عذابا أليما فلم يقر ، فأطلق ، وفى قلب المرأة النار من ولدها ، فطلقها زوجها ، وتزوجت الرجل القاتل وأقامت معه مدة ، فقالت له يوما وهى تداعبه : قد مضى الابن وأبوه ، وكان منهما ما كان وكان الزوج قد مات ، أنت قتلت الصغير . فقال : نعم ، وأخذت الحلق ودفنته بالباب الصغير . فقالت : قم فأرنى قبره . فأخذها وخرج بها إلى المقابر ، وحفر القبر ، فرأت ولدها فلم تتمالك وضربت القاتل بسكين أعدتها له ، فشقت بطنه ، ودفعته فألقته فى القبر ، وجاءت إلى المبارز فحكت له الحكاية فقام وخرج معها إلى القبر ، فكشفته له ، قال لها : أحسنت والله ، ينبغى لنا كلنا أن نشرب لك فتوة .

قال السبط(٤) : وكان لداره بابان ، الكبير عليه الغلمان والنواب ، وباب السر فى زقاق آخر ، فكان «البوابون»(٥) إذا مسكوا فى الليل امرأة من بيت معروف وحملوها إليه على حالها ، يقول لهم [٣٨] أنزلوا(٦) حتى أقررها ، ثم يقول لها : يابنتى ، أنت من بيت كبير ، وأهلك رجال معروفون ، فما الذى جرأك على هذا؟ فتقول : ياسيدى قضاء الله . فيقول لها :ستر الله عليك ، ويبعث(٧) معها الخادم من باب السر إلى بيتها ، فأقام على هذا نحو من أربعين سنة .

---

(١) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢١ ـ ص٤٢٢ .
(٢) «أذانه» فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٣) الباب الصغير : بدمشق قبلى جامع جراح .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص١٦ ، ص١٦٣ .
(٤) المرآة ، ج٨ ، ص٤٢٢ .
(٥) «النواب» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٢ ، حيث ينقل عنه العينى .
(٦) «اتركوا» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٢ ، حيث ينقل عنه العينى .
(٧) «ونبعث» فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٢ ، حيث ينقل عنه العينى .

قال السبط(١) : وكان فى قلب المعظم له شحناء لأنه كان يشفق عليه ويحفظه فى أماكن يدخل إليها بدمشق فى الليل وهو شاب ، فيأمر غلمانه أن يتبعوه من بعيد ، وكان العادل فى مصر يكتب إليه بذلك ، فلما مات العادل أظهر ما كان فى قلبه منه ، فاعتقله مدة فى القلعة ، فلم يظهر عليه ولا على أحد من أولاده وحاشيته أنه أخذ من الرعية ماقدره مثقال حبة من خردل ، ولاغَيَّرَ ما كان عليه من العفة والأمانة والصلاح والديانة ، ثم أنزله من القلعة إلى داره وحجز عليه فيها ، وبالغ فى التشديد عليه ، وكانت وفاته يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة ، عن ثمانين سنة ، ودفن بجبل قاسيون(٢) فى التربة التى أنشأها بالجبل .

قال السبط(٣) : وحكى لى أنه ولى دمشق نيابة عن بدر الدين الشحنة أول ولاية صلاح الدين ، ثم استقل بالولاية إلى أن عزل فى سنة سبع عشرة وستمائة ، فكانت ولايته نيابة واستقلالا قريبا من خمسين سنة ، قالوا : ولم يوجد على المبارز شىء إلا أنه كان يحبس وينسى ، فعوقب بمثل ذلك ، أقام محبوسا خمس سنين إلا أياما .

قال ابن كثير(٤) : وتربته مجاورة لمدرسة أبى عمر(٥) قبلى السوق ، وله عند تربته مسجد يعرف به .

شبل(٦) **الدولة كافور الحسامى** ، نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، وَلَد ست الشام ، وهو الذى كان مستحثا على عمارة الشامية البرانية(٧) لمولاته ست الشام(٨) ،

---

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٢ .

(٢) جبل قاسيون : جبل مشرف على مدينة دمشق ، وهو جبل معظم يروى فيه آثار للصالحين .
معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣ .

(٣) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٢ .

(٤) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٤ .

(٥) مدرسة أبى عمر : هى المدرسة العمرية الشيخية أى مدرسة الشيخ أبى عمر بالجبل فى وسط دير الحنابلة ، بصالحية دمشق ، واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر الكبير والد قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى فى سنة سبع وستمائة .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٥٠١ ؛ ج٢ ، ص١٠٠ .

(٦) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٥ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٢٣ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٠٩ .

(٧) المدرسة الشامية البرانية : بالعقيبة بمحلة العونية وهى من مدارس الشافعية ، بانيها والدة الملك الصالح اسماعيل ، وقيل فى موضع : إن الذى أنشأها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان أخت الملك الناصر صلاح الدين ، وهى من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقها وأوقافا ، وتعرف هذه المدرسة أيضا بالحسامية نسبة إلى حسام الدين بن لاجين المدفون فيها مع والدته ست الشام .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٢٧٧ .

(٨)ست الشام : الخاتون ست الشام بنت نجم الدين الأيوبى بن شادى بن مروان ، وأخت الملك الناصر صلاح الدين والعادل ، توفيت يوم الجمعة سادس عشرين ذى القعدة سنة ٦١٦هـ ، ودفنت بتربتها التى بمدرستها الشامية .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٢ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٢٧٧ ـ ص ٢٧٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٦٧ .

وهو الذى بنى المدرسة الشبلية للحنفية ، والخانقاة[١] للصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، وأوقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى القناة والمصنع والساباط ، وفتح للناس طريقا [٣٩] من عند المقبرة غربّى الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش ، ولم يكن للناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفى[٢] بالعُقيبة[٣] وكان خادما عاقلا دينا صالحا مهيبا ، له حرمة وافرة فى الدولة ، ومنزلة عالية عند الملوك ، وكان حنفى المذهب ، وله صدقات دارة وإحسان كبير ، ودفن بتربته إلى جانب مدرسته المذكورة ، وكانت وفاته فى رجب من هذه السنة ، وقد سمع الحديث من الشيخ تاج[٤] الدين الكندي وغيره .

البَدْرُ الجَعْبرى[٥] ، والى قلعة دمشق ، مات فى هذه السنة ، أقام واليا بها مدة فى أيام المعظم ، وخدم الظاهر بحلب وغيره ، فحمل إلى بالس[٦] فدفن عند أهله .

واقف الرواحية[٧] بدمشق وحلب ، **أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة** ، من أكابر العدول والتجار أولى الثروة ، وبنى بحلب مدرسة[٨] للشافعية وبدمشق مثلها داخل باب الفراديس[٩] ، ووقف عليها أوقافا حسنة ، وقنع بعد ذلك باليسير ، وكان يسكن فى

(١) الخانقاه : جمعها خانقاوات وخنقاهات وهى منزل للصوفية . العصر المملوكى ، ص٤١١ .

(٢) «مسجد الصفر» كذا فى الأصل وهو خطأ ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٥٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٥ ، الدارس ، ج١ ، ص٥٣١ .

(٣) العُقَيْبَة : تقع فى الجانب الشمالى من دمشق ، وهى مدينة مستقلة بذاتها ، ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩٤ .

(٤) تاج الدين الكندى : هو الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى المقرىء النحوى الأديب ، توفى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م .

(٥) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٢٣ .

(٦) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة .
معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٧٧ .

(٧) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٥ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٢٦٦ - ص٢٦٧ .

(٨) هى المدرسة الرواحية شرقى مسجد ابن عروة بالجامع الأموى ولصيقه ، شمالى جيرون وغربى الدولة وقبلى الشريفية الحنبلية بانيها زكى الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وهما مدرستان واحدة بدمشق والأخرى بحلب .
الدارس ، ج١ ، ص٢٦٥ - ص٢٦٨ .

(٩) باب الفراديس : من أبواب دمشق .
معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٦٢ .

بيت بالمدرسة الدمشقية ، وهو الذى فى إيوانها من الشرق ، ويقابله من الغرب خزانة الكتب التى وقفها ، وهى كتب جليلة ، وكان (رحمه الله) تام الخلقة طولا وعرضا ، إلا أنه كان لا لحية له أصلا ، وكان مبجلا عند القضاة ، توفى[١] فى هذه السنة فى رجب ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان فوض تدريس مدرسته التى بدمشق والنظر عليها إلى الشيخ تقى الدين بن الصلاح الشهرزورى ، وبعد وفاته شهد محيى[٢] الدين بن عربى الطائى ، وتقى الدين خزعل[٣] النحوى المصرى ، ثم المقدسى ، ثم الدمشقى ، إمام مشهد على بن رواحة بأنه قد عزل الشيخ تقى الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خطوب طويلة ، ولم ينتظم ماراموه من الأمر . وقال أبو شامة[٤] : وكان ابن الصلاح أسند النظر إلى شخص أسنده ذلك الشخص إلى ولد له ، فغلب على وقف المدرسة وتدريسها بغير أهليَّة ، ولا استحقاق ، ولا أمانة ، ولا[٤٠] عدل ، ولا اشفاق ، والأمر على ذلك إلى الآن ، والله المستعان .

قلت : تقى[٥] الدين خزعل بن عسكر بن خليل الثنائى[٦] المصرى النحوى ، مات أيضا فى رجب أو شعبان من هذه السنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان شيخا حسنا فاضلا مفتيا[٧] متواضعا .

---

(١) ذكر النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس أن الذهبى فى تاريخه العبر أن الزكى بن رواحه توفى سنة٦٢٢هـ ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٥ .

(٢) محيى الدين بن عربى الطائى : هو العارف بالله محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى ، ولد سنة ٥٦٠هـ ، وتوفى سنة ٦٣٨هـ .
الدارسى فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٣) «خزعلى» فى الأصل ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ .

(٤) الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ .

(٥) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٦) «السنائى» فى الأصل ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ .

(٧) «متقنا» فى الأصل ، والتصحيح من الذيل على الروضتين ، ص١٤٩ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الرابعة والعشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستنصر بالله ، وصاحب مصر السلطان الملك الكامل بن الملك العادل ، وصاحب دمشق الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، ولكنه مات فى هذه السنة على مانذكره ، وصاحب حلب الملك العزيز[١] بن الظاهر صلاح الدين ، وصاحب الروم السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو ، وصاحب البلاد الشرقية الملك الأشرف ، ولكنه عند أخيه المعظم على مانذكره ، وصاحب أذربيجان وبعض بلاد الكرج وعراق العجم[٢] وغيرها السلطان جلال الدين خوارزم شاه بن السلطان علاء الدين[٣] خوارزم شاه بن تكش ، وسلطان الغرب الملك العادل عبد الله بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ولكنه مات فى هذه السنة ، وسلطان البلاد السمرقندية والخوارزمية وماوراء ذلك ومادون ذلك إلى بلاد عراق العجم جنكيزخان ، ولكنه «مات فى هذه السنة»[٤] .

فلنذكر أولا ماجريات بنى أيوب ثم ماجريات جلال الدين خوارزم شاه ، ثم نذكر وفيات هؤلاء المذكورين .

ذكر ماجريات بنى أيوب

قد ذكرنا الآن أن الملك الأشرف عند أخيه المعظم ، ورأى أنه لاخلاص له منه إلا بإجابته إلى مايريده أخوه المعظم ، فأجابه مكرها على ما طلبه منه ، وحلف له أن يعاضده ويكون معه على أخيهما الملك الكامل ، وأن يكون معه على صاحبى حماه

(*) يوافق أوله : ٢٢ ديسمبر ١٢٢٦م .

(١) الملك العزيز بن الظاهر صلاح الدين : هو غياث الدين أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وسبط الملك العادل ، توفى رابع ربيع الأول ٦٣٤هـ ودفن بالقلعة ، ومولده يوم الخميس خامس ذى الحجة سنة ٦١٠هـ .

وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٦٨ .

(٢) عراق العجم : هى بلاد خراسان وبلاد الجبل وأصبهان وهمذان والرى ومامعهم من البلاد .

انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ص٣٣٥ ، حاشية (١) ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٥ .

(٣) علائى فى الأصل ، والتصحيح من الشذرات ، ج٥ ، ص١٣٠ .

(٤) «ولكنه - فى هـ» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٣ ، لاستقامة المعنى .

وحمص ، فلما حلف له على ذلك أطلقه المعظم ، فرحل الملك الأشرف فى جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت مدة مقامه عند المعظم نحو عشرة أشهر ، ولما استقر الأشرف ببلاده رجع عن جميع ماتقرر بينه وبين أخيه المعظم ، وتأول فى ذلك فى [٤١] أيمانه التى حلفها[١] أنه كان مكرها عليها ، فندم المعظم لتمكينه من الانفصال عنه وسير العرب إلى بلد حمص وحماة فعاثوا فيها[٢] .

وفى هذه السنة حصلت الوحشة بين الملك الكامل صاحب مصر وبين أخيه الملك المعظم صاحب دمشق لأمور بلغت الكامل عنه ، فكتب الكامل إلى الأنبرور[٣] ملك الألمان بأن يحضر إلى الشام والساحل ، ويعطيه البيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل ، وكتب الملك المعظم إلى جلال الدين خوارزم شاه ـ وكان قد ملك أخلاط وبلاد أرمينية[٤] مضافا إلى مابيده من بلاد العجم المجاورة لأخلاط ـ يسأله أن ينجده على أخيه الكامل ، ويكون هو من جملة المنتمين إليه ، ويخطب له ، ويضرب له الدنانير والدراهم باسمه ، فأجابه إلى ذلك ، وسير إليه خلعة لبسها ، وشق بها مدينة دمشق ، وقطع خطبة الملك الكامل . وبلغ ذلك الكامل فتجهز وخرج بعساكره ليأخذ دمشق من أخيه المعظم ، فنزل بلبيس[٥] والعباسة[٦] فى شهر رمضان من هذه السنة ، فسير إليه المعظم يقول : إننى قد نذرت نذرا لله تعالى أن كل مرحلة ترحل إليها لقصدى أتصدق بألف دينار ، فإن جميع عسكرك معى وكتبهم عندى ، وأنا ما آخذك إلا بعسكرك ، هذا كان فى الباطن ، وأما فى الظاهر فقال : أنا مملوكك وماخرجت عن

---

(١) «خلفها عليها» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ لاستقامة المعنى .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٤ ـ ص٢٠٦ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٧ .

(٣) هو الإمبراطور فردريك الثانى . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٩ ، حاشية(١) .

(٤) بلاد أرمينية : اسم لصقيع عظيم واسع من جهة الشمال ، وقيل هما أرمينيتان الكبرى والصغرى ، وحَدُّهما من بَرْذَعة إلى باب الأبواب ، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القَبْق وصاحب السرير ، وقيل أرمينية الكبرى خلاط ونواحيها ، وأرمينية الصغرى تفليس ونواحيها .
معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٩ ـ ص٢٣٠ .

(٥) بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام .
معجم البلدان ، ج١ ، ص٧١٢ .

(٦) العباسة : هى بليدة أول مايلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية ، بينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخا .
معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦٠٠ .

محبتك ولا عن طاعتك ، وحاشاك أن تخرج لأجلي لتقاتلني ، وأنا أول من ينجدك ويحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق ، فأظهر الكامل هذا القول بين الأمراء وعاد الى مستقر ملكه ، ثم بلغ الكامل أن المعظم قد نزل على حمص وحاصرها ، وأشرف على أخذها ، فسير إليه بأن يرحل عنها فرحل عنها ، ثم أن الملك الكامل فى هذه السنة قبض على جماعة من الأمراء مماليك أبيه الذين توهم منهم أنهم كاتبوا المعظم ، من جملتهم : فخر الدين الطنبا[١] ، وفخر الدين الفيومى وكان أمير جنداره[٢] وعشرة أمراء من البحرية العادلية ، واعتقلهم وأخذ جميع أموالهم وموجودهم[٣] .

وفى تاريخ ابن كثير[٤] : ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد[٥] أخيه المعظم بجلال الدين خوارزم شاه خاف من ذلك ، وكاتب الأنبرور ملك الإفرنج فى أن [٤٢] يقدم إلى عكا ليشغل سر أخيه المعظم عما هو فيه ، ووعد الأنبرور بأن يعطيه القدس ، فسار الأنبرور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك فكاتب أخاه الأشرف واستعطف خاطره .

وقال ابن كثير[٦] : وقدم رسول الأنبرور عليه اللعنة إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من بلاد السواحل ، فأغلظ له المعظم فى الجواب وقال : قل لصاحبك ما عندى إلا السيف .

وقال أبو شامة[٧] : قدم رسول الأنبرور ملك الإفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التى فتحها عمه صلاح الدين ، فأغلظ له ، وقال : قل لصاحبك ما أنا مثل الغير[٨] ، ماله عندى سوى السيف .

---

(١) «الطينا» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤١ .

(٢) أميرجندار : هو الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامه إلى الديوان . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٠ ؛ العصر المماليكى ، ص٤٠٤ .

(٣) وردت هذه الأحداث فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٠ - ص١٤١ .

(٤) بالبحث لم نجد هذا الحدث فى ابن كثير وإنما وجدناه فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ - ص٢٠٧ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٧ - ص ١٣٨ .

(٥) «اعتقاد» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٧ .

(٦) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

(٧) الذيل على الروضتين ، ص١٥١ .

(٨) «العزيز» فى الذيل على الروضتين ، ص١٥١ .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة رجع الملك الناصر داود بن المعظم إلى أبيه من إربل[١] صحبة الشيخ شمس الدين الخسرو شاهى تلميذ الإمام فخر الدين[٢] بن الخطيب الرازى ، وكان الناصر يقرأ عليه العلوم العقلية ، ولما تأكدت الوحشة بين المعظم وأخويه[٣] الكامل والأشرف ، وعلم الكامل انتماءه إلى جلال الدين خوارزم شاه ، خاف أن يكون اتفاقهما سببا لزوال الدولة الأيوبية ووبالها ، فأرسل الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى الانبرطور فَرْدريك وطلب منه القدوم إلى عكا ، ووعده أن يعطيه بعض الفتوح الصلاحى بالساحل ليشتغل بذلك سر المعظم ، ويضطر إلى موافقته والدخول فى طاعته ، فتجهز الأنبرطور لقصد الساحل ، وبلغ المعظم ذلك فكاتب الأشرف ولاطفه وراسله فى الموافقة ، فعاتبه الأشرف على أفعاله التى فعلها معه ، وقرعه على ما اعتمد فى حق أهله فعاجله قاطع الآجال ومحترم الرجال ، ومات المعظم على مانذكره عن قريب إن شاء الله تعالى[٤] .

وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف إلى أذربيجان ، فملكوا منها مدنا كثيرة ، وغنموا أموالا جزيلة ، وخرجوا معهم بزوجة الملك جلال الدين بنت طغريل ، وكانت تبغضه وتعاديه ، فأنزلوها مدينة أخلاط ، وسيأتى ما كان من خبرهم فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى[٥] .

---

(١) إربل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل . وأكثر أهلها أكراد وقد استعربوا .
انظر : معجم البلدان ، ج ١ ، ص١٨٩ .

(٢) الإمام فخر الدين بن الخطيب الرازى : هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الطبرستانى الأصل الرازى المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعى ، كانت ولادته فى ٢٥ رمضان سنة ٥٤٤هـ وقيل ٥٤٣هـ بالرى ، وتوفى يوم الاثنين سنة ٦٠٦هـ بمدينة هراة ، ودفن آخر النهار فى الجبل المصاقب لقرية مزداخان
وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٤٨ ـ ص٢٥٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ ؛ حاشية (٣) ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢١ ـ ص ٢٢ .

(٣) «وأخوته» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ .

(٤) ورد هذا الحدث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ ـ ص ٢٠٧ .

(٥) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٧ ـ ص٢٠٨ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

وفيها جهز الملك الأشرف أخاه شهاب الدين غازى[1] إلى الحج فى محمل عظيم يحمل ثقله ستمائة جمل ومعه خمسون هجينا على كل[٤٣] هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق ، وجاءته هدايا الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التى حج منها[2] .

وفى المرآة[3] : وجهز الأشرف جهازا عظيما وسار غربى الفرات على قرقيسيا[4] ، والرحبة[5] ، وعانة[6] ، والكيسات ، والغمر[7] ، والعين[8] ، وسقايا[9] ، وكلها قرى فيها عيون جارية ، ونخل كثير ومنها يجلب التمر إلى الشام ، وعبر على كربلاء فزار المشهد ، ثم دخل الكوفة وزار مشهد أمير المؤمنين . وبعث إليه الخليفة فرسين وبغلة وألفى دينار ، وقال : هذه من ملكى أنفقها فى طريق الحج ، وأوصى أمير الحاج بخدمته ، وتصدق فى مكة والمدينة ، وعاد إلى[10] العراق ولم يصل الكوفة ، بل سار غربى الطريق التى سلكها فكاد يهلك هو ومن معه عطشا حتى وصل إلى حران .

---

(١) شهاب الدين غازى : هو الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل ، كان فارسا شجاعا وشهما مهيبا وملكا جوادا ، وكان صاحب ميافارقين وخلاط وحصن منصور وغير ذلك ، توفى سنة ٦٤٥هـ .
البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٨٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٣٣ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ؛ البداية والنهاية ؛ ج١٣ ، ص١٢٦ ؛ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص٤٢٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢٤ .

(٤) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٦ .

(٥) الرحبة : قرية من قرى الشام . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٦٢ .

(٦) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من أعمال الجزيرة ، وهى مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة ، وبها قلعة حصينة .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٩٤ ـ ص٥٩٥ .

(٧) الغمر : قرية ببلاد الشام . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨١٣ .

(٨) العين : قرية تحت جبل اللكام قرب مرعش .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٥٦ .

(٩) سقايا : وردت فى معجم البلدان «السقيا» وهى قرية بينها وبين سميراء أربعة أميال ، وهى قرية على باب منبج ذات بساتين كثيرة ومياه جارية . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٠٤ .

(١٠) «على» فى الأصل والصحيح ما أثبتناه من الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٤ .

ذكر ماجريات جلال الدين خوارزم شاه بن علاء الدين

وفيها ملك جلال الدين خوارزم شاه مدينتى بيلقان[١] وأردويل[٢] بأعمالهما ، وذلك أنه لما قدم من العراق وجدهما خرابا ، فبنى عليهما سورا من آجر ترغيبا للرعية فى عمارتهما وسكناهما ، فعاد أحسن مايكون من العمارة[٣] .

وفيها سار جلال إلى العراق والتقى به التتار بظاهر أصفهان[٤] ، وذلك أنه سار إلى تبريز وأقام بها مدة استجماما ، فورد الخبرأن التتار على أهبة العبور ، فأجمع أمره على العبور إلى أصفهان ، وأن لقاءهم أصوب ومن الاحتياط والحزم أقرب ، لما فيها من العدة والعديد ، فوصلها وجرد معه أربعة آلاف فارس صوب الرى ودامغان[٥] برسم اليزك[٦] ، وكانت الأخبار ترد من جهتهم يوما بعد يوم فهم يتأخرون والتتار يتقدمون[٧] إلى أن عادوا إلى جلال الدين سالمين ، وحضر إلى جلال الدين من أعلمه بها فى عسكر التتار من المقدمين وهم : تاجن نوين ، وتاتاك نوين ، وياقو نوين ، وأسن طُغان نوين ، وياسور نوين ، وغيرهم[٨] ، فنزل التتار شرقى أصفهان على مسيرة يوم على قرية تسمى السِّين[٩] وأشار المنجمون على جلال الدين بمصابرتهم ثلاثة أيام والتقائهم ، فلزم المكان يرتقب اليوم الموعود والميقات المضروب ، ولما سمع جميع الأمراء والخانات بقرب التتار لجأوا إلى باب السلطان جلال الدين ، فدخلوا عليه وهو فى صحن الدار ، فتحدث معهم فى غير

---

(١) بيلقان : إحدى مدن أرمينية وهى قرية من شروان .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧١٧ ـ ص٧١٨ .
(٢) أردويل أو أردبيل : إحدى مدن أذربيجان بينها وبين تبريز سبعة أيام .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٧ .
(٣) انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢٢٢ .
(٤) أصفهان : مدينة بأرض فارس . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٩٢ .
(٥) دامغان : مدينة على الطريق بين الرى ونيسابور . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٩ .
(٦) اليزك : لفظ فارسى معناه الطلائع .
انظر : Dozy:supp. Dict. Ar ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص١٠٥ ، حاشية(٣) .
(٧) «يتقدم» فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة السلطان منكبرتى ، ص٢٣٢ .
(٨) جاءت معظم هذه الأسماء بدون نقط ولذا فإنها تحتمل عدة قراءات كما أن لفظ نوين مغولى ومعناه «الأمير» .
انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢٣٢ ، حاشية(٦) ؛ صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٢٥ .
(٩) السِّين : قرية بينها وبين أصفهان أربعة فراسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٢ .

حديث التتار استخفافا بهم[٤٤] واستحقارا لأمرهم وتسكينا لقلوب الخانات ، وشاورهم فيما يقع عليه الاتفاق من ترتيب المصاف ، واستحلفهم أن لايهربوا ولايختاروا الحياة على الموت ، ثم حلف لهم بذلك من غير استدعاء منهم ، وعين لهم يوم المصاف ، وأمر باستعراض الرجالة فى سلاحهم ، وتأهب ، وقال أبو الفتح : وأحضر قاضى أصفهان ورئيسها وأمرهما باستعراض الرجالة فى السلاح ، وعامة أصفهان لاتقاس بعامة سائر البلاد فى هذا الباب إذ كانوا يبرزون إلى ظاهرها فى الأعياد والنياريز[١] بكازَغَنْدات[٢] من الأطلس مختلفة الأصباغ ، ولما رأت التتار أن السلطان جلال الدين أبطأ فى الخروج ظنوا أنه خاف وجردوا ألفى فارس إلى جبال اللر[٣] ليجمعوا من الغارات مايقوتهم[٤] مدة الحصار ولما سمع جلال الدين جرد إليهم من عسكره مقدار ثلاثة آلاف فارس فأخذوا عليهم المضايق ، وأرسلوا عليهم الصواعق ، وعادوا وأحضروا معهم أربع مائة أسير ما بين مأمور وأمير ، فسلم السلطان جماعة منهم إلى القاضى والرئيس ليقتلوهم فى شوارع المدينة والأسواق ، ويتركوا جثثهم هناك ، وضرب جلال الدين رقاب الباقين ولما كان اليوم الموعود رتب جلال الدين عساكره ، فلما تراءى الجمعان هرب غياث الدين أخوه فى ذلك الوقت بعسكره وطائفة من عسكر جلال الدين مقدمهم خردجهان بهلوان إيلچى ، وتغافل السلطان عنهم ، ووقف التتار مقابل السلطان ، وأمر السلطان رجالة أصفهان بالعود إذ أعجبته كثرته بالعدو ، وقد رأى عسكره بالنسبة إليهم أضعافاً ، وحملت آخر النهار ميسرة السلطان على ميمنة العدو فكسرتها ، وركبوا أكتافهم يقتلونهم إلى حدود قاشان[٥] ، ولما رأى انهزامهم وقد جنحت الشمس للغروب ترك الحرب ونزل على حافة

---

(١) النياريز : جمع نيروز ، وهو عيد فارسى الأصل ، ومعناه اليوم الجديد ، وقد احتفل به الأقباط والمسلمون فيما بعد ، ولاسيما الفاطميون فى مصر .
انظر : سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢٣٣ ، حاشية(٦) .

(٢) «القزاقندات» : فى سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢٣٣ ، والمفرد «قزاقند» أو «قزاغند» أو «كزاغند» وهو لفظ فارس معناه المعطف القصير يلبس فوق الزردية ويصنع من القطن أو الحرير المبطن المنجد .
انظر : Dozy:supp. Dict. Ar

(٣) «جبال الرى» : كذا فى الأصل والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص٢٣٤ ، وهى اسم لبعض القبائل ولعلها تنتسب إلى جبال اللور أو بلاد اللور الجبلية (لورستان) وتميد بين مدينتى تستر وأصبهان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٥٥ ؛ سيرة منكبرتى ، ص١٩٠ ، حاشية(٢) ؛ صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٤٢ ـ ص٣٤٣ .

(٤) «يقوم بهم» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص٢٣٤ .

(٥) قاشان : مدينة قرب أصفهان ، تذكر مع قم ومنها تجلب الغضائر القاشانى .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٥ .

جرف كائن فى المعركة[1] فأتاه إيلان يرغو مشنعا وقال : قد تمنينا دهرا أن نرزق فيهم يومًا أبيض يذهب فيه غيظ قلوبنا . وفى هذه الليلة تقطع[٤٥] التتار مسيرة يومين ، فندم على فواتهم حيث لاتغنى الندامة ، وكان التتار لما رأوا[2] سواد الليل تجرد شجعانهم وكمنوا حتى عبر جيش السلطان بعد غروب الشمس ، فخرج الكمين كالنار ، فضربوا الميمنة والقلب ، فلم تكن إلا حملة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها ، وثبت الخانات والأمراء أصحاب الميسرة وفاء بالأيمان ، فقتلوا ولم يسلم منهم إلا ثلاثة وهم : كوج تكين بهلوان ، والحاجب الخاص خان بردى ، وأودك أمير آخور ، ووقف أخش ملك يقاتل إلى أن استشهد ، واستشهد ألب خان وأرتوخان وكحيوقة خان وقزلق خان ، ومنكلى بك طاين ، وأسر علائى الدُيلة أتان خان صاحب يزد[3] ، وأخذه واحد من المرتدة فأعطاه صدراً من المال كان معه فأطلقه ، ووقع فى ليلته فى بئر فمات ، ووقف السلطان جلال الدين فى القلب وقد تبدد نظامه ، وأحاط به العدو من كل صوب ، ولم يبق معه إلا أربع عشرة نفساً من خواص مماليكه ، وحمل على التتار فأزاحهم عن الطريق ، ونجى بنفسه وتفرقت العساكر المنهزمة ، فمنهم من وقع إلى فارس ، ومنهم إلى كرمان وإلى أذربيجان ، ولما عاين اللعين باينال مقدم التتار ما قد جرى منه أعجبته فروسيته ، فحرك المقَرعة وراءه ، وقال : سلمت حين سقت . وعادت ميمنة السلطان بعد يومين من جهة قاشان معتقدين أن السلطان بأصفهان ، وتفرقت عساكر التتار أيضا ، وخفى أمر جلال الدين ثمانية أيام ، فلا يدرى أميت هو أم حى ، وهموا فيمن يقوم بالأمر بعده ، وهمت عامة أصفهان بمد الأيادى إلى[4] حريم الأصفهانية الخوارزمية وأموالهم ، واستمهلهم القاضى إلى العيد ربما يتحقق حال السلطان[5] .

قال أبو الفتح : وكان المصاف يوم الثانى والعشرين من رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة ، وكان الأتابك يغان طايسى لم يخرج من أصفهان يوم المصاف لمرضه ، فاتفق

(١) [ونزل على حافة النهر جرف] كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٢٣٥ .

(٢) «روا» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

(٣) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان ، معدودة فى أعمال فارس .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٠١٧ .

(٤) «إلا» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٢٣٧ ، لاستقامة المعنى .

(٥) ورد هذا الخبر بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٣٢ - ص ٢٣٧ .

القاضى ومن تخلف بها من أرباب الدولة على أنهم إذا صلوا صلاة العيد ولم يحضر السلطان يجلسونه على السرير إذ كان فيه من أسباب الرياسة وأدوات السياسة ما [٤٦] استمالت القلوب إليه ، فلما خرج الناس يوم العيد إلى المصلى وصل السلطان وحضر الخطبة ، فاعتدوا بعودة عيداً ، وأقام بها عدة أيام إلى أن تراجعت فرق من عساكره المتفرقة ، وجازى السلطان ميمنة عسكره بمزايد الرواتب والمراتب ، فلقب بكت ملك بأونزخان ، وبكتيارون جنكشى بخاص خان ، وكى سنقرخان ، وأبوبكر ملك بإينام خان ، وسار بهم متشرقا نحو الرى ، ليزيد التتار نفورا . وجرد عساكره إلى أرض خراسان يريد بذلك انتشار الصيت والقوة وبعد سمعة القدرة ، وأما التتار فقد عادوا من أصفهان خائفين وأنهم مع انتصارهم فى آخر النهار قد نالت منهم السيوف ما لم تنله من المسلمين فنكص[١] التتار على أعقابهم ملعونين ، فلم يتخلص منهم إلى ماوراء جيحون إلا قليلا[٢] .

وفى هذه السنة قتلت الإسماعيلية أميرا كبيرا من أمراء جلال الدين ، وكان رجلا خيرا حسن التدبير ، وجميل السيرة ، بعيدا من الشر ، فسار جلال الدين فى عساكره إلى بلادهم وخربها من بلاد ألموت[٣] إلى بلاد كردكوه بخراسان وقتل أهلها وانتقم منهم ، لأنهم كانوا قد طمعوا مذ خرج التتار إلى بلاد الإسلام . وقال أبو الفتح المنشىء : لما عاد السلطان جلال الدين من الهند أقطع أميراً من أمرائه يقال له أورخان ما كان بقى من أرماق نيسابور وأعمالها ، وكان نائبه بها يتعرض إلى مايتاخمها من بلاد الإسماعيلية مثل : تون[٤] ، وقاين[٥] ، وقهستان[٦] ، بالنهب والقتل ، فورد شخص منهم يلقب بالكمال رسولا على جلال الدين ، وكان جلال الدين إذ ذاك بخوى يشكو من نواب أورخان ، فأمر جلال الدين وزيره شرف الملك أن ينظر فى أمره ، فلما سمع أورخان كلام الكمال جذب من حياصته عدة سكاكين ، ورماها بين يدى الرسول ، وقال : هذه سكاكيننا ولنا من

(١) «فنكس» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٢٣٨ ، لاستقامة المعنى .
(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٣٧ ـ ص٢٣٨ .
(٣) ألموت : أهم وأمنع حصون الإسماعيلية فى فارس . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٢٤ ، حاشية(٤) .
(٤) تون : مدينة فى نواحى قهستان قرب قاين . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٠٠ .
(٥) قاين : بلد بين نيسابور وأصفهان . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٢ .
(٦) قهستان : جبال بين هراة ونيسابور . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٠٥ .

السيوف ماهو أمضى ، وليس لكم منها شئ ، فعاد الرسول بهذا الجواب ، فلما عاد السلطان[٤٧] جلال الدين إلى كنجة وثب بأورخان ثلاثة من الفداوية[١] فقتلوه بظاهرها ، ودخلوا المدينة والسكاكين بأيديهم ، ينادون بشعار علاء الدين[٢] فوصلوا باب شرف الملك ، ودخلوا دار الديوان ، فلم يجدوا شرف الملك بها ، وكان عند جلال فجرحوا فراشاً له ، وخرجوا ينادون بشعارهم ، فرجمتهم العوام إلى أن أهلكوهم . وكان قد وصل رسول من ألموت من عند الإسماعيلية يسمى بدر الدين أحمد إلى بيلقان قاصداً باب جلال الدين ، فلما جرى الأمر المذكور تحير فى أمره ، فأرسل كتابا إلى الوزير شرف الملك يستشيره فى أمره ، فأذن له بالقدوم خوفا من طلب الفداوية إياه ، ويعملون معه مثل ماعملوا بأورخان ، فورد عليه فأكرمه واهتم بقضاء أشغاله ، وكان مضمون رسالته إزالة التعرض عن بلادهم ، وكانوا قد استولوا على دامغان فى أيام التتار حين خلت عمن يحميها ، وجلال الدين كان يطالبهم بتسليمها ، واجتهد الوزير شرف الملك على استمرارها بأيديهم ، على أن يحملوا إلى خزانة السلطان كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وكتب لهم بذلك توقيعا ، ثم لما سار جلال الدين إلى ناحية أذربيجان والرسول المذكور فى صحبة الوزير ، يحضر كل يوم مجلسه وسماطه ، فلما وصلوا إلى مرج سراة[٣] ذكر الرسول فى بعض مجالس الشرب حين أخذت الكؤوس مأخذها أن لنا فى عسكركم هذا جماعة من الفدائية ، وقد تمكنوا فصاروا كالواحد من غلمانكم ، فمنهم من خدم فى اصطبلك ، ومنهم من خدم عند مقدم الجاوشية[٤] للسلطان ، فألح شرف الملك الوزير على أن يحضرهم ليبصرهم ، وأعطاه منديله علامة الأمان ، فأحضر خمسة من الفداوية ، وكان الواحد منهم هنديا ، شرع يقول لشرف الملك : كنت أقدر يوم كذا فى منزل كذا

---

(١) الفداوية : وهم الفدائية ، وكانت طبقة الفدائيين أهم طبقات المجتمع الاسماعيلى فى فارس ، إذا كانت الأداة التى يعتمد عليها دعاتهم فى القضاء على أعدائهم . وقد مهر الفدائيون فى فن التخفى واستعمال السلاح ، وإتقان اللغات الأجنبية ، وكانوا يقتلون المسلمين أيام الجمع فى المساجد ، كما كانوا يقتلون المسيحيين فى الكنائس علنا . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٢٩ ، حاشية(٢) .

(٢) المقصود علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث ، داعى دعاة الإسماعيلية فى فارس : ٦١٨/٦٥٣هـ =١٢٢١/ ١٢٥٥م . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٢٩ ، حاشية(١) .

(٣) مرج سراة : وصحتها سراو ، وهى إحدى مدن أذربيجان وتقع على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة أردبيل فى اتجاه تبريز . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦٤ ـ ص٦٥ .

(٤) الجاوشية : ومفردها الجاويش أو الجاووش . ويقال له أيضا الشاويش . وهى لفظ تركى ـ وكان الجاويشية فى نظام دولة المماليك بمصر أربعة من جند الحلقة ، ووظيفتهم السير أمام السلطان أو النائب فى مواكبه للنداء وتنبيه المارة . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٧ ، ص٤٨ ، ص٢٣٩ .

على قتلك ، إلا أنى كنت أنتظر ورود الأمر بإمضاء العزيمة فيك ، فرمى شرف الملك حين سمع كلامة الفرجية[١] من ظهره وقعد بينهم بالقميص ، وقال : مافعلت أنا؟ ومايريد علاء الدين منى وأنا مملوكه كما أنا مملوك السلطان؟ وهأنا بين أيديكم فافعلوا ماشئتم ، وبالغ فى التذلل جدا [٤٨] وبلغ جلال الدين ذلك ، فغضب عليه وأنكر تذلله ، وسير إليه من خواصه من ألزمه بإحراق هؤلاء الخمسة على باب خيمته ، فاستعفى من ذلك فلم يعف ، فأمر على كره منه ، فأوقدت على باب خيمته نار عظيمة ، ورمى أولئك الخمسة فيها فكانوا يحترقون ، ويقولون : نحن قرابين المولى علاء الدين إلى أن أحرقوا ، وقتل جلال الدين كمال الدين مقدم الجاوشية لاستخدامه الفداوية ، لأنه كان أولى الناس بالاحتزاز من ذلك ، ورحل من هناك صوب العراق ، وتخلف الوزير شرف الملك بأذربيجان . قال أبو الفتح : وتخلفت أنا معه فبينما نحن ببرذعة[٢] إذ ورد رسول من ألموت بعد أيام يلقب بالصلاح ، واجتمع بالوزير وقال له : إنك أحرقت خمسة منا وهم الفداوية ، فإن أردت سلامتك أدِّ عن كل واحد منهم عشرة آلاف دينار دية ، فهاله ماسمع وضعف قلبه ، فأكرم هذا الرسول وأنعم عليه بإنعام وافر . قال أبو الفتح : وأمرنى فكتبت لهم توقيعا ديوانيا بإسقاط عشرة آلاف دينار مستمرة فى كل سنة مما تقرر حملها إلى الخزانة السلطانية ، وهى ثلاثون ألف دينار كما ذكرناه عن قريب ، وعلم الوزير على التوقيع[٣] .

وفى تاريخ بيبرس : وفى هذه السنة وصل ابن الأتابك المسمى خاموش ، وكان أصم أبكم يفهم ويستفهم بالإشارات ، ولايقدر على تفهمه إلا رجل واحد قد رباه ، وكان أبوه قد زوجه بصاحبة زوين دُرّ[٤] وهى من حفدة الأتابك علاء الدين كراية صاحب مراغة ، فلما وصل السلطان إلى كنجة منصرفه من خلاط قدم الملك خاموش سمى به لعدم قدرته على النطق ، فأحضر فى جملة تقادمه حياصة[٥] كيكاوس ملك الفرس ، وفيها عدة جواهر

(١) الفرجية : من ملابس القضاة والعلماء والأعيان والوزراء ، وكانت تلبس فوق الثياب وتكون مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مزررة بالأزرار أما ما دونهم فكانوا يلبسون الفرجية مفرجة من الخلف .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٢ ـ ص٤٣ .

(٢) برذعة : بلد فى أقصى أذربيجان ، وهى مدينة أران . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٥٨ .

(٣) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٠ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢٢٨ ـ ص٢٣١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

(٤) «روبين دز» فى سيرة منكبرتى ، وهى إحدى القلاع القريبة من مدينة أردويل .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٢٣ ، حاشية(٢) .

(٥) حياصة : هو حزام العسكريين الذى يسمى «منطقة» ويوضع فيه السيوف والسكاكين ، وكان يصنع من معدن ثمين أفخمها ما كان من الفضة المطلية بالذهب ، وصنعت أحيانا من الذهب الخالص المرصع بحجر اليشم .
انظر : ماير ، الملابس المملوكية ، ص٤٧ ـ ص٥٠ .

نفيسة لاتُقَوّم ، من جملتها قطعة بذخشان ممسوح على قدر الكف ، أفخر مايكون من الجوهر ، فقبلها منه وأضاف إليها قطعا أخر نفائس مما كان عنده ، فأخذت منه فى آمد «وحُمِلَت[٤٩] إلى جنكيزخان[١] ، وأقام خاموش الملك عنده مدة ، فلم يعتن به إلى أن رثت حاله ، وانتكثت حباله ، وأعول أهله وعياله ، ففارق السلطان من غير إذن إلى علاء الدين صاحب الإسماعيلية ، وساقه المَوْتُ إلى ألموت ، فتوفى هناك بعد شهر ، ثم سار السلطان إلى كنجة فوثب بأورخان ثلاثة من الفداوية ، فقتلوه بظاهرها فذكرت[٢] بقية القصة مثل ماذكرناه الآن[٣] .

قلت : خاموش الذى ذكره هو ابن الأتابك أزبك صاحب أذربيجان ، ولم يخلف أزبك ولدا إلا هذا ، وكان قد وُلِدَ أصم أبكم على ماذكرناه . وقال أبو الفتح المنشئ : كان اسم كيكاوس على ذلك البذخشانى ، والسلطان جلال الدين أضاف إلى ذلك قطعا أخرى ، وغير الصياغة ، وجعل الفص الكيكاوسى واسطتها ، وكان السلطان يشدها فى وسطه فى الأعياد لاغير إلى أن كبسه التتار فى آمد فى شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة ، فظفروا بالحياصة وسائر الجواهر ، وحملت إلى ابن[٤] جنكيزخان الذى يسمى خاقان[٥] .

وأما وزير جلال الدين الذى ذكرناه فهو فخر الدين بن على بن أبى القاسم الجندى ، ويلقب بشرف الملك خواجة[٦]جهان ،كان نائبا عن المستوفى[٧] بديوان الجند[٨] ، ثم

---

(١) ورد فى سيرة منكبرتى «وحُمِلَت إلى الخاقان ابن جنكيزخان» ص٢٢٣ .

(٢)«ذكر» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣)وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) ابن جنكيزخان : هو الخاقان أجتاى (أكتاى) : ٦٢٤/ ٦٣٩هـ = ١٢٢٧/١٢٤١م .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٢٣ ، حاشية(٤) .

(٥)وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٦) خواجاجهان : أى سيد العالم وهى عبارة فارسية .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٨٢ ، حاشية(٣) .

(٧) المستوفى : من كُتَّاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له والتنبيه على مافيه مصلحة من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد بقى اسم المستوفى فى بلاد فارس إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، وكان يطلق على كبار كُتَّاب المالية . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٨٣ ، حاشية(٥) .

(٨) ديوان الجند : الديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ، ثم تطور استعمال هذا اللفظ فأطلق من باب المجاز على المكان الذى تحفظ فيه السجلات الخاصة بأمور الدولة المختلفة . وقد اقتبس عمر بن الخطاب نظام الدواوين فى الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت الفتوحات فى عهده وأصبحت الحاجة ماسة إلى ضبط أمور الدولة ، فأنشأ ديوان الجند لكتابة أسماء الجند .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٤٩ ، حاشية(١) .

تولى استقلالا ، ثم ترتب فى جملة الحجاب[١] ، وكان ذا لسان جليد[٢] ، مقداما على السلطان ، فصيحا فى اللغة التركية ، واستمر به الحال فى الحجوبية إلى أن جرت قضية ماء السند على ماذكرناه ، فهلكت أرباب الدولة ، وساعدته المقادير إلى أن توزر ، ونال عند السلطان ما لم ينله أحد ، وكان لجلال الدين وزير بالعراق يقال له شرف الدين على ابن الفضل ، من رؤساء تفرش وهى كورة من كور العراق ، وكان مستوفى العراق عند السلطان محمد بن غُورسا ، ونكب فى أيام غياث الدين ، ولما طلع جلال الدين من الهند وصَفَا له مُلك العراق بادر إلى خدمته ، فاستوزره فى جميع العراق ، وحَكَّمه فى الرقاب والأموال ، ولم يتول حكم العراق بأسرها وزير قبله بَل كان فى كل[٥٠] مدينة وزير ، ثم اتفق وزير الرى نظام الدين ، ومستوفيهما أوحد الدين ، وقاضى أصفهان ركن الدين مسعود بن صاعد على مرافقته والطعن عليه ، وواطأهم شرف الملك ، فأمر جلال الدين أن يعقد شرف الملك لهم مجلساً يسمع فيه مرافعتهم بحضرة سائر أرباب المناصب بالديوان ، وجلس السلطان ينظر إليهم من شبابك يسمع مقالتهم وهم لايعلمون . ولما علم شرف الدين بأن شرف الملك الوزير يواطئهم على ما اتفقوا عليه من المرافعة حسداً ومكرا ، أرضى السلطان فى السير بمائة ألف دينار يحملها إلى الخزانة على أنه لايقبل قولهم فيه ، وكان السفير فى ذلك ملك الخواص تاج الدين قليج ، فرضى السلطان بذلك وأولئك لايعلمون[ولا][٣] يدرون ، ولم يقم شرف الدين من مجلسه إلا وهو مستمر على ما كان عليه من الحكم والجاه بعامة مدن العراق ، وكاد شرف الملك الوزير أن يموت كمداً ، ورسم السلطان على المذكورين المرافعين يطالب كل واحد منهم بعشرين ألف دينار وثلاثين ألف دينار[٤] . وقد وعدنا أن نذكر بعد ماجريات بنى أيوب ، وماجريات جلال الدين ، ووفاة الملك المعظم ، ووفاة سلطان الغرب ، وهلاك جنكيزخان عليه اللعنة .

---

(١) الحُجَّاب : مفردها حاجب ، وقد كانت الحجابة من أهم مميزات السلطنة عند الخوارزمين وخاصة فى أواخر أيامهم إذ كان للخوارزميين حجاب مهمتهم حجب السلطان عن العامة وغلق بابه دونهم أو فتحه لهم فى الأوقات المناسبة وليس هناك من شك فى أن تمسك الحكام بالحجابة كما يرى ابن خلدون لمن أقوى الأدلة على ضعفهم .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٦٢ ، حاشية(٢) .

(٢) جليد : ذو قوة وصبر ، والجليد ما يجمد على الأرض من الماء ، جلده جلدا أى السياط ضربه بها . المنجد ، مادة (جلد) .

(٣)مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى ، ص٢٢٦ ، لاستقامة المعنى .

(٤)وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٢٥ ـ ص٢٢٧ .

ذكر وفاة الملك المعظم

والكلام فيه على أنواع ، **الأول** : في ترجمته : هو شرف الدين عيسى الملقب بالملك المعظم ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق والشام ، وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، ويقال : ولد فى سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة ، ونشأ بالشام ، وكان استقلاله بالملك لما توفى أبوه العادل سنة خمس عشرة وستمائة ، وكانت مدة ملكة دمشق تسع سنين وشهورا[١] .

وفى المرآة[٢] : وفى سنة أربع وعشرين وستمائة توفى الملك المعظم عيسى بن العادل ، العالم ، الفقيه ، الفاضل ، المجاهد فى سبيل الله ، الغازى النحوى اللغوى ، ولد بالقاهرة فى سنة ست وسبعين[٥١] وخمسمائة ، ونشأ بالشام ، وقرأ القرآن ، وتفقه على مذهب أبى حنيفة على فخر الدين الرازى ، وحفظ المسعودى ، واعتنى بالجامع الكبير ، وقرأ الأدب على تاج الدين الكندى[٣] ، فأخذ عنه كتاب سيبويه وشرحه للسيرافى ، والحجة فى القراءات لأبى على الفارسى ، والحماسة ، وقرأ عليه الإيضاح[٤] لأبى على حِفْظًا ، وسمع مسند أحمد بن حنبل بدمشق ، وعلى ابن طبرزد أشياء من مسموعاته ، وسمع السيرة لابن هشام على ابن المحلى بمصر ، وغير ذلك ، وشرح الجامع الكبير ، وصنف كتاب الرد على الخطيب والعروض ، وله ديوان شعر ، ومع تصنيفه للعروض ما كان يقيم وزن الشعر فى بعض الأوقات .

قال السبط[٥] : فكنت أقول له : فيك ضرب من النبؤة ، وما علمناه الشعر .

---

(١) وردت هذه الأحداث : فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧١ - ص٤٧٢ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٥٢ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٤ - ص٤٩٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٨ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٠ ؛ مرآة الزمان ، ج٩ ، ص٤٢٤ - ص٤٢٥ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٥ .

(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢٥ .

(٣) تاج الدين الكندى : هو الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى المقرىء النحوى الأديب . توفى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م .

انظر : الذيل على الروضتين ، ص٩٥- ص٩٩ ؛ وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣٣٩ ؛البداية والنهاية ، ج١٣ ،ص٧٨ - ص٨١ .

(٤) «الإنفصاح» كذا فى الأصل ، والتصحيح من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٥ حيث ينقل عنه العينى .

(٥) المرآة ، ج٨ ، ص٤٢٥ .

وفى تاريخ المؤيد[١] : وكان عالما فاضلا فى الفقه والنحو ، وكان شيخه فى النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندى ، وفى الفقه جمال الدين الحصيرى[٢] وكان حنفيا متعصبا لمذهبه ، وخالف جميع أهل بيته ، فإنهم كانوا شافعية .

وقال ابن خلكان[٣] : وعوقب فى ذلك ، وقيل له : لم خالفت آباءك وأهلك؟ فقال : أما ترضون أن يكون فى بنى أيوب مسلم واحد .

وقال صاحب[٤] الطبقات الحنفية : كان الخطيب شنع على أبى حنيفة (رضى الله عنه) وصنف كتاباً ، ورد عليه المعظم ، فصنف كتاباً سماه : «السهم المصيب فى الرد على الخطيب» ، وكان لائقا بالرد ؛ ذكر ما لايليق ذكره ، فلم يصبر عليه المعظم لحسن اعتقاده فى أبى حنيفة (رضى الله عنه) .

وقال ابن كثير[٥] : اشتغل المعظم فى الفقه على الحصيرى مدرس النورية[٦] ، وكان محفوظه كتاب المفصل للزمخشرى ، وكان يجيز من حفظه بثلاثين دينارا .

وقال ابن خلكان[٧] : وقيل : إنه كان قد شرط لمن يحفظ المفصل مائة دينار وخلعة ، فحفظ لهذا السبب جماعة ، ورأيت بدمشق والناس يقولون : إن سبب حفظهم له كان هذا .

وكان قد أمر أن يجمع له كتاب فى اللغة يشمل الصحاح للجوهرى ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهرى وغير ذلك ، وأمر أن[٥٢] يرتب له مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وكان يحب العلماء ويكرمهم ، واجتهد فى متابعة الخير ، ويقول : أنا على عقيدة الطحاوى[٨] .

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٣٨ .

(٢) جمال الدين الحصيرى : شيخ الحنفية أبو المحامد محمود بن أحمد بن عبد السيد البخارى ، ولد ببخارا سنة ٥٤٦هـ فى رجب ، وتوفى ليلة الأحد الثامن من صفر سنة ٦٣٦هـ بدمشق ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر . وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٥٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٥٩ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٨٢ .

(٣) بالبحث لم نجد هذا القول فى ابن خلكان ، وفيات الأعيان ولكن وجدناه بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١١ .

(٤) بالبحث لم نجد هذا القول فى الطبقات الحنفية ولكن وجدناه بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٢ .

(٥) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٠ - ص١٣١ .

(٦) المدرسة النورية : المقصود بها النورية الكبرى ، وهى بخط الخواصين ، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر فى سنة ٥٦٣هـ . وفيه نظر إنما أنشأها ولده الملك الصالح إسماعيل . الدارس ، ج١ ، ص٦٠٦ - ص٦٠٧ .

(٧) وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٥ .

(٨) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ .

الثانى فى سيرته : كان شجاعا مقداما ، كثير الحياء ، متواضعا ، مليح الصورة ، ضحوكا ، غيورا ، جواداً ، حسن العشرة ، محافظا على الصحبة والمودة[١] .

وفى المرآة[٢] : وكان بالبلقاء رجل من بنى مهدى يقال له : نصار يُشْعِر على عادة العرب . مدح المعظم بقصيدة يقول فيها :

حمى من أوهام الزمان علامة عزيز إذا ما الدهر كرّجفاه

فكان يتعجب من قوله كرجفاه ، وكان قد توجه إلى أخيه الكامل فى سنة سبع أو تسع وستمائة ، والكامل فى الإسكندرية فركب فرساً واحداً ووصل من دمشق إلى الإسكندرية فى ثمانية أيام ، فخرج الكامل فالتقاه وترجلا واعتنقا ، وكان البهاء بن التبنى على دار الزكاة فقدم البدر بن المسحف الشاعر من الشرق ومعه قماش كثير ، فعسفه ابن التّبنى ، فكتب ابن المسحف إلى المعظم هذه الأبيات :

أيا ملكا أباد عِداه قهرا وأحيى كل منقبة وفضل
ومن هو كالمسيح اسما وفعلا ونصبا للحياة وجزم فعل
يكلفنى البهاء زكاة مال حرام كله من غير حل
وكيف يجود بالزكوات من لا يحج ولا يصوم ولا يصلى
فجد بهبات مالكم فإنى أُجِل زكاتكم عن مال مثلى

فكتب المعظم على رأسها : يؤخذ منه العشر .

وفى المرآة[٣] : وإذا خرج إلى الغزاة لاينام إلا على حلّ الطرح ، وزرديته[٤] مخدته ، ولايقطع الاشتغال بالقرآن[٥] والجامع الكبير ، وسيبويه ، وكان دائما يركب ، فإذا نزل مد السماط ، فإذا أكل السماط الناس قضى الحوائج إلى الظهر ، وكان فى أيام الفتح مع الفرنج يرتب النيران على الجبال من باب نابلس إلى عكا ، وعلى عكا جبل قريب منها يقال له : الكَرْمَل ، وكان عليه المنورون ، وبينهم وبين[٥٣] الجواسيس علامات ، وكان له

(١) ورد هذه الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٥ .
(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢٥ .
(٣) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢٦ .
(٤) الزردية : هى قميص من الزرد يقوى برقائق من المعدن تتداخل أطرافه بعضها فوق بعض .
انظر : ماير ، الملابس المملوكية ، ص٦٨ .
(٥)[القراءة] كذا فى الأصل ، والمثبت من سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٢٦ حيث ينقل عنه العينى .
وانظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٤ .

فى عكا أصحاب أخبار ، وأكثرهم نساء الخيالة ، وكانت طاقاتهن فى قبالة الكَرْمَل ، فإذا عزم الفرنج على الغارة فتحت المرأة الطاقة ، فإن كان يخرج مائة فارس أوقدت المرأة شمعة واحدة ، وإن كانوا مائتين شمعتين ، وإن كانوا يريدون قصد حوران أو ناحية دمشق أشارت إلى تلك الناحية ، وكذا إلى نابلس ، وكان قد ضيق على الفرنج الطريق ، إذا قصد وجهة سبق إليها بعسكره ، وكان يعطى النساء والجواسيس فى كل فتح جملة كثيرة .

قال السبط[١] : وكان المعظم قد أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبى حنيفة دون صاحبيه[٢] ، فجردوا له المذهب فى عشر مجلدات وسماه التذكرة ، فكان لايفارقه سفراً وحضراً ، يطالعه دائما ، فكتب على ظهر كل مجلد : أنهاه حفظا عيسى بن أبى بكر بن أيوب فقلت له : ربما يؤخذ هذا عليك ؛ لأن أكبر مدرس فى الشام يحفظ القدورى[٣] مع تفرغه ، وأنت مشغول بتدبير الممالك تكتب بخطك على عشر مجلدات إنك قد حفظتها . فقال : ليس الاعتبار بالألفاظ وإنما الاعتبار بالمعانى ، بسم الله سلونى عن جميع مسائلها ، فإن قصرت كان الصحيح معكم ، وإلا فسلموا إلى ماقلت .

وفى تاريخ بيبرس : وكان شديد البأس ، وكان أخوه الكامل يخافه ويداريه ، وهو أيضا كان يدارى أخاه الكامل ، ويخطب له على منابر بلاده ، ولايذكر اسمه معه ، ويضرب السكة باسمه ، ويدارى أخاه الأشرف ، ويؤلب عليه جلال الدين خوارزم شاه فى الباطن ، وكان مع شهامته وعظم هيبته قليل التكلف جداً ، لايركب بالسناجق السلطانية فى غالب أوقاته ، بل يركب فى جمع قليل ، وعليه قباء[٤] أبيض وكلوته صفراء بلا شاش ، ويتخرق الأسواق ولايُطَرَّق بين يديه ، ولقد زار البيت المقدس ، ودخل الجامع الأقصى ، وكان الرجال والنساء والصبيان يزاحمونه ولايردهم أحد عنه ، ولما كثر منه هذا ضربت به الأمثال فكان الإنسان إذا فعل فعلا لاتكلف فيه قيل : قد فعل فعلا[٥٤] معظميا[٥] .

---

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٦ .

(٢) يقصد بذلك أن يُجردوا آراء أبى حنيفة وحده دون آراء صاحبيه محمد وأبى يوسف ، أى يجمعوها وحدها فى مؤلف .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٦ ، حاشية(٢) .

(٣) اسم كتاب مشهور من موجزات الفقه على المذهب الحنفى .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٦ .

(٤) قباء : جمعها أقبية وهو ثوب له أكمام ضيقة .
انظر : ماير ، الملابس المملوكية ، ص٢٥ .

(٥) لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذه الأحداث .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٩ - ص٢١٧ .

(الثالث) في مآثره : قال بيبرس : اعتنى بأرض الحجاز ، فبنى حمامين بمعان للرجال والنساء ، وأقام لهم الضيافة عند رواحهم إلى مكة ومجيئهم ، وزرع طريق الحجاز من باب الجابية إلى مكة ، وحفر البرك والمصانع ، وأوقف على الحاج ضياعا بالساحل ، وعلى المدارس ، وأخذ قلعة العلى من بنى صخر لما حج سنة إحدى عشرة وستمائة ، ورتب فيها جماعة ، وعمر المساجد عند جعفر[١] الطيار ، وأقام الضيافات للزوار ، وبنى سور دمشق ، وله آثار كثيرة ومآثر مشهورة[٢] .

وفي المرآة[٣] : بنى مدرسة[٤] بقاسيون[٥] ، ودفن فيها والدته وأخاه المغيث ، ومدرسة بالقدس[٦] ، ودار الضيف ، وبنى الطارمة[٧] التي على الباب الحديد[٨] والطيارة[٩] التي عند باب السر[١٠] المشرفة على دار المعظم[١١] العتيقة ، وبنى الخان على باب الجابية .

(الرابع) في وفاته : كان قد جهز العساكر إلى نابلس خوفاً من اتفاق الأنبرور مع أخيه الكامل ، ومرض في نصف شوال ، وكان عنده رسل الخوارزمي[١٢] .

---

(١) جعفر الطيار : من منازل طريق الحج بين دمشق والمدينة .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٨٤ ، حاشية (٣) .
(٢) وردت هذه الأحداث في مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٩ .
(٣) سبط ابن الجوزي ، ج٨ ، ص٤٢٩ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٥٨٤ .
(٤) المدرسة المعظمية : بالصالحية بسفح قاسيون الغربي جوار المدرسة العزيزية ، أنشئت في سنة ٦٢١هـ .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٧٩ .
(٥) قاسيون : هو الجبل المشرف على مدينة دمشق ، وفيه آثار الأنبياء ، وهو جبل معظم مقدس .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣ .
(٦) مدرسة بالقدس : وهي المدرسة المعظمية وقف الملك المعظم عيسى مقابل باب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية ، تاريخ وقفها سنة ٦٦٠هـ ، وهي معمورة ، وكان يدرس فيها الخالدية خصوصا الكافية والهداية .
انظر : خطط الشام ، ج٦ ، ص١٢٣ .
(٧) الطارمة : بيت من الخشب كالقبة . وهو دخيل أعجمي مُعَرَّب ؛ لسان العرب ، مادة (طرم) .
(٨) الباب الحديد : خاص بالقلعة التي أحدثت غربي دمشق في دولة الأتراك ، سمى بذلك لأنه كله حديد فقيل الباب ثم تركت الألف واللام تخفيفا . تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، ج٢ ق١ ـ خطط دمشق .
(٩) الطيارة : هي دار ضيافة يطلق عليها اسم الطيارة الحمراء على سور باب النقفي في حماة .
انظر : خطط الشام ، ج٦ ، ص١٥٦ .
(١٠) باب السر : من أبواب دمشق . الدارس ، ج٢ ، ص٥٤ .
(١١) «دار الطعم» كذا في الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان حيث ينقل عنه العيني ، ج٨ ، ص٤٢٩ ؛ ودار المعظم العتيقة بنابلس . مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٨ .
(١٢) ورد هذا الخبر في نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٧ .

قال السبط[١] : حكى لى نجم الدين بن سلام قال : غرم عليهم فى تسعة أشهر تسع مائة ألف درهم ، واشتد مرضه وأصابه ذرب عظيم ، بحيث أنه رمى قطعة من كبده ومصراناً ، وكثرت الأقوال أنه سُقى السم ، واتهم به جماعة ، وآخر عهدى به ليلة الجمعة التاسع والعشرين من ذى القعدة ، دخلت عليه آخر النهار وعنده ولده الملك الناصر داود ، وكريم الدين الخلاَّطى ، ويعقوب الحكيم فى محفة ، قد زمن وقد تغيرت أحواله ، وطالع الموت فى محاسن وجهه ، فبكيت فقال : حاشاك حاشاك . وتحته طراحة خفيفة بندقى ومخدة ولحاف من جنسها ، وعلى رأسه كوفية ، وعند رأسه صينية إسبادروة فيها تراب ، فقلت : لكريم الدين ماهذه؟ قال : يتمم لكل صلاة ، وكان المعظم يقول : والله ما فاتنى صلاة قط ، وتوفى ثالث ساعة من نهار الجمعة أول يوم من ذى الحجة[٥٥] وغسله النجم خليل وكريم الدين يصب عليه ، وكان[قد][٢] أوصى أن لايدفن فى القلعة ، ويخرج إلى الميدان ويصلى عليه ، ويدفن بقاسيون على باب تربة والدته تحت الشجرة ، فلم تنفذ وصيته ، ودفن فى القلعة ، ثم أخرج بعد ذلك بمدة لما ملك الأشرف دمشق على حال غير مرض[٣] بين يديه نصف شمعة ، والعزيز خليل معه ، وبلغنى أن الحمالين طلبوا مايربطونه به على النعش ، فقيل له : اربطوه بعمامتكم ، ودفن مع والدته فى القبة عند الباب وفيها أخوه المغيث ، وعملنا له العزاء ثلاثة أيام فى جامع دمشق ، وجرى على الرعية فى وفاته ما لم يجر على غيرهم لموت أحد من الملوك ، رأيت بنات البيوت اللاتى لم يخرجن قط من خدورهن من أوائل الليل أتين إلى تحت القلعة ، قد شققن ثيابهن ، ونشرن شعورهن ، ومعهن الدرادك[٤] ، فيلطمن عليه ، ويقلن : ياصيحة يامعظم . ثم يمشين فى الأسواق ، ويلطمن إلى الصباح ، أقمن على ذلك شهراً ، وكذا فى الميادين طول النهار[٥] .

---

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٧ .
(٢) مابين حاصرتين إضافة من السبط الذى ينقل عنه العينى ، ج٨ ، ص٤٢٨ .
(٣) «مرضى» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه هو الصحيح لغة .
(٤) الدرادك :كلمة فارسية ومعناها جرس .
المعجم الذهبى ، فارسى ـ عربى ، د / محمد التونجى ، ص٢٥٨ .
(٥) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٧ ـ ص٤٢٨ .

ويقال : إنه مات يوم الجمعة ثامن ساعة من نهاره ، سلخ ذى القعدة من هذه السنة ، وكان نقله من القلعة إلى جبل الصالحية[١] ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة[٢] .

(الخامس) فى أولاده : خلف من الأولاد الذكور أربعة ، مات أحدهم صغيراً بعده بقليل ، والثلاثة الباقون أحدهم : الملك الناصر أبو المظفر داود[٣] ، وكان يلقب قبل ذلك الملك الحاكم ، وهو أكبرهم ، ومولده سنة ثلاث وستمائة ، وكان عمره لما مات أبوه إحدى وعشرين سنة ، وأمه تركية . وثانيهم : الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز ، وأمه أيضا تركية ، توفى سنة تسع وأربعين وستمائة ببلاد الشرق ، وخلف عدة أولاد . وثالثهم : الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ، وأمه رومية . وخلف[الملك[٤] المعظم بن العادل أيضا]عدة بنات ، إحداهن[٥] التى كان تزوج بها السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ولم يتفق حملها إليه[٦] .

وفى المرآة[٧] : وكانت له سبع[٨] بنات ، وقيل : تسع عشرة ، والله أعلم .

(السادس) فى ما ملكه من البلاد وغيره من أحواله[٥٦] : كانت مملكته من حدود حمص إلى العريش ، يدخل فى ذلك بلاد الساحل الإسلامية منها وبلاد الغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد ، وغير ذلك[٩] .

وقال ابن كثير[١٠] : وكان كثيرا ماينشد :

ومورد الوجنات أغيد خاله   بالحسن من فرط الملاحة عمهُ
كحل الجفون وكأن فى ألحاظه   كَحَلٌ فقلت سقى الحُسام وسَمَّهُ

(١) الصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق . معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٦٣ .
(٢) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٥ .
(٣) «داواد» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من الكامل ، ج١٢ ، ص ٤٧٢ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٤٩٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٣ .
(٤) مابين حاصرتين إضافة من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٩ لتوضيح المعنى .
(٥) «إحديهن» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٦) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٨ ـ ص٢١٩ .
(٧) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٠ .
(٨) «تسع بنات ، وقيل إحدى عشرة» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان حيث ينقل عنه العينى ، ج٨ ، ص٤٣
(٩) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٥ .
(١٠) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٥ ، ولم ترد فى ابن كثير كما ذكر العينى .

وكان ابن عنين الشاعر صاحبه ، وقد مرض ، فكتب إليه :

انظر إلى بعـين مـولى لـم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى يحتاج[١] ما أحتاجه فـاغنم ثوابى والثناء الوافى[٢]

فجاء إليه بنفسه يعوُده ومعه صرة فيها ثلاث مائة دينار ، فقال : هذه الصلة وأنا العائد ، وهذه لو وقعت لأكابر النحاة ومن هو فى ممارسته طول عمره لاستعظم منه ، ولاسيما مثل هذا الملك[٣] . ومدحه جماعة من الشعراء المجيدين ، وكانت له رغبة فى فن الأدب ، وكان جيد النظم[٤] .

وذكر أنه كان نازلا بنابلس مرة وفى معسكره بهاء الدين بن القيسرانى ، وكان المعظم قد بعث عسكراً فأغاروا على مدينة قيسارية ، وكانت يومئذ بيد الفرنج ، فأسروا وقتلوا وعادوا ومعهم أُتْرُجّ وليمُون[٥] من ثمار قيسارية ، فسيَّر منه شيئا إلى ابن القيسرانى المذكور ، فكتب إلى المعظم :

يأيها الملك المعظم والذى أضحت له الدنيا تُزف عروسا
أَوْلَيْتَنِى نعماً إذا أظهرتُها للناس أظهر حاسدُوها بُؤسا
فليهنك اليوم الذى قد اطلعت فيه الكؤوس كواكبا وشموسا[٦]

فكتب إليه المعظم :

يامن تفرَّد بالفضائل دائِبا أبدًا يؤسس مجدها تأسيسا
لازلت فى درج المكارم راقيا تعلو وربعك بالثنا مأنوسا[٧]

فكتب إليه بهاء الدين مجيباً :

مدح بمدح يُستطاب ولا أرى مابين ذَينِ دراهما وفُلوسا[٨]

---

(١) «أنا كالذى أحتاج ماتحتاجه» كذا الشطرة الأولى من البيت فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٦ .
(٢) ورد هذان البيتان فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٤٩٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٥ .
(٣) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٦ .
(٤) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٤ .
(٥) «لَيْموُ» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٧ .
(٦) وردت هذه الأبيات فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٧ - ص٢١٨ .
(٧) «محروسا» كذا فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٨ .
(٨) ورد هذا البيت فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص ٢١٨ .

فأمر له المعظم بقماش وذهب قيمته ألف دينار صورية[١] . وقال للرسول : قل له : [٥٧]فلوس مابيننا[٢] .

وفى تاريخ بيبرس : ورثاه شرف الدين بن عنين ، ومدح ولده الناصر داود بهذه القصيدة :

يادهر ويحك ماعدا مما بدا ... أرسلتَ سهمَ الحادثات فأَقصدا
أغمدت سيفا مرهفا شفراتُه ... قد كان فى ذات الاله مجردا
فافعل بجهدك ماتشاء فإننى ... بعد المعظم لا أبالى بالردى[٣]
ماخلتُه يفنى وأبقى بعده ... يابؤس عيشى[٤] ما أمرَّ وأنكدا
لهفى على بدر تغيب فى ثَرى ... رَمْس وبحرٍ فى ضريح ألحدا
أبقيت لى يادهر بعد فراقه ... كبدا مقرحة وجفنا أرمدا
وجوى يؤجج بين أثناء الحشا[٥] ... ناراً تزايَدُ بالدموع توقُّدا
لو كان خلق بالمكارم والتقى ... يبقى لكنت مع الزمان مخلَّدا
أوكان شقُّ الجيب ينقذ من ردى ... شقت عليك بنو أبيك الأ كبدُا
أوكان ينجى عنك دفع بالقنا الـ ... خطى غادرت الوشيج مُقصدا
ولقد تمنّت أن يكون فوارسٌ ... من آل أيوب الكرام لك الفدا
أبكيْتَ حتى نثرةً وطمرة ... وحزنت حتى ذابلا ومهندا
كم ليلة قد بت فيها لاتَرى ... إلا ظهور الأعوجيَّة مرقدا
تحمى حمى الإسلام منتصرا له ... بعزائم تستقرب المستبعدا
ولرُبَّ ملهوف دعاه لحادث ... جللٍ فكان جوابه قبل الصدا
ولطالما شمنا بوارق كفه ... فهمت سحائبها علينا عَسجدا

(١) دنانير صورية : هى الدنانير المسكوكة التى يؤتى بها من البلاد الإفرنجية والروم ، وهى مشخصة ، على أحد وجهيها صورة الملك الذى تضرب فى زمنه . ويعبر عنها بالإفرنتية .
انظر : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٣٧ .
(٢) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢١٧ ـ ص٢١٨ .
(٣) «الردا» كذا فى الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٠ .
(٤) «دهر» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٠ ، حاشية(٣) .
(٥) «الحشى» كذا فى الأصل ، والتصحيح من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٠ .

يامالكا من بعد فقدى وَجْهَه | جار الزمانُ علىَّ بعدَك واعتدا
اعزز علىَّ بأنْ يزورك راثيا | من كان زارك بالمدائح مُنْشدا
كم مَوْرِدٍ ضنك وردت وطعمه | مُر وقد عاف الكماة الموردا
وعزيزَ قوم مترفٍ سربلتَه | ذُلاً وكان الطاغىَ المتمردا
أركبتَه حلقات أدهم قصَّرَت | عنه الخُطَى من بعد أشقَر أجردا[1]
لولا دفَاعُك بالصوارم والقنا[2] | عن حوزة الإسلام عاد كما بدا[٥٨]
وديار مصر لو وَنَتْ عزماتُه | عن نصرها لتحكمت فيها العدا
ولأمست البيض الحرائرُ بينهم | فيها إماءً والموالى أَعبدا
ولأصبحت خيلُ الفرنج مغيرةً | تجتاب مابين البقيع[3]إلى كُدًا[4]
وبثغر دمياط فكم من بيعةٍ | عُبِد الصليب بها وكانت مسجدا
أجليت[5] ليلَ الكفر[6]عنها فانطوى | وأنرت فى عرصاتها فجر الهدى
ولقد شهدُتك يوم قيسارية | والشمس قد نسج القتام لها ردًا
والكفر معتصمٌ بسور مشرف الـ | أبراج أحكم بالصفيح وشُيدا
فجعلتَ عاليها مكان أساسها | وألنت للأخشاب[7] فيها الجلمدا
قل للأعادى إن فقدنا سيدا | يحمى الذمارَ فقد رزقنا[8]سيدا
الناصرُ الملك الذى أضحى برو | ح القُدس فى كل الأمور مؤيَّدا
أعلى الملوك مَحِلَّةً وأسَرُّهم | رأيا وأشجعهم وأنداهم يدا
ماضى العزائم لايُرى فى رأيه | يوم الكريهة حائرا متردِدا
يقظ يكادُ يُريه ثاقبَ رأْيه | فى يومه ماسوف يأتيه غدا[9]

---

(١)«عنه الخُطَى من أشقرا وأجرد» كذا الشطر الثانى فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢١ .
(٢)«القنى» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢١ .
(٣) البقيع : هى مقبرة أهل المدينة ، وكذا موضع بأسفل مكة .
معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٠٣ .
(٤) كُدًا : بأعلى مكة عند المحصَّب دار النبى ﷺ من ذى طوى .
معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٤١ .
(٥)«جليت» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٢ .
(٦)«الفكر» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٢ .
(٧)«كالأخشاب» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٢ .
(٨)«وجدنا» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٢ .
(٩) وردت هذه الأبيات فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

ذكر سلطنة الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم

لما مات والده المعظم فى التاريخ المذكور قام فى مملكته داود المذكور، وقام بأموره كلها أستادار[١] أبيه الأمير عز الدين[٢] أيبك المعظمى، وكانت بيده صرخد[٣] وأعمالها، واستمر فى خدمته عماه الملك العزيز عثمان صاحب بانياس وبلادها، وهو شقيق أبيه، والملك الصالح عماد[٤] الدين اسماعيل، وكانت له بصرى[٥]، والسواد[٦]، وابن عمه الملك المغيث[٧] شهاب الدين محمود بن الملك المغيث بن الملك العادل، ونفذت كتبه إلى عميه الملك الكامل بمصر والملك الأشرف بالتعزية بأبيه المعظم، فقعد كل منهما فى عزائه، ووصل إلى الملك الناصر علاء[٨] الدين بن شجاع الدين جلدك المظفرى التقوى رسولا من السلطان الملك الكامل ومعه الخلعة، وسنجق السلطنة، وكتب إليه بما طيب قلبه، وأقره على ممالك أبيه فلبس خلعة[٥٩] عمه، وركب بالسنجق الواصل إليه[٩].

(١) أستادار: وظيفة من وظائف أرباب السيوف، يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكسوة.
صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ ج٥، ص٤٥٧.

(٢) الأمير عز الدين أيبك المعظمى: توفى فى أوائل جمادى الأولى من سنة ٦٤٦هـ فى موضع اعتقاله بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر فى تربة شمس الدولة ثم نقل إلى تربته فى مدرسته التى أنشأها ظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير.
وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٦.

(٣) صَرْخَد: بلد ملاصق لبلاد حَوْران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة.
معجم البلدان ج٣، ص٣٨٠.

(٤) الملك الصالح عماد الدين أبو الجيش اسماعيل بن العادل، سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب وأعدم فى سلخ ذى القعدة من هذه السنة أى سنة ٦٢٤هـ.
شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤١.

(٥) بُصْرَى: بالشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران.
معجم البلدان ج١، ص٦٥٤.

(٦) السَّوَادُ: ناحية قرب البلقاء، سميت بذلك لسواد حجارتها.
معجم البلدان ج٣، ص١٧٤.

(٧) الملك المغيث شهاب الدين محمود بن الملك المغيث عمر بن الملك العادل، توفى سنة ٦٣٠هـ.
الذيل على الروضتين، ص١٦١.

(٨) علاء الدين بن شجاع الدين جلدك المظفرى التقوى: هو الأمير أبو المظفر عتيق تقى الدين عمر صاحب حماة، وكان دينا فاضلا، وعرف بوالى دمياط، ومات فى الثامن والعشرين من شعبان سنة ٦٢٨هـ بالقاهرة، وقد ناهز ثمانين سنة.
وفيات الأعيان، ج١، ص١٦٤ ـ ص١٦٧؛ فوات الوفيات، ج١، ص٢٠٩ ـ ص٢١١ ترجمة (٨٤)؛ شذرات الذهب، ج٥، ص١٢٧.

(٩) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب، ج٤، ص٢٢٤.

ثم طلب منه الكامل أن يسمح له من بلاده بقلعة الشوبك[١] فقط ليجعلها خزانة له ، فلم تقع منه الإجابة إلى ذلك ، فكان امتناعه سببا للوحشة بينهما[٢] .

ذكر وفاة الملك العادل صاحب الغرب

هو عبد الله بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب المغرب ، كانت ولايته فى سنة عشرين[٣] وستمائة بعد خلع عبد الواحد[٤] وقتله ، وفى أيام العادل هذا كانت الوقعة[٥] بين المسلمين والفرنج بالأندلس على طليطلة ، انهزم فيها المسلمون هزيمة قبيحة ، وهذه الوقعة هى التى هدت دعائم الإسلام بالأندلس ، ثم إن العادل المذكور خلع وحبس ثم خنق فى هذه السنة ، ونهب المصامدة قصره بمراكش واستباحوا حريمه[٦] .

ثم ملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، ويحيى يومئذ ماخط عذاره ، ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر بأنه قد قدم أشبيلية[٧] إدريس بن يعقوب المنصور وهو أخو العادل المذكور ، وتلقب إدريس المذكور بالمأمون ، وجميعهم كانوا يتلقبون بأمير المؤمنين ، وتعقد البيعة لهم بالخلافة ، ولما استقر أمر إدريس المذكور فى أشبيلية ثارت جماعة من أهل مراكش[٨] وانضم إليهم العرب ، ووثبوا على يحيى بن محمد الناصر ، وهرب يحيى إلى الجبل[٩] ، ثم اتصل

---

(١) قلعة الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٢ .

(٢) انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٥ ، وقد ذكرها ابن واصل ضمن أحداث سنة ٦٢٥هـ .

(٣) ذكر العينى أن عبد الله بن المنصور يعقوب هذا كانت ولايته بالمغرب سنة ٦٢٠هـ ، بعد خلع عبد الواحد وقتله ، بينما ذكر ابن العماد الحنبلى أن عبد الواحد هذا توفى سنة ٦٢١هـ .
انظر : شذارت الذهب ، ج٥ ، ص٩٥ .

(٤) عبد الواحد : هو أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ، توفى سنة ٦٢١هـ .
انظر : شذارت الذهب ، ج٥ ، ص٩٥ .

(٥) الوقعة بين المسلمين والفرنج بالأندلس فى أيام العادل هذا كانت سنة ٥٨٦هـ ، الكامل ، ج١٢ ، ص١١٣ - ص١١٦ ؛ وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص٤ - ص٩ .

(٦) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٦ ، ترجمة (٣٥٩) .

(٧) أشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس تسمى حصن أيضا ، وهى غربى قرطبة .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٧٥ .

(٨) مراكش : مدينة بالمغرب ، وهى فى البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام فى وسط بلاد البربر .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧٨ .

(٩) هو جبل دَرَنْ . وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٦ ، وهو جبل من جبال البربر بالمغرب .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٧٠ .

بعرب المعقل فغدروا به وقتلوه ، وخطب للمأمون إدريس فى مراكش ، واستقر أمره فى الخلافة بالبرين بر الأندلس وبر العدوة ، ثم خرج على إدريس المذكور بشرق الأندلس المتوكل بن هود ، فاستولى على الأندلس ، ففارق إدريس الأندلس وسار من أشبيلية ، وعبر البحر ووصل إلى مراكش ، وخرجت الأندلس حينئذ من ملك بنى عبد المؤمن . ولما استقر إدريس فى مراكش تتبع الخارجين على من تقدمه من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم ، وسفك دماءهم ودماء كثيرة حتى سموه لذلك الحجاج ، حجاج المغرب . وكان إدريس هذا فصيحا عالما بالأصول والفروع ، ناظما ناثرا ، أمر بإسقاط اسم مهديهم ابن تومرت من الخطبة على المنابر ، وعمل فى ذلك[٦٠] رسالة طويلة أفصح فيها بتكذيبهم وتكذيب مهديهم المذكور وضلاله ، ثم ثار على إدريس المذكور أخوه بسبتة[١] ، فسار إدريس من مراكش وحصره بمدينة سبتة ، ثم بلغ إدريس وهو محاصر سبتة أن بعض أولاد محمد الناصر بن يعقوب المنصور قد دخل إلى مراكش ، فرحل إدريس عن سبتة وسار إلى مراكش ، فمات فى الطريق بين سبتة ومراكش[٢] .

ولما مات إدريس ملك بعده ولده عبد الواحد بن إدريس ، وتلقب بالرشيد ، ثم توفى الرشيد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن غريقا فى صهريج ببستان له بحضرة مراكش فى سنة أربعين وستمائة ، وكان الرشيد المذكور حسن السياسة ، وكان أعاد ما أبطل والده إدريس من اسم مهديهم من الخطبة كما ذكرنا ، وقمع العرب ، إلا أنه تخلى بذاته بلذاته لما استقر أمره ، ولم يخطب للرشيد بإفريقية ولا بالمغرب الأوسط[٣] .

ولما مات الرشيد ملك بعده أخوه على بن إدريس ، وتلقب بالمعتضد أمير المؤمنين وكان أسود اللون ، وكان مدحوضا فى حياة والده ، وسجنه فى بعض الأوقات ، وقدم عليه أخاه الصغير عبد الواحد المذكور ، واستمر المعتضد المذكور حتى قتل وهو محاصر قلعة

---

(١) سَبْتَةَ : هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر ، وهى على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس ، وهى مدينة حصينة ضاربة فى البحر .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٠ .

(٢) وردت هذه الأحداث فى وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٦ ـ ص١٧ .

(٣) وردت هذه الأحداث فى وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ١٧ .

بالقرب من تلمسان[١] فى صفر سنة ست وأربعين وستمائة ، ثم ملك بعده أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف فى شهر ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وستمائة ، وتلقب بالمرتضى[٢] .

وفى الحادى والعشرين من المحرم من سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء إدريس المعروف بأبى دبوس مراكش ، وهرب المرتضى إلى آزمور من نواحى مراكش ، وقبض عليه عامله بها ، وبعثه إلى الواثق ، فأمر الواثق بقتله ، فقتل فى العشر الأخير من ربيع الآخر من سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له : كتامة . بُعده عن مراكش ثلاثة أيام ، وأقام الواثق أبو إدريس ثلاث سنين ، وقتل[٦١] فى الحروب التى كانت بينه وبين بنى مَرين ملوك تلمسان ، وانقضت دولة بنى عبد المؤمن . وكان قتل الواثق أبى دبوس المذكور فى المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام فى جهتها الشمالية ، واستولى بنو[٣] مرين على ملكهم . وسنذكر بقية أمورهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى[٤] .

ذكر هلاك جنكزخان

والكلام فيه على أنواع :

(الأول) فى ترجمته : هو السلطان الكبير عند التتار ، ولايعرف أبوه ، وهو مجهول النسب ، وقد كانت أمه تزعم أنها حملت به من شعاع الشمس ، وكان اسمه أولا تُمرجى ، ثم لما عظم سمى نفسه جِنْكِزخَان ، بكسر الجيم الممزوجة بالزاى ، وسكون النون وكسر الكاف الصماء ، وفتح الخاء المعجمة ، وبعد الألف نون . وأصل الاسم جنكز فقط ، ولفظه خان معناها السلطان بلغة التتار . وجنكزخان هو والد الخانات الذين أتوا بعده ، وتحكموا فى البلاد الشمالية والشرقية بأسرها ، وكل من يتولى من ذريته يسمى خانا ، وعادتهم أنهم لايجعلون الخان إلا من كان من ذرية جنكيزخان ، وإلى هذا الزمان الأمر على هذا ، وذريته لم تنقطع إلى الآن ، وقد كان ظهور جنكيز خان فى سنة تسع

(١) تلمْسان : هما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر ، إحداهما قديمة ، والأخرى حديثة .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٧١ .
(٢) ورد هذا الخبر فى وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ١٧ ـ ص١٨ .
(٣) «بنى» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٤) وردت هذه الأحداث فى وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص ١٨ .

وتسعين وخمسمائة كما ذكرناه ، وكان فى ابتداء أمره [خصيصا عند][١] ملك يسمى أُوَيْك[٢] خان ، بضم الهمزة وفتح الواو وسكون الياء آخر الحروف وبعدها كاف ، وكان خانا فى مملكة الصين من جملة الخانات ، وفى قديم الزمان كانت مملكة الصين منقسمة ستة أجزاء ، كل جزء مسيرة شهر ، يتولى أمر كل جزء خان بعد خان يعنى سلطان بعد سلطان ، ومن عادتهم الإقامة بطمغاج[٣] ، وهى واسطة الصين ونواحيها ، طول صيفهم متنقلون[٤] من مصيف إلى مصيف ، ومن ريف إلى ريف ، فإذا أقبل الشتاء يشتون فى موضع يسمى ماكنك مما يلى قَشْمير ، وهى مشاتى ساحلية طيبة الأغوار والأنجاد ، ولما كان جنكيزخان[٦٢] شابا ، وكان شابا حسنا ، كان عند أويك خان خصيصا ، وكان هذا الملك قد قربه وأدناه ، فحسده عظماء الملك ، ووشوا به إليه ، فأبعده عنه وطرده ولم يقتله ، إذ لم يجد طريقا[فى ذنب][٥] إلى قتله ، وجنكيز خان فى ذلك إذ غضب أويك خان على مملوكين صغيرين من مماليكه ، فخافا منه وهربا ولجآ إلى جنكيزخان ، فأكرمهما وأحسن إليهما ، وقالا له : إن الملك قصده أن يقتلك ، وحرضه خواصه على ذلك ، فاحذر منه . فأخذ حذره وتحيز إلى موضع ، وأتبعه طوائف من التتار ، ثم صار كل من ينفر من أويك خان يأتى إليه ويلتجئ به ، وصار كثير من أصحابه إليه[٦] ، وكان جنكيزخان يكرمهم ويعطيهم ، حتى قويت شوكته وكثر جنوده ، ثم حارب بعد ذلك مع أويك خان ، فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته ، وانضاف إليه عَدَدهُ وعُدَدُه ، وعظم أمره وبعد صيته ، وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمغاج ، حتى آل أمره إلى أنه كان يركب فى نحو ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكبر القبائل قبيلته التى هو من أصلهم ، يقال لها : قيات[٧] ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتان كثيرتا العدد وهما : أويرات[٨] وقيقورات[٩] .

---

(١) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية لاستقامة المعنى ، ج١٣ ، ص١٢٧ .
(٢) «أزبك خان» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ .
(٣) «طوغاج» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٣٩ ، حاشية(١) .
وطمغاج : كانت عاصمة امبراطورية كين تسمى بن كنج ، وليس طمغاج ويحتمل أن تكون كلمة طمغاج وطفغاغ تحريف لكلمة من اللهجة التركية الشرقية «تبغاج» ومعناها المعظم أو المشهور .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٩ ، حاشية(١) .
(٤)« متنقلين» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .
(٥) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية لاستقامة المعنى ، ج١٣ ، ص١٢٧ .
(٦) يقصد أصحاب أزبك خان . البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ .
(٧) «قيان» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ .
(٨) «أزان وقنقوران» فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧
(٩) وردت هذه الأحداث فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ .

وقال أبو الفتح المنشئ ، محمد بن أحمد النسائى : وكان فى جملة الخانات الستة شخص يسمى دوشى خان ، وكان متزوجا بعمة جنكيزخان ، وهم سكان البرارى ومنشأهم موضع يسمى أرغون[١] ، وهم مشهورون بين التتار بالشر والغدر ، واتفق أن دوشى خان مات وقد حضر جنكيز خان[٢] معزيا لعمته ، وزائرا لها ، وكان متاخم أعمال دوشى خان خانان أحدهما يسمى كشلوخان ، والآخر يسمى دلان خان ، فأرسلت عمة جنكيز خان إليهما تنعى زوجها دوشى خان ، وأنه مات ولم يخلف ولدا ، وأن ابن أخيها[٣] جنكيزخان يقوم مقامه ويحذو حذوه فى معاضدتهما واتباع إرادتهما ، فاستصوبا رأيها فيما رأت ، وأشارا عليها بتقليد الأمر إلى جنكيزخان ، فعند ذلك قام جنكيزخان مقام المتوفى ، وكل ذلك كان وخانهم الكبير الذى يرجع إليه فى الأمور كان غائبا فى[٦٣] مشتاه واسمه ألطون خان ، فلما عاد ألطون خان من مشتاه إلى مدينته طمغاج سأل[٤] حجابه ونوابه عن القضايا التى حدثت فى زمن غيبته ، فأخبروه بخبر جنكيزخان وقيامه مقام زوج عمته دوشى خان ، بموافقة الخانين المذكورين ، فغضب من ذلك ألطون خان حيث تولى جنكيز خان موضع دوشى خان بغير أمره ، وبغير مراجعته[٥] ، وغضب على الخانين المذكورين أيضا ، ثم فى عقب ذلك جاءت مقدمة جنكيزخان إلى ألطون خان ، فازداد غضبا ، وأمر بقطع أذناب الخيل التى أرسلها جنكيزخان ، وردها إليه ، مع السب والشتيمة ، ولمن أتى بها ولمرسلها وللخانين المذكورين ، فعند ذلك اتفق جنكيزخان مع الخانين المذكورين ، وخرجوا على ألطون خان ، ونزعوا أيديهم عن طاعته[٦] .

ولما بلغ ذلك ألطون خان أرسل إليهم فى استردادهم إلى الطاعة ولاطفهم ، فلم يزدهم ذلك إلا نفورا ، فلما أيس منهم جمع عسكره وسار إليهم ، فالتقى هو وإياهم ، فكسروه أقبح كسرة ، وقتلوا من عسكره مقتلة عظيمة ، وهرب ألطون خان بنفسه ، وببعض

---

(١) أرغون : مكان يقع بين الجبال الواقعة فى جنوب بحيرة بيكال .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٩ ، حاشية(٥) .

(٢)«جنكاز خان» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص٤٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ .

(٣)«أخيه» كذا فى الأصل ، والتصحيح من سيرة منكبرتى ، ص٤٠ .

(٤)«سأل عن حجابه» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

(٥)«مراجعته إليه» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

(٦) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٨ ـ ص٤٠ .

خواصه إلى ماوراء كنك[١] وأخلى لهم البلاد، فتمكنوا فيها، وتملكوها، وانضم إليهم من الترك ومن أوباشها كل طامع فى مال وكل ذى فساد، فأخذ أمر ألطون خان فى إدبار وضعف، فأرسل إليهم بأنه يقنع بما تحت يده من الملك الحقير، فأجابوه إلى ما سأل، واستمر الأمر بينهم إلى أن مات كشلوخان، وقام ابنه مقامه وهو صغير، فاستضعف جنكيزخان جانبه لصغر سنه، وأخل بالقواعد المقررة بينه وبين أبيه[٢].

فلما رأى ذلك فارق[كشلوخان][٣] جنكيزخان وذهب إلى حدود قيالق[٤] وألمالق[٥]، والتجأ بصاحبها ممدود خان بن أرسلان، واتفق وصول كوُرخان[٦] ملك الخطا إليه هاربا من وقعة جرت بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش، وهى آخر الوقائع بينهما، ثم أشار ممدودخان عَلَى[٧] كشلوخان أن يقصد كاشغر[٨] وبلاساقون[٩] فسار إليها واستولى عليها[١٠].

ولما بلغ ذلك جنكيزخان جرد إليه ابنه دوشى خان فى عشرين ألف فارس أو أكثر، وكان السلطان خوارزم شاه أيضا قد قصده من جهته فى ستين ألف فارس، ولكنهم لما وصلوا إلى نهر أرغز وجدوه جامدا، فلم يمكنهم[٦٤] العبور، فأقاموا هناك حتى ذاب

---

(١) كنك : اسم واد فى بلاد الهند.
انظر : معجم البلدان، ج٤، ص٣١٢.
(٢) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى، ص٤١ - ٤٢.
(٣) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى لاستقامة المعنى، ص ٤٢.
(٤) قيالق : إحدى مدن إقليم التركستان، وكانت من المدن التى تضمها دولة الخطا.
انظر : سيرة منكبرتى، ص٤٣، حاشية(١).
(٥) ألمالق : ذكرت فى المراجع الصينية، إحدى مدن تركستان، وكانت فى وقت من الأوقات من أمهات مدن دولة الخطا، وترجع أهميتها إلى أنها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفارس.
انظر : سيرة منكبرتى، ص٤٣، حاشية(٢).
(٦) كورخان : لقب اتخذه ملوك دولة الخطا لأنفسهم، ومعناه خان خانان أى ملك الملوك أو سلطان السلاطين.
انظر : سيرة منكبرتى، ص٤٣، حاشية(٤).
(٧) «على بن كشلوخان» كذا فى الأصل، وما أثبتناه من سيرة منكبرتى، ص٤٣.
(٨) كاشغر : هى مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند، وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون.
انظر : معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧.
(٩) بلا ساقون : وتكتب بلاساغون أيضا، وهى بلد عظيم فى ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر. وهى من أمهات مدن إقليم التركستان وقد اتخذها بى لوتاشى مؤسس دولة الخطا حاضرة لملكه فترة من الزمن وذلك قبل أن ينتقل إلى كاشغر.
انظر : معجم البلدان، ج١، ص٧٠٨؛ سيرة منكبرتى، ص٤٢، حاشية(١).
(١٠) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى، ص٤٣.

الجليد ، فعبروا وأخذوا فى السير ، وكان دوشى خان قد ظفر بابن[1] كشلوخان الذى استولى على كاشغر وغيرها ، وقتله وقتل خلقا كثيرا من الخطا ، وعاد ولقى فى طريقه طلائع خوارزم شاه ، ولما بلغ دوشى خان ذلك علم أنه لاطاقة له بمقاتلة السلطان خوارزم شاه ، فأرسل إليه يعتذر ويقول له : إنى قد كفيت ما أنت اهتممت به وقتلت عدو السلطان ، وهذا رأسه معى وغنائمهم فى صحبتى ، فإن أراد السلطان أرسلها إليه ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه ، وقال لرسله : إن الله تعالى أمرنى بقتال المشركين كافة ولافرق عندى بينك وبين ابن[2] كشلوخان لاشتراككم فى الكفر والشرك ، وتقدم السلطان للقائهم[3] ، فآخر الأمر تلاقيا ، وحمل دوشى خان بن جنكيزخان على ميسرة السلطان فكسرها ، وكادت الهزيمة تستمر بالسلطان ، لولا تحمل ميمنته على ميسرة دوشى خان ، وتفرق الفريقان ، ولم يعلم الغالب من المغلوب ، ولكنهم على ميعاد الحرب من غد ، وأشعل[4] عسكر دوشى خان فى تلك الليلة نيرانا كثيرة ، مظهرين بأنهم ثابتون ، وعلى نية الحرب بايتون ، ثم ركبوا فى أثناء الليل ، فقطعوا مسافة بعيدة مديدة فى تلك الليلة ، ولما علم السلطان بذلك عاد إلى بلاده ونزل بسمرقند[5] . ثم بعد ذلك لم تزل الحروب قائمة بين عسكر جنكيزخان وبين عسكر السلطان خوارزم شاه ، ثم من بعده بينهم وبين عسكر جلال الدين بن خوارزم شاه على ماذكرناه فى السنين المتقدمة ، وإلى الآن الحروب قائمة والفتن منتشرة .

(الثانى) فى سيرة جنكيزخان وأموره

ومن سيرته أنه لما عظم شأنه وملك تلك البلاد وضع للتتار الياساق[6] ، وهى التى يتحاكمون إليها ويحكمون بها ولايخرجون عنها ، وأكثرها تخالف شرائع الله عز وجل

(١)« قد ظفر بكشلوخان» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٤٦ .
(٢)« وبين كورخان وكشلوخان» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٤٨ .
(٣)«للتقاهم» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .
(٤)«وأشعلت» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص٤٦ ـ ص٤٨ ، فى أحداث عام ٦١٢هـ .
(٦) الياساق : وتسمى أيضا الأسة أو الياسا أو اليسق وهى مجموعة الشرائع المغولية التى وضعها جنكيزخان لتنظيم نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك بين المغول واشتهرت الياسا بقسوة أحكامها ومنها : قتل الزانى ، وقتل التاجر الذى يخسر فى بضاعته بعد المرة الثالثة ، وقتل من يأوى أسرى الحرب دون إذن ومن يقصر فى معاونة زميله أثناء الحرب ، ونص أيضا على احترام الفقراء والعلماء ورجال الدين على اختلاف أديانهم ، وساوى بين جميع أفراد الشعب ، وحرم عيهم منح الألقاب ، كما نظم الجيش والبريد .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٢ ، حاشية(١) ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٧ ، حاشية (١) .

وسنة نبيه(ﷺ) وإنما هو شئ اقترحه من عند نفسه ، وتبعوه فى ذلك ، وكان يكتب الياساق[٦٥] فى مجلدين بخط عظيم ، ويحمل على بعير عندهم[١] ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل حتى يَعْيَى ، فيقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب مايلقى على لسانه حينئذ ، فإن كان هذا هكذا ، فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها ، وذكر علاء[٢] الدين الجوينى الوزير ببغداد ـ وقد ذكر سيرته فى مجلد واحد ـ أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال فى البرد الشديد للعبادة ، فسمع قائلا يقول له : إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض . وقال الجوينى : فمشايخ المغول يصدقون هذا ، ويأخذون به مسلما . وذكر نتفامن الياساق ، من ذلك : أن من زنى يقتل محصنا كان أو غير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن تجسس قتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ، ومن بال فى الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ، ومن وجدها رباً ولم يَرُدُّه قتل ، ومن أطعم أسيرا أوسقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل ، بل يناوله من يده إلى يده ، ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المُطعِمْ أمير الأسير ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ، ومن ذبح حيوانا ذُبح مثله ، بل يشق جوفه ويتناول[٣] قلبه بيده ويستخرجه من جوفه أولا ، وفى هذا ما يخالف شرائع الله تعالى التى شرع لأنبيائه ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد(ﷺ) وتحاكم إلى غير ذلك من الشرائع المنسوخه كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياساق وقدمها عليها؟! فمن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين . قال الجوينى : ومن شأنهم أنهم يخاطبون الملك باسمه ، ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولايتخطى مواقد النار ، ولاطبق الطعام ، ولا أسكفة[٤] الخركاة ولايغسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ، ولايتعرضون لمال ميت ، ونحو ذلك . قال الجوينى : وكان جنكيزخان يصطاد من السنة

---

(١)«معظم عندهم» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ ، لتوضيح المعنى .

(٢) علاء الدين الجوينى الوزير ببغداد : هو علاء الدين عطا مالك الجوينى بن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الخراسانى ، صاحب كتاب جهانكشا ، توفى سنة ٦٨٣هـ ، وهو من جوين إحدى مقاطعات فارس .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٨٠ ، حاشية(٤) ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٣٨٢ .

(٣)«ويتناوك» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٨ لتوضيح المعنى .

(٤) أسْكُفَّة الخركاة : الخركاه كلمة فارسية معناها خيمة ، والأسكفة خشبة الباب التى يوطأ عليها ، فالأسكفة هى عتبة الباب .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٩٨ ، حاشية(٥) ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢٩ ، حاشية(٢) ؛ القاموس المحيط ؛ المعجم الوجيز ـ مادة «سكف» .

ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم ، وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ، ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع[٦٦] الحيوانات شيء كثير لايحد كثرة[١] .

وذكر الجويني طرفا كبيرا من أخبار جنكيزخان ومن مكارمه التي كان يفعلها بسجيته ، وما أداه إليه عقله ، وإن كان مشركا بالله تعالى ، يعبد معه غيره ، وقد قتل من الخلائق ما لايعلم عدده إلا الله الذي خلقهم ، ولكن كانت البُدَاءه من السلطان خوارزم شاه ، حيث قتل تُجّاره ، وأخذ أموالهم على ماذكرناه ، ومما ذكره عن كرمه أنه قدم له بعض الفلاحين وهو في الصيد ثلاث بطيخات ، فلم يكن عنده أحد من الخازندارية[٢] ، فقال لزوجته الخاتون[٣] : أعطيه هذين القرطين اللذين في أذنيك ، وكانت فيهما جوهرتان نفيستان جدا ، فشحت المرأة بهما ، وقالت : أنظره إلى غد . فقال : إنه يبيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لايُحَصِّل له[شيء][٤]من بعد هذا ، وإن هذين لايمكن أحد[٥] إذا اشتراهما إلا جاء بهما إليك ، فانتزعتهما فدفعتهما إلى ذلك الفلاح ، فطار عقله بهما ، وذهب بهما فباعهما لبعض التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك ، فردهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك وقال :

ومن قال إن البحر والقطرَ أشبها نداهُ فقد أثنى على البحر والقَطْرِ

قال : واجتاز يوما في سوق فرأى عند بقال عُنّابا فأعجبه لونه ، ومالت نفسه إليه ، فأمر الحاجب أن يشترى منه ببالس[٦] فاشترى الحاجب منه بربع بالس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه ، وقال : هذا كله ببالس . فقال : وبقي منه هذا . فأشار إلى مابقي معه[٧] من

---

(١) وردت هذه الأحداث باختصار في سيرة منكبرتي ، ص١٢ ، حاشية(١) ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٦ -٣٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) الخازندارية : مفردها «الخازن» أو «الخازندار» وهي وظيفة يشرف فيها الخازن على ديوان لأموال الدولة يساعده موظفون مختصون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال .
انظر : سيرة منكبرتي ، ص٥٨ ، حاشية(١) .

(٣) الخاتون : هي السيدة عريقة الأصل ، وجمعها «خاتونات» .
انظر : محمد التونجي ، المعجم الذهبي ، ج١ ، ص٢٣٠ ، بيروت ١٩٨٠م .

(٤) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، لاستقامة المعنى ، ج١٣ ، ص ١٢٩ .

(٥)«أحدا» كذا في الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٦) بالس : وهو البلس ، وربما يكون المقصود به الفلْس وهي أقل وحدات النقود ، وهي التي تصنع من نحاس ، وصارت قيمة الفلس إذ ذاك ١٦/١ من الدرهم الفضة . نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣١ ، حاشية(١) .

(٧)«بعده» كذا في الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

المال . فغضب وقال : من يجد من يشترى منه مثلى؟ فتمموا له عشرة بوالس . قال : وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب ، فاستحسنه جنكيزخان ، فوهن أمره عنده بعض خواصه ، وقال : ياخواند[١] هذا زجاج لاقيمة له . فقال : أليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالما؟ أعطوه مائتى بالس . قال : وقيل له : إن فى هذا المكان كنزاً عظيماً ، فإن[٢] فتحته أخذت منه مالا كثيرا . فقال : الذى فى أيدينا يكفينا ، ودع هذا يفتحه الناس ويأكلونه وهم أحق به منا ، ولم يتعرض له . قال : واشتهر عن رجل فى بلاده أنه يقول : أنا أعرف موضع كنز[٣] [٦٧] ولا أقول له إلا للخان ، وألح عليه الأمراء أن يعلمهم ، فلم يفعل ، فذكروا ذلك للخان ، فأحضره على خيل أولاق ـ يعنى البريد ـ سريعا ، فلما حضر إلى ما بين يديه ، سأله عن الكنز ، فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك ، فلما رأى تغير كلامه غضب ، وقال له : قد حصل لك ما أملت . فارجع إلى موضعك . وأمر برده سالما . ولم يعطه شيئا . قال الجوينى : وهذا غريب . قال : وأهدى له إنسان رمانه ، فكسرها وفرق حَبَّها على الحاضرين ، ثم أمر له بعدد حبها بوالس . ثم أنشد :

فلذاك يزدحم الوفود ببابه مثل ازدحام الحب فى الرمان

قال : وقدم عليه رجل كافر ، يقول : رأيت فى النوم جنكيزخان وهو يقول لى : اقتل المسلمين . فقال له : هذا كذب . فأمر بقتله . قال : وأمر بقتل ثلاثة قد قضت الياساق بقتلهم ، فإذا امرأة تبكى وتلطم ، فقال : ماهذه؟ أحضروها . فقالت : هذا ابنى ، وهذا أخى ، وهذا زوجى . فقال : اختارى واحدا منهم حتى أطلقه لك . فقالت : الزوج يجئ مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له . فاستحسن ذلك منها ، وأطلق الثلاثة لها . قال : وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، وذكر غير ذلك من أموره[٤] .

(١) خواند : وتكتب أيضا خوند ، وهو لفظ تركى أو فارسى وأصله خُداوند ومعناه السيد أو الأمير ، ويخاطب به الذكور والإناث على السواء ، والخوند فى اصطلاح عشائر لبنان من كان فى الرتبة دون الأمير ، وفوق الشيخ أو المقدم . انظر : محيط المحيط ، مادة «خوى» .

(٢) «فلين» كذا فى الأصل وما أثبتناه هو الصحيح لاستقامة المعنى ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٩ .

(٣) «كذا» كذا فى الأصل وما أثبتناه هو الصحيح لاستقامة المعنى ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٩ .

(٤) وردت هذه الأحداث فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٨ ـ ص١٣٠ .

(الثالث) فى هلاكه : هلك جنكيزخان فى هذه السنة ، ولما توفى جعلوه فى تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هناك ، ولما احتضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق ، وضرب لهم فى ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشابا ، فأخذ سهما فأعطاه الواحد منهم فكسره ، وكذلك الآخر فالآخر ، ثم أحضر حزمة أخرى ودفعها مجموعة إليهم ، فلم يطيقوا كسرها ، فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم ، وذاك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم . قال الجوينى : وكان له أولاد ذكور وإناث ، ومنهم خمسة هم عظماء أولاده وهم : توشى وهو أكبرهم ، وهو الذى يقال له : دوشى خان . وهزنوك ، وباظو ، وبركة ، وبركجار ، وهم الذين ملكوا بلاد ما[٦٨] وراء النهر وبلاد خراسان ، وغير ذلك إلى البلاد الفراتية ، وبلاد الدشت[١] وغيرها ، واستولوا على البلاد ، هم ثم أولادهم ، وأولاد أولادهم ، على مانذكره مفصلا ، وإلى الآن لم تنقطع ذريتهم[٢] .

ذكر بقية الحوادث فى هذه السنة

منها أنه ولى قضاء القضاة ببغداد نجم الدين أبو المعالى عبد الرحمن الواسطى ، وخلع عليه كما هى عادة الحكام ، وكان يوما مشهودا[٣] .

ومنها أنه كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة ، وقلة اللحم جدا حتى حكى ابن الأثير[٤] : أنه لم يذبح بمدينة الموصل فى بعض الأيام سوى خروف واحد فى زمن الربيع .

ومنها أنه سقط فى عاشر آذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق ، وهذا شئ غريب[٥] لم يعهد مثله ، والعجب كل العجب وقوع الثلج فى العراق مع شدة حره ، والله على كل شئ قدير[٦] .

---

(١) بلاد الدشت : الدشت قرية من قرى أصفهان والدشت أيضاً بليدة فى وسط الجبال بين أربيل وتبريز . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٧٥ - ص٥٧٦ .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص١٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٧ - ص١٣٠ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

(٤) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

(٥) «واحد» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٣ لاستقامة المعنى .

(٦) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ .

ومنها أن الأتابك طغريل الخادم[١] انتزع الشغر[٢] وبكاس[٣] من الملك الصالح أحمد[٤] بن الملك الظاهر وعوضه عنها بعينتاب[٥] والراوندان[٦]، [٧] .

ومنها أن الملك الكامل صاحب مصر أمر بهدم تنيس[٨] ، وسير إليها النقابين والحجارين ، فهدمت وأخليت من يومئذ ، وكانت من البلاد الجليلة بديار مصر كدمياط واسكندرية ، وكان ينسج فيها ثياب من الحرير وغيره يجُلب إلى البلاد[٩] .

ومنها أنه كانت الحرب بين صاحب آمد وسلطان الروم ، وذلك أن صاحب آمد الملك المسعود[١٠] بن الملك الصالح محمود بن محمد الأرتقى كان قد وافق الملك المعظم معاضداً له ، ولصاحب إربل[١١] ، وجلال الدين خوارزم شاه ، وكان السلطان

---

(١) الأتابك طغريل الخادم : هو طغريك شهاب الدين الخادم ، أتابك صاحب حلب الملك العزيز ، ومدبر دولته ، كان صالحا خيرا متعبدا ، كثير المعروف ذا رأى وعقل وسياسة وعدل ، حسن السيرة ، محمود الطريقة ، وكان خادما أرمنى الجنس أبيض ، توفى ليلة الاثنين ١١من محرم سنة ٦٣١هـ بحلب ، ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب الأربعين .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٠٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(٢) الشُغر : هى قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس وعلى رأس جبلين بينهما واد كالخندق ، وهما قرب أنطاكية .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٠٣ .

(٣) بَكَاسُ : قلعة من نواحى حلب على شاطئ العاصى .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٠٤ .

(٤) الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب عين تاب ، ولد فى صفر سنة ستمائة بحلب ، وتوفى بعين تاب فى شعبان سنة ٦٥١هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٥٣ .

(٥) عَيْنتاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية ، وكانت تعرف بدُلُوك ، وهى من أعمال حلب .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٥٩ .

(٦) الرَّاوَنْدان : قلعة حصينة وكورة طيبة من نواحى حلب .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٤١ .

(٧) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٨ .

(٨) تِنِّيس : جزيرة فى بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفَرَما ودمياط ، وهى أيضا بلدة تلك الجزيرة ، وكانت ثغر من الثغور المصرية ، وموقع مكانها الآن شمال شرقى بحيرة المنزلة قرب بورسعيد .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٨٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٩ .

(٩) ورد هذا الخبر فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٣٩ - ص١٤٠ .

(١٠) الملك المسعود بن الملك الصالح محمود بن محمد الأرتقى : هو ابن الملك الصالح ناصر الدين محمود بن نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق ، صاحب آمد قام بالملك بعد وفاة أبيه ، الذى توفى عام ٦١٩هـ .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٠٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٣٠ .

(١١) صاحب إربل هو مظفر الدين بن زين الدين .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٢ .

علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقى خائفا من جلال الدين ، فاتفق مع الملك الأشرف لذلك ، فلما كانت هذه السنة أرسل إليه الأشرف يطلب منه أن يقصد بلاد آمد ، فسار علاء الدين إلى ملطية[١] وهى له ، وجهز منها العساكر إلى بلاد آمد ، ففتحوا حصن[٢] منصور[٦٩] وغيره كما ذكرناه متقدما ، فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الأشرف وعاد إلى موافقته ، فأرسل الأشرف إلى علاء الدين سلطان الروم يعرفه ذلك ، ويطلب منه أن يعيد على صاحب آمد ما أخذ منه ، فامتنع من ذلك ، وقال : ماكنت نائبا للأشرف يأمرنى تارة وينهانى أخرى . فأمر الملك الأشرف عسكره بمساعدة صاحب آمد ، وجمع صاحب آمد عسكره ، وسار بالجميع إلى عسكر الروم وهم يحاصرون الكختين[٣] من بلاده ، فالتقوا هناك واقتتلوا ، فانهزم صاحب آمد ومن معه ، وجرح وأسر منهم خلق ، وملك عسكر علاء الدين الكختين ـ وهى من أمنع الحصون ـ ثم عادوا إلى صاحبهم[٤] .

ومنها أنه وقعت فتنة بين الفرنج والأرمن ، وذلك أن ليون الأرمنى توفى ولم يخلف سوى بنت واحدة ، فملكها الأرمن عليهم وزوجوها بابن البرنس ، وانتقل إلى بلدهم ، واستقر فى الملك نحو سنة ، ثم ندموا على ذلك ، وخافوا أن يستولى الفرنج على بلادهم ، فقبضوا على ابن البرنس ، فأرسل أبوه يطلب منهم إطلاقه ، فلم يفعلوا ، فأرسل إلى الباب ملك الفرنج يستأذنه فى قصد بلاد الأرمن فمنعه ، وقال : إنهم أهل ملتنا ولايجوز قصد بلادهم . فخالفه وأرسل إلى علاء الدين كيقباذ ملك قونية ، وصالحه ووافقه على قصد بلاد الأرمن ، فدخلها ونهبها وعاد عنها[٥] .

وفيها . . . . . .[٦]

---

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام ، وهى للمسلمين .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٣٣ ـ ص٦٣٤ .

(٢)حصن منصور : يقع غربى نهر الفرات قرب سميساط وكان ضمن مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

(٣)الكختين : هى كختا وهى قلعة حصينة عالية البناء بينها وبين ملطية مسيرة يومين فى طرف الحد الشمالى للشام على مرحلة من حصن منصور .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص١٧٨ ، حاشية(٧) ؛ ص٢٠٣ ؛ صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٢٠ .

(٤) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٥٨ ـ ص٤٥٩ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٢ ـ ص٢٠٣ ، وذلك فى أحداث عام ٦٢٣هـ .

(٥) ورد هذا الحدث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٤ ـ ص٤٦٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢١ .

(٦) بياض بالأصل بمقدار نصف صفحة .

وفيها حج بالناس من العراق شمس الدين قيران مملوك الخليفة ، ومن الشام الشجاع ابن السلار ، وهى آخر إمرته على الشام ، وآخر السنين التى كان الحج فيها رخيا طيبا ، وانقطع ركب الحج بعدها مدة بسبب ما وقع بالشام من الاختلاف والفتن[١] .

وفيها حج من ميافارقين سلطانها وهو شهاب الدين غازى بن الملك العادل وقد ذكرناه[٢] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أبو المعالى أسعد بن يحيى ، بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب ، الفقيه الشافعى السنجارى ، شيخ أديب فاضل خَيِّر ، له نظم ونثر ظريف ، وله نوادر[٧٠] حسنة ، وقد جاوز التسعين ، وقد استوزره صاحب حماة فى وقت[٣] ، وله شعر رائق أورد منه ابن الساعى قطعة جيدة ، فمن ذلك قوله :

وهواك ماخطر السلوُّ بباله[٤] ... ولأنت أعلمُ فى الغرام بحاله
فمتى وشى واش إليك بأنه ... سالٍ هواك فذاك من عُذَّاله
أو ليس للدَّنف المعنَّى شاهدٌ ... من حاله يُغْنيك[٥] عن تسآله
جددت ثوب سقامه وهتكت ستـ ... ـر غرامه وصَرَمت حبل وصاله
ياللعجائب من أسير دأبُهُ ... يَفْدِى الطليق بنفسه وبماله[٦]

(١) ورد هذا الحدث فى الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ـ ص١٥٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٤ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٢٤ .

(٣) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٢١٤ ـ ص٢١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكى ، ج٥ ، ص٥٠ .

(٤) «ببابه» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى .
وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٤ ، ولكنه ذكر فى وفيات سنة ٦٢٢هـ .

(٥) «يغنيه» كذا فى الأصل ، و ما أثبتناه من وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢١٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٤ .

(٦) وردت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٤١٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٠٤ .

وله أيضا :

لام العـواذلُ فى هواك فـأكـثـروا　　هيـهـات مـيـعـادُ السلو المحـشرِ
جـهلوا مكانَك فى القلوب فطولوا　　لو أنهم وجدوا كـوجـدى أقصـروا
صبرا على عذب الهوى وعذابِهِ　　وأخـو الهـوى أبداً يلامُ ويُعـذَرُ[١]

أبو القاسم[٢] عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان الطيبى ، المعروف بالصائن ، أحد المعيدين بالنظامية ، ودرس بغيرها ، وكان عارفا بالمذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحا للتنبيه ذكره ابن الساعى .

أبو النجم[٣] محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتى ، الفقيه الشافعى ، تفقة على أبى القاسم بن فضلان ، ثم أعاد بالنظامية ، ودرس فى غيرها ، وكان يشغل فى كل يوم عشرين درسا ، وليس له دأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلا ونهارا ، وكان بارعا كثير العلوم ، قد أتقن المذهب والخلاف ، وكان يُفتى فى مسألة الطلاق الثلاث بواحدة ، فتغيظ عليه قاضى القضاة أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغانى ، فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تكريت[٤] ، فأقام بها ، ثم استدعى إلى بغداد ، فعاد إلى الاشتغال ، وأعاده قاضى القضاة نصر[٥] بن عبد الرزاق ، إلى إعادته بالنظامية ، وأعاده إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى والوجاهة ، إلى أن توفى فى هذه السنة ، ذكره ابن الساعى .

الإمام[٦] الرافعى أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل ، الرافعى القزوينى ، الإمام المسحر فى مذهب الشافعى(رحمه الله) له تصانيف منها : كتابه الشرح فى بضعة عشر مجلدا ، وله تصانيف أخرى ، وكان من الصالحين ، وله الكرامات الكثيرة الظاهرة ، توفى فى هذه السنة .

---

(١) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣١ .
(٢) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٢ ؛ هدية العارفين ، اسماعيل باشا البغدادى ، ج٥ ، ص٥٢٤ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بغداد ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٢ .
(٤) تكريت : غربى دجلة بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب . معجم البلدان ، ج١ ، ص٨٦١ .
(٥) نصر عبد الرزاق : ابن الشيخ عبد القادر الكيلانى قاضى القضاة عماد الدين أبو صالح الجيلى ثم البغدادى الحنبلى . توفى سحر يوم الأحد ١٦ شوال سنة ٦٣٣هـ عن سبعين سنة ، ودفن بتربة الإمام أحمد (رضى الله عنه) . انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٦١ ـ ص١٦٢ .
(٦) لمعرفة المزيد من ترجمته . انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٠٨ ؛ هدية العارفين ، ج٥ ، ص٦٠٩ ـ ص٦١٠ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الخامسة والعشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستنصر بالله(١) ، وصاحب مصر الملك الكامل ، وصاحب دمشق الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وصاحب حلب الملك العزيز بن الملك الظاهر ، وبقية الملوك على حالهم فى بلادهم(٢) .

ذكر ماجريات بنى أيوب

وفيها سار الملك الكامل بعساكره من مصر إلى الشام بعد أن عهد لولده الملك الصالح نجم(٣) الدين أيوب بالسلطنة بعده ، وأركبه بالقاهرة ، وحملت الأمراء الغاشية(٤) بين يديه بالنوبة(٥) ، وجعله نائبا عنه بالديار المصرية ، وأنزله بدار الوزارة ، وعمره يومئذ نحو اثنين وعشرين سنة ، ثم خرج الكامل وفى صحبته ابن أخيه المظفر تقى(٦) الدين محمود بن السلطان الملك المنصور ، وهو موعود منه بأن ينتزع حماة له وبلادها من أخيه الملك الناصر قليج أرسلان(٧) وابن أخيه الملك الجواد(٨) مظفر الدين يونس ، ولما وصل

(*) يوافق أوله : ١٢ ديسمبر ١٢٢٧م .

(١) الخليفة المستنصر بالله : هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر أحمد بن المستضئ حسن بن المستنجد يوسف بن المقتفى العباسى ، ولد سنة ٥٨٨هـ ، واستخلف فى رجب سنة ٦٢٣هـ ، وتوفى بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ . انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٠٩ ؛ تاريخ الخلفاء ، السيوطى ، ص٤٦٠ ـ ٤٦٤ .

(٢) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٢ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٥ .

(٣) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل ، ولد سنة ٦٠٣هـ بالقاهرة ، وتوفى بالمنصورة ليلة الاثنين ، نصف شعبان سنة ٦٤٧هـ . انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٨٥ ـ ٨٦ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٣٧ ـ ص٢٣٨ .

(٤) الغاشية : هى من رسوم الملك ، وهى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يدى السلطان عند الركوب فى المواكب كالميادين والأعياد وغيرها ، يحملها الركاب دارية ، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا ويسارا ، فهى من شعار السلطنة .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٢٢٣ ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٧٠ .

(٥) النوبة : جمعها نوب وهو لفظ يطلق على فرق الجند التى تتناوب الوقوف لحراسة شخص أو سلطان ، وهى خمس نوبات ، ويكون تغييرها فى الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح .
انظر : السلوك ، ج١ق١ ، ص ٤٦١ ، حاشية(٢) .

(٦) المظفر تقى الدين محمود بن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن الأمير نور الدولة شاهنشاه بن أيوب ، ولد منتصف رمضان سنة ٥٩٩هـ ، وملك حماة سنة ٦٢٦هـ ، وتوفى ثامن جمادى الأولى سنة ٦٤٢هـ . المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ ؛ نهاية الأرب ، جـ ٢٩ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ؛ شفاء القلوب ، ص ٣٥٠ .

(٧) الملك الناصر قلج أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك الناصر بن المنصور صاحب حماة ، مات سنة ٦٣٥هـ ، قبل وفاة الكامل بأيام قليلة . وقد ولد سنة ٦٠٠هـ .
انظر : مفرج الكروب ، ج٣ ، ص١٦١ ؛ تاريخ الإسلام ، للحافظ الذهبى ، ص٢٥٢ ، دار الكتاب العربى ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

(٨) الملك الجواد مظفر الدين يونس بن ممدود بن العادل أبى بكر بن أيوب ، توفى سنة ٦٤١هـ .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٧٥ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢١٢ ـ ص٢١٣ .

الكامل إلى غزة انزعج الناصر داود صاحب دمشق لذلك وخاف ، فعزم على الالتجاء إلى عمه الملك الأشرف ، وخيم الكامل بتل العجول[١] ، وبعث ولاته إلى نابلس والقدس والخليل وغيرها من الأعمال . وكان عند المظفر الأمير حسام[٢] الدين بن أبى على ، ففارقه بغزة ، وصار إلى الديار المصرية ، فاستخدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعله أستاداره ، وبقى ابن عمه سيف[٣] الدين على بن أبى على عند المظفر ، فتقدم عنده ، ولما ملك حماة على مانذكره فوض إليه أموره كلها[٤] .

وفيها فارق العزيز بن العادل الملك الناصر داود ومضى إلى الملك الكامل ، وذلك أنه اتفق معه جماعة من جند بعلبك على تسليمها إليه ، وأخذها له من صاحبها الملك الأمجد[٥] مجد الدين بهرام شاه ، فرحل الملك العزيز إليها ، ونزل بالقرب منها ، وأطلع الملك الأمجد على الحال ، فقبض على أولئك الذين اتفقوا مع العزيز ، فقتل بعضهم واعتقل البعض ، ولم يتم للملك العزيز ما أراد ، فنازل بعلبك محاصراً لها ، وبلغ ذلك ابن أخيه الناصر داود صاحب دمشق ، فبعث إليه من رَحَّله عنها قهراً ، فغضب العزيز لذلك على الناصر ، وهو شقيق أبيه ، وبيده بانياس وبلادها ، فرحل إلى أخيه الكامل[٧٢] وأقام فى خدمته والتجأ إليه ، ففرح به ووعده انتزاع بعلبك من صاحبها الملك الأمجد ، وتسليمها إليه ، ولما جرى من الكامل ما ذكرناه أرسل الناصر داود إلى عمه الأشرف يعتضدبه ، ويستمسك بذيله ، ويستنصر به على الكامل ، وكان الرسول عماد الدين بن موسك[٦] ،

(١) تل العجول : يقع بين عكا والعائدية . انظر : زبدة الحلب ، ابن العديم ، ج٢ ، ص٢٠٢ ، حاشية(٥) .

(٢) حسام الدين بن أبى على : توفى بالديار المصرية فى أواخر شعبان سنة ٦٥٨هـ .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص٢٠٨ .

(٣) سيف الدين على بن أبى على : هو الشيخ أبو الحسن على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى المعروف بالسيف الآمدى ، توفى سنة ٦٣١هـ ، ودفن بجبل قاسيون رابع صفر .
انظر : ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص١٦١ ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٩٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٥١ .

(٤) وردت هذه الأحداث بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٥ - ص٢٢٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٠ - ص١٤١ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٠ .

(٥) الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخ شاه ، قتله مملوكه فى داره ليلة الأربعاء ثانى عشر شوال سنة ٦٢٨هـ ، ودفن بتربة أبيه على الشرف الشمالى .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٥٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ - ص١٤٢ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٢٦ - ١٢٧ .

(٦) عماد الدين بن موسك : هو الأمير عماد الدين داود بن موسك بن جكر ، توفى سنة ٦٤٤هـ بالكرك ، ودفن بمشهد جعفر الطيار . انظر الذيل على الروضتين ، ص١٧٩ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٣٢٥ .

وفخر القضاة ابن بزاقة[١] ، فاجتمعا به بسنجار ، وطلباه ليأتى دمشق ، فسار إليها ولما وصلها ضربت البشائر لقدومه ، وخرج الناصر لاستقباله ، وذلك فى العشر الآخر من رمضان من هذه السنة[٢] .

وأقام الأشرف بدمشق ، وقام الناصر بجميع وظائفه ، وقدم إلى خدمته الملك المجاهد[٣] أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وأرسل الأشرف إلى الكامل الأمير سيف[٤] الدين على بن قليج يشفع فى الملك الناصر ، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه ، فلم يجب الكامل إلى ذلك ، وخاطب سيف الدين بما فيه إطماع الملك الأشرف بملك دمشق ، ولما جرى ذلك أشار الملك الأشرف على ابن أخيه الناصر أن يمضى فى صحبته إلى نابلس ، ويقيم بها ويمضى هو إلى أخيه الكامل ويصلح له الأمر ، فأجابه إلى ذلك ، ورحلا معا من دمشق ، وكان الملك الكامل قد تقدم إلى نابلس ، ونزل بها فى دار المعظم ، ولما بلغه قدوم الأشرف إلى دمشق ، واتفاقه مع ابن المعظم أغضبه ذلك ، فرحل على عزم العود إلى الديار المصرية ، ووصل إلى تل العجول ، ووصل الملك الأشرف والملك الناصر إلى نابلس ، وأقام الملك الناصر بها ، ومضى الأشرف ومعه الملك المجاهد صاحب حمص إلى نحو الكامل ، فخرج إلى استقباله وعاد به إلى المعسكر بتل العجول ، ونزلا به ، ووقع الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيهما الناصر داود ، وأنها تكون للأشرف ، ومامعها من الأعمال إلى عقبة[٥] فيق وغزة من البلاد

---

(١) ابن بزاقة : ويكتب أيضا ابن بُصَاقَة وهو كاتب الإنشاء نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقى الغفارى ، كان أكتب أهل زمانه بلا مدافعة ، وأطولهم باعا فى الأدب ، ولد بقوص سنة ٥٧٧هـ ، ومات بدمشق سنة ٦٤٦هـ .

انظر :حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،ج١ ، ص٤٣٧ ، ترجمة ٤٧ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٥/٢٠٠٤م .

(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ،ج١٢ ، ص٤٨٣ - ص٤٨٤ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٥٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٧ - ص٢٢٨ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٢ - ص١٣٣ .

(٣) الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى صاحب حمص ، ولد سنة ٥٦٩هـ ، وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب سنة ٦٣٧هـ ، بحمص ، ودفن فى تربته داخل البلد .

انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٦٩ ؛ وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٨٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص ١٦٤ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٢٥٤ - ص٢٥٥ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٦٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٨٤ .

(٤) الأمير سيف الدين على بن قليج : هو الأمير الكبير صاحب القليجية ، توفى فى شعبان سنة ٦٤٣هـ بدمشق ، ودفن فى مدرسته التى وقفها بمسكنه بدار الفلوس .

انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٧٧ ؛ البداية والنهاية ،ج١٣ ، ص١٨٢ ؛ تاريخ الإسلام ، ص١٦٥ .

(٥) عقبة فيق : ينحدر جزء منها إلى غور الأردن ، وجزء آخر يشرف على طبرية وبحيرتها .

انظر : معجم البلدان ،ج٣ ، ص٩٣٢ .

والحصون ، وهو الفتوح الصلاحى بأسره ، ويكون للملك الناصر داود عوضا عن بلاده من بلاد الملك الأشرف : حران ، والرقة ، والرها ، وسروج[١] ، ورأس عين[٢] ، وجملين[٣] ، والموزر[٤] ، وأن ينتزع بعلبك من يد الملك الأمجد [٧٣] وتعطى هى وأعمالها لأخيهما الملك العزيز عثمان ، وينتزع حماة ، والمعرة[٥] ، وبعرين[٦] من يد الملك الناصر قليج أرسلان ، ويعطى للسلطان الملك المظفر تقى الدين محمود أخيه ، وتؤخذ من المظفر سلمية[٧] ، وتضاف إلى الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص ، وكان طلبها من الملك الكامل لأنها كانت جارية فى إقطاع أبيه ناصر[٨] الدين محمد بن شيركوه ، وإنما أضيفت إلى تقى[٩] الدين عمر بن شاهنشاه فى أيام صلاح الدين بعد موت ناصر الدين ، وبقية الكلام فى السنة الآتية إن شاء الله[١٠] .

---

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٥ .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٣١ .

(٣) جملين : جملين والموز قلعتان كانتا على مسافة يوم من حران من ديار مضر وديار بكر .
انظر : ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٢٢٧ ، حاشية ٤ ، ٥ .

(٤) موزر : كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٧٩ .

(٥) المعرة : توجد معرتان ، الأولى معرة مَصْرين وهى بليدة وكورة بنواحى حلب ومن أعمالها ، والثانية معرة النعمان وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٤ ـ ص٥٧٥ .

(٦) بعرين : بليدة بين حمص والساحل . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٧٢ .

(٧) سلَمْية : بليدة من أعمال حماة .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٣ .

(٨) ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الملقب الملك القاهر صاحب حمص ، توفى سنة ٥٨١هـ ، يوم عرفه ، وهو ابن عم السلطان صلاح الدين ، وقد نقلته زوجته بنت عمه ست الشام بنت أيوب إلى تربتها بمدرستها بدمشق ظاهر البلد .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٨٠ ؛ شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٧٣ .

(٩) تقى الدين عمر بن شاهنشاه : هو الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين ، توفى يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة ٥٨٧ هـ ، ودفن بظاهر حماة .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٥٦ ـ ص٤٥٧ ؛ شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٨٩ .

(١٠) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٣ ـ ص٤٨٥ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٥٤ ـ ١٥٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٨ ـ ص٢٣١ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٣ ـ ص١٤٥ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٣ ـ ص١٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٣ . وجدير بالذكر أن هذه الأحداث وردت سنة ٦٢٦هـ .

وفى تاريخ المؤيد[١] ، وفى هذه السنة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر داود بن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك ، فلم يعطه الناصر ذلك ، ولا أجابة إليه ، فسار الملك الكامل من مصر فى هذه السنة فى رمضان إلى الشام ، وذكر نحو ماذكرناه ، غير أنه قال : فقدم الملك الأشرف إلى دمشق ، ودخل هو والملك الناصر داود إلى قلعة دمشق راكبين .

وقال القاضى جمال[٢] الدين بن واصل : كنت إذ ذاك حاضرا فى دمشق ، ورأيت الملك الأشرف راكبا مع ابن أخيه ، وعلى رأس الملك الأشرف شاش[٣] علم[٤] كبير ، ووسطه مشدود بمنديل ، وكان وصول الأشرف إلى دمشق فى العشر الأخير من رمضان من هذه السنة . ثم قال : وخرجت السنة والأشرف عند أخيه الكامل بظاهر غزة .

وفى تاريخ ابن العميد[٥] : بلغ الناصر صاحب دمشق خروج الملك الكامل لأخذ بلاده ، وكان سبب ذلك أن الناصر لما استقر فى دمشق ظلم الناس ، وأخذ أموالهم ، وأقبل على اللهو والشرب والطرب ، واشتغل عن النظر فى مصالح دولته ، فبلغ ذلك الكامل فتغير خاطره عليه ، وتجهز وخرج بعساكره إلى الشام ، ليأخذ دمشق ، واستناب ولده الصالح نجم الدين بمصر ، وجعل الأمير فخر الدين[٦] بن الشيخ بين يديه ليحصل الأموال ويدبر المملكة ، وذلك فى شهر رجب من هذه السنة ، ولما بلغ ذلك الناصر لم يسيِّر إليه ، ولا استعطفه ، بل كتب إلى عمه الملك الأشرف يسأله أن يصل إليه ، فلما جاءه الأشرف إلى دمشق رأى من حركاته المذمومه فكرهه بسببها ، وأيضا أطمعته نفسه بدمشق فإن [٧٤] جلال الدين خوارزم شاه كان قد أخذ أخلاط ، ولم يبق بيد الأشرف

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٤٠ - ص١٤١ .

(٢) مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٢٨ - ص٢٢٩ .

(٣) الشاش : هو زى المواكب الحافلة ، وهو الرداء الفوقانى الذى كان يلبس كثياب رسمية ، فالشاش يعبر عن الموسلين الطويل الذى يلف حول العمامة كلباس للرأس عند الأمراء أثناء الاحتفالات السلطانية .

(٤) «معلم» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من المختصر فى أخبار البشر حيث ينقل عنه العينى ، ج٣ ، ص١٤٠ .

(٥) أخبار الأيوبيين ، ص١٥ - ص١٦ ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٥٢٦ ش بور سعيد - الظاهر .

(٦) فخر الدين بن الشيخ : هو فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن على بن محمد بن حموية الجوينى ، وهو الأمير نائب السلطنة ، ولد بدمشق بعد الثمانين وخمسمائة ، طعن يوم المنصورة ، وتوفى عام ٦٤٧هـ . لمعرفة المزيد عن ترجمته . انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٨٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٩١ ، حاشية(٣) ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٧ - ص١٤٨ ، حاشية (٣) ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٣٨ - ص٢٣٩ .

سوى حران ، والرها والجزيرة ، وسنجار وأعمالها ، وبلاد الخابور[١] جميعه ، وسببه أن الحاجب على غلام الأشرف دخل إلى بلاد جلال الدين المجاورة لأخلاط ، وأخرب ونهب وأسر بنت خواجاجهان الوزير ، زوجة جلال الدين خوارزم شاه ، فبلغ جلال الدين ذلك فسار إلى أخلاط وحاصرها ، وفتحها ، وأسر بنت ملك الكرج زوجة الملك الأشرف ، فسير الأشرف إلى مملوكه عز الدين صاحب دارا[٢] بأنه يقبض على عَلِى الحاجب ويقتله فقتله ، وأما السلطان الملك الكامل فإنه وصل إلى نابلس ، ونزل بها ورتب الولاة[٣] والنواب[٤] والدواوين[٥] فى البلاد الساحلية ، وبلغه أن الأنبرور وصل إلى يافا[٦] فى ميعاده[٧] فعاد الكامل من نابلس إلى تل العجول ونزل عليها ، وترددت الرسل بين السلطان والأنبرور ، وكان السفير بينهما الأمير فخر الدين بن الشيخ ، فلم يزل يتردد إلى الأنبرور تارة بمفرده وتارة يأخذ معه الصلاح[٨] الإربلى إلى أن تقرر الصلح ، على أن يعطى الأنبرور القدس والقرى[٩] التى على طريقه من يافا إلى القدس ، ومدينة لدّ[١٠] .

---

(١) بلاد الخابور : ولاية واسعة وبلدان جمة من بلاد قرقيسيا وماكسين والمجدل وعربان ونسبت إلى نهر الخابور ، وهو نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٨٣ .

(٢) دارا : بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين ، وهى من بلاد الجزيرة . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٦ .

(٣) الولاة : المفرد والى وهو الذى يشرف على الولاية يقابل فى أيامنا «المحافظ» ، وكان الوالى يعين بمرسوم من السلطان ، ويمنح عند التولية خلعة وفرسا ، وكان عمل الولاة الأساسى هو القيام بأعمال الشرطة وحفظ النظام .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٥٨ .

(٤) النواب : مفردها النائب وهو من موظفى الديوان يقوم برفع الحسابات أو الكتابة عليها .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٤٤ .

(٥) الدواوين : الديوان كلمة فارسية معناها سجل أو «دفتر» ثم تطور استعمال هذا اللفظ فأطلق من باب المجاز على المكان الذى تحفظ فيه السجلات الخاصة بأمور الدولة المختلفة ، وقد اقتبس عمر بن الخطاب نظام الدواوين فى الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت الفتوحات فى عهده وأصبحت الحاجة ماسة إلى ضبط أمور الدولة .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٤٩ ، حاشية(١) .

(٦) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٠٠٣ .

(٧) «ميعاد» كذا فى الأصل ، والمثبت من «أخبار الأيوبيين» ، ص١٥ ، حيث ينقل عنه العينى .

(٨) الصلاح الإربلى : هو أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان الإربلى الملقب صلاح الدين ، وهو من بيت كبير بإربل ، وكان حاجبا عند الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، توفى فى الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٣١هـ ، ودفن بظاهر الرها بمقبرة باب حران ، وكان تقدير عمره يوم وفاته ستين سنة ، وولد فى شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٢هـ بإربل .
انظر : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٨٤ ـ ص١٨٧ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٤٣ .

(٩) «القرايا» كذا فى الأصل ، والمثبت من «أخبار الأيوبيين» ، ص١٥ ، حيث ينقل عنه العينى .

(١٠) لُدّ : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٥٦ .

قال : وفى سنة ست وعشرين طلب الأنبرور من السلطان تبنين[١] وأعمالها بحكم أن صاحبتها بنت الهنفرى ، ودخلت عليه فسألته ، فأنعم السلطان عليه بها ، ودخلت فى نسخة المهادنة التى بين الأنبرور وبين السلطان وانتظم الصلح مدة عشر سنين[وخمسة أشهر وأربعين يوما][٢] وتسلم الأنبرور مدينة القدس ومدينة لدْ والأماكن التى على طريقه[٣] . وسنذكر بقية ذلك فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

وفى تاريخ بيبرس : وفيها قدم الأنبرور فردريك[٤] ملك الإفرنج إلى عكا فى جمع كثير من الألمانية وغيرها من الفرنج ، ومعنى هذا الاسم بالفرنجية ملك الأمراء ومملكته جزيرة صقلية[٥] ، ومن البر الطويل بلاد أنبولية[٦] [٧] والأنبر دية[٨] .

وكان الأنبرور ملكا متميزا عالما ، يحب الحكمة والمنطق والطب ، ولما وصل نسب الكامل به ولم يمكنه دفعه ومحاربته لما تقدم بينهما من الاتفاق ، ولأنه كان [٧٥] يؤدى ذلك إلى فوات أغراضه التى كان فى ذلك الوقت بصددها فراسله ولاطفه[٩] .

وبعد وصوله إلى عكا شرع الفرنج فى عمارة صيدا ، وكانت مناصفة بينهم وبين الفرنج ، وسورها خراب ، فعمروها واستولوا عليها ، وأزالوا عنها حكم المسلمين ، ولم يزل الأنبرور بعكا ، والرسل مترددة بينه وبين الكامل إلى أن خرجت هذه السنة[١٠] .

---

(١) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٢٤ .

(٢) مابين حاصرتين إضافة من أخبار الأيوبيين ، حيث ينقل عنه العينى ، ص١٦ .

(٣) إلى هنا توقف العينى عن النقل من أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٤) الأنبرور فردريك : هو الأنبرطور فردريك الثانى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (١١٩٤ - ١٢٥٠) .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ ، حاشية(٦) .

(٥) جزيرة صقلية : هى جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار ، وصقلية مدينة فى البر الشمالى الشرقى الذى عليه مدينة قسطنطينية . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠٦ .

(٦) بلاد أنبولية : وتكتب أيضا أنبلُونَة ، وهى مدينة قديمة على البحر المغربى بنواحى إفريقية قريبة من تونس ، وهى من عمل شطفورة . وهى مملكة عى بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٠٦ ، حاشية(٦) .

(٧) الأنبردية : أو أَنْبَرْدُوَان ، وهى من قرى بخارا . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٦٩ .

(٨) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٧ - ص٤٧٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣٣ - ص٢٣٤ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٢ .

(٩) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣٤ - ص٢٣٥ ، المختصر ، ج٣ ، ص١٤١ .

(١٠) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٢ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٢٩ .

وفى[١] تاريخ ابن كثير : لما جاء إلى بلاد الشام دخل بيت المقدس الشريف ، ثم سار إلى نابلس ، فخاف الناصر صاحب دمشق ، فكتب إلى الأشرف ، فقدم عليه جريدة ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفه عن ابن أخيه ، فأجاب الملك الكامل بأنى إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشا لله أن أعارض أخى أو ابن أخى ، وبعد أن جئت إلى الشام فأنت تحفظها ، وأنا راجع إلى الديار المصرية ، فخشى الأشرف وأهل دمشق إن رجع الملك الكامل أن تمتد أطماع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فثبطه عن الرجوع ، وأقاما جميعا هنالك يحوطان جناب بيت المقدس من الفرنج (لعنهم الله) .

وفى تاريخ النويرى[٢] : وكان الملك الكامل قد أرسل إلى الأنبرور فخر الدين بن الشيخ يستدعيه إلى قصد الشام بسبب أخيه المعظم ، فوصل الأنبرور وقد مات المعظم ، والأنبرور معناه ملك الأمراء بالفرنجية ، وأما اسمه فردريك ، وكان صاحب جزيرة صقلية وغيرها ، ويقال : كان صاحب جزيرة قبرس . قلت : لاخلاف بين الكلامين لأنه كان صاحب الجزيرتين جزيرة صقلية وجزيرة[٣] قبرس[٤] .

ذكر ماجريات جلال الدين خوارزم شاه

وفى هذه السنة كانت حروب كثيرة بين جلال الدين وبين التتار ، كسروه غير مرة ، ثم بعد ذلك كله كسرهم جلال الدين كسرة بشيعة ، وقتل منهم خلقا وأمما لا يحصون ، وكان هؤلاء التتار قد عصوا على جنكيزخان وانفردوا ، وكان جنكيزخان قد كتب إلى جلال الدين يقول : إن هؤلاء ليسوا منا ، ونحن أبعدناهم ، ولكن سترى مناما لاقبل له ، وبعد أن فرغ جلال الدين من التتار قصد بلاد خلاط ، ونهب القرى ، وقتل وخرب البلاد ، وفعل الأفعال القبيحة[٥] .

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٢ .

(٢) نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٠ .

(٣) جزيرة قُبْرس : هى جزيرة فى بحر الروم . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٩ .

(٤) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣٣ - ص٢٣٤ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤١ .

(٥) ورد هذا الخبر فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣١ - ص٢٣٢ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٢ .

وفى تاريخ بيبرس : [٧٦] وفيها نهب جلال الدين خلاط وماحولها ، وذلك أنه لما فرغ من حرب التتار وهزمهم ، ووصل إلى أذربيجان بعساكره قصد خلاط ، وتعداها إلى صحراء موش[١] وجبل جور[٢] ، ونهب الجميع ، وسبى الحريم والأولاد ، وقتل الرجال ، وخرب القرى ، وعاد إلى بلاده ، وخاف أهل حران والرها وسروج وسائر بلاد الملك الأشرف ، وعزم بعضهم على الانتقال إلى الشام ، ووصل بعض أهل سروج إلى منبج[٣] ، وكان الوقت شتاء فسقط ببلاد خلاط ثلج كثير لم يعهد مثله ، فعاد جلال الدين إلى بلاده[٤] . وفيه أيضا وفيها وقع الخلف بين جلال الدين وبين غياث الدين تترشاه أخيه ، وذلك أنه لما ضاق حال غياث الدين فارقته جماعة من سرهنكيته[٥] ، وانحازوا إلى نصرة الدين محمد بن الحسن بن خرميل ، وقد كان جلال الدين صَيَّرهُ شحنة[٦] على أصفهان حين ملكها ، وعين له بها إقطاعا جليلا ، ولما أقام جلال الدين بأصفهان على نية لقاء التتار ، اتخذه لمنادمته لأنه كان كثير الفكاهة ، حسن المحاضرة ، فاجتمعوا فى بعض الليالى فى مجلس جلال الدين على الشرب بحضور غياث الدين ، فلما لعب الشمول[٧] بالعقول ، ودارت الكؤس بالرؤس ، قال غياث الدين لنصرة الدين : هلا ترد غلمانى إلى بابى؟ فأجابه نصرة الدين بجواب غير لائق ، وقال له : الغلمان يخدمون من يطعمهم ولايصبرون على الجوع . فغضب غياث الدين ، وأخذ يكرر الكلام ، فلما أحس السلطان بغيظه أمر نصرة الدين بالقيام ، فقام وخرج ، وتبعه غياث الدين إلى داره ، فقتله فى تلك الليلة ، فحزن السلطان عليه ، وغضب بسببه على أخيه ، وقال : إنك حلفت أن تكون

---

(١) مُوش : بلدة من ناحية خلاط بأرمينية . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٨٢ .

(٢) جبل جور : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية ، وفيها قلاع وقرى . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٠ .

(٣) منبج : مدينة كبيرة ذات خيرات كثيرة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٥٤ - ص٦٥٦ .

(٤) وردت هذا الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٣٥ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٢٨ .

(٥) سرهنكية : سرهنك هى رتبة عسكرية . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١١٧ ، حاشية(٥) .

(٦) شحنة : أى رياسة الشرطة ويسمى متوليها صاحب الشحنة . السلوك ، ج١ق١ ، ص٣٥ .

(٧) الشمول : الخمر . انظر : مادة «شمل» ، لسان العرب .

لصديقى صديقا ، ولعدوى عدوا ، فأنت الحالف الحانث ، ولم يبق لك فى ذمتى يمين ، وأنا مع ذلك لا أفعل إلا الشرع . فحاكم أخاه إلى القاضى ، فإن شاء اقتص ، وإن شاء عفا ، فعظم ذلك عليه ، وحسن عنده الهروب ، وصار خائفا مرعوبا ، إلى أن اتفق لقاء السلطان التتار بظاهر أصفهان ، فاغتنم الفرصة وهرب إلى خوزستان ، وأرسل إلى الخليفة المستنصر[٧٧] بالله بأنه قد فارق أخاه ، وجاور الممالك الديوانية ، فأعيد رسوله بواعد جميل ، وثلاثين ألف دينار أنعاما ، وخِلَع ، ثم إن غياث الدين تسحَّب إلى ألموت لما بلغه أن التتار انهزموا ، وأن أخاه جلال الدين قد ظهر عليهم ، وأقام بها إلى أن وصل جلال الدين إلى الرى ، متبعا آثار التتار ، وفرق عساكره ، فأحاطت بتخوم ألموت من الرى إلى زنجان[١] ، فصار غياث الدين بها كالمخنوق سدت عليه المنافس . ثم ورد رسول علاء الدين صاحب ألموت[٢] إلى جلال الدين يلتمس منه الصلح لأخيه ، وأن يعود إلى الخدمة فأجابه إلى ما سأله من الأمان ، وأكد قواعده بالأيمان ، وأصحب رسول علاء الدين بتاج الملك الخوارزمى[٣] وشرف الملك يستردان غياث الدين ، وشكر لعلاء الدين فعله ، فندم غياث الدين على مانواه من العود ، ورأى أن هروبه أصلح ، فاقترح على علاء الدين إعانته على مايحمله من الخيل ، فأعانه بذلك وخرج ، وكادت طائفة من العساكر الجلالية تمسكه ، لولا أن جهان بهلوان ردهم عنه ، وكسرهم ، فنجا إلى كرمان ، وبها الحاجب[٤] براق نائبه ، فسار إليه طمعا فى وفائه ، فلم يلق منه إلا الغدر الفظيع والمكر

(١) زنجان : ويقال لها زنكان ، بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وهى قريبة من أبهر وقزوين .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٤٨ .

(٢) ألموت : قلعة بالطالقان بناها السلطان ملكشاه السلجوقى .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٢٤٤ .

(٣) تاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمى : هو مشرف المماليك حيث كانت قصور الخوارزميين مليئة بالأعداد الكبيرة من المماليك الذين اشتروهم من أسواق النخاسة ، وكان يقوم بالإشراف عليهم رجل سمى بمشرف المماليك ، يتولى النظر فى كل مايتعلق بهم ، فينظر فى مشاكلهم ويتولى الحكم فيهم .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٤٣ ، حاشية(١) .

(٤) الحاجب براق : كان براق الحاجب قائدا من قواد دولة الخطا الذين دخلوا فى خدمة علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وقد اتخذ من الفوضى التى أعقبت غزو جنكيزخان فرصة لتأسيس دولة له فى كرمان سنة ٦١٩هـ (١٢٢١م) ، واستطاع إلى حين أن يسيطر على الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٧٢ ، حاشية(٣) .

الشنيع ، ولما صار عنده أمسكه واعتقله ببعض القلاع ، وقيل : إنه قتله بعد ذلك . وقيل : بل خلص من الحبس ، وهرب إلى أصبهان ، وتزوج براق الحاجب بأمه على كره منها ، ثم قتلها ، وشنع أنها أرادت أن تسقيه سماً ، وقتل معها الوزير جهان بهلوان . وقال أبو الفتح المنشئ : لما فارق غياث الدين أخاه جلال الدين راح إلى خوزستان ، وأرسل وزيره كريم الشرق إلى ديوان الخلافة معلما بمفارقته أخاه ، ثم ذكر القضية مثل ماذكرناه ، إلى أن قال : اقترح على علاء[١] الدين صاحب ألموت إعانته بما يحمله ، ويحمل معه من الخيل ، فأعانه بثلاث مائة رأس ، فخرج ، ووقعت عليه طائفة من العساكر المركوزة التى للسلطان مقدمهم الطواشى[٢] جُبَة السلاحدار[٣] فلحقوه ببعض حدود همذان ، وأسر جماعة من الذين كانوا[٤] مع غياث الدين ، ونجا إلى كرمان وبها الحاجب براق نائبه فسار [٧٨] إليه طمعا فى وفائه فأول قبيح عامله به أنه[٥] تزوج بوالدة غياث الدين على كره منه ومنها ، ثم شنع عليها بعد حين بأنها أرادت أن تسقيه سما ، فقتلها ، وقتل معها الوزير كريم الشرق ، وجهان بهلوان ، وحبس غياث الدين ، فقيل : إن براقا قتله بعد حين . وقيل : إنه تخلص من الحبس إلى أصفهان ، وأن جماعة من النساء بالقلعة رثين له ، فاتفقن على تخليصه ، فجمعن له الحبال وأدلينه من القلعة ، وقتل غياث الدين بأصفهان بأمر السلطان[٦] .

(١) علاء الدين صاحب ألموت : هو ابن جلال الدين الحسن الملقب بالكيا ، وهو من عقب الحسن بن الصباح المقدم ذكره ، وكان أبوه جلال الدين قد أظهر شعائر الإسلام ثم توفى بقلعة ألموت فى سنة ٦١٨هـ ، فاستولى ابنه علاء الدين على هذه القلعة وخالف رأى أبيه المذكور إلى مذهب النِّزارية ، وصار رأسا من رؤوسهم .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٢٤٤ .

(٢) الطواشى : جمعها طواشية وهم الخدام الخصيان الذين يتولون أمر المماليك للسلطان أو الأمير .
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٥٦ .

(٣) السلاحدار : لقب للذى يحمل سلاح السلطان أو الأمير ، كما يطلق على صناع الأسلحة .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١١ - ص١٢ ؛ معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، لمحمد أحمد دهمان ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ١٩٩٠ .

(٤) «كان» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٥) «بأنه» فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٦) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٢٣٩ - ص٢٤٥ .

وفيها عزل جلال الدين صفى الدين محمد الطغرائى عن وزارة خراسان وقبض عليه وأقام تاج الدين محمد البلخى المستوفى[١] مقامه بها ، وكان صفى الدين من قرية كليجرد[٢] ، ابن رئيسها ، وكان أكبر أدواته ، حسن الخط ، وكان مع جلال الدين حين كان بماء السند وسلم من الغرق حين غرق أكثر أصحاب جلال كما شرحناه فيما مضى ، ثم انضم إلى شرف الملك الوزير وواظب خدمته ، ولما ملك جلال الدين البلاد ولاه شرف الملك الطغرا[٣] ، فتجمل وتمول وأكثر الخدم ، ثم لما قبض عليه جلال الدين بالرى جاء إليه حميد الدين الخازن[٤] يوما وهو محبوس يقول له عن جلال الدين : إن كنت تريد أن أعفو عنك وأرضى عليك فابعث إلى ماجمعته من الجواهر ، واحمل إلى ماجَبَيْتَه لشرف الملك الوزير من الذهب . فأحضر إليه أربعة آلاف دينار كان أودعها عند بعض التجار ، وسبعين فصا مابين ياقوت وبذخشانى[٥] ، وتسلمه الخازن ولم يحمل من ذلك شيئا إلى خزانة جلال الدين ، وخطر بباله أن الطغرائى مقتول البتة لعلمه بسخط جلال الدين عليه ، وأراد الله تأخير أجله إلى أن رضى عنه جلال الدين وانصلح أمره عنده ، ثم فتش ذلك فى ديوان[٦] الخزانة فلم يجد للفصوص ولا للذهب ذكرا ، فذكر ذلك لحميد الدين الخازن ودخل عليه على أن يكتم هذا الأمر ، ويأخذ منه كل شهر مائتى دينار ، فأوفى الذهب كله وأما [٧٩] الفصوص فلم يحصل له منها شئ[٧] .

---

(١) المستوفى : من كُتَّاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحة من استخراج أمواله ونحو ذلك ، وكان يطلق على كبار كتاب المالية فى بلاد فارس حتى القرن التاسع عشر الميلادى . السلوك ج١ق١ ، ص١٩٢ ، حاشية(٢) ؛ معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، ص١٣٨ .

(٢) «كلى جرد» : كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح من سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص٢٤٧ ؛ وكليجرد : قلعة حصينة عظيمة بين خوزستان واللُر ، بينها وبين أصبهان مرحلتان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠٣ .

(٣) الطغرا : وتكتب الطغراء ، وهى الطابع أو التوقيع ، والطغرائى هو الموظف الموكل بالتوقيع .
انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة [Tughra] ؛ سيرة منكبرتى ، ص٥٧ ، حاشية(٥) .

(٤) الخازن : كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها ، وعليه سداد ما يعجز من عهدته ، وقد تضاف إليها اللفظ الفارسى «دار» فتكون : الخازندار ، وهو الذى يتولى أعمال خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما وفى عهدته ما بها من أموال وغلال
انظر : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٦٢ - ص٤٦٣ .

(٥) البذخشانى : وتذكر أيضا بلخشانى نسبة إلى بلخشان ، وهو اسم أطلقه العامة على المكان الذى يوجد فيه معدن البلخشن المقادم للياقوت ، ويوجد فى الجبال على هيئة عروق ، لكن الجيد منه قليل .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٥٠ ، حاشية(١) .

(٦) ديوان الخزانة : كان يوضع به الأموال والغلال والذخائر والحواصل والأقمشة والتشاريف والطرز .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص ١٠٠ .

(٧) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة جلال الدين منكبرتى ، ص٢٤٧ - ص٢٥٠ .

ذكر بقية الحوادث

منها أن علاء الدين كيقباذ بن كيخسروا سلطان بلاد الروم ملك أرزنكان[١] من صاحبها علاء الدين داود شاه ، وأراد المسير إلى أرزن الروم ليأخذها وبها ابن عمه طغرل شاه بن قليج أرسلان ، فلما سمع صاحبها بذلك أرسل إلى الأمير حسام[٢] الدين على النائب عن الملك الأشرف بأخلاط يستنجده وأظهر طاعة الملك الأشرف ، فسار حسام الدين الحاجب إلى أرزن الروم ومنع عنها ، ولما بلغ كيقباذ وصول العساكر إليها لم يقدم على قصدها فسار إلى بلاده ، وكان قد أتاه الخبر أن الروم الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا عليه حصنا من حصونه يسمى سنوُب[٣] ، مطلا على البحر حصينا ، فلما وصل إلى بلاده سير إليه عسكراً واستعاده منهم ، وسار إلى أنطالية[٤] باللام ليشتى بها[٥] .

ومنها فى ربيع الأول كانت الوقعة على باب صور[٦] بين العزيز عثمان وبين الفرنج ، فإنه كمن مع عسكره قريبا من صور ، فلما تعالى النهار خرج الفارس والراجل بأغنامهم ومواشيهم ، وخرج عليهم المسلمون فقتلوا وأسروا منهم سبعين فارساً ، ولم يسلم من الفرنج سوى ثلاثة أنفس ، وكانت وقعة عظيمة[٧] .

---

(١) أرزنكان : ويقال لها أرذنجان ، بلده من بلاد أرمينيا بين بلاد الروم وخلاط .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٢) حسام الدين على : كان شهما مقداما موصوفا بالشجاعة والسياسة والحشمة والبر والمعروف ، قبض عليه الأشرف على يد مملوكه عز الدين أيبك ، وحبسه ثم قتله سنة ٦٢٦هـ .
انظر : المختصر ، ج٣ ، ص١٤٣ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٩ .

(٣) سِنُوب : وتكتب أيضاً سينوب ، وهى مدينة على البحر الأسود .
انظر : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٥ .

(٤) أنطالية : بلد كبير من مشاهير بلاد الروم وهو حصن الروم على شط البحر .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٨٨ .

(٥) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٧٨ - ص٤٧٩ .

(٦) صور : مدينة كبيرة معروفة على بحر الشام ، وهى معدودة فى أعمال الأردن بينها وبين عكا ستة فراسخ ، وهى شرقى عكا . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٣٣ .

(٧) وردت هذه الأحداث فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٢ - ص١٥٣ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣١ .

ومنها أن مدرسة الركن الفلكى[١] نجزت بقاسيون ، وذكر فيها ملك شاه الدرس[٢] .

وفيها . . . . .[٣]

وفيها حج بالناس من الشام على بن السلار[٤] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

القاضى[٥] جمال الدين عبد الرحيم بن على بن اسحاق بن شيث ، القرشى العالم الفاضل ، كان الله تعالى قد جمع له بين الفضل والمروة والكرم والفتوة والإحسان إلى الخلق ، ماقصده أحد فى شفاعة فرده خائبا ، وكان يمشى بنفسه مع الناس فى قضاء حوائجهم ، وكان كثير الصدقات ، واسع المعروف ، غزير الإحسان ، وكان القاضى الفاضل يحتاج إليه فى علم الرسائل ، وكان إماما فى فنون العلوم من المنثور والمنظوم ، مات له ولد صغير ، فخرج فى جنازته يبكى ويقول :

ما الذى أطمع فى الدنيا ... وقد فارقت بعضى

هكذا تنفلت الدنيا ... من الأيدى وتمضى[٦]

[٨٠]وله تصانيف كثيرة ظريفة ، ورسائل وأشعار لطيفة ، وكانت وفاته بدمشق سابع المحرم ، ودفن بقاسيون .

الشيخ[٧] الصالح الفقيه أبو الحسن على المراكشى ، المقيم بمدرسة المالكية[٨] ، مات فى أوائل رجب منها ، ودفن فى المقبرة التى وقفها الرئيس خليل[٩] بن زويزان قبلى مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها .

---

(١) المدرسة الركنية البرانية : تمييزاً لها عن الركنية الجوانية أنشأها الأمير ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان العادلى سنة ٦٢٥هـ .
انظر : محمد كرد على ، خطط الشام ، ج٦ ، ص٩٢ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٥١٩ - ص٥٢٢ .

(٢) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٠ ؛ الدارس ، ج١ ، ص٥٢٠ .

(٣) بياض بمقدار نصف سطر .

(٤) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣١ .

(٥) انظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين ، ص١٥٣ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٣١ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١١٧ .

(٦) انظر : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣١ .

(٧) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٣ ؛ الدارس ، ج٢ ، ص٦ .

(٨) المدرسة المالكية : بدمشق ، وهى أربع مدارس مالكية وهى : الزاوية المالكية ، الشرابيشية ، الصمصامية ، والصلاحية .
انظر : الدارس ، ج٢ ، ص٣ - ص٢٨ ؛ خطط الشام ، ج٦ ، ص٩٨ .

(٩) خليل بن زويزان : هو جمال الدولة خليل بن زويزان ، رئيس قصر الحجاج ، وله زيارة فى مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، مات سنة ٨٢٨هـ ، ودفن بتربته عند مسجد الفلوس .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ ؛ الدارس ، ج٢ ، ص٢٤٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السادسة و العشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستنصر بالله ، وملوك أيوب مفترقون مختلفون قد صاروا أحزابا وفرقا ، فلذلك آل الأمر إلى أن سلموا القدس الشريف إلى الإفرنج[١] .

ذكر تسليم القدس إلى الفرنج

وكان هذا فى الإسلام من أعظم المصيبات ، وأصل هذه الطامة أنه قد اجتمع ملوك بنى أيوب إلى الملك الكامل صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحى القدس بسبب أخذ دمشق ، فقويت قلوب الفرنج بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر ، وبموت الملك المعظم ، واختلاف من بعده بين الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان السلطان صلاح الدين أخذ منهم ، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك على أن يردوا عليهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، فسلموا القدس الشريف ، وكان الملك المعظم قد هدم أسواره على ماذكرناه ، فعظم ذلك على المسلمين جدا ، وحصل بذلك وهن عظيم وإرجاف شديد[٢] .

وفى تاريخ النويرى[٣] : ولما طال الأمر ولم يجد الملك الكامل بداً من المهادنة أجاب الأنبرور إلى تسليم القدس إليه ، على أن تستمر أسواره خرابا ولايعمرها الفرنج ، ولايتعرضون إلى الصخرة ، ولا إلى الجامع الأقصى ، ويكون الحكم فى الرساتيق[٤] إلى والى المسلمين ، ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ، ووقع

(*) يوافق أوله : ٣٠ نوفمبر ١٢٢٨م .

(١) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٣ .

(٢) ورد هذا الخبر بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٢ ـ ص٤٨٣ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٥٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٤١ ـ ص٢٤٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٤٩ ـ ص١٥٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٣ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣١ ـ ص٤٣٤ ؛ شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ص٢٦٧ ، مكتبة الثقافة الدينية ـ الظاهر .

(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٠ ـ ص١٥١ .

(٤) الرساتيق : مفردها الرستاق وهو لفظ فارس معناه القرية أو محلة العسكر ، أو البلد التجارى ، ومنه الكلمة العربية الرزداق ، وجمعها الرزداقات ، والرزاديق .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٥٩ ؛ محيط المحيط ؛ معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، محمد أحمد دهان ، ص٨٢ .

الأمر على ذلك ، وتحالفا عليه ، وتسلم الأنبرور القدس فى هذه السنة فى ربيع الآخر على القاعدة التى ذكرناها [١] .

وفى تاريخ بيبرس : لم تزل الرسل تتردد بين الكامل وبين الأنبرور ، وأبى أن يرجع إلى بلاده إلا بما وقع الشرط عليه[٨١] من تسليم القدس إليه وبعض الفتوح الصلاحى ، وأبى الكامل أن يسلم إليه كل ذلك ، وتقرر الأمر آخر الحال أنه يسلم إليه القدس على شريطة أن يبقى خرابا ولا يجدد سوره ، وأن لا يكون للفرنج شىء من ظاهره البتة ، بل يكون جميع قراياه للمسلمين ، ويكون عليها وال للمسلمين ، ويكون مقامه بالبيرة من عمل القدس ، وأن الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين ، لايدخله الفرنج إلا للزيارة فقط ، ويكون شعار الإسلام به قائما على عادته ، ورأى الملك الكامل أن يرضى الفرنج بمدينة القدس خرابا ، ويهادنهم مدة ، ثم هو قادر على انتزاع ذلك منهم متى شاء ، وأنه متى شاقق الأنبرور ، ولم يف له بالكلية انفتح باب محاربة مع الفرنج ، ويتسع الخرق ويفوته كلما خرج بسببه ، وكان المتردد بينهما فى الرسائل الأمير فخر الدين بن الشيخ ، وكانت تجرى بينهم محاورات شتى ، ومسائل حكمية وغيرها ، ثم حلف الكامل على ماوقع عليه الاتفاق ، وحلف الأنبرور له ، وعقدوا عقد الهدنة مدة معلومة ، وقال الأنبرور للأمير فخر الدين بن الشيخ : لولا أنى أخاف انكسار جاهى عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئا من ذلك ، ونودى فى القدس بخروج المسلمين وتسليمه إلى الفرنج ، فخرج المسلمون ووقع فيهم الضجيج والبكاء ، وحزنوا على خروجه من أيديهم ، وأنكروا على الكامل هذا الفعل ، واستشنعوه ورثوا القدس بأبيات منها :

عزيز علينا أن نرى القدس يخرب ... وشمس مبانيه تزول وتغرب
وقلت له : منا الدموع لأنه ... على مثله تجرى الدموع وتسكب [٢]

---

(١) ورد هذا الخبر بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٤١ - ص٢٤٢ ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٠ - ص١٥١ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٣٠ ؛ شفاء القلوب ، ص٢٦٧ .

(٢) ورد هذان البيتان فى شفاء القلوب ، ص٢٦٨ .

ولما تم ذلك استأذن الأمبرور السلطان فى زيارة القدس ، فأذن له ، وتقدم إلى القاضى شمس الدين قاضى نابلس[١] بملازمته إلى أن يزور القدس ، ويرجع إلى عكا قرار ورجع ، وعمل الشيخ شمس[٢] الدين يوسف سبط جمال الدين بن الجوزى الواعظ مجلس وعظ بمدينة دمشق ، وذكر فيه القدس وماورد فيه من الآثار ، وأورد قصيدة فى ذلك[٣] منها :

على قبة المعراج والصخرة التى تُفاخر مافى الأرض من صخرات
مــــدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مُقفِر العرصات[٤] [٨٢]

وقال السبط[٥] فى المرآة : لما وصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج قامت القيامة فى جميع بلاد الإسلام ، واشتدت العظائم بحيث أنه أقيمت المآتم ، وأشار الملك الناصر داود صاحب دمشق أن أجلس بجامع دمشق ، وأذكر ماجرى على بيت المقدس ، فما أمكننى مخالفته ، ورأيت من جملة الديانة والحمية للإسلام موافقته ، فجلست بجامع دمشق ، وحضر الناصر داود على باب مشهد على[٦] ، وكان يوما مشهودا ، ولم يتخلف من أهل دمشق أحد ، وكان من جملة الكلام : انقطع عن بيت المقدس وفود الزائرين ، ياوحشة المجاورين! كم كانت لهم فى تلك الأماكن من ركعة؟! كم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة؟! تالله لو صارت عيونهم عونا لما وفت ، ولو تقطعت قلوبهم أسفا لما اشتفت ، أحسن الله عزاء المؤمنين ، ياخجلة ملوك المسلمين لمثل هذه الحادثة تسكب العبرات ، لمثلها ، تتقطع القلوب من الزفرات ، لمثلها تعظم الحسرات . وذكر كلاما طويلا .

---

(١) نابلس : مدينة مشهورة من أرض فلسطين بين جبلين .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٢٤ .

(٢) شمس الدين يوسف سبط جمال الدين بن الجوزى : العلامة الواعظ المؤرخ أبو المظفر يوسف بن قُزُغلى التركى ثم البغدادى الهبيرى الحنفى ، توفى رحمه الله فى ليلة الثلاثاء العشرين من ذى الحجة بمنزله بجبل الصالحية ، عام ٦٥٤هـ ، ودفن هناك .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٩٥ ؛ وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٦٦ - ص٢٦٧ .

(٣) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٤٣ - ص٢٤٤ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٠ - ص١٥١ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص ٢٣١ ؛ شفاء القلوب ، ص٢٦٧ - ص٢٦٩ .

(٤) ورد هذان البيتان فى شفاء القلوب ، ص٢٦٨ .

(٥) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٢ .

(٦) مشهد على : بالكوفة بالعراق .وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص١٧٦ .

وحكى أن فقيرا بات بالقدس ، فسمع قائلا يقول فى الليل هذه الأبيات :

إن يكن بالشام قلَّ نصيرى ... وتهدمتُ ثم دام هُلُوكى
فلقد أصبح الغداة خرابى ... سِمَة العار فى حياة الملوك

وفى تاريخ ابن[1] العميد : تسلم الأنبرور مدينة القدس ، ومدينة لد[2] ، والأماكن التى[3] على الطريق ، وحضر الأئمة والمؤذنون الذين كانوا فى الصخرة والمسجد الأقصى إلى باب دهليز الملك الكامل ، وأذنوا على باب الدهليز فى غير وقت الآذان ، فعزَّ ذلك على الملك الكامل ، وأمر أن يؤخذ ما معهم من الستور[4] والقناديل الفضة وجميع الآلات ، ويتوجهوا إلى حال سبيلهم[5] .

وقال بيبرس فى تاريخه : ثم أقلع الأنبرور إلى بلاده ، واستمر مصافيا للملك الكامل ومُوَادًّا له إلى أن مات الكامل ، ثم استمر على موادة الملك الصالح نجم الدين أيوب بعده[6] . وفى المرآة[7] : وجرى للأنبرور عجائب منها : أنه لما دخل الصخرة رأى قسيسا قاعدا عند القدم يأخذ من الفرنج [٨٣] قراطيس[8] فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء ، فلكمه ، فرماه إلى الأرض ، وقال : ياخنزير السلطان يصدق علينا بزيارة هذا المكان ، تفعلوا فيه هذه الأفاعيل ، لئن عاد دخل واحد منكم على هذا الوجه لأقتلنه . قال السبط[9] : وحكى لى صورة الحال قوَّام الصخرة ، ونظر إلى الكتابة التى فى القبة : وقد[10] طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين . فقال : ومن هم المشركين؟ وقال

---

(١) أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٢) لُد : قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٥٤ .

(٣) «التى طريقه» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من أخبار الأيوبيين ، حيث ينقل عنه العينى ، ص١٦ .

(٤) الستور : مفرده« الستر والساتر» وهو مايُسْتَر به كائنا ماكان . ويقال لما ينصبه المصلىُ قدَّامه علامة لمصلاة من عصا وتسنيم تراب وغيره(سترة) لأنه يستر المار من المرور أى بحجبه . المصباح المنير ، مادة (ستر) .

(٥) إلى هنا توقف العينى عن النقل من ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٦) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٤٦ ـ ص٢٤٧ .

(٧) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٣٣ ـ ص٤٣٤ .

(٨) قراطيس : المفرد «قرطاس» وهو ما يكتب فيه ، والقرطاس قطعة من أديم تنصَّب للنضال فإذا أصاب الرامى قيل : قرطس قرطسة ، وكسر القاف أشهر من ضمها .
انظر : المصباح المنير ؛ محيط المحيط ، مادة «قرط»

(٩) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٣ ـ ص٤٣٤ .

(١٠) «وهى» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٣ ، حيث ينقل عنه العينى .

وللقَوَّام : هذه الشَباك التى على أبواب الصخرة من أجل إيش؟ قالوا : لئلا يدخلها العصافير . فقال : قد أتى الله إليكم بالخنازير . قالوا : ولما دخل وقت الظهر ، وأذن المؤذنون ، قام جميع من كان معه من الفراشين والغلمان[١] ومعلمه ، وكان من صقلية يقرأ عليه المنطق ، فصلوا وكانوا مسلمين ، قالوا : وكان الأنبرور أشقرا أمْعط ، فى عينيه ضعف ، لو كان عبدا مايساوى مائتى درهم . قالوا : والظاهر من كلامه أنه كان دهريا[٢] وإنما كان يتلاعب بالنصرانية . قالوا : وكان الكامل قد تقدم إلى القاضى شمس الدين قاضى نابلس أن يأمر المؤذنين مادام الأنبرور فى القدس لايصعدون[٣] المنابر ، ولايؤذنون[٤] فى الحرم ، فأنسى القاضى أن يُعْلِم المؤذنين ، فصعد عبد الكريم المؤذن فى تلك الليلة وقت السحر ، والأنبرور نازل فى دار القاضى ، فجعل يقرأ الآيات التى تختص بالنصارى ، مثل قوله تعالى :«ما اتخذ[٥] الله من ولد ذلك عيسى بن مريم» ونحو هذا ، فلما طلع الفجر استدعى القاضى عبد الكريم وقال له : إيش عملت؟ السلطان رسم كذا وكذا . قال : فما عرفتنى التوبة . فلما كانت الليلة الثانية ، ماصعد عبد الكريم المأذنة ، فلما طلع الفجر استدعى الأنبرور القاضى ، وكان قد دخل القدس فى خدمته ، وهو الذى سلم إليه القدس ، فقال له : ياقاضى أين ذاك الرجل الذى طلع بارحه أمس المنارة ، وذكر ذاك الكلام؟ فعرفه أن السلطان أوصاه . فقال الأنبرور : أخطأتم ياقاضى تغيرون أنتم شعاركم ودينكم لأجلى ، فلو كنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم؟! الله الله ، لاتفعلوا هذا أول ماتنقصون عندنا ، ثم فرق فى القوام والمؤذنين والمجاورين جملة ، أعطى كل واحد [٨٤] عشرة دنانير ، ولم يقم بالقدس سوى ليلتين ، وعاد إلى يافا ، وخاف من الداوية[٦] فإنهم عزموا على قتله[٧] .

---

(١) والغلمان والغلمان» كذا فى الأصل ، والمثبت من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٣ ، حيث ينقل عنه العينى .
(٢) الدهرى : هو الملحد القائل ببقاء الدهر أى الذى يقول أن العالم موجود أزلا وأبدا لا صانع له . وقد جاء ذكرهم فى سورة الأنعام . وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» . والدهرية كذلك فرقة من الكفار ذهبوا إلى قدم الدهر وأسندوا ، مايقع من الحوادث إلى الدهر .
انظر : محيط المحيط ؛ المصباح المنير ، مادة (دهر) .
(٣) «لايصعدوا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٤) «لايؤذنوا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، سورة مريم ، آية (٣٤ ، ٣٥) .
(٦) الداوية : تطلق على جمعية فرسان المعبد Templiers وقد أسسها Hugh de payns عام ١١١٩ وذلك لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس .King: Knight Hospitallerspp - 1-33
(٧) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٣ - ص٤٣٤ .

ذكر مجيء الكامل على دمشق وأخذه من الناصر داود

لما تسلم الأنبرور القدس وكان فى ربيع الآخر من هذه السنة ، كان الملك الناصر محصورا فى دمشق ، وعمه الملك الأشرف يحاصره بأمر الملك الكامل ، ولما جرى الاتفاق بين الملكين الكامل والأشرف على نزع دمشق من الناصر ، كان الناصر حينئذ بنابلس ، فلما بلغه الخبر رحل إلى دمشق ، وكان عمه الأشرف لحقه بالغور[(١)] ، وعرفه ما أمر به عمه الكامل ، وأنه لايمكنه الخروج عن مرسومه[(٢)] ، فلم يلتفت الناصر إلى ذلك ، وسار إلى دمشق ، وسار الأشرف فى أثره ، وحصره بدمشق ، ثم أن الكامل لما عقد الهدنة مع الأنبرور ، وخلا سره من جهة الفرنج ، سار إلى دمشق ، ووصل إليها فى جمادى الأولى من هذه السنة ، واشتد الحصار على أهل دمشق ، ووصل إلى الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب ، وخطب بنت الكامل ، فزوجه بنته فاطمة خاتون ، التى هى من الست السوداء أم ولده أبى بكر العادل بن الكامل ، ثم استولى الملك الكامل على دمشق ، وعوض الناصر عنها الكرك[(٣)] والبلقاء[(٤)] والصلت[(٥)] والأغوار والشوبك[(٦)] ، وأخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية ، التى كانت قد عينت للناصر ، وهى حران والرها وغيرهما ، التى كانت بيد الملك الأشرف ، ثم نزل الناصر عن الشوبك ،

---

(١) الغور : هو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ولذلك سمى بالغور . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٢٢ .

(٢) مرسوم : المقصود به المرسوم السلطانى ، والجمع «مراسيم» ، ويكتبها مستوفى الصحبة ، ويعلم عليها السلطان ، تارة تكون بما يعمل فى البلاد ؛ وتارة بإطلاقات ، وتارة بإستخدامات كبار فى صغار الأعمال ومايجرى مجراها ، وفى ديوان الصحبة تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وتصدر المراسيم السلطانية كذلك باعتماد حضور رسل الملوك . انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٠٧ .

(٣) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا فى أطراف الشام من نواحى البلقاء . انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥١ ـ ص٢٥٢ .

(٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ووادى القرى ، قصبتها عمان . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٣٨ .

(٥) الصلت : بليدة واقعة من جند الأردن فى جبل الغور الشرقى جنوبى عجلون . انظر : تقويم البلدان ، ص٢٤٥ .

(٦) الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة قرب الكرك . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣٢ .

وسأل عمه الكامل فى قبولها، فقبلها، وتسلم الأشرف دمشق، وتسلم الكامل من الأشرف البلاد الشرقية المذكورة، ولما سلم الكامل دمشق إلى أخيه الأشرف، وسار من دمشق ونزل بمجمع المروج[(١)] ثم نزل سلمية وقصده أخذ حماة على مانذكره[(٢)].

وفى تاريخ بيبرس: ولما حاصر الأشرف دمشق، أرسل إلى أخيه الكامل يستعجله على القدوم إلى دمشق، فرحل من تل العجول ووصل إلى ظاهر دمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة، واتفق هو والأشرف على محاصرة البلد ومضايقته، وقطعوا الماء عنه، وشرب الناس من الآبار، وكان الدمشقيون يخرجون إلى [٨٥] العسكر المصرى ويقاتلون محبة فى صاحبهم، وطالت مدة الحصار إلى آخر رجب من هذه السنة، فعظم ذلك على أهل دمشق، واشتد الأمر وغلا السعر، وفارق من العسكر الدمشقى أرغش المعظمى وهو من أمراء الملك الناصر، وجماعة، ونفدت النفقات من عند الناصر، فإنه أنفق فى هذه المدة جميع ما فى الخزائن، وشرع فى ضرب ماعنده من الأوانى الفضية والذهبية دراهم ودنانير، وأتى على أكثر ما عنده من الذخائر[(٣)].

وفيها وصل إلى الكامل وهو على دمشق رسول الملك العزيز[(٤)] غياث الدين محمد ابن الملك الظاهر غازى فى خطبة ابنته للملك العزيز، وكان الرسول القاضى بهاء[(٥)] الدين بن شداد، وحمل المهر وعقد العقد بحضور الملك الأشرف ووليه من جهة الكامل

---

(١) مجمع المروج: واحدها «مرج» وهى الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب، وأصل المرج القلق، وهى فى مواضع كثيرة كل مرج منها يضاف إلى شئ.
انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٧.

(٢) وردت هذه الأحداث فى الكامل، ج١٢، ص٤٨٣ - ص٤٨٤؛ الذيل على الروضتين، ص١٥٥ - ص١٥٦؛ مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٦ - ص ٢٥٨؛ المختصر، ج٣، ص١٤٢؛ نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥٣ - ص١٥٥؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٣٣؛ مرآة الزمان، ج٨، ص ٤٣٤؛ السلوك، ج١ق١، ص٢٣٤ - ص٢٣٥؛ أخبار الأيوبيين، ص١٦.

(٣) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٢ - ص٢٥٣؛ السلوك، ج١ق١، ص٢٣٤.

(٤) الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر غازى، ولد يوم الخميس خامس ذى الحجة سنة ٦١٠هـ بقلعة حلب، وتوفى يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة ٦٣٤هـ، ودفن بالقلعة.
انظر: وفيات الأعيان، ج٤، ص٩ - ص١٠؛ شذرات الذهب، ج٥، ص١٦٨.

(٥) القاضى بهاء الدين بن شداد: هو يوسف بن رافع بن تميم، توفى بحلب سنة ٦٣٢هـ، وولد سنة ٥٣٩هـ.
انظر: الذيل على الروضتين، ص١٦٣؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٥٣ - ص١٥٤؛ شذرات الذهب، ج٥، ص١٥٨.

الأمير عماد[١] الدين بن الشيخ على فاطمة[٢] خاتون - وهى شقيقة العادل أبى بكر بن الكامل - على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، وقبل النكاح عن الملك العزيز القاضى بهاء الدين المذكور[٣].

ولما طالت مدة الحصار، ونفد ما فى يد الملك الناصر من الأموال والذخائر، علم أنه لاقبل له بعمه الكامل، فخرج ليلا من قلعة دمشق فى العشر الآخر من رجب، وقصد جهة الدهليز[٤] فى نفر يسير من أصحابه، وبلغ عمه مجيؤه فخرج إليه وتلقاه وأكرمه إكراما كثيرا، وطيب قلبه، وعاتبه عتابا كثيرا، ثم أمره بالرجوع إلى قلعة دمشق، ثم أرسل إليه بعد يومين الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ من جهة السلطان، وكان يوم الجمعة، فصلى الجمعة بجامع القلعة، ثم خرج هو والملك الناصر إلى السلطان، ووقع الاتفاق والتحالف، وأقر عز الدين[٥] أيبك المعظمى على صرخد[٦] والملك الصالح والملك العزيز ابنا الملك العادل، وابن أخيهما المغيث عى مابأيديهم، وقرر للملك الناصر داود الكرك، والشوبك، وأعمالهما، والصلت، والبلقاء، والأغوار، ونابلس، وأعمال البيت المقدس، وبيت جبريل[٧]، ونزل الناصر عن الشوبك للكامل لتكون خزانة

---

(١) عماد الدين بن الشيخ: هو الشيخ عماد الدين عمر أحد أبناء صدر الدين على بن حمويه شيخ الشيوخ، وكان أحد إخوة الملك الكامل من الرضاع لأن أمه وهى بنت الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون الفقيه الكبير أرضعته، ولد يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ٥٨١هـ بدمشق، ومات مقتولا فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٣٦هـ، ودفن بجبل قاسيون.
انظر: الذيل على الروضتين، ص١٦٨؛ شذرات الذهب، ج٥، ص١٨١.

(٢) فاطمة خاتون: هى فاطمة بنت الملك الكامل بن العادل محمد بن أبى بكر بن أيوب، ابن عم أبيها العزيز محمد ابن الظاهر غازى بن الناصر يوسف بن أيوب، أخذها أبوها فى صحبته لما توجه إلى الشرق سنة ٦٢٩هـ، واحتفل لها العزيز احتفالا كليا. انظر: شفاء القلوب، ص٣٤٤.

(٣) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٤ - ص٢٥٥؛ نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥٧؛ السلوك، ج١ق١، ص٢٣٣ - ص٢٣٤.

(٤) الدهليز: خيمة الملك أو السلطان، أو الخيمة الكبيرة.
انظر: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥٤.

(٥) عز الدين أيبك المعظمى: صاحب صرخد، توفى فى أوائل جمادى الأولى من سنة ٦٤٦هـ فى موضع اعتقاله بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر فى تربة شمس الدولة.
انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٦؛ ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ضمن وفيات سنة ٦٤٥هـ، ج١٣، ص١٨٦.

(٦) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة.
انظر: معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٠.

(٧) بيت جبريل: أو بيت جبرين، بليد بين بيت المقدس وغزة، بينه وبين القدس مرحلتان كانت فيه قلعة حصينة، خربها صلاح الدين لما استنقذ القدس من الإفرنج.
انظر: معجم البلدان، ج١، ص٧٧٦.

له وبقى له [٨٦] مع الشوبك الخليل[١] وطبرية[٢] وغزة وعسقلان والرملة ولُد، وسائر السواحل التى[٣] بأيدى المسلمين، ثم رجع الناصر إلى قلعة دمشق، وفتحت أبواب البلد مستهل شعبان، ودخل العسكر المصرى من جميع الأبواب، وامتلأت البلد بهم وحزن الدمشقيون حزنا عظيما، ودخل والى الكامل إلى القلعة وتسلمها[٤].

وولى فى المدينة عز الدين بن ملكشو، وسلمها إلى أخيه الأشرف، وأخذ منه عوضا عنها البلاد الشرقية، التى كانت عينت أولا للملك الناصر وهى: حران والرقة، والرها، وسروج، ورأس عين، وجُملين، والموزر، وأرسل نوابه إليها فتسلموها من نواب الأشرف، وبقى للأشرف بالبلاد الشرقية نصيبين، وسنجار، والخابور، وبلاد خلاط، وكانت ميافارقين بيد أخيهما المظفر[٥] شهاب الدين غازى، وقلعة جعبر بيد أخيهما الملك الحافظ[٦] أرسلان [٧]شاه، ثم سافر الناصر بأهله وأخوته ومن يتعلق به إلى الكرك، وتسلم البلاد التى عينت له، ثم أمر الكامل العساكر بالتبريز إلى جهة حماة لأخذها من صاحبها الملك الناصر[٨] قليج أرسلان بن المنصور[٩].

---

(١) الخليل: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس.
انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٨.

(٢) طبرية: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية من أعمال الأردن.
انظر: معجم البلدان، ج٣، ص٥٠٩.

(٣) «الذى» كذا فى الأصل، والصحيح لغة ما أثبتناه؛ بالكامل، ج١٢، ص٤٨٣ - ص٤٨٤.

(٤) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل، ج١٢، ص ٤٨٤؛ الذيل على الروضتين، ص١٥٥ - ص١٥٦؛ مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٦ - ص٢٥٧؛ نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥٣ - ص١٥٥؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٣٢؛ مرآة الزمان، ج٨، ص ٤٣٤؛ السلوك، ج١ق١، ص ٢٣٥؛ أخبار الأيوبيين، ص١٦.

(٥) المظفر شهاب الدين غازى بن أبى بكر بن أيوب بن شاذى بن الملك العادل، توفى فى رجب سنة ٦٤٥هـ بميافارقين.
انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٣٣؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٦؛ شذرات الذهب، ج٥، ص٢٣٣.

(٦) الملك الحافظ أرسلان شاه بن أبى بكر بن أيوب بن شاذى، الملك الحافظ نور الدين العادل، توفى سنة ٦٤٠هـ، وقيل فى ذى الحجة سنة ٦٣٨هـ، ودفن بالفردوس.
انظر: شفاء القلوب، ص٢٧٦؛ ترويح القلوب، ص٨٠.

(٧) «رسلان شاه» كذا فى الأصل، والصحيح ما أثبتناه من مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٨؛ شفاء القلوب، ص٢٧٦.

(٨) الملك الناصر قليج أرسلان بن المنصور: هو الملك الناصر قليج أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن شاذى الملك الناصر، صلاح الدين بن الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة، ولد سنة ٦٠٠هـ، وتوفى سنة ٦٣٠هـ. انظر ترجمته فى: المختصر، ج٣، ص١٢٦؛ شفاء القلوب، ص٣٥٤ - ص٣٥٦.

(٩) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب، ج٤، ص٢٥٧ - ص٢٥٨؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٣٣؛ السلوك، ج١ق١، ص ٢٣٦.

وفى المرآة[١] : ولما أقام الأشرف بدمشق دخل عليه ابن عنين الشاعر فلم يرمنه ما كان يعهده من مجالس المعظم ، وما كان يجرى فيها من الهنات ، وقذف المحصنات ، فإن ابن عنين كان هجاء ، خبيث اللسان ، فشرع فيما كان يفعله ، فنهاه الأشرف ، وقال : مامجالسى كما عهدت ، يكفينى ما أنا فيه ، حتى أضيف إليه ثلب المسلمين ، فخرج من عنده وعمل فيه :

وكُنَّا نُرَجى بعد عيسى[٢] محمدا[٣] لينقذنا من شدة الضر والبلوى
فأوقعنا فى تيه موسى[٤]كما ترى حيارى فلا مَن لديه ولاسلوى

وبلغ الأشرف فقال : هذا الملعون ، إذا لم يكن عندى من ولاسلوى فعند من؟ وأمر بقطع لسانه ، فدخل على جماعة ، وحلف أنه ما قال هذا ، فقال الأشرف : هذا ما أفلت من لسانه أحد ، ولابد من قطعة فهرب إلى [٨٧] بلاد زُرَع[٥]وحوران ، وسكت الأشرف عنه[٦] .

ذكر توجه الكامل إلى حماة

ولما فرغ شغل الكامل من جهة دمشق رحل بعساكره ، ووصل إلى مجمع المروج ، ثم رحل إلى سلمية ، قاصدا التوجه إلى الشرق للإشراف على بلاده التى تسلمها من أخيه الأشرف ، وتقدم إلى المظفر[٧] تقى الدين محمود بن المنصور بمحاصرة حماة ، وبعث معه الملك المجاهد[٨] أسد الدين شيركوه وأخويه العزيز والصالح ، ابنى العادل

(١) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٣٤ ـ ص٤٣٥ .
(٢) عيسى : يقصد به الملك المعظم صاحب دمشق .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ ، حاشية(١) .
(٣) محمدا : يقصد به الملك الكامل .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ ، حاشية(٢) .
(٤) موسى : يقصد به الملك موسى الأشرف .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ ، حاشية(٣) .
(٥) زُرَع : بلدة من بلاد حوران .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ ، حاشية(٤) .
(٦) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٤ ـ ص٤٣٥ .
(٧)المظفر تقى الدين محمود بن المنصور هو ابن ملكة خاتون بنت أبى بكر بن أيوب بن شاذى ، ويأتى فى الطبقة الخامسة وهو محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذى ، ولد سنة ٥٩٩هـ ، وملك حماة وعمره نحو سبع وعشرين سنة ، وتوفى سنة ٦٤٢هـ .
انظر : المختصر ، ج٣ ، ص١٤٤ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٥٠ .
(٨)المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى صاحب حمص ، وتوفى بها سنة ٦٣٧هـ .
انظر ترجمته فى : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٦٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٨٤ ؛ ترويح القلوب ، ص٦٧ ، وقد ذكر فيه الزبيدى أنه توفى سنة ٦٣٦هـ .

فنازلوها ونصبوا عليها آلات الحصار، ونزل صاحبها الناصر قليج أرسلان إلى البلد، وارتقى السور وعاين كثرة العساكر المحيطة بالبلد، فأضمر فى نفسه العزم على[1] النزول إلى خاله الكامل وهو بسلمية، وبها نواب المظفر، فأرسل قليج أرسلان إلى المجاهد أسد الدين شيركوه يخبره بأنه ينزل إليه، ويمضى معه إلى خدمة الملك الكامل، فركب المجاهد ووقف خارج البلد ينتظره، فنظر إليه فى العشر الآخر من شهر رمضان المعظم، ومضى معه إلى المعسكر الكاملى بسلمية، فلما دخل الناصر على الكامل صاح عليه وانتهره، وكان ممتلئا غيظا منه لأشياء كثيرة بلغته عنه، ثم أمر باعتقاله، فاعتقل، ثم بعث إليه يأمره أن يبعث إلى النواب بقلعة حماة علامة يعرفونها، ليسلموا القلعة إلى نواب السلطان الكامل، فأجاب إلى ذلك، وأنفذ العلامة إلى النواب، وأمرهم بتسليم القلعة إلى نواب الكامل، وكان بقلعة حماة بعض أولاد المنصور ومماليكه، والطواشيان بشير ومُرْشد خادما المنصور، وسير السلطان الأمير مجد[2] الدين أخا الفقيه[3] عيسى الهكارى ومثقال[4] الجمدار ليتسلما القلعة، فامتنع من كان بها من أولاد الملك المنصور ومماليكه وخدامه من تسليمها إلى الملك الكامل، وركبوا الملك المعز بن الملك المنصور شقيق الملك المظفر والناصر. وأمهم جميعا الملكة[5] خاتون بنت الملك

---

(١) «الى» كذا فى الأصل، والمثبت هو الصحيح لغة.

(٢) الأمير مجد الدين عمر بن محمد بن عيسى، أبو حفص الهكارى، أخو الفقيه عيسى، ولد فى رجب سنة ٥٦٠هـ، وتوفى فى الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٣٦هـ بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم.
انظر: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٨.

(٣) الفقيه عيسى الهكارى: هو ضياء الدين عيسى الهكارى، أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد، أحد أمراء الدولة الصلاحية، كبير القدر، وافر الحرمة، يؤخذ برأيه فى الأمور الهامة، توفى يوم الثلاثاء، تاسع ذى القعدة سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م بمنزلة الخروبة.
انظر: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٧ ـ ص٤٩٨؛ السلوك، ج١ق١، ص١٠٣.

(٤) مثقال الجمدار: هو سابق الدين مثقال الجمدار الناصرى الصلاحى، وكان أحد خدام العاضد خليفة مصر، ثم صار للسلطان الملك الناصر صلاح الدين، وعَمَّر عمرا طويلا إلى آخر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، فأدرك أول الدولة الأيوبية بمصر وآخرها.
انظر: مفرج الكروب، ج٤، ص٢٦٩.

(٥) الملكة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب صاحب مصر: هى مؤنسة خاتون الملقبة بدار إقبال ودار القطبية، وهى المحدثة المعمرة، روت الإجازة عن عفيفة الفارقانية، ولدت سنة ٦٠٣هـ، وتوفيت سنة ٦٩٣هـ فى ربيع الأخر بالقاهرة، ودفنت بباب زويلة.
انظر: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٥٦؛ ترويح القلوب، ص٨٠.

العادل ، ونادوا فى حماة فى شعاره[١] ، وقالوا : هذا بدل الملك الناصر ، والبلد له ، وكان صبيا صغيرا ، ولم يمكنوا الأمير مجد الدين الهكارى ومثقال [٨٨] الجمدار الكاملى من الصعود إلى القلعة ، وأنزلوا إليهما الملك المعز فاجتمع بهما ، وقال لهما : هذه القلعة لى ولإخوتى نقوم عليها ، وأى واحد منامات كان فينا من يقوم مقامه ، وليس بيننا وبين من يقصدنا إلا السيف . ثم رجع إلى القلعة ، ورجع مجد الدين ومثقال الجمدار ، فصاحت عامة البلد عليهما ورجموهما بالحجارة ، فرجعا إلى السلطان وأخبراه بذلك ، فحينئذ أرسل الكامل إلى ابن أخته المظفر تقى الدين محمود يأمره أن يتفق مع مماليك أبيه على تسليم القلعة إليه ، وكان نازلا بظاهر البلد مع العسكر ، محاصرا له ، فراسلهم المظفر فى ذلك ، فأجابوه إلى تسليم القلعة إليه ، وأرسلوا إليه من يستحلفه لهم ، فخرج إليه جماعة من الأعيان ، فاجتمعوا به فى الجوسق[٢] الذى[٣] بناه الناصر أخوه على العاصى ، واستحلفوه لمن فى القلعة ، وشرطوا عليه أن لايدخل البلد إلا بجماعته خاصة ، وأن لايدخله أحد من عسكر الكامل ، فأجاب إلى ذلك وواعده الوصول بجماعة إلى باب النصر ليلا ليفتحوه له ، فجاءهم فى الليلة الثانية إلى باب النصر ، ففتحوا له فدخل بجماعته ثم أغلق الباب ومضى إلى دار أبيه المعروفة بدار الأكرم[٤] فنزلها ، وأصبح الناس قاصدين بابه مهنئين له بمصير الملك إليه ، وكان أهل حماة قد حلفوا له بولاية عهد أبيه المنصور سنة ست عشرة وستمائة ، وجرى من تغلب أخيه على الملك ماجرى كما ذكرناه ، فعاد الحق إلى نصابه واستقر فى أربابه ، وفرحت الرعية بملكه ، وكانوا خائفين من تغلب الكامل على البلد ، فأمنوا من ذلك ، وكانت[٥] مدة الملك الناصر لحماة وبلادها تسع سنين إلا شهرين ، وصعد المظفر القلعة فتسلمها ، وأخذ الكامل منه سلمية ،

---

(١) شعار : الشعار هو علامة يتميز بها القوم عن غيرهم ، وشعار السلطنة هى أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التى كان السلطان يظهر بها فى المواكب الحافلة .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٢٠٢ .

(٢) الجوسق : هو لفظ معرب من الفارسى على كلمة «كوسك» ومعناه القصر الصغير .
انظر : المعجم الوسيط ، ص١٥٢ - ص١٥٣ ؛ معجم الألفاظ التاريخية ، ص٥٧ .

(٣) «التى» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

(٤) دار الأكرم : هى دار الوزير خُطَير الدين الأكرم بن الدخماسى بالجانب من حماة المعروف بالسوق الأعلى ، وهى معروفة بدار الإكرام ، وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية ، وقفتها عمة مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود ابن المنصور .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧١ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٤ .

(٥) «وكان» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

فسلمها إلى المجاهد أسد الدين حسبما وقع عليه الاتفاق، وبقى فى يد المظفر حماة والمعرة وبعرين، وهُنِّى بقصائد.[1] منها ما أنشده الشيخ شرف[2] الدين عبد العزيز ابن محمد الأنصارى الدمشقى:

تناهى إليك المُلْكُ واشتد كاهله — وحل بك الراحى فحطت رواحله[٨٩]
ألا هكذا فليمنع المجد مانع — ألا هكذا فليبذل الجود باذله
ترحلت عن مصرَ فامحل روضها — ولما حللت الشام رُوِّض ماحله
وعزت حماة فى حمى ليث غاية — بصولته تحمى كُليب ووابله
وقد طال ماذلَّت بتدبير أهوج — يخيبُ مُرَجّيه ويحرم سائله
وأمضى عليها الشكرُ فرضا لفوزها — بذى كرم فاضت عليها نوافله
سبقت إلى ورد العُلى كلَّ سابق — فما نال الأفضل ما أنت نائله
وعدَّلْت بالعدل الزمان وردتَه — سنا فاستوت أسحارُه وأصائله
إذا فاعلٌ دام ارتفاعا بفعله — ففعلك مرفوعٌ بأنك فاعله
وذى أمل أعطيت فوق سؤله — فغاضت أمانيه وفاضت مناهله
دعا وسبقت العدل بالسيف رادعا — له فاهتدى لما أُصيبت مقاتله
أَبرُّ تقى الدين مجدا وسؤددا — فتمت عطاياه وتمت فضائله
وفاق على الأملاك معنى وصورة — فراق مُحيَّاهُ ورقت شمائله
هم القوم إن سيمُوا وعودًا بآجل — سَمَاهُم جوادٌ يَسْبقُ الوَعْدَ عاجلهُ
وإن شغلتهم دُميةٌ أو مدامة — بلهْو فلا هَزْل عن الجد شاغلُه
فما لبنى أيوب مُلكٌ ساجِلٌ — ولافى بنى أيوب ملك يسُاجِلُهُ

(١) وردت هذه الأحداث باستفاضة فى الكامل، ج١٢، ص ٤٨٦ - ص٤٨٧؛ الذيل على الروضتين، ١٥٦؛ مفرج الكروب، ج٤، ص٢٦٥ - ص٢٧٤؛ المختصر، ج٣، ص١٤٣ - ص١٤٥؛ نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥٦ - ص١٥٧؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٣، السلوك، ج١ق١، ص٢٣٥ - ص٢٣٦؛ تاريخ حلب، ص٩٥٣ - ص٩٥٤؛ أخبار الأيوبيين، ص١٦.

(٢) الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور بن خلف الأنصارى الدمشقى، وكان أبوه زين الدين ينوب فى القضاء بحماة عن القاضى ضياء الدين بن الشهر زورى، لما ولى الحكم بحماة، وكان الشيخ شرف الدين فاضلا متأدبا جيد النظم والترسل.

لمعرفة المزيد من ترجمته انظر: مفرج الكروب، ج٤، ص٢٧٣ - ص٢٧٤.

فكَمْ فُضٍّ ضيقٌ حين زارت هباته ... وضاق فضاء حين زادت جَحافله
مليكٌ لشمل المكرمات مُجمعٌ ... فلا جمع إلا وهو بالبذل شامِلُه
وبحرٌ طويل الباع مُنْسرح الندى ... بسيط المعالى وافر الفضل كامله
يَذِلُ مُعاديه ويعتزُّ جارُه ... وتُرجَى عطاياهُ وتُخْشى غوائلُه
ويلقى حصينات الدُّرُوع غنيمة ... إذا ما التقى أقرانُهُ وعواملِه
دعاه إلى حُبِّ المواضى مضاؤه ... وهل يصحب الإنسان من لايشاكله
وعمَّ اليتامى والأراملَ برُّه ... فكل الورى أيتامُه وأراملهُ
وقد كانت الدنيا تحاول كاملا ... فقد أدْرَكت فى عصره ماتُحاوله[٩٠]
بلغتُ بمدحى فيه أبلغَ غايةٍ ... فَبُلِّغت من جَدْوَاه ما أنا آمِلُه
ومن جُودِه شكرى ولم تُثْن روضةٌ ... على المزن بل أثنى على المزن وابله
تعدى نداه الجمَّ أقصى مأربى ... فأفضلت مما أمطرتنى فواضله
وقر قرارى فى جنات جنانه ... وقد قلقلت يابن الحسين قلاقلهُ
وصار قريضى مدح أشرف ضيغمَ ... فلم له يبذله فى غزال أُغَازِلُه[١]

وفى تاريخ ابن كثير[٢] : ولما فتحوا باب[٣] النصر وقت السحر للملك المظفر دخل منه ، ومضى إلى دار الوزير المعروفة بدار الأكرم داخل باب الغار ، وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية ، وقفتها مؤنسه[٤] خاتون بنت الملك المظفر المذكور ، وأقام المظفر فى دار الأكرم يومين ، وصعد فى اليوم الثالث إلى القلعة ، وتسلمها . وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر مالك لحماة ، وعمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة ، لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكان أخوه الناصر قليج أرسلان أصغر منه بسنة . ولما ملك

---

(١) ورد هذا الشعر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٤ - ص٢٧٦ .
(٢) بالبحث لم نجد هذه الأحداث فى تاريخ ابن كثير ، ولكن وجدناها فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧١ - ٢٧٤ .
(٣) المقصود باب النصر بدمشق . الدارس ، ج١ ، ص٢٧٨ .
(٤) مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر : هى بنت المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذى ، عمرت بحماة المدرسة الخاتونية ، وهى دار الوزير المعروفة بـ «دار الأكرم» .
انظر : شفاء القلوب ، ص٣٩٦ .

المظفر حماة فوض تدبير أمرها إلى الأمير سيف الدين على بن أبى على الهذبانى ، وكان سيف الدين بهذا قد خدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين بن أبى على ، الذى كان نائب السلطنة للملك المظفر بسلمية لما سلمت إليه ، وهو بمصر عند الكامل ، ثم حصل بين المظفر وبين حسام الدين المذكور وحشة ، ففارقه حسام الدين واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، وحظى عنده ، وصار أستاداره ، وخدم ابن عمه سيف الدين على المذكور الملك المظفر ، وكان يقول له : أشتهى أنى أراك صاحب حماة وأكون بعين واحدة . فأصيبت عين سيف الدين على حصار حماة لما نازلها عسكر الكامل ، وبقى بفرد عين ، فحظى عند المظفر لذلك ، ولأجل كفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره .

ذكر رحيل الملك الكامل إلى بلاد الشرق

[٩١] ولما استقر الملك المظفر فى حماة رحل الملك الكامل عن سلمية إلى البلاد الشرقية التى أخذها من أخيه الملك الأشرف ، عوضا عن دمشق ، فنظر فى مصالحها ، ثم سار الملك المظفر من حماة ، ولحق الملك الكامل وهو بالشرق ، وعقد له الملك الكامل هناك على ابنته غازية[١] خاتون ابنة الكامل وهى شقيقة الملك المسعود[٢] صاحب بلاد اليمن ، وهى والدة الملك المنصور[٣] صاحب حماة ، وأخيه الملك الأفضل نور الدين على ابنى الملك المظفر محمود ، ثم عاد الملك المظفر إلى حماة ، وقد قضيت أمانيه بملك حماة ، بخاله الملك الكامل ، وكان يتمنى ذلك لما كان

---

(١) غازية خاتون : بنت محمد بن أبى بكر بن أيوب بن شاذى ، الصاحبة بنت الملك الكامل بن العادل ، تزوجها ابن ابن ابن عم أبيها المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٦٢٦هـ ، توفيت فى ذى القعدة سنة ٦٥٦هـ .

انظر : شفاء القلوب ، ص٣٤١ ـ ص٣٤٣ .

(٢) الملك المسعود : هو يوسف بن محمد بن أبى بكر بن أيوب بن شاذى ، الملك المسعود المعروف بأقسيس ، الملقب أطز ، وهو اسم تركى ، صاحب اليمن ، ابن الكامل بن العادل ، وكان المسعود جبارا فاتكا ، مات سنة ٦٢٦هـ ودفن بالمعلى وكان سنة ستة وعشرين سنة لأن مولده سنة ٦٠٠هـ .

انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٧ ، شفاء القلوب ، ص٣٢٥ ـ ص٣٢٨ ؛ ترويح القلوب ، ص٨٩ ؛ أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٣) الملك المنصور صاحب حماة : هو الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد بن عمر ، مات يوم الاثنين الثانى والعشرين من ذى القعدة سنة ٦١٧هـ بحماة .

انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٧٧ ـ ص ٧٨ .

بالديار المصرية ، وكان يصحبه بمصر رجل من أهلها يقال له : الزكى القوصى ، فأنشده الزكى يوما بمصر ، وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل :

متى أراك كما تهوى وأنت ومن تهوى كأنكما رُوحان فى البدن

هناك أنشد والأقدار مصغية هنيت بالملك والأحباب والوطن

فقال الملك المظفر : إن صار ذلك يازكى أعطيتك ألف دينار مصرية . فلما ملك المظفر حماة أعطى الزكى ماوعد به[1] .

وفى تاريخ بيبرس : ولما سار الملك الكامل إلى جهة الشرق نزل بالرقة ، وولى على البلاد ، ونظر فى مصالحها ، وخافه ملوك الشرق ، وأطلق ابن أخيه الناصر قليج أرسلان من اعتقاله وأعطاه بعرين ، وكتب له توقيعا ، ورسم بأن يحمل إليه ما كان فى قلعة حماة من المال ، وكان نحو أربع مائة ألف درهم ، وكتب إلى المظفر بتسليم ذلك إليه ، فأمر المظفر النواب ببارين بتسليمها إلى أخيه الناصر ، ووصل الناصر ليتسلمها ، فبعث إليه أخوه ببعض المال ، فأبى أن يقبله إلا الجميع ، فأخذ المظفر المال المردود ، ولم يبعث له شيئا[2] .

وفى تاريخ[3] ابن العميد : بعث الكامل الأمير فخر[4] الدين بن الشيخ ليتسلم قلعة حران وقلعة الرها ، وبلاد الجزيرة ، فمضى إليها ، وبعد ذلك لحقه السلطان ، فوصل إلى الرقة ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، فلما عيد على الرقة سار إلى[5] حران والرها ، وكشف

(١) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٧ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٦ - ص٢٧٧ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص ١٤٥ ؛نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ - ص١٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٣ ، السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٢٥ - ص٢٢٦ ؛ أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٢) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص ٤٨٦ - ص٤٨٧ ؛ الذيل على الروضتين ، ص١٥٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٣ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٦ - ص١٥٧ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص ٢٣٦ ؛ أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٣) أخبار الأيوبيين ، ص١٦ .

(٤) فخر الدين بن الشيخ : هو فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حموية ، وكان فاضلاً دينا مهيبا وقورا خليقا بالملك ، قتلته الداوية من الفرنج شهيدا فى ذى القعدة سنة ٦٤٧هـ .

انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٨٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٩٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٣٨ - ص٢٣٩ .

(٥) «نحو إلى» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من أخبار الأيوبيين ، حيث ينقل عنه العينى ، ص١٦ .

أحوال البلاد ، وطلع إلى القلاع ودبرها ، وشرع في[٩٢] استخدام عساكرها ، وولى ذلك الأمر للأمير بهاء الدين خليل بن محمد بن ملكشو[١] ، وكان مشد[٢] ديوان[٣] الجيوش المنصورة .

ذكر عود الكامل إلى جهة الديار المصرية

ولما فرغت حاجة الكامل في بلاد الشرق عاد إلى الديار المصرية ، وكان قد وردت عليه كتب من أم ولده العادل[٤] تشكو من ابنه الصالح نجم الدين أيوب ، وكان قد رتَّبه نائبه بالديار المصرية ، وجعله وليّ عهده ، وذكرت عنه أنه عزم على التوثُّب على الملك ، واشترى جماعةً كثيرةً من المماليك الترك ، وأخذ جملة من أموال التجار وبدَّل جُملةً من بيت المال ، وتقول له : «إن لم تدرك البلاد غلب عليها ، وأخرجني وولدك العادل منها» . فأغضبه ذلك وأحنقه[٥] ورجع إلى الديار المصرية مسرعاً . ولما وصل أظهر التغير على ولده الملك الصالح ، وقبض على جماعة من أصحابه واعتقلهم ، وطالبهم بالأموال التي فرط فيها ، وكان هذا[هو][٦] السبب في انحرافه عن الصالح إلى العادل ، حتى أدى ذلك إلى إبعاده إلى الشرق على ماسنذكره إن شاء الله تعالى ، وعهد بالسلطنة بعده إلى ولده العادل ، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، وكان الكامل شديد الميل إليه وإلى والدته[٧] .

(١) «ملكشوا» كذا في الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من أخبار الأيوبيين ، حيث ينقل عنه العيني ، ص١٦ .

(٢) مشد الديوان : هذه الوظيفة من بين الوظائف السلطانية الخاصة بأرباب السيوف (أمراء الجند) ، وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير ، متحدثا في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٨ ، حاشية(٤) ؛ صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٢ .

(٣) ديوان الجيش : من الدواوين الهامة ، أنشئ في عهد الفاطميين ، وتركزت فيه كل شئون الجيش وأصناف الجند وأعدادهم ، وأعداد خيولهم وأنواعها ، وكان لايتولى هذا الديوان إلا من كان مسلما ، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة وبين يديه حاجب ، وقسم هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام وهي : قسم يختص بالأجناد وإحصاء أعدادهم ، وقسم يختص بضبط الإقطاعات الخاصة بأولئك الأجناد ، وقسم خاص بالرواتب والجوامك التي كانت تصرف لكل موظف بالدولة .
لمزيد من المعلومات انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٤٥ .

(٤) يقصد الملك العادل سيف الدين أبي بكر .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٧ ـ ص٢٧٨ .

(٥) «والحنقة» كذا في الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٨ .

(٦) مابين حاصرتين إضافة من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٨ ، لاستقامة المعنى .

(٧) ورد هذا الحدث في سنة ٦٢٧هـ في كل من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٧٧ ـ ص٢٧٩ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٠ ؛ السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٣٨ ؛ أخبار الأيوبيين ، ص١٧ .

ذكر بقية الحوادث

منها أن الملك الأشرف سير أخاه الصالح عماد[١] الدين اسماعيل صاحب بصرى ومعه جماعة من العسكر إلى بعلبك، فنازلوها وضايقوها ونصبوا عليها المجانيق إلى أن خرجت هذه السنة[٢] .

ومنها انه نادى الأشرف بدمشق وغيرها أن لايشتغل الناس بعلم الأوائل، وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه، وكان الناس قد اشتغلوا بعلوم الأوائل فى أيام الملك الناصر داود، وكان يعانى ذلك، وربما نسبه بعضهم إلى نوع من الانحلال، وكان سيف الدين الآمدى[٣] مدرسا بالعزيزية[٤] فعزله منها، وبقى ملازما منزله حتى مات فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة[٥] كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال أبو شامة[٦] : وفى هذه [٩٣] السنة أهين جماعة من المتجبرين وذلك بعد استقرار الأشرف فى دمشق . من ذلك أن هبة الله النصرانى الذى كان متولى خزانة[٧] السلطان، علق بيده اليمنى على باب كنيسة[٨] مريم، وفى رجليه لبنة حديد، وطلب

---

(١) الصالح عماد الدين اسماعيل : هو ابن الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب، ملك دمشق مدة، وقتل سنة ٦٤٨هـ .
انظر ترجمته فى : الذيل على الروضتين، ص١٨٦ ؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩١ ؛ شفاء القلوب، ص٢٧٩ ؛ الشذرات، ج٥، ص٢٤١ ؛ ترويح القلوب، ص٧٩ .

(٢) انظر : مفرج الكروب، ج٤، ص٢٨٠ ؛ أما المختصر، ج٣، ص١٤٥ ؛ البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٦ - ص١٣٧ ؛ المرآة، ج٨، ص٤٣٥ - ص٤٣٦، فقد ورد هذا الحدث فيهم سنة ٦٢٧هـ .

(٣) هو سيف الدين على بن أبى على محمد بن سالم بن التغلبى ثم الشافعى الآمدى ولد بآمد بعد سنة ٥٥٠هـ، وتوفى سنة ٦٣١هـ ودفن بتربته بقاسيون .
انظر : البداية والنهاية، ج١٣، ص١٥١ ؛ الدارس، ج١، ص٣٩٣ ؛ الشذرات، ج٥، ص١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) المدرسة العزيزية، بعد وفاه صلاح الدين بن أيوب قام ابنه الملك العزيز عثمان ببناء المدرسة العزيزية، بالكلاسة بجوار الجامع الأموى، وكان أول من وضع أساسها الملك الأفضل، ثم أتمها الملك العزيز عثمان٥٩١هـ .
انظر : الدارس، ج١، ص٣٨٢ .

(٥) وردت هذه الأحداث فى البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٣ .

(٦) الذيل على الروضتين، ص١٥٦ .

(٧) خزانة السلطان : الخزائن السلطانية هى التى تحفظ فيها الأموال والنقد ويحمل إليها معدن النفط المستخرج من بحر القلزم فهو يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله، فيجمع فى أوان قد وضعت لذلك، وتأتى العرب فتحمله إلى الخزائن السلطانية ويدخل هذه الخزانة أيضا مايحمل إليها من البلاد الخارجية، ويدخلها كذلك مايتحصل من الثغور، وتحمل إليها كذلك المعادن كمعدن الزمرد، ومعدن الشب .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى، ج١٥، ص١٢٠ .

(٨) كنيسة مريم : بجوار مسجد صدقة عند باب المدينة بدمشق .
انظر : الدارس، ج٢، ص٣١٦ .

منه مال عظيم ، وهرب أهله ، وقد كان هذا الملعون تمكن من المسلمين وآذاهم ، ورفع منار النصارى ، وتسلَّطوا بجاهه على المسلمين ، وجدَّد لهم بناء كنيسة مريم ، وشيَّد بنيانها ، ورفع بابها ثم هدم مازاده ، وأعيدت الكنيسة على ماكانت عليه في شعبان بأمر السلطان الكامل ، وتولى النصارى هدم ذلك بأنفسهم .

ومنها أن شرو انشاه أفريدون صاحب شروان[١] حضر إلى جلال الدين خوارزم شاه ، وكان قد قرر عليه خمسين ألف دينار يحملها إلى الخزانة الجلالية[٢] فى كل سنة ، وأحضر معه خمس مائة رأس خيلاً تركية تقدمةً فقبلها منه ، وخلع عليه ، وكتب له توقيعا بتقرير الممالك التى تحت يده ، وإسقاط عشرين ألف دينار من الخراج المقرر عليه[٣] .

ومنها أن جلال الدين خوارزم شاه سار إلى بلاد الكرج ، فإنهم كانوا قد كبسوا بعض الأعمال الجلالية ، وأوقعوا بطائفة من العسكر ، ثم ورد الخبر بعد ذلك أن الملكة ومقدَّم الكرج[٤] قد جمعا ، ووافتهم نجد اللُكز[٥] والآلان[٦] ، فصاروا فى أربعين ألفا ، فخرج جلال الدين للوقت مبادراً إلى نحوهم ، ولما تلاقى اليزكان[٧] انهزم الكرج وأحضرت منهم جماعة فأمر بضرب رقابهم ، وتبع العسكر الجلالى آثار المنهزمين ، ولحق بعضهم أثقال إيوانى فأخذها غنيمةً ، وراح السلطان صوب لُورى ، فنزل بظاهرها ، وراسل مَنْ بها

(١) شَرْوَان : مدينة من نواحى باب الأبواب الذى يسمونه الفرس الدُر بند بناها أنو شروان فسميت باسمه ، وبين شروان وباب الأبواب مائة فرسخ .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٢ .

(٢) الخزانة الجلالية : أى خزانة السلطان جلال الدين منكبرتى ، وقد سبق تعريف الخزانة السلطانية .

(٣) لمعرفة المزيد عن هذا الحدث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٨٩ ـ ص٢٩٠ .

(٤) مقدم الكرج : الكرج أمة من المسيحيين كانت مساكنها بجبال القوقاز المجاورة لتفليس ثم استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م . ولم يزالوا متملكين لها حتى أغار عليهم جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م ، ومقدمهم هو الذى يتحدث عنهم ويتقدم عليهم .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥١ ـ ص٢٥٢ ؛ مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٩٢ ، مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣١٩ .

(٥) اللكز : جنس من الترك يسكنون مدينة لكز ، يقال لهم اللكزى ، ويسكنون فى الجبل الفاصل بين تتر مملكة بَرَكَة ، وتتر مملكة هولاكو .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

(٦) الآلان :وتكتب أيضا «اللان» قبائل كانت تسكن بالقرب من مدينة دربند .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٩١ ، حاشية(٢) .

(٧) اليزك : لفظ فارسى معناه الطلائع .
انظر : صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٦٤ .

من الكرج مُهددا لهم بحصارها ، وطالبهم بإطلاق مَنْ كان قد أُسِرَ من الأتراك فأطلقوهم ، وتوجه إلى قِلاع بهرام الكرجى وحاصرها ، وفرق عساكره فى بلاده بنهبٍ وقتل وأخذ الأموال ، وزحف على قلعة سكان[1] ففتحها عنوة ، وأضرم بها على الكفار نارًا ، ثم رحل منها إلى قلعة علياباذ[2] ، فاستباحها ، وقتل أهلها ، وضايق الكرج فَسَألوه الموادعة على مال يحملونه ويعجلونه ، فتسلم المال ورحل إلى خلاط ، عازما على حصارها ، وحثَّ الأمراء والخانات [٩٤] على المسير إليها مع الأثقال ، وسارهو على طريق نخجوان[3] ، وأغار على ما أصاب من مواشى الكرج ، وساقها حتى لقد بيع الثور الجيد بدينار ، وتزوج بصاحبة نقجوان ، وأقام بها أياما إلى أن قضى أشغال خراسان والعراق ومازندران[4][5] .

ولما نزل على خلاط نزل على مسيرة يوم منها ، فراسله عز الدين أيبك نائب الملك الأشرف بها ، ولاطفه ، وتَخَضَّع له ، وأعلمه بأن الملك الأشرف رسم بالقبض على الحاجب على ، وأنه ماقبض عليه إلا لتخطّيه إلى بلاد جلال الدين ، وإساءته الأدب ، وقال : إنه قد ولاّنى خلاط ، وأمرنى بطاعة السلطان ، واتباع مراده ، معدودًا فى جملة أعوانه ، وإنجاده أسوة بسائر أجناده[6] ، وزاد فى ملاطفته ، فأجاب جلال الدين أنه إن كان يطلب مرضاتى فليسير إلى الحاجب عليًا ، فلما وصل الرسول بهذا الجواب قتل عز الدين أيبك الحاجب على[7] بن حماد[8] .

---

(١) سكّان : من قرى الصغد من أربنجن . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٠٦ .

(٢) علياباذ : عدة قرى بنواحى الرَّى . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧١٤ .

(٣) نخجوان : وبعضهم يقول نقجوان وهى بلد بأقصى أذربيجان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٦٧ .

(٤) مازندران : اسم لولاية طبرستان .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٩٢ .

(٥) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٩١ - ص٢٩٣ ، ص٢٩٧ - ص٢٩٨ .

(٦) الأجناد : وهم على طبقتين :
الطبقة الأولى : المماليك السلطانية وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم قربا إلى السلطان ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة ، وهم فى العدة بحسب مايؤثره السلطان من الكثرة والقلة .
والطبقة الثانية : أجناد الحلقة وهم عدد جم وخلق كثير ، وكل أربعين نفسا منهم مقدم ، ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لها البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٥ - ص١٦ .

(٧) الحاجب على بن حماد : هو الحاجب حسام الدين على بن حماد ، وهو المتولى لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الأشرف ، قتله الأمير عز الدين أيبك سنة ٦٢٦هـ .
انظر : ترجمته فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٥ - ص ٤٨٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٩ .

(٨) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص٢٩٩ .

واستمر الحصار على خلاط ، واشتد الغلاء بأهلها ، حتى أكلوا الكلابَ والسنانير ، وكان بها أمير يسمى اسماعيل الإيوانى ، فراسل جلال الدين يطلب منه إقطاعًا ، على أن يُسلم البلد ، فأجابه إلى ذلك ، وعيَّن له سلماس[١] وعدة قرى بأذربيجان ، فأطلع أصحاب جلال الدين على السور بحبال أدلاها لهم ، فلما صَاروا على السور وملكوا البلد صعد جماعة من الأمراء إلى القلعة ، وامتنعوا بها ، ووضع العسكر الجلالى السيف فى أهل البلد ، وكانوا قد قَلُّوا ، فإن بعضهم فارق البلد خوفا ، وبعضهم خرج من شدة الجوع ، وسُبِى أهلها ، وبيع أولادهم ونسوانهم ، وفعل فيها ما لم يفعل فى غيرها من المسلمين[٢] .

ولما ملكها قبض على عز الدين أيبك الأشرفى وقتله ، وقبض على الملك المعز مجير الدين يعقوب[٣] بن الملك العادل ، ثم أطلقه فمضى إلى أخيه الأشرف موسى[٤] .

ثم سار إلى منازكرد[٥] ، ووصل إليه ركن الدين جهان شاه بن طغرل[٦] صاحب أرزن الروم ، وهو ابن عم علاء الدين كيقباذ ثانيا يُعْلمه أن ملوك الشام والروم اجتمعوا على حربه ، والصواب أن يُبادرهم قبل أن يجتمعوا ، فأمره السلطان أن يتقدم نحو أرزن الروم ، ورحل بعده بخمسة أيام على أنهما [٩٥] يسوقان إلى نواحى خرت برت[٧] فيقيمان بها منتظرين حركتى عسكرى الشام والروم ، فأيهما يحرك أولا ساقا إليه قبل اتصاله

(١) سلماس : مدينة مشهورة بأذربيجان بينها وبين أرمية يومان وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢٠ .

(٢) ورد هذ الحدث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٨ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٣٢٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٤ - ص٢٩٥ ، وقد جاءت ضمن أحداث سنة ٦٢٧هـ .

(٣) الملك المعز مجير الدين يعقوب : هو الملك المعز يعقوب بن أبى بكر بن شاذى ، مجير الدين بن العادل أبى بكر بن أيوب ، توفى سنة ٦٥٤هـ ، ودفن عند والده بتربة العادلية . الذيل على الروضتين ، ص١٩٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٩٧ ؛ شفاء القلوب ، ص٢٨٠ .

(٤) ورد هذ الحدث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨١ ، ص ٢٩٧ .

(٥) منازكرد : أو منازجرد أو ملا ذكرت وهى بلدة مشهورة بين خلاط وبلاد الروم .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٤٨ ؛ تقويم البلدان ، ص٣٩٤ - ص٣٩٥ .

(٦) ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب أرزن الروم : وهو ابن عم لعلاء الدين كيقباذ سلطان السلاجقة الروم ، وكان بينه وبين ابن عمه عداوة مستحكمة كما أنه كان أحد الذين أعانوا جلال الدين منكبرتى على حصار مدينة خلاط بعد أن دخل فى طاعته .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٩ - ص٤٩١ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٣٢٩ ، حاشية(١) .

(٧) خَرْتَ بِرْت : إحدى قلاع أرمينية الكبرى ، على مسيرة يومين من ملطية ، وتعرف أيضا بحصن زياد .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤١٧ .

بصاحبه ، وكتب جلال الدين لأخى ركن الدين توقيعا بناحيتى كنفى[١] وخوزستين ، ولما وصل إلى خرْت برت ، وأقام فى انتظار العساكر ، مرض مرضا شديدا ، فلما أفاق سار وجرَّد أمامه أوترخان فى زهَاء ألفى فارس برسم اليزك ، فصادم عسكر أرذنجان[٢] وخرت برت فهزمهم ، وتتابعت الهزيمة فى الروم ، فلما بلغ علاء الدين كيقباذ هذا الخبر المزعج قلق قلقا شديدا ، وعزم على العود لحفظ الدربندات[٣] التى وراءه ، وآخر الأمر انكسر جلال الدين خوارزم شاه على ماسنبينه فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى[٤] .

ومنها أن فى شهر صفر ولى الملك الناصر داود محيى الدين[٥] يحيى بن الزكى قضاء القضاة بدمشق ، وقرأ عهدته بهاء الدين[٦] بن أبى اليُسر بالكلاسة[٧][٨] .

وفيها . . . .[٩]

وفيها لم يحج أحد من الشام ولا من مصر ولا من العراق ، وذلك لفُشُوّ الفتن والخباط بين الملوك[١٠] .

---

(١) كَنَفَى : موضع كانت فيه وقعة أسر فيها حاجب بن زُرارة أسره الخمخام بن جبلة .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣١٢ .

(٢) أرذنجان : بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٣) الدربندات : مفردها دربند ومعناها فى الأصل سنبلة من حديد ، يقفل بها باب الدكان ، ويقال لها دروند أيضا ، وتستعمل هذه الكلمة كذلك بمعنى المضايق والطرقات .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٦ ، حاشية(٧) .

(٤) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٩ ـ ص٤٩٠ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٣٢٩ ـ ص٣٣١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٦ .

(٥) محيى الدين يحيى بن الزكى : هو أبو الفضل يحيى ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى المعالى محمد بن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن ابن القاسم بن الوليد ، القرشى الأموى ابن الزكى ، تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباؤه من قبله ، ولد سنة ٥٩٦هـ ، وتوفى بمصر فى الرابع عشر من رجب سنة ٦٦٨هـ ، ودفن بالمقطم وقد جاوز السبعين .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٧٢ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٣٢٧ ـ ص٣٢٨

(٦) بهاء الدين بن أبى اليسر : توفى فى خامس عشر المحرم سنة ٦٣١هـ ، ومولده سنة ٥٦٥هـ .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٦١ .

(٧) الكلاسة : مدرسة بناها نور الدين محمود سنة ٥٥٥هـ متصلة بالجامع الأموى من شماله ، وسميت كذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع ، وقد أمر بتجديدها السلطان صلاح الدين الأيوبى .
انظر : كرد على ، خطط الشام ، ج٦ ، ص٨٩ .

(٨) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٤ ، نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٣ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٣ .

(٩) بياض بالأصل بمقدار نصف سطر .

(١٠) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

أبو الفتوح[١] نصر بن على البغدادى الفقيه الشافعى ، ويلقب بثعلب ، اشتغل فى المذهب والخلاف ، ومن شعره قوله :

جسمى معى غير أن الروح عندكم فالجسم فى غربة والروح فى وطنى
فليعجب الناس منى أن لى بدنا لاروح فيه ولى روح بلا بدن

أبو الفضل[٢] جبريل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن حسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر ، المعروف بابن زطينا[٣] البغدادى ، كاتب الديوان ، بها أسلم ، وكان نصرانيا فحسن إسلامه . وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ، وأورد له ابن الساعى شعرا حسنا فمنه قوله :

إن سهرت عيناك[٤] فى طاعة فذاك خير لك من نوم
أَمْسُكَ قدفات[٥] بعِلاتِه فاستدرك الفائت فى اليوم

ومنه قوله :

إنَّ رَّباً هداك بَعد ضلال سبلَ الرشد مستحقُ العبادة [٩٦]
فتعبد له تجد منه عتقا واستدم فيضه بطول الزَّهَادَة

العبادى[٦] الشاعر أبو الحسن على بن سالم بن يزبك[٧] بن محمد بن مقلد ، العبادى الشاعر ، من الحديثة[٨] ، قدم بغداد مرارا ، وامتدح المستنصر بالله وغيره ، وكان فاضلا شاعرا ، يكثر التغزل .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٥ .
(٢) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٥ ـ ص١٣٦ .
(٣) «نطينا» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٥ .
(٤) «عينك» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٦ .
(٥) «فاز» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٦ .
(٦) انظر : البداية والنهاية ج١٣ ، ص١٣٤ .
(٧) «بريك» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ .
(٨) الحديثة : تقع فى مواضع عدة وهى : حديثة الموصل وهى بليدة على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزاب الأعلى ، وحديثه الفرات وهى على فراسخ من الأنبار ، والحديثة أيضا من قرى غوطة دمشق ويقال لها حديثة جرش .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٢٢ ـ ص٣٢٥ .

أبو يوسف[1] **بن صابر الحرانى ، ثم البغدادى المنجنيقى** ، كان فاضلا فى فنه ، وشاعرا مطبقا لطيف الشعر ، حسن المعانى ، قد أورد له ابن الساعى[2] قطعة جيدة ، ومن أحسن ما أورد له من قصيدة فيها تعزية عظيمة لجميع الناس وهى قوله :

هل لمن يرتجى البقاء خلود ... وسوى الله كل شئ يبيد
والذى كان من تراب وإن ... عاش طويلا إلى التراب يعود
فمصير الأنام طراً إلى ما ... صار فيه آباؤهم والجدودُ
أين حواء؟ أين آدمُ؟ إذ فا ... تهم الخلد والثوى والخلود؟
أين هابيلُ؟ أين قابيل؟ إذ هـ ... ذا لهذا معاندٌ وحسودُ
أين نوح ومن نجامعهُ بالفلـ ... ك والعالمونَ طرًا فقيدُ
أسلمتهُ الأيامُ كالطفلِ للمو ... تِ ولم يغنِ عمرهُ الممدودُ
أين عادُ؟ بل أين جَنَّةُ عادٍ ... أم ترى أينَ صالحُ وثمودُ؟
أينَ ابراهيمَ الذى شادَ بيـ ... ت اللهِ فهو المعظَّمُ المقصودُ
حسدوا يوسفاً أخاهم فكادو ... هُ وماتَ الحاسدُ والمحسودُ
وسليمانُ فى النبوةِ والملكُ ... قضى مثلَ ماقضى داودُ
فعدوا بعد ما أطيعُ له الخلـ ... قِ وهذا ألين له الحديدُ
وابن عمرانَ بعد آياتهِ التسـ ... ع وشق الخضمَ فهو صعيدُ
والمسيحُ ابن مريم وهو روح اللـ ... ه كِادتْ تقضى عليه اليهودُ
وقضى سيدُ النبيينَ والهـا ... دى إلى الحقِ أحمدُ المحمود
وتبنوه[3] وآله الطاهرو ... نَ الزهرُ صلى عليهمُ المعبودُ
ونجومُ السماءِ منتثراتُ ... بعدَ حينٍ وللهواءِ ركودُ

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ ـ ص١٣٥ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٢٠ .

(٢) ابن الساعى : هو أبو طالب على بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله البغدادى السلامى ، خازن كتب المستنصرية ، كان إماما حافظا مبرزا على أقرانه ، وله تصانيف كثيرة جدا ، وهو شافعى المذهب ، وكان فقيها بارعا قارئا بالسبع محدثا مؤرخا شاعرا لطيفا كريما ، توفى فى رمضان سنة ٦٧٤هـ ، وقد قارب الثمانين أو جاوزها .
لمعرفة المزيد عن ترجمته انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٨٦ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٣٤٣ ـ ص٣٤٤ ، تاريخ الإسلام للحافظ شمس الدين الذهبى ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى ، دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م ، ص١٦١ ـ ص١٦٢ .

(٣) «ذروه» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٥ .

ولنارِ الدنيا التى توقد الصخـ رَ خمود للماءِ[1] جمودُ
وكذا للثرى غداةُ يوم للـ ناس فيها تزلزلٌ وهمود
هذه الأمهاتُ نارٌ وتربٌ وهواءٌ رطبٌ وماءٌ برودُ
سوفَ يفنى كما فَنَيْنا فلا يبقى من الخلق والدٌ ووليدُ
لا الشقُّى الغوىُّ من نوبِ الأيا م ينجو ولا السعيدُ الرشيدُ
ومتى سلَّت المنايا سيوفًا فالموالى حصيدها والعبيدُ

مات فى هذه السنة .

محمد[2] السبتى النجار ، كان يعده بعضهم من الأبدال[3] ، قال أبو شامة[4] : هو الذى بنى المسجد غربى دار الزكوة ، عن يسار المار فى الشارع من ماله ، مات فى هذه السنة ، ودفن فى الجبل وكانت جنازته مشهودة .

الحاجب حسام[5] الدين على الموصلى ، قتل فى هذه السنة ، قتله عز الدين أيبك الأشرفى بأخلاط ، وقد ذكرناه عن قريب ، وكان هذا من أهل الموصل ، وخدم الملك الأشرف فجعله نائبه بأخلاط ، وأحسن إلى الرعية ، وحفظ البلاد ، واستولى على عدة من بلاد أذربيجان ، مثل : نقجوان وغيرها . وكان كثير الخير والمعروف ، بنى الخان الذى بين حران ونصيبين ، والخان الذى بين حمص ودمشق وهو الخان المعروف بخان برج العطش .

الملك المسعود[6] يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن ، الملقب بأطسز ، المعروف بين العامة بأقسِسْ ، وقد ذكرنا وجه

(١) «للمياه» كذا فى الأصل والمثبت من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٥ .
(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ .
(٣) الأبدال : جمع بديل وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر . لمعرفة المزيد انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٢ .
(٤) الذيل على الروضتين ، ص١٥٧ .
(٥) الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٥ - ص٤٨٦ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٦٣ - ص٢٦٥ ، المختصر ، ج٣ ، ص١٤٣ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١١٩ .
(٦) انظر الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٧ - ١٥٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٥ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٢٠ ؛ ترويح القلوب ، ص٨٩ .

تلقيبه بذلك ، مات فى هذه السنة بمكة ، ودفن بالمعلى[١] ، وكان قد مرض فى اليمن مرضا شديدا وكره الإقامة بها ، وعزم على مفارقتها والتوجه إلى الديار المصرية ، فسار إلى مكة وهى له كما ذكرنا ، واشتد مرضه بها ، فتوفى فيها وعمره ست وعشرون سنة ، وكانت مدة ملكه اليمن أربع[٢] عشرة سنة .

وكان لما سار من اليمن استخلف عليها على بن رسول ، وكان أستاداره ، فاستقر باليمن نائبا لبنى أيوب ، واستمر فى النيابة إلى أن مات قبل سنة ثلاثين وستمائة[٣] ، واستولى على اليمن بعده ولده عمر[٤] بن على ، على مانذكره إن شاء الله . ولم تزل اليمن إلى الآن فى أولاده ، ولما وصل الخبر بوفاة الملك المسعود المذكور إلى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق جلس للعزاء ، وخلف المسعود ولداً صغيرا اسمه أيضا يوسف[٥] ، وبقى يوسف هذا حتى مات فى سلطنة [٩٨] عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، وخلف يوسف ولدا صغيرا اسمه موسى[٦] ، ولقب بالملك الأشرف ، وهو الذى أقامه الترك فى مملكة مصر بعد قتل المعظم بن الملك الصالح ابن الملك الكامل كما سنذكره إن شاء الله[٧] .

---

(١) المعلى : وتكتب مُعَلاً وهو موضع بالحجاز .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٧٧ .

(٢) «أربعة عشر» كذا فى الأصل والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣) المختصر ، ج٣ ، ص١٥٨ .

(٤) عمر بن على بن رسول : الملك المنصور صاحب اليمن ، وثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه سنة ٦٤٨هـ .
لمعرفة المزيد انظر : المختصر ، ج٣ ، ص١٨٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبى ، ج٢٣ ، ص١٧٣ ، ترجمة (١٠٨) ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ طبعة ١١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

(٥) صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود أقسيس الملقب كأبيه بالملك المسعود .
انظر : المختصر ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٧٨ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٠ .

(٦) الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك يوسف بن الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، اتفق الأمراء على إقامته فى السلطنة ، وحضروا فى خدمته يوم السبت لخمس مضين من جمادى الأولى سنة ٦٤٨هـ . انظر : المختصر ، ج٣ ، ص١٣٢ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٧٨ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٠ .

(٧) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٥٩ ـ ٢٦٣ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٥٩ ـ ص١٦٠ ، السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٣٧ ؛ أخبار الأيوبيين ، ص١٦ ـ١٧ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٧٨ .

وقال ابن كثير[١] : قد ملك الملك المسعود مكة من سنة تسع عشرة وستمائة ، فأحسن بها المعدلة[٢] ، ونفى الزيدية[٣] منها ، وأمنت الطرقات والحجاج ، ولكنه كان مسرفا على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضا .

وفى تاريخ بيبرس : وكان شجاعا مقداما ذا بأس شديد ، وهمة عالية ، وكان أبوه يخاف منه على بقية أولاده ، ولما ملك اليمن سفك دماء كثير من المفسدين ، فخافته العرب وغيرهم ، وعظمت هيبته ، وكان قد قدم إلى أبيه زائرا ، فأقام بالقصر بالقاهرة مدة ، ثم عاد كما ذكرناه ، ولما قدم مصر امتدحه البهاء[٤]زهير[٥] كاتب أخيه الصالح[٦] بقصيدة مطلعها :

لكم أينما كنتم مكان وإمكان ومُلْك له تعنوا الملوك وسلطان
ضربتم من العز المنيع سرادقا فأنتم له بين السماكين سكان

ومنها :

قَدِمْت قدوم الليث والليث باسل وجئت مجئ الغيثِ والغيثُ هتان
ومابرحت مصرُ إليك مشوقة ومثلك من يشتاق لُقياه صديان[٧]

ومنها :

فحسبُك قد وافاكِ يامصر يوسف وحسبك قد وافاك يانيل طوفان[٨]

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٤ .
(٢) المعدلة : هم أهل العدل الذين يقولون : إن الله تعالى واحد فى ذاته لاقسمة ولاصفة له وواحد فى أفعاله لاشريك له ، فلا قديم غير ذاته ، ولا قسيم له فى أفعاله ، ومحال وجود قديمين ، ومقدور بين قادرين ، وذلك هو التوحيد ، وأهل العدل أى المعدلة هم من أهل السنة وأهل الاعتزال .
لمعرفة المزيد عنهم انظر : الملل والنحل ، ج١ ، ص٤٢ - ص٤٣ .
(٣) الزيدية : فرقة من الشيعة وهم المنسوبون إلى زيد بن على زين العابدين ، وهم ثلاث فرق ، الجارودية والسليمانية والبتيرية .
لمعرفة المزيد عنهم انظر : الملل والنحل ، ج١ ، ص١٥٤ - ص١٦٢ ؛ كشاف اصطلاحات الفنون ، ج٢ ، ص٢٩٨ - ص٢٩٩ .
(٤) «البها» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٦١ .
(٥) البهاء زهير : هو زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسين بن جعفر المهلبى العتكى المصرى ولد بمكة ونشأ بقوص ، وأقام بالقاهرة ، وله ديوان مشهور ، وقدم على السلطان الصالح أيوب ، وكان غزير المروءة ،توفى سنة ٦٥٦هـ .
لمعرفة المزيد انظر : الذيل على الروضتين ، ص٢٠١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٢٤ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٧٦ - ص٢٧٧ .
(٦) يقصد بالصالح الملك الصالح نجم الدين أيوب .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٦١
(٧) «بلدان» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٦٢ .
(٨) ورد هذا الخبر ، والأبيات الشعرية فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٦٠ - ص٢٦٢ .

وفى المرآة[١] : وفى سنة ست وعشرين وستمائة توفى أقسيس الملك المسعود بن الكامل صاحب اليمن ، وكان قد بلغه موت الملك المعظم فى سنة خمس وعشرين وستمائة ، فطمع فى الشام فتجهز جهازا لم يسبقه إليه أحد من الملوك ، ونادى فى بلاد اليمن فى التجار من أراد صحبة السلطان إلى الديار المصرية فليتجهز ، فجاء التجار من الهند بأموال الدنيا ، والأقمشة والجواهر ، فلما تكاملت المراكب بزبيد[٢] جمع التجار ، وقال : [٩٩] اكتبوا إلى بضائعكم وما معكم ، لأحميها من الزكاة والمؤن ، فكتبوها له ، فصار يكتب لكل تاجر برأس ماله إلى بعض بلاد اليمن ، ففعل بالجميع كذا ، فاجتمعوا واستغاثوا ، وقالوا : نحن قد جئنا من بلدان شتى ، وفينا من أهل اسكندرية والقاهرة ومصر والشام والروم ، ولنا مدة سنين عن أهلنا ، وقد اشتقنا إليهم فخذ أموالنا وأطلقنا نروح إلى أهلنا ، فلم يلتفت إليهم وأخذ الجميع . قال السبط[٣] : فبلغنى أنه كان نقله فى خمسمائة مركب ، ومعه ألف خادم ، ومائة قنطار عنبر وعود ومسك ، ومائة ألف ثوب ، ومائة صندوق أموال وجواهر ، وركب الطريق إلى مكة ، ولما وصل بعض الطريق مرض مرضا مزمنا ، فما دخل مكة ـ شرفها الله ـ إلا وقد فلج[٤] ويبست يداه ورجلاه ، ورأى فى نفسه العبر ، فلما احتضر بعث إلى رجل مغربى بمكة ، فقال : والله ما أرضى لنفسى من جميع مامعى كفنا أتكفن به ، فَتَصَدَّقْ على بكفن . فبعث له نَصْفِيَّتَيْن[٥] بغدادى ، ومائتى درهم ، فكفنوه فيهما ، ودفن بالمعلى . قال السبط[٦] : وبلغنى عن الكامل أنه سر بموته ، ولما جاء خزنداره إليه ما سأله كيف مات ، بل قال : كم معك من المال والتحف؟ قال : وقد ذكرنا ما فعل الأقسيس وضربه فى الحرم بالبندق[٧] ، فعوقب سريعا ، وضربه القدر ضربا وجيعا .

---

(١) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٣٥ .

(٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن ، أحدثت فى أيام المأمون ، وبإزائها ساحل غلافقه وساحل المندب .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩١٥ .

(٣) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٥ .

(٤) فُلِجَ : أى انقسم جسمه نصفين والفالج أيضا هو ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه وقد فُلج أى ذهب نصفه ، وهو داء الأنبياء ، وهو داء معروف يُرَخِّى بعض البدن ، لسان العرب ، مادة «فلج» .

(٥) نَصْفِيَّتَين : المفرد نصفية وهو نوع من القماش الرقيق أي المصقول من الحرير أو التيل .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٤٣٧ .

(٦) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٥ .

(٧) البندق : ويسمى أيضا «الجلاهق» استعمل أيام المماليك فى مصر لإطلاق كرات الرصاص . وهو قوس يتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى ، وفى وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمى ، وقد كان للبندق سوق خاص فى مصر عرف باسم : البندقانيين .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٦٨ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة السابعة والعشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستنصر بالله ، وصاحب مصر الملك الكامل بن العادل ، وصاحب دمشق أخوه الملك الأشرف[1] .

ذكر وقعة الملك الأشرف مع جلال الدين خوارزم شاه

وسببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة أخلاط وخربها وشرد أهلها . قال السبط[2] : وكان قد أخذ أخلاط بعد أن أكل من فى أخلاط الميتات والجيف ، وبيعت قطعة من جلد بألف درهم ، فلما كان فى جمادى الأولى زحف عليها من كل جانب ونصب المجانيق[3] وطم[4] الخنادق وكان قد أقام عليها[١٠٠] عشرة أشهر ، فدخلها بالسيف فنهبها ، وهتك نساءها ، وأخذ مجير[5] الدين وتقى[6] الدين بن العادل ، وكانا بها ، وأخذ الكرجية زوجة الأشرف ودخل بها من ليلته ، وكان عز الدين أيبك قد خنق الحاجب علياً ، وكان مع جلال الدين مماليك الحاجب ، فقالوا لجلال الدين : هذا قتل أستاذنا . فقال : اقتلوه . فقتلوه . وقد ذكرنا أن عز الدين أيبك كان نائب الملك الأشرف على أخلاط ، وكان من مماليك العادل ، وبلغ هذا الأمر الملك الأشرف وهو بدمشق ،

(*) يوافق أوله : ٢٠ نوفمبر ١٢٢٩م .

(١) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٢ .

(٢) مرأة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٦ ؛ وانظر أيضا : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٤ - ص٢٩٧ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٢ - ص١٦٤ .

(٣) المجانيق : مفردها منجنيق ، وهى من أسلحة الحصار ، وقد عرفها المماليك وتقدمت صناعتها على أيديهم ، وهى آلات يقذف بها على بعد الأحجار واللهب وحتى الزرنيخ والأفيون ، والقصد من ذلك خنق العدو ، وكان المنجنيق يحمل على مائة عجلة وكذلك كانت المجانيق تجرها الأبقار بعد فصل أجزائها بعضها عن بعض ثم تركت عند الحصار ، وهى اسم أعجمى .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٣٢ .

(٤) طَمّ الخنادق : أى كبسها وردمها .
انظر : لسان العرب ، مادة (طمم) ؛ المعجم الوجيز .

(٥) مجير الدين : هو الملك المعز مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، توفى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة سنة ٦٥٤هـ ، ودفن بمقبرة والده بالمدرسة العادلية .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٩٤ ؛ ترويح القلوب ، ص٧٨ .

(٦) تقى الدين بن العادل : هو الملك الأمجد تقى الدين عباس بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وهو أصغر إخوته ، ولد سنة ٦٠٣هـ ، وتوفى سنة ٦٦٩هـ يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة بدرب الريحان ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٧٥ ؛ ترويح القلوب ، ص٧٨ ، حاشية(٦) .

والملك الكامل بالرقة ، فخرج من دمشق وجاء إلى الرقة ، وكتب صاحب الروم السلطان علاء الدين كيقباذ إلى الملك الأشرف يقول : هذا يستولى على البلاد ، والمصلحة أن تجئ إلى عندى ، فعندى المال والرجال . فشاور الكامل ، فقال : مصلحة . وقطع الكامل الفرات إلى ناحية مصر فى سبعة آلاف مقاتل ، وليس له عدو ، وسار الأشرف إلى حران فى سبع مائة فارس ، فأقام بحران ، وكتب إلى حلب والموصل والجزيرة ، فجاءته العساكر فرحل يريد الروم ومعه من المقدمين أخواه شهاب الدين غازى ، والعزيز عثمان ، والجواد ، وشمس[1] الدين صواب ، والأمراء ، واجتمع الأشرف بصاحب الروم ، وكان اجتماعهما بمدينة سيواس[2] . وفى تاريخ ابن كثير[3] : أرسل صاحب الروم إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده ، فقدم الأشرف فى طائفة كثيرة من عسكر دمشق إلى كيقباذ واجتمع به ، وانضاف إليهما عسكر بلاد الجزيرة ومن بقى من عسكر أخلاط ، فكانوا خمسة آلاف مقاتل ، معهم العدة الكاملة والخيول الهائلة .

وفى تاريخ بيبرس : وكان ركن الدين جهان شاه صاحب أرزن الروم ، وهو ابن عم السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم قد انتمى إلى جلال الدين ودخل فى طاعته ، وحضر معه فى حصار أخلاط وفتحها ، وكانت بينه وبين ابن عمه علاء الدين كيقباذ عداوة مستحكمة ، فخاف[١٠١] علاء الدين أن يقصد جلال الدين بلاده ويأخذها منه ، ويملكها لابن عمه ركن الدين ، فاستنجد بالملكين الكامل والأشرف ، فجمع الملك الأشرف عساكر الشام والجزيرة ، وسار بنفسه إلى سيواس واجتمع بالسلطان علاء الدين كيقباذ ، وسارا معا إلى جهة خلاط ، ولم يكن جلال الدين استولى على شىء من معاقلها ، واجتمعت العساكر

---

(١) شمس الدين صواب : هو الطواشى والخادم العادلى ، مقدم جيش الكامل ، وأحد من يضرب به المثل فى الشجاعة ، وكان له من جملة المماليك مائة خادم ، فيهم جماعة من الأمراء ، توفى بحران فى رمضان سنة ٦٣٢هـ ، وكان نائبا للكامل عليها .
انظر : مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٥٩ ، الشذرات ، ج٥ ، ص١٤٩ .

(٢) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة ، والطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا ، وفى شرقيها مدينة أرزن الروم .
انظر : تقويم البلدان ، أبو الفداء ، ص٣٨٤ ـ ص٣٨٥ ـ دار صادر بيروت ـ طبع فى مدينة باريس ـ دار الطباعة السلطانية ـ ١٨٤٠ مسيحية .

(٣) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٦ ؛ وانظر أيضا الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٠ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٨ .

الشامية بعسكر دمشق وعسكر حمص ومقدمه الملك المنصور ابراهيم[١] بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ، سيره أبوه مقدما على عسكره ، وبعض عسكر حماه ، وبعض عسكر حلب ، وعسكر الشرق ، وعساكر الروم ، وكان مقدم عسكر حلب الأمير عز الدين[٢] بن مُجَليٍّ ، وبلغ ذلك جلال الدين خوارزم شاه ، فسار إليهم ، فوقع فى طريقه بسبعة آلاف من الروم ، جاؤا نجدة لصاحب الروم ، وقد نزلوا فى مرج يستريحون فقتلهم[٣] .

قال السبط[٤] : وحكى لى الأمير عماد الدين[٥] بن موسك(رحمه الله) وكان مع العسكر ، فقال : لما وصلنا إلى الروم خرج عسكر أرزنجان نجدة لنا ، وكانوا فى اثنى عشر ألفا ، فنزلوا فى مرج ، ورموا سلاحهم وسيبوا دوابهم ترعى ، ولم يعلموا بمسير جلال الدين ، فمر بهم فى طريقهم فقتلهم وأسرهم ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وكان ذلك فى الخامس والعشرين من رمضان ، نهار الأربعاء ، فضعفت قلوب العساكر وخافوا ، وأقمنا مكاننا إلى عشية الخميس ، فوصل الجاسوس ، وأخبر أن العدو يصبحنا يوم الجمعة ، فرتبنا الأطلاب[٦] ، الحاشية فى الأول ، ثم بعدهم العرب ، وبعدهم الحلبيون ، ثم صوابٌ ، ثم الجواد ، ثم العزيز ، ثم شهاب الدين ، ثم تبعتهم الأطلاب ؛ أطلاب الروم ، وصاحب الروم فى الطلب الخاص ، وكنا فى أرض وعرة فخرجنا إلى وطأة ، وإذا بطلائع

(١) الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه : صاحب حمص مرض بدمشق ببستان الملك الأشرف بالنيرب ، ومات فى حادى عشر صفر سنة ٦٤٤هـ ، وكان شجاعا مقداماً .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٨٤ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٢٩ .

(٢) الأمير عز الدين بن مجلِّى : هو الأمير عز الدين عمر بن على بن مُجَلِّى ، وهو من الأكراد الهكارية ، ومن الشجاعة فى الدرجة العالية ، وله من الأوصاف الجميلة ، والأخلاق الكريمة .
انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٠ .

(٣) وردت هذا الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٨٩ـ ص٤٩١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٧ ـ ص٢٩٩ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٦ .

(٤) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٦ ـ ص٤٣٧ ؛ وانظر أيضا : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٧ ـ ص٢٩٩ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٦ .

(٥) عماد الدين بن موسك : هو الأمير عماد الدين داود بن موسك بن جكر ، توفى بالكرك ، وكان جامعا لمكارم الأخلاق ، ودفن عند قبر جعفر والشهداء بحوته .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٧٩ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٧٦ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٨٣ ـ ص١٨٤ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٥٠٨ .

(٦) الأطلاب : جمع طَلب وهى وحدات صغيرة قد تبلغ أربعمائة يرأسها أمراء يعملون فى وظائف البلاط أو الدولة وقد ظهرت هذه الوظيفة أيام صلاح الدين الأيوبى ، والطلب فى لغة الغز هو أمير له لواء وبوق ومائتى فارس إلى مائة إلى سبعين .
انظر : القلقشندى ، مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٦ .

جلال الدين خوارزم شاه ، فأخذ العرب منهم مائة فارس ، وقتلوا مائة فارس ، ولم يتقدموا إلينا ، ونزلوا ونزلنا وبيننا وبينهم جبل ، وإلى جانبه وادى ، وخفنا خوفا شديدا ، وليس معنا زاد ولاماء ، ولاعلف لدوابنا ، وقال الأشرف : مانحشر إلا من تحت حوافر خيولنا . أين المفر؟ فلما كان وقت السحر قبيل طلوع الفجر أمر جلال الدين[١٠٢] لمن بقى من عسكر أرزنجان ، وكانوا خمسمائة فضرب رقابهم ، فلما كان بكرة السبت الثامن والعشرين من رمضان قطعوا إلينا الوادى ، ووقف جلال الدين على رأس الجبل وسنجقه فى الوادى ، ووقع القتال ، وأرسل الله تعالى ضبابا فلم ير أحد كفه ، ونصرنا الله عليهم ، فانكسروا ، ووقع معظمهم فى الجبال والأودية ، وقاتل الروم قتالا شديدا ، وكان من وقع من رأس الجبل إلى الوادى أكثر ، فأصبحوا بين قتيل وأسير ، وغنم الناس أموالهم وخيلهم وسلاحهم ، وامتلأت الجبال والأودية بنتنهم ، وشبعت الطيور والوحوش من دمائهم ولحومهم .

وفى تاريخ بيبرس : لما سمع جلال الدين بعساكر الملك الأشرف مع عساكر الروم أتوا لقتاله ، سار مجدا لقتالهم ، فوصل إليهم فلقيهم بناحية أرزنجان ، واصطفت العساكر للقتال ، ولما التقوا ووقع القتال ، لم يثبت جلال الدين وولى منهزما ، وتفرق عسكره وتمزقوا ، وهلك منهم خلق عظيم ، قتلا وترديا من رؤوس جبال كانت فى طريقهم ، واسترجع الملك الأشرف خلاط ، وقد صارت خرابا يبابا[١] ، وسار جلال الدين نحو أذربيجان[٢] .

وأسر ألغ خان وأطلس ملك ، وعدة من المفاردة ، فأمر علاء الدين كيقباذ بضرب رقابهم ، وأسر صاحب أرزن الروم بعد أن كانوا قد أحاطوا به ، فقاتل أشد قتال وقتل ، ولما وصل جلال الدين إلى سكماناباذ وخلف شرف الملك ومن كان معه من العراقيين هناك برسم اليزك ، ليكونوا حجابا دونه ، وأقام بخوى ، وأما وجوه الترك والخانات فلم يعرج واحد منهم على آخر ، ولا على السلطان ، وكانوا يخففون بكل مرحلة ما أثقلهم إلى أن وصلوا[٣] مُوقَان[٤] .

(١) يباباً :خرابا ـ انظر : القاموس المحيط ، مادة «بَاب» .
(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٩ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٦ .
(٣) انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٣١ ـ ص٣٣٣ .
(٤) مُوقان : ولاية بأذربيجان ، فيها قرى ومروج كثيرة ، يحتلها التركمان للرعى .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٦٨٦ .

وفى المرآة[١] : ولما جرى ماذكرنا ؛ قال الملك الأشرف لكيقباذ : لابد لى من خلاط ، فأعطاه ولأصحابه وأخوته وجميع الأعيان من الأموال والخلع والثياب والخيل والتحف ماقيمته ألفا[٢] ألف دينار ، ورجع كيقباذ إلى بلاده ، وجرد مع الأشرف بعض عسكره ، وسار الأشرف فنزل أرزن الروم ، وكان صاحبها [١٠٣] قد صار مع جلال الدين ، فأخذها منه ، وبعث به إلى كيقباذ ، وسلم أرزن الروم إلى نواب كيقباذ ، وسار إلى أخلاط ، ولما وصل جلال الدين إلى أخلاط أخذ جميع ما كان له فيها ، والكرجية زوجة الأشرف ، ومجير الدين ، وتقى الدين ، ونزل أرجيش[٣] ، وجاء الأشرف فنزل أخلاط ، وسار خلف جلال الدين ، فأبعد عنه ، وتراسلا واصطلحا على أن يطلق جلال الدين من عنده من الأسارى ، فأطلق مجير الدين وتقى الدين ، ولم يطلق الكرجية ، وعاد الأشرف إلى دمشق مستهل جمادى[٤] الأولى سنة ثمان وعشرين وستمائة . فأقام شهرا ، وطلع إلى مصر إلى أخيه الكامل . قال السبط[٥] : ومن العجائب أنه كان لى عادة أجلس الثلاثة أشهر بجامع دمشق ، فلما كان فى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان ، اليوم الذى التقوا فيه مع جلال الدين ، وثار الضباب ، وكان آخر مجالسى بجامع دمشق ، وحضره الصالح[٦] اسماعيل ، وكان نائب الأشرف بدمشق ، وقال الصالح : وكان فى القبة لنجم الدين بن سلام ، قل للشيخ يدعو للسلطان بالنصر . فأشار إلى فدعوت ، وأمن الجماعة ، فثار فى الساعة التى دعوت فيها ضباب عظيم ، وغشى أهل المجلس ماغشيهم ، وغبت أنا أيضا ، فلما أفقت قلت : نصر الأشرف اليوم ، فتعجب الجماعة ، فوصل الخبر بعد عشرة أيام بالواقعة على ماذكرنا ، وأن الضباب الذى كان عندهم كان عندنا ، وأنهم نصروا فى الساعة التى دعونا فيها[٧] .

---

(١) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٣٧ - ص٤٣٨ .

(٢) «ألفى» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣) أرجيش : مدينة قديمة من نواحى أرمينية الكبرى ، قرب خلاط ، وأكثر أهلها أرمن نصارى . انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٦ .

(٤) «ربيع الآخر» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص٤٣٧ ، حيث ينقل عنه العينى .

(٥) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٧ - ص٤٣٨ .

(٦) يقصد الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك العادل . انظر : شفاء القلوب ، ص٢٧٩ ؛ ترويح القلوب ، ص٧٩ .

(٧) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٧ - ص٤٣٨ .

وفى تاريخ[1] ابن كثير : لما انهزم جلال الدين ، وهلك من عسكره خلق كثير ، دقت البشائر فى البلاد ، فرحا بنصرة الملك الأشرف على الخوارزمية ، فإنهم كانوا لا يفتحون بلدا إلا قتلوا من فيه ، ونهبوا أموالهم ، فكسرهم الله عز وجل ، وقد كان الأشرف رأى النبى(ﷺ) فى المنام قبل الوقعة ، وهو يقول له : ياموسى أنت منصور عليهم .

وفى تاريخ بيبرس : ولما علم الأشرف أن شرف الملك وزير جلال الدين بسكماناباذ فاتحه بالمراسلة والملاطفة ، وقال : إن [١٠٤] السلطان جلال الدين سلطان الإسلام والمسلمين وسيدهم ، والحجاب دونهم ودون التتار ، وغير خاف علينا ما تم على الإسلام والمسلمين بموت والده[2] ، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام ، وضرره عائد على كافة الأنام ، فهلا ترغبه فى جمع الكلمة ، فإنه أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، ولم لاتدعوه إلى الألفة التى هى أحمد فى البدو والعقبى ، وأنا ضامن للسلطان من جهة علاء الدين كيقباذ ، وأخى الملك الكامل مايرضيه من الإسعاد ، وإصفاء النيات على حالتى القرب والبعاد ، والقيام بما يزيل عارض الوحشة ، ويمحوا سمة الفرقة ، وأمثال ذلك من الملاطفة . فأدى شرف الدين إلى جلال الدين الرسالة ، فركن إليها وتم الصلح ، وحلف للملك الأشرف ، ولم يحلف لعلاء الدين كيقباذ ، ولما تواترت الأخبار بورود التتار إلى العراق ، حلف لصاحب الروم أيضا بكف الأذى عن بلاده ، ولم يحلف عن سرمارى[3] بحكم أنها بقرب بلاد أذربيجان ، وكان صاحبها راسل الملك الأشرف يسأله التلطف مع جلال الدين فى أمرها ، فأرسل الأشرف إليه رسولا فى معناها ، فأجاب السلطان إلى النزول عنها ، على أن يكتب بها توقيعا[4] للملك الأشرف ، وقبل الرسول الأشرفى الأرض بين يدى السلطان ، شكرا على ذلك[5] .

وقال أبو الفتح المنشئ فى كتابه الذى صنعه فى سيرة جلال الدين ، باسطا هذه القضية بعبارات طويلة ، أكثرها لايحتاج إليه ، فنحن سقنا كلامه ملخصا لأجل بعض

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ .
(٢) علاء الدين محمد خوارزم شاه . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٣٤ .
(٣) سُرْمارى : قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط ، وهى قرية بينها وبين بخارا ثلاثة فراسخ . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٢ .
(٤) «توقيع» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٥) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٣٣ ـ ص٣٣٥ .

زيادات فيه ، لم يذكره أكثر المؤرخين . قال : ولما أراد جلال الدين أن يسير إلى أخلاط ، كانت عساكره سبقت إلى تخومها وأقامت على مسيرة يوم منها ، إلى أن عاد السلطان من نخجوان ، واتصل بهم ، ثم ورد عليه رسول من عز الدين أيبك ، وكان نائب الملك الأشرف بأخلاط ، وقبض على الحاجب على ، وكان الرسول شيخا تركيا عاقلا ، وكانت زبدة رسالته إظهار الطاعة ، وأن الأشرف ما أمره بالقبض على الحاجب على إلا لإساءته الأدب مع[١٠٥] السلطان ، وكان جواب جلال الدين : إن أردت مرضاتى فابعث إلى الحاجب عليا ، فلما عاد الرسول بهذا الجواب ، قتل عليا ، فنزل جلال الدين على خلاط ، ونصب عليها اثنى عشر منجنيقا ، وجرت أمور فى مدة حصار خلاط[١] .

منها أن الأصفهيد[٢] نصرة الدين صاحب الجبل[٣] قصد جلال الدين اعتماداً على أوترخان[٤] ، الذى كان قد تزوج بأخت له لأب ، وقدم تقادم جليلة ، أكثرها الجواهر الثمينة ، فانحرف عنه أوترخان ، وحمل السلطان على قبضه ، فقبض وقيد ، وبقى محبوسا إلى أن عاد جلال الدين من الروم منهزما[٥] .

ومنها أن خان سلطان بنت علاء الدين خوارزم شاه ، أخت جلال الدين ، كانت أسرت حين أسرت تركان خاتون زوجة علاء الدين ، وحملت إلى جنكيزخان ، فأخذها دوشى[٦]خان بن جنكيزخان لنفسه ، وكانت تبعث إلى جلال الدين أخيها بأخبار التتار سرا ، فسيرت أيضا ـ وجلال الدين محاصر خلاط ـ خاتما من خواتيم علاء الدين خوارزم شاه ، وفيه فص فيروزج منقوش عليها اسم علاء الدين ، وذلك علامة من جهتها ومعرفة بحالها ، من ذلك أن الخاقان قد أمر بتعليم أولادها القرآن ، ومن ذلك أنه بلغه أخبار شوكتك واتساع باعك ، فعزم على مصاهرتك ، والمهادنة معك ، على أن تشاطره

---

(١) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص ٢٩٩ .

(٢) الأصفهيد : أى مقدم الخيالة .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٠ ، حاشية(١) .

(٣) الجبل : كورة بحمص ، وهو اسم جامع لهذه الأعمال التى يقال لها الجبل ، والعامة فى أيامنا يسمونها العراق ، وهمذان أيضا من بلاد الجبل .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٢ .

(٤) أوترخان : كان السلطان جلال الدين قد جاز أمراء ميمنته بجزيل الرواتب والمراتب ، فلقب يكت ملك بأوترخان .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٣٨ .

(٥) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٠٠ .

(٦) دوشى خان : هو جوجى بن جنكيزخان .

الملك على نهر جيحون ، فيكون لك مادونه ويكون له ماوراءه ، فإن كنت تعلم أنك تقاومه فانهض إليه وقاتله ، فتظفر بما أردت ، وإلا فاغتنم المسالمة ، فتشاغل جلال الدين بالحصار ، ولم يعد إليها جوابا(١) .

ومنها أنه قدم إليه ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب أرزن الروم ، وكان يخطب للملك الأشرف ، وكان يعادى ابن عمه السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب الروم ، وكانت له ذنوب عند جلال الدين ، منها أنه كان يمنع وصول التجار إلى معسكره ، ومنها أنه قتل رسوله السديد عائدا من الروم ، وغير ذلك . فلما رأى أنه أشرف على أخذ خلاط سأل منه الأمان برسول أرسل إليه ، وهو شمس الدين الحكيم البغدادى ، وكان ذا ظرافة وأدب[١٠٦] ، فأمر جلال الدين وزيره(٢) شرف الملك بملاقاته مسيرة يوم فى أصحاب الديوان ، ثم التقاه الخانات يوم وصوله إلى خلاط على مراتبهم ، وكان اجتماع الوزير به عند بحيرة(٣) ناووك ، وهى بين خلاط ومنازجرد ، وجمعهما الشرب تلك الليلة ، فقدم للوزير أشياء تنيف على عشرة آلاف دينار ، ثم أنه لما قرب وقف له جلال الدين على رأس الميدان تحت الجِتْر(٤) ، فلما رأى السلطان نزل ، وقبل الأرض ، وتخطى عدة خطوات ، ثم جاء إليه الحاجب الخاص بدر الدين طوطق بن أينانج خان ، وأمره عن السلطان بالركوب ، فركب وسار فى خدمة السلطان إلى أن نزل السلطان ، فعانقه ، وقَبَّل جهان شاه يده ، وأشار إليه السلطان بالوقوف على يمينه تحت الجتر ، فوقف ، وفى تلك الساعة تساقطت دعائم الجتر ، فتطير الناس بذلك ، وكان اجتماعهما سبب هلاكهما على مايجئ بيانه إن شاء الله ، ثم خلع جلال الدين عليه وعلى أصحابه مائتى خلعه ، وأقام عنده أياما ، ثم أذن له أن يعود إلى بلاده ، ويسير إليه ما يقدر عليه من آلات الحصار ، فسير منجنيقا كبيرا يسمى قرابُغا(٥)(٦) .

---

(١) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .
(٢) الوزير شرف الملك جهانشاه . سيرة منكبرتى ، ص٣٠٢ .
(٣) «بحيرة نازوك» كذا ورد اسم البحيرة فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٢ .
(٤) الجِتْر : المظلة ، وقد كانت فى أيام الفاطميين والأيوبيين والمماليك فى مصر من شعار السلطنة ، وهى عبارة عن قبة من الحرير الأصفر المزركش بالذهب فى أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان فى العيدين . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٥٤ ، حاشية(٥) .
(٥) «قرابغرا» ورد هذا الاسم هكذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٣ .
(٦) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠١ ـ ص٣٠٣ .

ومنها موت ابن جلال الدين قيقمارشاه[١] ، وكان عمره ثلاث سنين ، وكان من أخت شهاب الدين سليمان شاه ملك الإيوانية[٢] ، وكان اتصاله بها أنه لما رجع من بلاد بغداد سنة إحدى وعشرين وستمائة ، بعد شن الغارات على نواحيها ، وصل إلى قلعة المذكور متجردا ، وليس معه حريم ، فنزل بظاهرها ، وأرسل إليه يطلب منه جارية تصلح للاستفراش ، وكانت الرسالة على يد خادم له يسمى سراج الدين محفوظ ، فأجاب بأنه ليس عندى مايصلح له إلا كريمتى ، وزوجها منه ، فأرسلها إليه فى تلك الليلة ثم رحل جلال الدين وتركها هناك ، ثم جاء إليه بعد مديده خصى وأخبر أنها حملت ، فأرسل إليها السلطان ، واستحضرها فولدت عنده قيقمارشاه المذكور[٣] .

ومنها موت دوشى خان بن أخشْ ملك ، وكان أخش ملك ابن خال السلطان ، قتل بظاهر أصفهان فى الحرب فأخذ[١٠٧] جلال الدين ابنه دوشى خان عنده ، وربّاه ، وكان عنده أعز من أولاده ، حتى كان بعضهم يظن أنه ابنه ، فحزن لموته حزنا شديدا . قال أبوالفتح : ورأيته خرج من خيمته حافيا ، ودخل الخيمة التى فيها التابوت[٤] .

ومنها أنه ورد إليه سعد الدين بن الحاجب رسولا من الديوان العزيز[٥] فى عدة ملتمسات ، إذا قضيت من كبار أصحاب السلطان ، من له خبرة بمراتب أصحاب المناصب ليعاد بالخلع . ومن جملة الملتمسات : إن السلطان لايحكم على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومظفر الدين كوكبورى صاحب إربل ، وشهاب الدين سليمان شاه ملك الإيوانية ، وعماد الدين بهلوان بن هزارَسْف ملك الجبال[٦] ، بل يعدهم فى أولياء الديوان وأتباعه . ومن ذلك أن السلطان لما رجع من جبال همذان ولم يتم له ماقصده من

---

(١) «قيمقارشاه» كذا ورد الاسم فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٠٣ .

(٢) «الأبوية» كذا ورد الاسم فى سيرة منكبرتى ، ص ٣٠٣ .

(٣) وردت هذه الأحداث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٣ ـ ص ٣٠٤ .

(٤) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٤ .

(٥) أى ديوان الخلافة . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٤ ، حاشية(٤) .

(٦) الجبال : اسم للبلاد المعروفة اليوم باصطلاع العجم بالعراق ، وهى مابين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى ، ومابين ذلك من البلاد الجليلة .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٠ .

أخذ بغداد أسقط عن الخطبة اسم الخليفة بعامة ممالكه ، ولما خاطبه سعد الدين[١] بذلك أمر بإعادة الخطبة باسم الخليفة المستنصر[٢] بالله فى سائر ممالكه . قال أبو الفتح : فأمرنى السلطان بكتابة تذكرة إلى المواقف الشريفة مشتملة على عدة فصول ، وكان آخر الفصول إحضار الحاجب الخاص ليبدى إليه مافى خاطره . قال أبو الفتح : لما جاء الحاجب الخاص من عند الخليفة حدثنى بأن السلطان وصانى بأنى إذا حضرت الديوان لا أقبل يد الوزير مؤيد[٣] الدين القُمِّى ، ولا يوفه حق التعظيم لأمور كان ينقمها عليه . قال : ففعلت ذلك امتثالا لأمره . قال : فلما مضت أيام فإذا بحراقة[٤] وصلت إلى منزلى بحافة دجلة ، وإذا سعد الدين بن الحاجب قد دخل ، وقال : استعد لخدمة أمير المؤمنين فركبت الحراقة ، وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير فدخلت ، وتأخر سعد الدين ، ولم يتعد ، فقلت : هل لاتدخل معى؟ فقال : ومامنا إلا له مقام معلوم ، وكان خلف الباب خادم ، فأوصلنى إلى باب آخر ، ودق الباب ففتح ، ودخلت ، وإذا بخادم شيخ جالس على دكة ، وبين يديه مصحف شريف وشمعة ، فأجلسنى وترحب بى ، إلى أن جاء خادم آخر أبيض حسن الصورة ، ولاطفنى بالعجمى ، ثم أخذ بيدى ووصانى ، فقال لى : انظر تحضر بين يدى من هو؟ واستعمل حسن الأدب[١٠٨] فقلت : لاتستجهلنى ، وإن كنت رجلا تركيا . فلما طلعنا الدرجة ، وصافح عينى الستر[٥] الأسود قبلت الأرض قبل أن ينبهنى عليه ، فأثنى علىَّ الخادم ، ورأيت الوزير واقفا حذاء ستارة مُرْخاة ، فجاء خادم آخر ، ورفع الستارة ، فمشيت ، فإذا أمير المؤمنين جالس على سرير ، فكلم الوزير بلغة عربية ، فتقدم إلىَّ خطوات ، وأشار إلىَّ بالوقوف حيث كان هو أولا ، فقبلت الأرض ، ثم قال أمير المؤمنين : كيف الجناب العالى الشاهنشاه؟ يعنى السلطان .

(١) سعد الدين هو رسول ديوان الخلافة . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٥ .
(٢) الخليفة المستنصر بالله هو أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٥ .
(٣) مؤيد الدين القُمِّى : ولد هذا الوزير فى مدينة قُمْ إحدى مدن العراق العجمى ، ونشأ فى بغداد ، وتوفى بها سنة ٦٢٩هـ ، وتولى الوزارة فى عهد الخلفاء العباسيين الناصر والظاهر والمستنصر .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٥ ، حاشية (٤) .
(٤) حَرَّاقَة : هى مركب حربى قديم كان يستعمل فى حمل الأسلحة كالنار الإغريقية وبها مدافع خاصة تقذف النيران ، وكانت تستخدم فى مصر لحمل الأمراء ورجال الدولة فى التنقلات النهرية ، وقد حلت محله اليوم المدمرة .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٦ ، حاشية (٢) .
(٥) الستر الأسود : هو شعار العباسيين .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٧ ، حاشية (١) .

وهكذا كان خطابه للسلطان فى الكتب . فَقَبَّلت الأرض ، وأردف ذلك بكلمات تنبىء عن المواعيد الجميلة ، من ذلك أنه يريد تقديمه على سائر ملوك زمانه ، ثم عَلَّم على كتاب العهد الذى كتب للسلطان ، وناولينه الوزير ، فوضعته على رأسه ، وقبلت الأرض ، وخلع علىّ بخلعة سنية ، وأُعْطِيتُ عشرة آلاف دينار ، وأصحب بالأمير فلك الدين بن سنقرالطويل ، وسعد الدين بن الحاجب ، ومعها خلعة السلطان ، فوصلوا إلى خلاط فى الشتاء ، والسلطان يحاصرها ، وكان يضرب لفلك الدين الدهليز ، وتضرب له البوقات[١] عند ركوبه ونزوله ، وكان سعد الدين بن الحاجب مع جلالة قدره فى الديوان العزيز يحجبه حفظا لإقامة الهيئة ، وأما الخلعة فكانت ثنتين : إحداهما[٢] جبة[٣] وعمامة وسيف هندى قد رصع غلافه ، والأخرى قباء[٤] وكمة[٥] وفرجية[٦] وسيف محلى بالذهب ، وقلادة مرصعة ثمينة ، ومعهما فرسان مكملتان العُدَّة ، وقد تعلوهما عند تقديمهما للسلطان بتطبيقتين ، كل تطبيقة أربع مائة دينار ، وترس ذهب مرصع بالجوهر ، فيه أحد وأربعون فصا ، من ياقوت وبذخشانى فى وسطها فيروزج كبير ، وثلاثون فرسا من الخيل العربية ، مجللة بالأطلس الرومى ، مبطنة بجلال الأطلس البغدادى ، وكل واحد منها مقود حرير ضرب[٧] عليه ستون دينارا خليفتية[٨] ، وعشرون مملوكا بالعُدَد والمراكيب ، وعشرة فهود بجلال أطلس ، وقلائد ذهب ، وعشرة صقور مكللة الكمام ، ومائة وخمسون [١٠٩] بقجة[٩] ، وكل واحدة منها عشرة ثياب ، وخمس أكر من العنبر ، مضلعة بالذهب ، وشجرة عود طولها خمسة أذرع ، وأربع[١٠] . عشرة خلعة برسم

---

(١) البوقات : المفرد البوق ، وهو آلة ينفخ فيها ويُزْمَر . لسان العرب ، مادة «بوق» .

(٢) «إحديهما» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣) جُبَّة : هى الفرجية الفوقانية الأصلية وهى الثوب الخاص بطبقة العلماء والقضاة .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٩٥ .

(٤) قباء : وهو ثوب له أكمام ضيقة .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٢٥ .

(٥) كمة : هى نوع من القلانس . معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٣١ .

(٦) فرجية : تطلق على الثوب الفوقانى الخاص بطبقة القضاة والعلماء ، وتصنع من أقمشة متنوعة حسب فصول السنة وكانت تزين بطراز وتزرر .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٩٥ .

(٧) «ضربت » كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٨) «خليفية» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٨ .

(٩) البقجة : العدة من القماش ، يوضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة ، وهى فارسية الأصل وجمعها بقج .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٠٨ ، حاشية (٥) .

(١٠) «أربعة عشر » كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

الخانات ، وحوايص ذهب ، والكنابيش[(١)] التفليسية ، فنُجيت الكنابيش من الخيل ، إلا من خيول أربعة من الخانات ، وهم : داع خان ، وألغ خان ، وأوترخان ، وطغان خان ، وثلاث مائة خلعة برسم الأمراء ، كل خلعة قبا وكمة ، وكانت خلعة الوزير شرف الملك عمامة سوداء وقبا وفرجية وسيف هندى وأكرتين[(٢)] من العنبر ، وخمسين[(٣)] ثوبا وبغلة ، وعشرين[(٤)] خلعة برسم أصحاب الديوان ، كل خلعة منها جبة وعمامة . قال أبو الفتح : وخصصت أنا من بين سائر أرباب الديوان ببغلة شهباء جيدة ، وعشرين ثوبا ، أكثرها الأطلس الرومى والبغدادى . قال : ولما قرأت النسخة الواردة على السلطان ، وكان قد ذكر فى الأول الجناب العالى الشاهنشاهى ، وبعده الأجل شرف الملك الوزير ، ثم ذكرت أنا بعدهما ، ولم يذكر أحد من سائر أصحاب[(٥)] الديوان لا باسمه ولا بلقبه ، بل أطلق اللفظ المستوفى ، والمشرف ، والعارض ، والناظر ونحو ذلك ، وكان رسولا[(٦)] دار الخلافة ينتظران السلطان يحضر خيمته التى ضربت له ، فيلبس الخلعتين ، فلم يفعل ذلك بل ضربت له خيمة بقرب الخزانة ، ونقلت الخلع إليها ، وركب السلطان مرتين ، ولبس الخلعتين فى نهار واحد ، ولبس الناس بعده ، ثم خاطب الرسول السلطان فى أمر خلاط وإزالة الحصار ، فلم يرد عليه جوابا شافيا[(٧)] .

ومنها ورود رسول الملك المسعود صاحب آمد ، وكان شخصا تركيا يعرف بعلم الدين قصب السكر ، ورسول الملك المنصور صاحب ماردين ، وكان خادما أسود ، والرسولان رسالتهما عرض الخدمة والطاعة ، وأصحب معهما السلطان رسولا من جهته

---

(١) الكبابيش : كذا فى سيرة منكبرتى . ص٣٠٨ . والكنابيش : مفردها كنبوش وهو كساء الفرس أى البرذعة تجعل تحت سرج الفرس ، وهو أيضا اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن إلى الخيشوم اتقاء لبرودة الصباح ورطوبته ، ويسمى أيضا الكنفوش .

انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٢٨٩ ؛ الملابس المملوكية ، ص١٣٥ .

(٢) «أكرتان» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٣) «خمسون» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٤) «عشرون» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٥) أصحاب الديوان : صاحب الديوان هو منصب متولى الديوان وهو يلى رتبة الناظر فى المراجعة ، وله أمور تخصه كترتيب الدرج ، ونحو ذلك لعمل الأرشيف .

انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٢١٣ .

(٦) «رسول» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

(٧) وردت هذه الأحداث بالتفصيل الشديد فى سيرة منكبرتى ، ص٣٠٤ - ص٣١٠ .

يأمرهما بإقامة الخطبة له في بلادهما ، وأصحب الرسولين بالفقيه نجم الدين الخوارزمى ، فأبطأ[١] عن السلطان ولم يعد إلا[١١٠] بعد عود السلطان من الروم على الوجه الذى لايروم[٢] .

ومنها أن خلاط لما عظم بها البلاء ، واشتد الغلاء ، خرج من أهلها فى يوم واحد مقدار عشرين ألف إنسان ، وقد تغيرت صورهم من الجوع ، حتى أن الأخ لايعرف الأخ ، وكان شرف الملك الوزير يطعمهم فيذبح لهم كل يوم عدة أبقار ، فما سكنت نفوسهم ، حتى مات أكثرهم ، وتفرق الباقون أيدى سبأ[٣] .

ومنها أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه والد جلال الدين كان مدفونا بالجزيرة[٤] على ماذكرنا ، فسنح لجلال الدين وهو محاصر لأخلاط أن يبنى مدرسة بأصفهان ، وينقل تابوت والده من الجزيرة ، فسير مقرب الدين مِهْتَر مهتران مقدم الفراشين[٥] إلى أصفهان ، وكان هو الذى تولى غسل علاء الدين خوارزم شاه ، ليبنى بها مدرسة ، فيها قبة للدفن ، ويكون فيها بيت الثياب ، وبيت الفرش[٦] ، وبيت[٧] الطشت ، والركاب[٨] ، وغير ذلك ، وأصحبه ثلاثين ألف دينار ، للشروع فى عمارتها ، وتقدم للوزير بالعراق بإطلاق مايحتاج إليه تمام العمارة من وجوه الديوان ، وأن يستعمل لها آلات الذهب من

---

(١) «فانطاء» كذا فى الأصل ، والصحيح ما أثبتناه من سيرة منكبرتى لاستقامة المعنى ، ص٣١٠ .

(٢) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٠ .

(٣) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٠ - ص٣١١ .

(٤) هى إحدى جزر مازندران التى توفى فيها السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، سنة ٦١٧هـ .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٥ .

(٥) مقدم الفراشين أو الفراشية : هو الذى يشرف على بيت الفراش الذى يحوى البسط العديدة والخيام .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٠٨ ، حاشية (٣) .

(٦) بيت الفرش : يسمى أيضا الفراش خاناه ، ويشتمل على أنواع الفرش المختلفة من بسط وخيام وغير ذلك ، ويعمل فيه عدد من الغلمان يسمون بالفراشين .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١١ ، حاشية (٣) .

(٧) بيت الطشت : ويسمى أيضا بالطشت خاناه ، وسمى بذلك لاحتوائه على الطشت الذى تغسل فيه الأيدى والطشت الذى يغسل فيه القماش ، وهو يحتوى على مايلبسه السلطان من الكلوتة والأقبية وسائر الثيات والسيف والخف وغيره ، كما أنه يحوى على ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخاد والسجاد الذى يصلى عليه وغيره . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١١ ، حاشية (٤) .

(٨) بيت الركاب : ويعرف أيضا بالركاب خاناه ، ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم . . الخ .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١١ ، حاشية (٥) .

الشمعدانات والطشت والإبريق ، وأن يقام بالباب فرس النوبة[١] ، فسار المقدم إلى أصفهان ، وشرع فى العمارة . قال أبو الفتح : ووصلت إليها بعد أربعة أشهر ، فوجدتها قد طلع بنيانها قدر قامة ، وكاتب السلطان عمته شاه خاتون صاحبة سارية من أعمال مازندران . وكان أبوها تكش[٢] قد زوجها لملك مازندران أردشير[٣] بن الحسن [وتوفى عنها][٤] بأن تركب بنفسها ومن بمازندران من الملوك والأمراء والصدور ، فينقلون التابوت من الجزيرة إلى قلعة أردهن[٥] ، وهى أحصن قلاع الأرض ، إلى أن تتم عمارة المدرسة بأصفهان ، ثم تنقل التابوت إليها . قال أبو الفتح : ولعمرى كنت أكتب هذا التوقيع كارها لعلمى بأن جثته ما سلمت من إحراق التتار ، ولقد أحرقوا عظام كل سلطان مدفون بأى أرض كان ، حتى أحرقوا عظام السلطان[٦] محمود بن سبكتكين ، وأخرجوه من قبره بغزنة ، فأحرقت عظامه[٧] .

ومنها أن مجير الدين يعقوب بن الملك[١١١] العادل أبى بكر بن أيوب قرع سور خلاط يوما ، والتمس حضور السلطان ليتحدث معه ، فيما يعود إلى حصول الغرض ،

---

(١) النوبة : الجمع نوب وهو لفظ يطلق على فرق الجند التى تتناوب الوقوف لحراسة شخص أو سلطان ، وهى خمس نوبات ويكون تغييرها فى الظهر والعصر والعشاء ونصف الليل وعند الصباح .
انظر : السلوك ، ج١ق٢ ، ص٤٦١ ، حاشية (٢) ؛ مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٥٣ .

(٢) تكش : هو علاء الدين خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه بن آتسز من ولد طاهر بن الحسن ، كان شجاعا جوادا ملك الدنيا من الصين والهند ، وماوراء النهر إلى خراسان إلى بغداد ، وقد أزال دولة بنى سلجوق ، وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه فى الحروب ، توفى فى دهستان فى رمضان سنة ٥٩٦هـ ، فحمل فى تابوت إلى خوارزم ودفن عند أهله .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٥ ؛ شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٣٢٤ .

(٣) أردشير بن الحسن ملك مازندران : هو حسام الدين أردشير صاحب مازندران مات سنة ٦٠٣هـ .
انظر : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ج٣ ، ص١٩٩ ، تحقيق د/محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) .

(٤) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى لتوضيح المعنى ، ص٣١٢ .

(٥) قلعة أَرْدَهْنُ : قلعة حصينة من أعمال الرى .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٤ .

(٦) السلطان محمود بن سبكتكين : حكم من سنة ٣٨٨/٤٢١هـ = ٩٩٨/١٠٣٠م ، وترجع أهميته فى تاريخ الشرق الإسلامى بوجه عام ، وفى تاريخ الدولة الغزنوية بوجه خاص إلى أنه استطاع أن يوسع أملاكه فى بلاد الهند حتى شملت إقليم البنجاب بما ذلك لاهور وملتان وغيرهما ، كما وسع أملاكه فى فارس حتى شملت العجمى بما فى ذلك الرى وأصفهان ، والسلطان محمود هذا هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سُبُكتكين الملقب أولاسيف الدولة ، ثم لقبه الإمام القادر بالله «يمين الدولة وأمين الملة» ولد ليلة عاشوراء سنة ٣٦١هـ ، وتوفى فى ربيع الآخر ، وقيل حادى عشر صفر سنة إحدى وقيل : ٤٢٢هـ بغزنة .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١٢ ، حاشية (٢) ؛ وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٧٥ ـ ص١٨١ .

(٧) ورد هذا الحدث بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص٣١١ ـ ص٣١٢ .

فلما حضر قال : إن الضر قد اتضح ، وإن الطائفتين قد هلكتا ، فهل لك أن تبارزنى فيعود الأمر إلى فيصل؟ فقال السلطان : ومتى يكون ذلك؟ قال : بكرة غد . فلبس السلطان لأمة[١] حربه صباح غد ، وبلغ ذلك الوزير[٢] ، فأسرع إليه ، وقال : مجير الدين ليس من أقران السلطان ، وليس يليق بالسلطان أن يبارزه ، ولو علمنا أن السلطان إذا أهلكه حصل مقصوده لرضينا به ، فقال السلطان : هو كما ذكرت ، ولكن كيف لا أقاتل إذا دُعِى نزال؟ ثم ركب وحده ، وساق على الميعاد ، ووقف وأعلم بحضوره ، فشتموه وأمطرت عليه السهام ، ولم يخرج مجير الدين ، فرجع السلطان[٣] .

ومنها ما قاله أبو الفتح : إن السلطان استحضرنى ليلة ، فوجدت عنده عجوزا ذات هيبة قد خرجت من خلاط برسالة مزورة من الزكى العجمى ، وكان من ذوى الحظ عند الملك الأشرف ، والسلطان يعبّر عن لسانها بثلاث لغات : الفارسية ، والتركية ، والأرمنية ، ورسالتها أن الزكى العجمى استدعى من السلطان خمسة آلاف دينار يفرقها فى الأجناد ، فيجلب[٤] أهواءهم بها إلى السلطان ، حتى يرضوا بتسليم خلاط ، ثم يفتح باب الوادى صباح غد فيدخل السلطان . فلما شاورنى فى ذلك قلت : إن الزكى من دهاة عصره ومن لا[يخفى][٥] عليه الخطأ ، وهو رجل عاقل لايدخل فى مثل هذه القضية ، وأنا أعرفه حين ورد رسولا على السلطان ، ومع هذا رأيت السلطان لشدة حرصه على أخذ خلاط ، قد عزم على تسليم المطلوب إلى العجوز ، فلما كررت عليه الكلام رجع عن ذلك ، ولكن حرصه على أخذ خلاط حمله على أن أعطاها ألف دينار ، وقال لها : إن بان لى صدقك بعلامة أخرى سلمنا إليك خمسة آلاف دينار ، فرجعت ليلا ودخلت خلاط ، وماكان للحديث أصل ، وشاع الخبر فى العسكر ، وجاء إلى عز الدين أيبك من أخبره بأن الزكى يكاتب جلال الدين ، فقتله من[١١٢] غير ذنب صدر منه ، ولما ملك السلطان

---

(١) لأمة الحرب : هى أداة الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع ، وقيل : إنها الدرع الحصينة ، وسميت لأمة لإحكامها وجوده حلقاتها ، والجمع لأم .
انظر : المعجم الوسيط ، مادة لأم ؛ لسان العرب .

(٢) يقصد بالوزير «شرف الملك» . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١٣ .

(٣) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٣ .

(٤) «فتجلب » كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه لاستقامة المعنى .

(٥) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى لاستقامة المعنى ، ص٣١٤ .

خلاط ظفر بالعجور بعض السرهنكية[١] ، فأخرجها من مدبغة ومعها زوجها شيخ هرم ، فأحضرت الذهب وقد نقصت منه ثلاث مائة دينار ، وقيل : إنها خنقت ، وكانت فائدة التزوير هلاكها ، وهلاك زكى الدين[٢] .

ومنها أن عز الدين أيبك كتب كتابا إلى الملك الأشرف بالألغاز ، وكذلك كتب مجير الدين إليه ، فَمُسِكَا فى الطريق . قال أبو الفتح : فناولنى إياهما السلطان ، وأعاننى الله على حلهما ، ومضمونهما الشكوى مما هم فيه من الضائقة ، وفيهما أن العدو قد سحر السماء فلم يقع لاثلج ولا غيره بحدود خلاط فى هذه السنة . ومسك أيضا كتاب الأشرف إليهما ، ومضمونه أن الذى ذكرتم من سحر العدو ليس له أصل ، وهذا أمر لايقدر عليه إلا الله تعالى ، غير أن السنوات تختلف أحوالها ، فتارة يتقدم الثلج ، وتارة يتأخر ، وهانحن عن قريب واصلون بالعسكر لكشف الضر وسنطردهم إلى ماوراء جيحون[٣] .

ومنها وفاة صاحب الديوان[٤] شمس الدين محمد ، وكان من كبار الصدور وتولى بعده الجمال على العراقى[٥] .

ومنها إحضار وزير علاء الدين[٦] صاحب ألموت أسيرا ، أسره برهان[٧] الدين سكر ، مقطع ساوة[٨] ، وسيره إلى خلاط ، فحمل إلى قلعة دزمار[٩]وحبس فيها إلى أن هلك[١٠] .

---

(١) السرهنكية : هى رتبة عسكرية أى القواد . .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٠٧ ، حاشية (١) ، ص١١٧ ، حاشية(٥) .
(٢) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٣ ـ ص٣١٥ .
(٣) ورد هذا الخبر بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٥ .
(٤) صاحب الديوان : هو متولى الديوان وهو يلى رتبة الناظر فى المراجعة ، وله أمور تخصه كترتيب الدرج ، ونحو ذلك كعمل الأرشيف . انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٢١٣ .
(٥) لمعرفة المزيد عن شمس الدين محمد صاحب الديوان .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١٥ .
(٦) علاء الدين صاحب ألموت : هو علاء الدين محمد الثالث بن جلال الدين حسن الثالث ، توفى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٢٥م . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ ، حاشية(١)
(٧) «بهاء» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ .
(٨) ساوة : مدينة بين الرى وهمذان . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٤ .
(٩) قلعة دزمار : قلعة حصينة من نواحى أذربيجان ، قرب تبريز .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٧٣ .
(١٠) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ .

ومنها ورود رسل صاحب الروم علاء الدين كيقباذ(١) : وهم شمس الدين ألتون أبه(٢) الجاشنكير(٣) وكمال الدين ليماز(٤) بن اسحاق ، وقاضى أرزنجان بهدايا وألطاف فيها ثلاثون بغلا موقرة ، أحمالا من الأطلس ، والحطابى والقندس(٥) والسمور وغيرها ، وثلاثون مملوكا بالخيل والعدة ، ومائة فرس ، وخمسون بغلة بالجلال ، فلما وصلوا إلى أرزنجان تعذر وصولهم إلى السلطان لأن صاحبها ركن الدين جهان شاه بن طغرل كان يعادى صاحب الروم ، ويوالى جلال الدين ، فما مكنهم من التوجه إلا بعد أن اتفق هو مع جلال الدين ودخل فى طاعته ، وحضر إلى خدمته ، وأحضر الرسل المذكورين معه ، ثم أن خلاط أخذت فى سنة ست وعشرين[١١٣] وستمائة على ماذكرنا(٦) .

وأراد السلطان أن يحمى خلاط من النهب ، فغلبوه على رأيه ، وحضر الخانات والأمراء وقالوا : إن العسكر قد ضعفت من طول الحصار ، وماتت دوابهم ، فإن منعتهم عن النهب قعد بهم الضعف عن لقاء العدو ، فرضى بذلك ، ونهبوا ثلاثة أيام ، واستخرجوا دفاينهم وخباياهم بالمعاصير ، فمن وقع بيده من الأخلاطية عذبه بأنواع العذاب ، فهلك بذلك قوم ، والذى يقوله الناس من أن جلال الدين أمر بقتل من بها غير صحيح ، فإن قوة هلاكهم كانت بالغلاء ، ونزل إليه مجير الدين وتقى الدين ابنا العادل ، وعز الدين أيبك متولى أخلاط ، فأبقى على الأخوين ، وقتل عز الدين بعد أمور كثيرة(٧) .

ثم إن جلال الدين ندم على إذنه بالنهب والتخريب ، فأطلق من الخزانة أربعة آلاف دينار ليجدد ماخربت المجانيق من السور ، فعُمِّر فى أسرع وقت ، وأقطع الكور من

---

(١) هو علاء الدين كيقباذ الأول بن كيخسرو الأول سلطان السلاجقة الروم ، وقد حكم من سنة ٦١٦/ ٦٣٤هـ = ١٢١٩/١٢٣٦م . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ .

(٢) « آية» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ .

(٣) وكلمة الجاشنكير هنا تعنى من يقوم بذوق المأكل والمشرب قبل السلطان فى الولائم والأسمطة خوفاً من أن يدس فيه سم أو نحوه . انظر : صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٨١ .

(٤) « كامباذ» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ .

(٥) القندس هو حيوان السمور (وهو كلب الماء) ويؤخذ فراؤه لعمل الملابس .
انظر : ماير ، الملابس المملوكية ، ص٤٦ ـ ٤٧ .

(٦) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص٣١٧ ـ ص٣١٨ .

(٧) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣٢١ .

أعمالها الخانات والأمراء ، واستدعى[١] منه أورخان إقطاع سر مارى[٢] ، فأجابه إليها لسخطه على شرف الدين أزدَرَه صاحبها[٣] .

ثم إن جلال الدين سار إلى منازجرد لترتيب المحاصرة ، فوصل إليه ركن الدين جهان شاه بن طغرك صاحب أرزن الروم ثانيا ، وأعلمه باتفاق ملوك الشام والروم عليه ، وقال : إن الرأى فى مبادرتهم قبل أن يجتمعوا ، فأمره عند ذلك أن يرحل صوب أرزن الروم ، فيتجهز بها ، ويرحل السلطان بعده بخمسة أيام فى عساكره ، فيذهبان إلى خرت برت[٤] ويقيمان بها منتظرين حركة العسكرين ، فأيهما تحرك أولاً ساقا إليه قبل اتصاله بصاحبه ، فمرض بها مرضاً شديدا ، وكانت الخانات والأمراء يحضرون الباب أيام مرضه على العادة ، ثم تواترت كتب ركن الدين مُعْلمةً بحركة العسكرين على نية الاجتماع ، فحين خف عنه المرض ، ركب فنزل شرف الملك الوزير بعسكره وعسكر العراق على منازجرد ، وتكين مُقْطع خُوَّى ، على بركرى[٥] ، وجَرَدَّ أمامه أوترخان فى ألفى فارس برسم اليزك ، فصادف بِيَاشْجُمان عسكر أرزنجان وخرت برت ، فالتقاهم ، ثم شاعت الهزيمة فى الروم فقتلوا ، وفى ثانى اليوم وصلت عساكر الروم والشام فتلاقوا ، وجرى بينهم قتال شديد ، فانهزم جلال الدين وأُسِر[١١٤] ألغ[٦]خان ، وأطلس ملك ، وعدَّة من المفاردة ، فأمر كيقباذ بضرب أعناقهم على ماذكرناه مفصلا[٧] .

---

(١) «استرعى» فى سيرة منكبرتى ، ص٣٢٥ .

(٢) «سر من رأى» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٣٢٥ ، وسر مارى : قلعة حصينة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط . انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨٢ .

(٣) «ورد هذا الخبر» فى سيرة منكبرتى ، ص٣٢٥ .

(٤) خَرْتَ بِرْتُ : إحدى قلاع أرمينية الكبرى ، على مسيرة يومين من ملطية ، وهو الحصن المعروف بحصن زياد . انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤١٦ .

(٥) بركرى : مدينة فى نواحى خلاط . انظر : تقويم البلدان ، ص٣٨٩ ؛ سيرة منكبرتى ، ص٢٧٥ ، حاشية (٣) .

(٦) «ألاع» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٣٣١ .

(٧) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٢٩ - ص٣٣٢ .

ذكر استيلاء الملك الأشرف على بعلبك

وكان قد حاصرها قريبا من عشرة أشهر ، واشتدَّت مضايقة عسكره لها ، وكان بها الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه(١) ، فأذعن إلى تسليمها لابن عمه[الملك الأشرف](٢) ، وأقطعه الملك الأشرف قُصَيْر دمشق(٣) ، والزبدانى(٤) ، ومواضع أُخر(٥) .

وتوجه الملك الأمجد إلى دمشق فقتل بها فى السنة المذكورة ، قتله مملوك كان عنده من أخص مماليكه ، وذلك أنه فقد دواةً مُحلاَّةً له ، واتهم بها هذا المملوك ، وألزمه إحضارها فلم يعترف بها ، فأمر باعتقاله فى مرقدٍ بإيوان دارِه ، ثم جلس على باب ذلك المرقد يلعب بالنرد(٦) ، فخرج ذلك المملوك وبيده سيف مسْلول فضرب به أستاذه ضربا مثخنا ، وطلع إلى سطح الدار ورمى بنفسه إلى قاعتها ، فمات لوقته ، وعاش الأمجد إلى الليل ، ثم توفى ، ودفن فى مدرسة والده ، وكانت مدة ملكه لبعلبك تسعا وأربعين سنة ، من أيام عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وإلى هذه السنة . وكان ملكا جليلا ، فاضلا متأدبا ، يحب العلماء والفضلاء والشعراء ، وكان ينظم الشعر الجيد ، ودون له ديوان من أشعاره(٧) .

---

(١) الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ، وكان فيه فضل وله ديوان شعر ، وأخذ الأشرف بن العادل منه بعلبك فانتقل إلى دمشق ، وقتله مملوكه فى داره ليلة الأربعاء ثانى عشر شوال سنة ٦٢٨هـ ، ودفن فى تربته التى إلى جانب تربة أبيه فى الشرق الشمالى .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٥٣ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ - ص١٤١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٢٦ - ص١٢٧ .

(٢) مابين حاصرتين إضافة من مفرج الكروب للتوضيح ، ج٤ ، ص٢٨٤ .

(٣) قُصَيْرْ دمشق : ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٢٦ .

(٤) الزَبَدَانى : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك ، منها خرج نهر دمشق .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩١٣ .

(٥) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٤ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٥ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٦ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٥ - ص٤٣٦ .

(٦) النَّرْد : شيء يلعب به ، وهو لفظ فارسى معرب «نرد شير» . لسان العرب ، مادة «نرد» .

(٧) ورد مقتل الملك الأمجد بالتفصيل فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٤ - ص٢٨٦ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٦ ؛ كما ورد مقتله فى سنة ٦٢٨هـ فى كل من : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٦ - ص١٦٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤١ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٤١ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٢٦ - ص١٢٧ .

ومن جيده قصيدة مطلعها :

حى عنى الحمى ، وحى المصلى وزمــاناً بالرقــمَــتــين تولى
كان أغلى الأوقات فى النفس قَدْراً فــتــلاشى زمـانُه واضـمـحـلا
هل إلى ذلك الزمـان سـبـيل وضلال أن يقتضى الشوق «هلاّ»
بت والبــرق لا أَمَلٌ دمــوعى عند إيمـاضـه ، ولا البـرق مَـلا
مـسـتـهـامـا ألقى الغرام بجسم منذ أبلاه هجــركُم مــا أبلا
ذا غليل من حُرقة البين والهجـ ـر بغـيـر اقـتـرابكم لن يُبـلا
أيهـا النـاظمـون هذا قـرَيضى دق فى صنعـة القـريض وجـلا
يتمشى على السماكِ افتخاراً ثم يضـحى منه عليكم مُطلا
وبغــيضٌ إلى من لـيس يدرى صنعـة الشـعـر أن يكون مـذلا
بقـريض إذا كـسـا الشـعـرُ عِـزّاً قـائليـه ، كـسـاه هوناً وذلا
مايُسمى فى حلبة الشعر يوماً سابقاً لا ، ولا أَسْتُحِث[١] فَضَلا[٢]

ومدحه جماعة من الشعراء منهم : شرف[٣] الدين بن عنين بقصيدة يمدح فيها شعره منها :

لمـا تخـيـرنى أروى قـصـائده مـضيتُ قدماً وخلّفت الرواة ورا
فأعجب لبحر غدا فى رأس شاهقة من العـواصم طام يقـذف الدُّرَرَا
شعرٌ ثمت به الشعرى لشركتها فيه فباتت تباهى الشمس والقمرا
سـحْـرٌ ولكن هاروتا وصـاحـبـه مـاروت مـانهـيـا فـيـه ولا أمـرا
كم[٤] قُمْتُ فى مجلس السادات أنشده فلم يكن لحسود فى عُلاه مرا[٥]

(١) «أستخف» كذا فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٨ .
(٢) وردت هذه الأبيات فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٦ - ص٢٨٨ .
(٣) شرف الدين بن عنين : هو أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عُنَيْن الأنصارى ، الملقب شرف الدين ، الكوفى الأصل الدمشقى المولد ، الشاعر المشهور ، كان خاتمة الشعراء ، لم يأت بعده مثله ، ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به ، وكان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس ، وتولى الوزارة بدمشق فى آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر بن المعظم ، كانت ولادته بدمشق يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ٥٤٩هـ ، وتوفى عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٣٠هـ بدمشق أيضا ، ودفن بمسجده بأرض المزة بدمشق .
لمعرفة المزيد عن ترجمته انظر : وفيات الأعيان ج٥ ، ص١٤ - ص١٩ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص١٤٠ - ص١٤٢ .
(٤) «لم» كذا فى الأصل ، والمثبت فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٣ .
(٥) وردت هذه الأبيات فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٩٢ - ص٢٩٣ .

وقال ابن كثير[١] : الملك الأمجد أشعر بنى أيوب ، وشعره مشهور ، ومن شعره الرائق الفائق فى شاب رآه يقطع قضبان بان فأنشأ على البديهة :

من لى بأهيفَ[٢] قال حين عتبته فى قطع كل قضيبِ بانٍ رائق
تحكى شمائله الرَّشاءَ[٣] إذا انثنى ريَّانَ بين جداولٍ وحدائقِ
سرقَتْ غصون البان لينَ شمائلى فقطعتها والقطعُ حدُّ السارقِ

وله دوبيت :

كم يذهب هذا العمرُ فى الحسرات ما أغفلنى فيه وما أنسانى
ضيّعتُ زمانى كلَّهُ فى لعبٍ ياعمرُ هل[٤] بعدكَ عمرٌ ثانى[٥]

وقد رآه بعضهم فى المنام ، فقال[له][٦] : مافعل الله بك؟ فقال :

كنتُ من ذنبى[٧] على وجلٍ زالَ عَنِّى ذلك الوجلُ
أَمِنَتْ نفسى بوائقها عشتُ لما متُّ يارجل[٨]

ذكر استيلاء الملك المظفر شهاب الدين[٩] غازى على مدينة أرزن[١٠] من ديار بكر[١١]

وأخذها من صاحبها حسام الدين ، والسبب فى ذلك أن المذكور كان مصاحباً للملك الأشرف ومناصحاً له فى جميع حروبه ، وينفق أمواله فى طاعته ، وكان فى خلاط

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤١ .
(٢) أهيف : أى ضامر البطن والخاصرة . انظر : لسان العرب ، مادة «هيف» .
(٣) «الرشاق» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤١ ، حيث ينقل عنه العينى ، والرّشاء كواكب صغيره كثيرة على صورة السمكة يقال لها بطن الحوت . انظر : لسان العرب ، مادة «رشا» .
(٤) «فهل» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ ، حيث ينقل عنه العينى .
(٥) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٤١ - ص١٤٢ .
(٦) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ ، للتوضيح .
(٧) «دينى» كذا فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ .
(٨) ورد هذا الخبر والبيتان فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ .
(٩) الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، صاحب ميافارقين وخلاط ، توفى سنة ٦٤٥هـ .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٨٦ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٣٣ ؛ ترويح القلوب ، ص٧٩ .
(١٠) مدينة أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة . معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٥ .
(١١) ديار بكر : هى بلاد كبيرة واسعة ، وحدها ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وقد يتجاوز دجلة إلى سعِرْت وحيزان وحينى وماتخلل ذلك من البلاد .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٣٦ - ص٤٣٧ .

لما حضرها جلال الدين خوارزم شاه ، ولقى من الشدّة والخوف مالقى ، ولما فتحت أَسَرَهُ جلال الدين فيمن أَسَر ، وأراد أخذ مدينة أرزن منه ، فقيل له : إنه من بيت قديم عريق فى الملك[١١٦] وإن أرزن صارت له من أسلافه مع غيرها من البلاد ، فخرج الجميع من يده ولم يبق له غيرها ، فتعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته ، وأخذ عليه العهود والمواثيق أنه لايقاتله ، فعاد إلى بلده وأقام بها . فلما جاء الملك الأشرف وعلاء الدين [صاحب الروم](١) لمحاربة جلال الدين لم يحضر معهم الحرب وفاءً لجلال الدين ، فلما انهزم جلال الدين جاء(٢) إليه الملك المظفر غازى بن العادل صاحب ميافارقين ، فحصره بها ثم ملكها صلحاً ، وعوضه عنها بمدينة حانى من ديار بكر ، وهو من بيت قديم ، يقال لهم : بيت طغان أرسلان ، ويقال لهم : بيت الأحدب ، وكان لهم مع أرزن بدليس(٣) وغيرها ، ولم تزل بأيديهم من أيام السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى(٤) ، وأخذ بكتمر(٥) صاحب خلاط مملوك شَاهَرْ مَنْ بدليس من عم حسام الدين هذا ، لأنه كان موافقا للناصر(٦) الكبير(٧) .

ذكر قصد الفرنج حماة

وفى شهر رمضان قصد الفرنج من حصن(٨) الأكراد وغيرها حماة فى جَمْع كثير من الخيالة والرجّالة ، فخرج إليهم السلطان الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك

---

(١) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى ، ص٣٠٢ ، للتوضيح .

(٢) أى جاء إلى حسام الدين صاحب أرزن .

(٣) بدليس : بلدة من نواحى أرمينية قرب خلاط . معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٢٦ .

(٤) السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى : هو ملكشاه أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقى التركى تملك بلاد ماوراء النهر وبلاد الهياطلة وبلاد الروم والجزيرة والشام والعراق وخراسان وغير ذلك ، وقيل إنه سُمَّ ونقل فى تابوت فدفن بأصبهان فى مدرسة كبيرة له ، مات فى شوال سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م . لمعرفة المزيد من ترجمته انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٨٩ ؛ الشذرات ، ج٣ ، ص٣٧٦ - ص٣٧٧ .

(٥) بكتمر : هو سيف الدين بكتمر صاحب خلاط ، كان دينا ، خيرا ، صالحا ، كثير الخير والصدقة ، محبا لأهل الدين والصوفيه ، قريبا إلى رعيته ، قتل فى أول جمادى الأولى سنة ٥٨٩هـ .

لمعرفة المزيد عنه انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص١٠٢ - ص١٠٣ ؛ العبر فى أخبار من غبر ، ص٢٦٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٨ .

(٦) الناصر الكبير : يقصد به السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف .

(٧) ورد هذا الخبر بالتفصيل فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠١ - ص٣٠٢ .

(٨) حصن الأكراد : حصن منيع حصين على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل ، وهو بين بعلبك وحمص .

انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٧٦ .

المنصور فى عسكر حماة ووصل الفرنج إلى أفنون[١] وهى ما بين حماة وبعرين ، فقاتلهم وحمل عليهم فلم يثبتوا له ، وولوا منهزمين وقتل من فرسانهم ورجالتهم جماعة ، وأسر جماعة ، ودخل حماة منصوراً ، فمدحه الشعراء بقصائد منها[٢] :

أَبشر بما شئتَ من نصرٍ وتأييد ... فعنك يُروى حديث البأس والجود
وأنت ليثٌ وغى تدمى مخالبه ... فى نحر كل طويل الباع صنديد
وأنت غيثُ نَدى تجرى عوائده ... بجوده مثل جرى الماء فى العود
فَرَّقْت بين المعالى والثراء كما ... جمعت فى العدل بين السد[٣] والسيد
يَذُم بعض الورى بعضاً وقولهم ... مافى البرية محمودٌ كمحمودِ
مَلك إذا أغرق الأملاكُ فى قنص ... فصَيدهُ غُلْبُ آل الأصغر الصيدِ
وإن سبتهم ذوات الحسن مال به ... قَطْع الطُلى عن وصال الخرّد الغيد[١١٧]

ومنها :

لو نال مَلْك على مقدار همته ... لنلت مُلْك سليمان بن داود

ومنها :

أما الفرنج فقد أخمدتَ نارهمُ ... ولم تزل ذات إضرام وتوقيد
من بعد ماحاد أملاك الطوائف عن ... حفظِ البلاد وألقوا بالمقاليد

ومنها :

فما جنحت إلى سِلمٍ على غُبن ... ولاقنعت بإرهاب وتهديد
أقبلتهم رحب صدر ليس يحرجه ... ضيق المجال وقلبا غير مرءود[٤]
ورُعْتهَم بخميس فَلّ جمعهمُ ... بحرّ ضرب وطعن كالأخاديد
فغودِروا بين مجروحٍ ومختبل ... يبكى على هالك منهم ومصفود

(١) «أفيون» كذا فى الأصل ، والمثبت من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٣ حاشية(٣) ، ويبدو أن المقصود بها قرية قفيلون الحالية وهى قرب بعرين «بيرين» .

(٢) أورد مفرج الكروب أن قائل هذه القصيدة هو الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصارى .
انظر : ابن واصل ، ج٤ ، ص٣٠٣ .

(٣) يبدو أن معنى كلمة «السد» هنا تعنى قليل المال المحتاج إلى المساعدة .
انظر : مادة «سدد» ، المصباح المنير .

(٤)«مزؤد» كذا فى الأصل ، والمثبت فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٥ ، والرئد هو الضيق .
انظر : القاموس المحيط .

إن خُبرُّوا عنك بالبأس المنيع فقد قام العيان بتصديق الأسانيد
صاروا قطائع إذ راموا القطائع للـ بيض القواطع فى حُجب الوغى السودِ
فلا تدع غزوهم فى عقر دارهم صغْوا إلى الزود من لوم وتفنيد
واسلم ، لك الملك مقصورٌ عليك ولا زال الورى تحت ظل منك ممدود[1]

ذكر بقية الحوادث

منها أنه ظهر أمير من أمراء التركمان يقال له : شمس الدين سونج من قبيلة يقال لها : قيشالوا[2] ، فقوى أمره وقطع الطريق ، وكثر جمعه ، وكان قطعه الطريق مابين إربل وهمذان ، ثم إنه تعدى إلى قلعة حصينة[3] للملك المعظم مظفر الدين كوكبورى[4] بن زين الدين على كوجك[5] صاحب إربل ، وقتل عندها أميراً كبيراً من أمراء مظفر الدين ، يقال له : عز الدين الحميدى واستولى على القلعة ، فجمع مظفر الدين جموعا وأراد استعادتها منه ، فلم يمكنه ذلك لحصانتها وكثرة جموع هذا التركمانى الذى استولى عليها ، فتركها مظفر الدين له ، وأرسل إليه أهل قلعة روندز ، وهى من قلاع أذربيجان الحصينة ، ليسلموها إليه ، فسار إليها وتسلمها وملكها ، وأزال عنها أصحاب جلال الدين مع مهابته ، ولما ملكها سونج المذكور طمع فى غيرها ، لاسيما وقد اتفق ضعف جلال الدين بما[6] أصابه من الهزيمة ، فنزل سونج إلى مراغة وحصرها ، فأتاه منها سهم غَرْب[7] فقتله ، فلما قُتِل مَلَكَ القلعة بعده أخوه ، ثم أنه نزل من القلعة وقصد أعمال

---

(١) وردت هذه الأبيات فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٣ ـ ص٣٠٥ .

(٢) «قشيالوا» فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٣ .

(٣) المقصود هنا قلعة «سارو» ، الكامل ، ج١٢ ، ص٤١٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

(٤) مظفر الدين كوكبورى : هو أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، ولما توفى والده زين الدين على ولى موضعه وعمره أربعة عشر عاما ، ودخل إربل فى ذى الحجة سنة ٥٨٦هـ ، وولد بقلعة الموصل سنة ٥٤٩هـ ، وتوفى ليلة الجمعة رابع عشر رمضان سنة ٦٣٠هـ بداره ، ودفن بإربل .

انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١١٣ ـ ص١٢٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٧ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٣٨ .

(٥) زين الدين على كوجك صاحب إربل : أصله من التركمان ، وملك إربل وبلادا كثيرة فى تلك النواحى وفرقها على أولاده ، وعَمَّر طويلا ويقال إنه جاوز مائة سنة ، وعمى فى آخر عمره ، وتوفى بإربل ليلة الأحد ، حادى عشر ذى القعدة سنة ٥٦٣هـ ، ودفن فى تربته المعروفه به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد ، وكان موصوفا بالقوة المفرطة والشهامة .

انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١١٤ ؛ العبر ، ج٤ ، ص١٨٢ ؛ الشذرات ، ج٤ ، ص٢٠٩ .

(٦) «ما» كذا فى الأصل ، والمثبت من الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٧ ، لاستقامة المعنى .

(٧) «سهم غَرْب» أى لايدرى راميه . انظر : القاموس المحيط .

تبريز ، ونهبها ، وعاد إلى القلعة بالنهب ليجعله مَذْخورا فيها ، فصادفه[١١٨] طائفة من التتار فقتلوه وأخذوا مامعه ، فملكت القلعة أخت[1] له ، وكل هذا أمر يسير[2] .

ومنها أنه وصل جهان بهلوان من الهند إلى العراق ومعه سبع مائة فارس ، وذلك أن السلطان جلال الدين رتبه مقدما على عسكره بالهند ، فأحسن السياسة ، فقصده عسكر أيلتمش[3] فطرده عنها ، وتخلف جماعة منهم : الحسن قِزلق الملقب بوفا ملك . فلما وصل جهان بهلوان رسم له جلال الدين بعشرين ألف دينار تحمل إليه من مال العراق ، وأن يُشَتى بالعراق ليعود إلى الخدمة ، وصادف وصوله من الهند عود السلطان على الوجه الذى تقدم ذكره ، وكان يريد المثول بين يديه ، فجاءت الأخبار بورود التتار ، فحالت بينهما[4] .

ومنها أنه ولد للملك العزيز[5] بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ثلاثة أولاد ذكور ، أحدهم : وهو أول أولاده سماه غازى[6] ولقبه الظاهر ، والثانى : سماه العادل[7] ، والثالث : سماه صلاح الدين[8] يوسف ولقبه بالناصر[9] .

---

(١) «ابن أخت» كذا فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٨ .

(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٣ ـ ص٤٩٤ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٦ ـ ص٣٠٨ .

(٣) أيلتمش : هو شمس الدين إيلتمش أحد أرقاء الترك فى الدولة الغورية ، وقد سار إلى بلاد الهند بعد سقوط هذه الدولة ، وتمكن من تأسيس إمارة فى الجزء الشمالى من هذه البلاد ، وقد حكم هذا الرجل مدينة دهلى من ٦٠٨/ ٦٣٤هـ (١٢١١/ ١٢٣٦م) . انظر : سيرة منكبرتى ، ص١٦٥ ، حاشية(1) .

(٤) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٣٤٦ ـ ص٣٤٧ .

(٥) الملك العزيز بن الظاهر غازى : هو محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب بن شادى ، الملك العزيز غياث الدين بن الملك الظاهر بن الناصر ، صاحب حلب ، ولد خامس ذى الحجة سنة ٦١٠هـ من ضيفة خاتون بنت الملك العادل بن أيوب ، ولى السلطنة وعمره أربع سنين ، وجعلوا طغريل الخادم أتابكه يسوس الأمور ، توفى سنة ٦٣٤هـ ، ودفن بالقلعة ، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وشهورا ، ومدة ملكه قريب العشرين سنة ، وأقيم بعده ولده الملك الناصر يوسف وهو طفل أيضا .

انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٩ ـ ص١٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥٨ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٢١٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٥٦ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٦٥ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٠٨ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٦٨ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٥ .

(٦) الملك الظاهر غازى بن محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب بن شاذى ، الملك الظاهر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، وهو شقيق السلطان الملك الناصر يوسف ، وأمهما تركية ، قتل مع أخيه الناصر بين يدى هولاكو سنة ٦٥٩هـ .

انظر : المختصر ، ج٣ ، ص٢١٢ ؛ شفاء القلوب ، ص٣٧٤ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٩٨ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٥ .

(٧) فى شفاء القلوب اسمه : الظاهر وليس العادل ، وهو الظاهر على بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن الناصر يوسف بن أيوب بن شاذى . انظر : شفاء القلوب ، ص٣٧٤ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٥ .

(٨) الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين صاحب الشام ولد سنة ٦٢٧هـ ، وسلطنوه بعد أبيه سنة ٦٣٤هـ ، ودبر المملكة شمس الدين لؤلؤ ، وقتل فى تبريز على يد هولاكو وهو وأخوه الملك الظاهر غازى وجميع أتباعه وأقاربه سنة ٦٥٩هـ ، وقيل سنة ٦٥٨هـ وهو آخر ملوك بنى أيوب .

انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص٢١١ ـ ص٢١٢ ؛ شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٩٩ ـ ص٣٠٠ ؛ ترويح القلوب ، ص٩٥ .

(٩) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

ومنها أن شيركوه[١] صاحب حمص شرع فى عمارة قلعة شُمَيْمس[٢] ، وكان لما سلم إليه الملك الكامل سلميه قد استأذنه فى عمارة تل شميمس ، فأذن له بذلك ، ولما أراد شيركوه عمارته أراد الملك المظفر صاحب حماة منعه من ذلك ، فلم يمكنه ذلك لكونه بأمر الملك الكامل[٣] .

ومنها أن الفرنج أخذوا جزيرة مَيُورْقَةْ[٤] وقتلوا بها خلقاً وأسروا آخرين ، فقدمُوا بهم إلى الساحل ، فاستفكهم المسلمون ، وقدموا إلى دمشق ، وأخبروا بما جرى عليهم[٥] .

وفيها . . . . . .[٦]

وفيها لم يحج أحد من الشام ولا فى السنة التى قبلها ، ولا فيما قبل قبلها ، فهذه ثلاث سنين لم يحج أحد من الشام[٧] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ الصالح أبو[٨] البركات الحسن بن محمد بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعى ، المعروف بزين الأمناء ، ابن عساكر ، وكانت له روايات كثيرة لكتب الحديث وغيرها من عَمَّيْه الحافظ أبى القاسم على ، والصائن أبى الحسين هبة الله ابنى الحسن ، وكان قد أقعد فى آخر عمره ، وكان يُحْمل فى محفة[١١٩] إلى الجامع وإلى دار الحديث[النورية][٩] ، مات ليلة الجمعة ، السادس عشر من صفر من هذه

(١) شيركوه صاحب حمص : هو أسد الدين شيركوه ، الملك المجاهد بن محمد بن شيركوه بن شاذى ، ولد سنة ٥٦٩هـ ، وتوفى بحمص سنة ٦٣٧هـ ، ودفن فى تربته داخل البلد ، وكانت له أيضاً الرحبة وتدمر وماكسين من بلد الخابور . انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٤٨٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٨٤ .

(٢) «شُمَيْمس» كذا ورد هذا الاسم فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٥ وهى إحدى بلاد كورة حمص .

(٣) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٢٨٢ ـ ص٢٨٣ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٤٥ .

(٤) مَيُورْقَةُ : جزيرة فى شرقى الأندلس .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٢٠ .

(٥) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ .

(٦) بياض بالأصل بمقدار نصف سطر .

(٧) ورد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ .

(٨) انظر : ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٣٨ ـ ص٤٣٩ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٢٣ .

(٩) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ ؛ للتوضيح .

السنة ، ودفن عند قبر أخيه الفقيه أبى منصور عبد الرحمن بن محمد ، المعروف بالفخر ابن عساكر ، بالشرف القبلى بظاهر دمشق ، وعُمِّرَ ، وتَفَرَّد بالرواية ، وجاوز الثمانين بثلاث سنين (رحمه الله) .

الشيخ بيرم[١] الماردينى ، كان صالحا منقطعاً محباً للعزلة عن الناس ، وكان مقيما بالزاوية الغربية من الجامع ، وهى التى يقال لها الغزالية[٢] وكانت تعرف[٣] بزاوية الدولعى ، وقبله بزاوية القطب النيسابورى ، وقبله بزاوية الشيخ أبى نصر المقدسى .

ابن الجاموس[٤] عز الدين كان الأمير شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين استخدمه على ديوانه فى هذه السنة ، وأعطاه الكوسات[٥] والأعلام ، وقدمه على جماعة ، ودُعى بالصاحب الأمير عز الدين ، ومكنه غازى من البلاد والعباد ، فبدا منه من الكبر والجبروت ، والظلم والعدوان ، بحيث كان الجُلَنْدى [الذى يأخذ كل سفينة غصبا][٦] عنده كسرى أنو شروان ، وكان غازى قد اقترض من البدر بن المسخف الشاعر لما توجه إلى مكة عشرة آلاف درهم ، وكتب له بها توقيعاً على أنَضِّ الجهات ، فمطله ابن الجاموس ، وأحاله على جهات منكسرة ، ولقى منه أموراً عسرة ، فهجاه بأبيات ، وكتب بها إلى غازى . فمنها :

---

(١) انظر : ترجمته فى الذيل على الروضتين ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٧ ؛ الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص٤١٤ .

(٢) الزاوية الغزالية : بالجامع الأموى شمالى مشهد عثمان ، كان مدرسها سنة ١٠٨٣ مصطفى المحاسنى .
انظر : خطط الشام ، ج٦ ، ص١٤٣ .

(٣) «وكان يعرف» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة .

(٤) انظر ترجمة ابن الجاموس فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٤ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٣٨ .

(٥) الكوسات : مفردها كوسة وهى صنجة من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبول وشَبَّابَة ، يدق بها مرتيين فى القلعة فى كل ليلة ، ويدار بها فى جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة قبل التسبيح على المآذن ، وتسمى الدورة بذلك فى القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان فى السفر تدور حول خيامه ، ويقال للذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض الكوسى .
انظر : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩ ، ١٣ .

(٦) اقتبس هذا القول من القرآن الكريم ، سورة الكهف ، آية(٧٩) وهى ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

أبوه الذى أفتى قديما بسبكم — جهارا وهذا الابن من ذلك الصلب
فأبْعِدُه وُقِيتَ الردى عن دياركم — وقابِلْه بالإعراض والفتك والصَّلْبِ
فقد قيل بيتاً سائراً فى مثاله — وسار مسير الشمس فى الشرقْ والغرب
ومن ربط الكلب العقور ببَابه — فعقر جميع الناس من رابط الكلب[١]

مات ابن الجاموس فى هذه السنة بميافارقين ، فاستولى غازى على تركته ودوابه وغلمانه ، ولعنه غازى ، وقال : لقد ظلم الرعية ووسخ أعراضنا ، فدعوا علينا بسببه ، وجماعة من دمشق طلبوا تركته ، فسبهم غازى ، وقال : بأى شىء جاءنى ما جاء إلا بِجُبة[٢] وبرطوس[٣] وأعطى عمه ألف درهم[١٢٠] .

---

(١) وردت هذه الأبيات فى مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٣٨ .

(٢) الجبة : الجبة تطلق على الفرجية الفوقانية ، وهى الفرجية الأصلية ، وكانت لاترى إلا على المشايخ وحدهم ، وبعد عام ٧٩٩هـ فى عهد السلطان برقوق كان يرتديها رؤساء ديوان القلم ، وفى العصر المملوكى كان يرتديها القضاة والعلماء على وجه العموم .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٣٠ ، ص٩٢ ، ص٩٥ .

(٣) برطوس : ضرب من الفراء يجلب من بُرطاس ، وهى ولاية ومدينة تقع شمال بحر قزوين .
انظر : تكملة المعاجم العربية ، ج١ ، ص٢٩٣ ، رينهارت دوزى ، ترجمة د/ محمد سليم النعيمى ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٨ .

فصل فيما وقع من الحوادث فى السنة الثامنة والعشرين بعد الستمائة(*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستنصر بالله[١] ، والسلطان الملك الكامل صاحب مصر بالديار المصرية ، وأخوه الملك الأشرف بدمشق ، وقد تخلى عن البلاد الشرقية ، فإن حران وما معها صارت لأخيه الملك الكامل ، وأما أخلاط وبلادها التى كانت للأشرف فقد صارت خراباً يبابًا ، بإفساد جلال الدين خوارزم شاه على ماذكرناه ، ولم يكن للأشرف ولد ذكر ، فقنع بدمشق ، واشتغل باللهو والملاذ ، ثم فى هذه السنة قد سار الأشرف إلى أخيه الكامل فأقام عنده بالديار المصرية متنزها[٢] . وصاحب حلب الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح يوسف بن أيوب ، اشتغل فى هذه السنة بالممالك الحلبية ودبَّرها ، وتصرف فى أحوالها ، وبلغ من العمر ثمانى عشرة سنة ، وسلم إليه أتابكه[٣] شهاب[٤] الدين طغريل الخزائن ، وخرج العزيز من القلعة ودار القلاع والحصون التى له ، ونزل الأتابك شهاب الدين من القلعة ، وكان له بها نحو خمس عشرة سنة ملازماً من حين مات السلطان الملك الظاهر غازى[٥] .

(*) يوافق أولها : ٩ نوفمبر ١٢٣٠م .

(١) المستنصر بالله : هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر أحمد بن المستضىء حسن بن المستنجد يوسف بن المقتفى العباسى ، ولد سنة ٥٨٨هـ ، وهو ابن تركية ، واستخلف فى رجب سنة ٦٢٣هـ ، وحمدت سيرته ، وتوفى بكرة الجمعة ، عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ .
انظر ترجمته فى المختصر ، ج٣ ، ص١٧١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٧٠ - ص١٧١ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

(٢) ورد هذا الخبر فى المختصر ، ج٣ ، ص١٤٧ .

(٣) الأتابك : يتألف هذا اللقب من لفظين تركيين ، وهما أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير ، وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان كانوا يطلقون لفظ أطابك على كبير أمرائهم يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير ، وكثيرا ما تزوج الأطابك من أم الموصى به فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبويه ، ثم أطلق هذا اللقب فى أيام المماليك بمصر على مقدم العساكر أو القائد العام ، وكان يسمى أتابك العساكر .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٤ .

(٤) شهاب الدين طغريل : توفى ليلة الاثنين الحادية عشرة من محرم سنة ٦٣١هـ بحلب ، ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب أربعين ، وكان خادما أرمنى الجنسى أبيض ، حسن السيرة ، محمود الطريقة .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص١٠٠ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥٤ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(٥) ورد هذا الخبر فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٠٩ - ص٣١٠ .

ذكر قصد التتار بلاد الإسلام

وفى هذه السنة وصلت مقدمة التتار إلى تخوم أذربيجان، ورحل جلال الدين من تبريز إلى موقان[(١)]، وكان قد جرد جماعة بهلوانية[(٢)] ليكشفوا خبر التتار فى العراق، فلما وصلوا إلى مرج [شروان][(٣)] بين زنجان وأبهر[(٤)] صادم يزك[(٥)] التتار، وكان مقدمهم قد تقدم فى أربعة عشر نفساً، فلم ينج غيره، فعاد مقدم البهلوانية بهذا الخبر بعد عود جلال الدين من الروم مهزوما، قبل رمّ الشعث من جيشه، فرحل من تبريز إلى موقان، إذ كانت عساكره بها متفرقة، وكان قد استشعر زوال الملك من يده، فكان إذا خلا تنحدر الدموع على خديه لذلك، ولما سار إلى موقان عاجله التتار، وكتب إلى نائبه شرف الملك بأردويل[(٦)] [١٢١] وإلى تكين باش بقلعة فيروز[(٧)] أباذ بأنّا قد وجّهنا الأمير يُغان سنقر شحنة[(٨)] خراسان، والأمير أرسمان بهلوان شحنة مازندران، يزكا يكشفان لنا أخبار التتار، وقد أمرناهما أن يُرتبا خيلاً بأردويل، وخيلا بفيروز أباذ، ويَقُوما بها ويزيحا عِلَلَها، وانفصل المذكوران إلى حيث وجّههما، وكبس التتار السلطان على غرّة منه، واتكال على يزكه، وذلك أنه لما انفصل البهلوانية فى جميع العساكر اشتغل بالصيد، وهو إذ ذاك فى قُلٍّ من العسكر نحو ألف فارس من خواصه، فنزل بقرب شِيركَبُوت، وهى قلعة بنيت على تل بموقان يحيط بها خندق بعيد الغور، متسع العرض، ينبع الماء منه فيفيض فيسقى البلد، لايُعبر إليها إلا بجسر يُرفع عند الاستغناء عنه، وكانت قد خربت فى مبدأ خروج التتار، فعمَّرها شرف الملك، وكان السلطان قد سيرَّ دكجك نوين

---

(١) موقان : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة، أكثر أهلها من التركمان للرعى، وهى بأذربيجان .
انظر : معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٦ .

(٢) بهلوانية : البهلوان فى اللغة الفارسية الشجاع الجرئ والمقصود من السياق الفرسان الأقوياء .
انظر : تكملة المعاجم العربية، ج١، ص٤٦٨ .

(٣) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى، ص٣٥٠، للتوضيح

(٤) أبهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل .
انظر : معجم البلدان، ج١، ص١٠٤ .

(٥) «راء وأيزك» كذا فى الأصل، وهما كلمتان ليس لهما معنى، والمثبت من سيرة منكبرتى، ص٣٥٠ .

(٦) أردويل : من أشهر مدن أذربيجان، بينها وبين تبريز سبعة أيام، ويقال لها أيضا أردبيل .
انظر : معجم البلدان، ج١، ص١٦٧ .

(٧) قلعة فيروز أباذ : قلعة حصينة من أعمال أذربيجان، بينها وبين خلخال فرسخ واحد، وهى موضع بظاهر هراة .
انظر : معجم البلدان، ج٣، ص٩٢٨ .

(٨) شحنة : وظيفة يسمى متوليها صاحب الشحنة، وهو رئيس الشرطة، والموكل بالأمن فى بلد من البلاد .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى، ج١٥، ص١٩٣ .

السلحدار[١] من خلاط عند حصارها إلى خوارزم يكشف له أخبار التتار ، فكبس المذكور طائفة منهم ببعض تُخومها ، فقتل أكثرهم ، وأحضر البعض معه إلى خلاط ، وكان فيمن حضر شخص تترى أبقى السلطان جلال الدين عليه وحده فلم يقتله ، فلما نزل جلال الدين حذاء قلعة شيركبوت أمر بالقبض عليه احترازاً من أن يقفز إليهم فى ذلك الوقت فَيُعْلِمُهم بحاله وتفرق عسكره ، فَقُيد وسُلِّم إلى والى قلعة خوارزم ، وكبس التتار جلال الدين ليلاً فلم يُصبح له أثر ، وكانت الخيام مضروبةً ، والحال على حاله ليس فيه أحد من الناس ، وسار التتار إلى كنجة ، وعذبوا أهلها وقتلوا منهم جماعةً ، فظهر لهم السلطان فهربوا منه ، وأوهمهم أنه قطع النهر صوب كنجة ، وعطف إلى أذربيجان ، فأكرمه عز الدين صاحب قلعة شاهق[٢] ، ولما انقضى الشتاء أخبره بأن التتار قاصدون العود إليه ، وأشار عليه بالعود إلى أرّان ، وفَرَّق السلطان حُرَمَه فى قلاع حسام الدين قليج أرسلان ، وجعل بعضهم فى قلعة مُسك[٣] سَوارح[٤] .

وفيها سير جلال الدين خوارزم شاه مجير الدين يعقوب[١٢٢] بن الملك العادل إلى أخيه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، وكان قد استصحبه[٥] معه من خلاط ليؤانسه ، وكان صحبته لما توجه من تبريز إلى موقان ، فلما اتفقت كبسة التتار أشار عليه أصحابه بأن يرسل إلى الملك الأشرف موسى ويُعرفه بأمر التتار ، وأنهم لايردُّهم إلا اجتماع الكلمة ، واتفاق الأمة ، ولما جرى على السلطان ماذكرناه من كبسة التتار كاتب شرف الملك الوزير الأمراء والملوك ، ووعدهم أن يخطب لهم بتلك البلاد ، وكتب فى حق السلطان بأنه الظالم المخذول ، وثار عوام تبريز وقتلوا من بها من الخوارزمية ، وسلموها للتتار كغيرها من البلاد ، ولما سمع شرف الملك بقرب السلطان حضر ومعه

---

(١) السلحدار : لفظ مركب من كلمتين إحداهما عربية ومعناها آلة القتال ، والثانية فارسية ومعناها ممسك ، هو الرجل المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذى فى خدمته ، ومن وظائفه الأخرى الإشراف على السلاح خاناه وماهو من توابع ذلك .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٨٢ .

(٢) قلعة شاهق : تقع فى جزيرة وسط بحيرة أذربيجان ، كانت بمثابة مخزن للذخيرة .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٦٤ .

(٣) أورد جلال الدين منكبرتى فى سيرته أنها «قلعة سند سوارخ» وهى مغارة على شقيف عال وفيها عين ماء تدير الرحى تحتها . انظر : سيرة منكبرتى ص٣٥٧ .

(٤) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث . انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٥٠ - ٣٥٤ ، ص٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٥) «استصحب» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .

كفنٍ ، وأظهر الندم على مافعل ، فأخذه السلطان وحبسه فى قلعة جاربرد[١] وقتله بعد شهرٍ ، وأما أهل كنجة فإنهم قتلوا من بها من الخوارزمية وظاهروا بالفساد ، وملك زمامهم شخص يعرف يَبَبْدار[٢] مقدمهم ، وأطاعه الأوباش ، فبسط يده فى المصادرات ، وسير جلال الدين إليهم يدعوهم إلى الطاعة ، ويحذرهم عواقب المخالفة ، فلم يسمعوا ولم يُطِيعوا ، وترددت الرسل فى بذل الأمان والوعد والإحسان ، فلم يقبلوا وخرجوا إلى خيمة السلطان فرموها بالنشاب ، فأمر السلطان من معه أن يرموهم ، فرموا منهم خلقاً كثيراً ، ودخل معهم المدينة ، وطلب مثيرى هذه الفتنة ، فعينوا منهم ثلاثين نفساً ، وأقام السلطان بكنجة سبعة عشر يومًا ، واتفق الأمراء معه على استنجاده بالأشرف ، وبلغ ذلك الأشرف فكان ذلك باعثا له على مسيره إلى مصر كما ذكرناه ، ثم كتب إلى جلال الدين بأنَّا واصلون إلى خدمة السلطان ، وأقامت رسل جلال الدين بدمشق فى انتظار ماوعد به الأشرف من إنجاده ، منتظرين مايعتمده من تجهيز جيوشه وأجناده ، فلما طال عليهم الأمد أرسل مختص الدين أكبر رسله الموجهين إلى الأشرف يقطع رجاه من إنجاده ويؤيسه من رجوعه عن مصر إلا بعد انفصال أمر السلطان مع التتار ، وقال : فلينظر السلطان فى شغله غير منتظر جواب رسله ، فعند ذلك جهز[١٢٣] جلال الدين رسولاً إلى المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل يستحضره بنفسه وعسكره ، ومن حوله من الملوك ، مثل صاحبى آمد وماردين ، على أنهم إذا حضروا أغنوا عن حضور الأشرف ، وقال للرسول : قل للملك الأشرف هلم إلىَّ مساعداً ، وفى حادثة التتار معاضدا ، فإننى متى نصرنى الله جل ذكره عليهم مَّلكتك بلاد خلاط ونواحيها . وإنما قال ذلك لأجل حضور الأمراء والخانات المشيرين عليه بالإرسال إليه ، ولما خلا المجلس منهم ، قال : نحن مانشك فى أن هؤلاء لاينجدوننا ولايختارون ظهورنا ولاينفع شكوانا إليهم ، غير أن هؤلاء الترك من الأمراء يُطَمّعون أنفسهم بما لايكون . ثم عزم على المسير إلى أصفهان[٣] .

---

(١) جاربرد : إحدى القلاع المضافة لأرّان .

انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٦٤ .

(٢) «بندار» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣٦٩ .

(٣) لمعرفة المزيد عن هذه الأحداث .

انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٥٥ ، ص٣٥٧ ـ ص٣٥٨ ، ص٣٦٤ ، ص٣٦٩ ـ ص٣٧٣ .

وكان قد جرد ستة آلاف فارس قبل انفصال الرسول عن خدمته ، فأغاروا على بلد خرت برت وأرزنجان وملطية ، فاستاقوا أغنامًا كثيرة ، لما كان ينقم على علاء الدين كيقباذ صاحب الروم من تحريشه إياه بكتبه ورسائله المتتابعة بخلاط ، ثم ميله إلى الأشرف ، فلما اتفق من الغارة على بلاد كيقباذ ما اتفق ، ووصل رسول جلال الدين إلى الملك المظفر ، قال : إن اليمين التى حلفت بها للسلطان حلفت بمثلها لعلاء الدين كيقباذ ، وقد بلغنى ماساقوا من غارات بلاده إلى المخيم السلطانى ، فما الذى يؤمننا من مثله ، واليمينان واحدة وعلى الحالات كلها ، فما أنا مستقل برأيى بل معدود فى جملة نواب إخوتى ، فكيف يمكننى إنجاد السلطان إلا بأمرهم؟ وأما صاحب آمد وماردين فلم يسمعا منى ، ولم يمتثلا أمرى ، وليس يخفى أنهما كانا يكاتبان للسلطان ، فَيُخْبِرَ السلطان عقائدهما فى الاستحضار ، ويسير ضمائرهما فى الانجاد على التتار ليعلم أن زعمهما ليس له مصداق ، والأشرف مهتم بخدمة السلطان ، ولم يقصد مصر إلا لاستصحاب عساكرها إلى خدمته . ووقعت البطائق من خلاط وبركرى[1] مُخْبِرةً بأن التتار قد عبروا عليهما كاشفين أخبار السلطان جلال الدين ، سالكين آثارَه ، فجرَّد أُترخان وهو من خُؤلتهِ فى أربعة آلاف فارس يزكا ، وأمره أنه إذا رأى التتار ينهزم بين أيديهم لينجروا إلى[١٢٤][مرابض][2] آجالهم ، فرجع وأخبر بأن التتار قد رجعوا من حدود منازكرد . أخباراً لا حقيقة له ، فعزم جلال الدين على المسير إلى أصفهان ، لأنهم طالما وردوها محسورين مكسورين ، فراشت الحسير ، وجبرت الكسير[3] .

---

(١) بركرى : مدينة فى نواحى خلاط .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٤١٨ .
(٢) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى للتوضيح ، ص٣٧٥ .
(٣) وردت هذه الأحداث بتصرف فى سيرة منكبرتى ، ص٣٧٣ - ص٣٧٧ .

ذكر هزيمة جلال الدين ومقتله

لما عزم على المسير إلى أصفهان ورد إليه ثانى يومه ذلك علم الدين سنجر المعروف بقصب السكر رسولا من جهة الملك المسعود[١] صاحب آمد برسالة تشتمل على عرض الخدمة والطاعة ، وزين له قصد الروم والاستيلاء عليها ، وقال : إنها عرضة للسلطان مهما قصدها ملكها من غير منازع ، وأنه إذا استظهر بملك الروم واستند إلى قفجاق[٢] على موالاتهم له ، ورغبتهم إليه ، هابه التتار وحصل الاستظهار ، وذكر فى جملة الرسالة أن السلطان إذا عزم على ذلك يخرج بنفسه وأربعة آلاف فارس إليه ، ولايفارق الخدمة إلا بعد انفصال تلك المملكة ، وانضوائها إلى سائر الممالك السلطانية ، وقد كان صاحب الروم أوغر صدر الملك المسعود تلك السنة بعدة قلاع ملكها عليه ، فمال السلطان إلى كلامه ، وعدل عما كان نواه فى المسير إلى أصفهان ، وعطف صوب بلد آمد ، ونزل بجسر بقربها ، وجاء إليه شخص تركمانى وقال : إنى رأيت فى منزلك[٣] التى كنت بها أمس نازلا عسكرا زيهم غير زى عسكرك ، فكذبه ، وقال : هذا ممن لايختار توسطنا هذه البلاد . فلما قرب طلوع كتيبة التتار تفرق الذين كانوا معه فى الأقطار[٤] .

وأحاطت أطلاب[٥] العدو بخركاة جلال الدين وهو نائم ، وقيل : إنه كان سكرانا ، وإذا بأوترخان[٦] قد وصل فى أعلامه وأطلابه ، وأصحابه ، فحمل على التتار ، وكشفهم

---

(١) الملك المسعود صاحب آمد : هو ركن الدين مودود بن الملك الصالح أبى الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان ويقال - سكمان - بن أرتق .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٨٢ .

(٢) قفجاق : قبائل فى شمال البحر الأسود ، وقد نزح عدد كبير من أفراد هذه القبائل إلى أراضى الدولة الخوارزمية وصاهروا الخوارزميين ، وقد كانت هذه العناصر مصدرا من مصادر الاضطراب السياسى والاجتماعى فى قلب الدولة ، ويكتب اسم قفجاق فى المصادر التركية «قبچاق» .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٢٨٤ ، حاشية(١) .

(٣) «منزلتك» كذا فى الأصل ، وما أثبتناه من سيرة منكبرتى ، ص٣٧٨ ، لاستقامة المعنى .

(٤) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص٣٧٧ - ص٣٧٨ .

(٥) أطلاب : مفردها طلب ، وهى وحدات صغيرة قد تبلغ أربعمائة يرأسها أمراء يعملون فى وظائف البلاط أو الدولة ، حتى أنه كان للسلطان نفسه طلبه من الفرسان فى عدد صغير وهذا اللفظ ظهر فى أيام صلاح الدين الأيوبى ، ويذكر المقريزى أن الطلب فى لغة الغز هو أمير له لواء وبوق ومائتى فارس إلى مائة إلى سبعين .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص٣٦ .

(٦)«أرخان» كذا فى سيرة منكبرتى ، ص٣٧٩ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥٠ .

عن الخركاة ، ودخل بعض الخواص على السلطان جلال الدين ، فأخذ بيده وأخرجه وعليه طاقية بيضاء ، وركب فرسه ، وساق ، فعلم أن التتار تتبعه ، فأمر أترخان أن يفارقه بمن معه ليتبع التتار سواده[١] ، وتخلص هو بنفسه ومفرده ففعل ، وكان ذلك خطأ ، فإن أترخان لما فارقه انضوى إليه من شداد العسكر خلق ، ووصل إلى إربل ومعه[١٢٥] أربعة آلاف فارس ، وساق إلى أصبهان ، وملكها زمانا إلى أن قصدها التتار ، وسار السلطان إلى باشورة[٢] آمد ، والطلب وراءه ، وكانت آمد قد تشوشت ، وظن أهلها أن الخوارزمية أرادوا الغدر بهم ، فضربوا السلطان جلال الدين ، ورموه بالحجارة ، فلما أيس منهم ومن الدخول إلى آمد تياسر عنها ، وانضوى إليه زهاء مائة نفس ، ثم رمته الجفلة بهم إلى حدود جزيرة بها دربندات منيعة ، فكانوا يمانعونه فى العبور ، وطمعت الناس ، وقتل بعضهم شحنة همذان ، فأشار عليه أترخان بالعود ، وقال : إن أسلم الطريق اليوم طريق سلكه التتار ، فرجع برأيه ليكون هلاكه من جميع الوجوه بتدبيره ، ووصل إلى قرية من قرى ميافارقين ، فنزل وسيب الخيل ترعى ، وفارقه أترخان جبنا ، ووثوقا بما كان بينه وبين الملك المظفر شهاب الدين غازى من المودة والعهود ، وأقام جلال الدين بالبيدر[٣] ، فستره الليل حتى إذا كان الفجر طلع عليه التتار ، فركب لوقته ، وعوجل أكثر جماعته ، فقتلوا وأسروا بعضهم ، وركب السلطان ، فقال بعض الأسرى للتتار : إنه جلال الدين فجدوا فى طلبه ، وساق وراءه خمسة عشر فارسا منهم ، ولحقه فارسان فقتلهما ، وأيس الباقون من الظفر به ، فرجعوا ، ثم صعد الجبل ، وكان الأكراد يحفظون الطرق لسحت يجمعونه ، فأخذوا جلال الدين وسلبوه كعادتهم ، فحين هموا بقتله قال لكبيرهم : إننى أنا السلطان فلا تعجل فى أمرى ، ولك الخيار فى إحضارى عند الملك المظفر شهاب الدين غازى فيغنيك ، أو إيصالى إلى بلدى فتصير ملكا ، فرغب الرجل فى إيصاله إلى بلاده ، ومشى

---

(١) السواد : العدد الكثير .
انظر : المصباح المنير ، مادة «سود» .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٤ .
(٢) الباشورة : الحائط الظاهرى أو مايرى منه ، وتجمع على بواشير .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٧٩ ، حاشية(٨) .
(٣) البيدر : الموضع الذى تدرس فيه الغلال .
انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٨٠ ، حاشية(٢) .

به إلى عشيرته ، وحلته ، فتركه عند زوجته ومضى إلى خيله ، ليحضر منها مايركبانه ، فبينا [الرجل](١) غائب أقبل رجل كردى من السفلة ، وبيده حربة فقال للمرأة : ماهذا الخوارزمى؟ وهلا تقتلونه؟ فقالت : لاسبيل إلى ذلك ، وقد آمنة زوجى ، وعرف أنه السلطان . فقال : كيف تصدقونه أنه السلطان؟ وقتل لى بخلاط أخ خير منه ، فضربه بالحربة فمات ، ولما كان بعد مدة أرسل المظفر إلى ذلك الجبل ، وجمع سلب السلطان جلال[١٢٦] الدين ، والسرج والسيف المشهور والعوذة التى كان يشدها فى وسط شعره ، فلم حم القضاء ضاق به الفضاء ، وكان هلاك ذلك الأسد الغالب على أيدى الثعالب(٢) .

ذكر ترجمة جلال الدين

والكلام فيه على أنواع (الأول) : فى نسبه : هو السلطان جلال الدين منكبرتى بن السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان بن أطسز بن محمد بن نوشتكين(٣) ، وهم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش جده هو الذى أزال دولة السلجوقية . وقد ذكرنا ترجمة والده السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، كيف توفى؟ وكيف انكسر من جنكيزخان؟ وأنه خلف أربعة أولاد ، منهم : السلطان جلال الدين هذا ، وأنه ملك البلاد بعد والده ، وجاءه الأمر المحتوم ، والقضاء المبروم ، وقتل فى هذه السنة كما ذكرنا(٤) .

وفى المرآة(٥) : واختلفوا فى اسم جلال الدين ، فقيل : تكش اسم جده ، قال السبط : سمعت الملك المعظم (رحمه الله) يقول : ليس هو من بنى سلجوق ، وإنما هو من نسل طاهر بن الحسين ، وجده تكش هو الذى أزال الدولة(٦) السلجوقية ، وملك محمد أبو جلال الدين البلاد ، وكان ابنه جلال الدين هذا قد هرب إلى الهند ، وعاد منها ، ونزل على همذان ، وقصد بغداد ، وجرى له وعليه ماذكرناه مفصلا(٧) . وقال أبو الفتح

---

(١) مابين حاصرتين إضافة من سيرة منكبرتى ، ص٣٨٢ ، للتوضيح .
(٢) وردت هذه الأحداث فى سيرة منكبرتى ، ص٣٧٩ - ص٣٨٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥٠ - ص١٥١ .
(٣) «أنويش تكين» كذا فى الأصل ، والمثبت من سيرة منكبرتى ، ص٣٤ .
(٤) ورد هذا الخبر فى المختصر ، ج٣ ، ص١٤٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٤٢ .
(٥) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٤٢ - ص٤٤٣ .
(٦) «المملكة» كذا كتبت التخريجة فى الأصل ، وكذلك فى مرآة الزمان ورد اسم المملكة بدلا من الدولة ، ج٨ ، ص٤٤٢ .
(٧) إلى هنا توقف العينى عن النقل من مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٤٢ - ص٤٤٣ .

المنشىء : واسم جلال الدين منكبرتى ، قلت : هو الأصح لأنه كان كاتبا بين يديه سنين وهو أدرى باسم مخدومه[١] .

(الثانى) فى صفته : قال أبو الفتح : كان أسمر قصيرا تركيا ، حسن[٢] الشارة والعبارة وكان يتكلم بالفارسية .

(الثالث) فى سيرته : قال أبو الفتح المنشىء : كان أسداً ضرغاماً ، وأشجع الفرسان إقداماً ، وكان حليما لا غضوبا ولاشَتَّاما ، وكان وقورا لا يضحك إلا تبسما ، ولا يكثر كلاما ، وكان يختار العدل غير أنه صادف أيام الفتنة فغلب ، ويحب الترفيه على الرعية لولا أنه ملك فى زمان الفترة[٣] . وفى تاريخ ابن كثير[٤] : وكان جلال الدين فى آخر عمره قد قبحت سيرته ، وفسد عقله ، وعادى ملوك جميع الأطراف . وفى المرآة[٥] : [١٢٧] وكم فتك وأسر من المسلمين وسبى وكان كثير الفساد ، وأهلك عسكره العباد والبلاد ، ثم قال السبط : وحكى لى خالى أبو محمد يوسف محيى الدين قال : بعثنى الخليفة إليه فى رسالة وهو على خلاط ، فدخلت عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ فيه ويبكى ، فقلت له : تقرأ فى المصحف وتبكى وأنت تفعل بالمسلمين ماتفعل! وقد قتلت فى دقوقا عشرين ألف مسلم ، وسبيت نساءهم ، وفعلت مافعلت ! فقال : هذا عسكر عظيم مسيرة خمسة أيام مالى عليهم طاقة ولاحكم ، ولا يلتفتون إلى . ومع هذا فإنه كان سدا بين المسلمين والكفار ، وسندا لأهل الإسلام من الفجار ، وكان يدفع التتار عن المسلمين ، ويصدهم ، فلما هلك انفتح السد ، ولقد حكى لى الأمير عماد الدين بن موسك قال : لما كُسِر الخوارزمى دخل عثمان العزيز ، وغازى وجماعة الأعيان ، فهنؤا الأشرف بالكسرة ، فقال : تهنونى بهذا سوف ترون غِبَّ هذا ، والله لتكونن هذه الكسرة سببا لدخول التتار إلى بلاد المسلمين ، ما كان الخوارزمى الأمثل السد الذى بيننا وبين يأجوج ومأجوج . فكان كما قال ، وكان الخوارزمى إذا لقى التتار اقتتلوا عشرة أيام بلياليها ، ثم يترجلوا عن خيولهم ، ويتلاقوا بالسيوف ، وأحدهم يأكل ويبول وهو يقاتل .

---

(١) ورد هذا الخبر فى المختصر ، ج٣ ، ص١٥١ .

(٢) «تركى الشارة والعبارة» فى سيرة منكبرتى ، ص٣٨٤ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥١ .

(٣) ورد هذا الخبر فى سيرة منكبرتى ، ص٣٨٤ .

(٤) ورد هذا الخبر فى ابن الأثير ، الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٥ ، ولم يرد فى تاريخ ابن كثير كما ذكر العينى .

(٥) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٤٣ - ص٤٤٤ .

وفى تاريخ[١] ابن كثير : وكان له مملوك يحبه محبة شديدة ، فمات ذلك المملوك ، فجرى عليه من الحزن مالم يعهد بمثله ، وأمر أهل تبريز بالخروج والنوح واللطم عليه ، ثم أنه لم يدفنه ، وبقى يستصحبه معه حيث سار وهو يلطم ويبكى ، وكان إذا قدم إليه الطعام يرسله إلى المملوك الميت ، ولايجسر أحد أن يقول له أنه ميت ، فكانوا يحملون الطعام ويقولون : إنه يقبل الأرض . ويقولون : إنه الآن أصلح مما كان عليه . فأنف أمراؤه من ذلك ، وخرج بعضهم عن طاعته ، وكان هذا المملوك سببا لتشتت حاله ، وزوال ملكه . وقال ابن كثير : وكان المملوك خِصيا ، يقال له قلج ، وكان حين بعث الطعام وهو ميت ، قال له بعضهم : أيها الملك إنه قد مات . فأمر بقتله ، فقتل ، فكانوا بعد ذلك يقولون : إنه يقبل الأرض ، ويقول : إنه أصلح مما كان عليه . يعنى أنه مريض وليس بميت . فلما جاءت التتار اشتغل بهم ، وأمر بدفن قلج ، وهرب من بين أيديهم[١٢٨] وامتلأ قلبه خوفا منهم ، فجرى عليه ماذكرناه ، وتفرق عنه جيشه فصاروا شذر مذر .

(الرابع) فى وفاته : قد ذكرنا كيفية قتله عن قريب .

وفى المرآة[٢] : أخذ جلال الدين خلاط ، وفعل فيها مافعل ، وآخر أمره جاء التتار خلفه ، وانهزم إلى بلاد ميافارقين ، وتاه فى الجبال ، فوقع به فلاح من قرية يقال لها عين دار[٣] ، فرآه راكب على سرج مرصع باليواقيت ، وعلى لجام فرسه الجواهر ، وسلاحه كله مجوهر ، فقال : من أنت؟ فقال : خوارزم شاه . يعنى جلال الدين ، وكان شخص من عسكر جلال الدين قد قتل أخ هذا الفلاح ، وكان ذلك سببا لقتله إياه . وقيل : إنه شره إلى ما كان معه ، فأنزله وأطعمه ، ونام آمنا ، فضربه بفأس فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وبلغ شهاب الدين غازى ، فأرسل إلى الفلاح ، فأنكر فقرره ، فأقر ، وأحضر الفرس والسلاح ، وقال : دفنته إلى جانب القرية . وكان طرخان خال جلال الدين قد وصل إلى شهاب الدين ، فأنزله فى قصره ، وأمر بحمل جلال الدين ليلا من القرية ، وقال لخاله : أبصر هل هو هذا . فلما رآه بكى ، وقال : نعم فدفنوه ليلا وأخفوا قبره مخافة أن ينبش .

---

(١) البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٨ . وانظر الخبر أيضا فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٦ ـ ص٤٩٧ .
(٢) سبط ابن الجوزى ، ج٨ ، ص٤٤٢ ـ ص٤٤٣ ؛ وانظر أيضا : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٢ .
(٣) عين دار : لعل هذه القرية بأرض ميافارقين كما ذكر فى البداية والنهاية أن الفلاح من قرية بأرض ميافارقين . ج١٣ ، ص١٤٢ .

وقال السبط[١] : وبلغنى وجه آخر ، أنه لما كبسه التتار خرج من الخيمة ليلا ومعه جماعة من أصحابه ، وقصد ميافارقين ، وكانت معه جواهر نفيسه ، فبات بقرية عند أرمنى ، فقال : أنا خوارزم شاه . وأعطاهم جواهر ، وقال : احملونى إلى شهاب الدين غازى . فحملوه إلى سفينة ، وكان تحته فرس سرجه ولجامه ذهب بجوهر ، وأنزلوه فى السفينة وبها رجل كردى كان خوارزم شاه قد قتل أهله ، فضربه فى صدره بحربة ، فأخرجها من ظهره ، فقتلوا الكردى ، وأخذوا ما كان على جلال الدين ، وفرسه وحياصته ، وكان فيها جوهر عظيم ، وألقوه فى بئر ، وبلغ شهاب الدين غازى ، فأرسل إليهم فأخذهم وأخذ ما أخذوه ، وسألهم عن جلال الدين ، فأخرجوه من البئر ، فقتلهم شهاب الدين ، وغسله وكفنه ، ودفنه خارج ميافارقين ، فعفى شهاب الدين موضع قبره . وقيل : قتل فى سنة تسع وعشرين وستمائة . وفى تاريخ بيبرس : وكانت[١٢٩] وفاته فى النصف من شوال من سنة ثمان[٢] وعشرين وستمائة ، ومدة مملكته منذ وفاة والده اثنتى عشرة سنة[٣] . قال بيبرس(رحمه الله) : والغالب على ظنى أن الطائفة التى كانت تصادمه وتلازمه من التتار التى جاست وراءه خلال الديار ، وآل ما آل له معها إلى البوار هى الطائفة التى كانت مع باطوخان بن جنكيزخان ، لأنه استقر بهذه البلاد ، وصارت بعده لمن كان له من الأولاد .

ذكر ما فعل التتار فى بلاد الإسلام

وفى هذه السنة نهب التتار سواد آمد وأرزن وميافارقين ، وقصدوا أسعرد[٤] ، فقاتلهم أهلها ، فبذل لهم التتار الأمان ، فاطمأن أهل البلد إلى أمانهم ، واستسلموا ، فلما تمكن التتار منهم بذلوا فيهم السيف ، وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم ، وحُزِرَ القتلى فكانوا يزيدون على خمسة عشر ألفا ، وساروا منها إلى طنزة[٥] ، ففعلوا فيها كذلك ، ثم ساروا

---

(١) مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٤٣ ؛ وانظر أيضا : سيرة منكبرتى ، ص٣٨١ ـ ص٣٨٣ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢٢ ؛ المختصر ، ج٣ ، ص١٥١ .

(٢) «ثمانية» كذا فى الأصل ، والمثبت هو الصحيح لغة ، وقد ورد فى سيرة منكبرتى تاريخ الوفاة ، ص٣٨٥ .

(٣) عن مدة مملكة جلال الدين منكبرتى انظر : سيرة منكبرتى ، ص٣٨٥ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٢٩٨ .

(٤) «أسعرد» : مدينة بالقرب من شط دجلة ، وهى عن ميافارقين على مسيرة يوم ونصف ، وميافارقين فى الشمال عن سعرت ، وقد وردت بأسماء أخرى وهى : سعرت وأسعرذ .
انظر : تقويم البلدان ، ص٢٨٨ ـ ص٢٨٩ .

(٥) طنزة : بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٥١ .

إلى ماردين فنهبوا ماوجدوا فى بلدها ، واحتمى صاحب ماردين ومن معه من أهل دنيسر[١] بقلعتها ، ثم وصلوا إلى نصيبين ، فأقاموا عليها بعض نهار ، ونهبوا سوادها ، وسلبوا وقتلوا وغاروا ، وغلقت أبوابها ، فعادوا عنها ، ومضوا إلى سنجار ، ووصلوا إلى الجبال فنهبوها ، ودخلوا الخابور[٢] ، ووصلوا إلى عرابان[٣] ، ومضت طائفة إلى طريق الموصل ، ومضت طائفة إلى نصيبين الروم على الفرات ، فنهبوا وقتلوا ، وقصدوا بدليس[٤] وأحرقوها ، وساروا إلى أعمال أخلاط ، فحاصروا بلدا منه يقال له باكرى فملكوه ، وحصروا أرجيش ، وهى مدينة عظيمة من بلاد خلاط ، ففعلوا فيها كذلك ، وألقى الله الرعب فى قلوب المسلمين منهم [حتى][٥] كان الرجل منهم يدخل القرية وفيها جمع كثير فلا يزال يقتلهم واحدا واحدا حتى يأتى عليهم ، ولايجسر أحد منهم يمد يده إليه ، ولقد ذكر أن واحدا تتريا أخذ رجلا وليس مع التترى سلاح ، فقال للرجل : ضع رأسك على الأرض ولاتبرح . فوضع رأسه على الأرض ، ومضى التترى فأحضر سيفا فقتله به ، وبالجملة فإن الله ألقى الرعب فى القلوب لإمضاء ماقدره فى طى الغيوب ، ولما اتفقت وفاة جلال الدين ، ورأى أهل أذربيجان استيلاء التتار كاتبوهم بالطاعة ، وبذلوا لهم ماطلبوا منهم من الأموال والثياب ،[١٣٠] وكذلك فعل أهل تبريز وطلبوا من مقدمهم الأمان فأمنهم ، وتوجه إليه أعيانهم ، وطلب منهم أن يحضروا إليه صناع الثياب ليستعمل للقان[٦] الذى هو ملكهم مايحتاج إليه ، وطلب منهم أن يعملوا له خركاه عظيمة فعملوا له خركاه لم يعمل مثلها ، غشاؤها من الأطلس الجيد والزركش[٧] ، وبطنوا داخلها

(١) دُنَيْسَر : بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين ، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦١٢ .
(٢) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ، ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من بلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعَرَبان .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٨٣ .
(٣) عرابان أو عَرَبان : بليدة بالخابور من أرض الجزيرة .
انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٨٣ .
(٤) بدليس : بلدة من نواحى أرمينية قرب خلاط .
انظر : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٣٦ .
(٥) مابين حاصرتين إضافة من مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢٧ ، للتوضيح .
(٦) القان : لقب أطلق على رؤساء الترك فى القرن السابع الميلادى ، ومعناه رئيس الرؤساء ، وقد استعمل أولئك الترك المتقدمون لقب قان أوخان أيضا بمعنى قاغان ، فصارت كلمة قاغان أوقان تطلق على ملك المغول الأعظم . ولمعرفة المزيد عن هذا المصطلح ، انظر : مصطلحات صبح الأعشي ، ج١٥ ، ص٢٦٧ .
(٧) الزركش : أى صبغة الثيات وألوانها .
انظر : مصطلحات صبح الأعشى ، ج١٥ ، ص١٦٩ .

بالسمور[١] والقندس ، وقرروا عليهم كل سنة شيئا من المال والثياب ، وأما الخوارزمية فتفرقوا فى الأغوار ، والأنجاد[٢] ، وتشتتوا فى البلاد ، وسنذكر متجدداتهم معهم فى أوقاتها[٣] .

ذكر حركة الإفرنج

وفى هذه السنة كانت للفرنج حركة ، فخرج عسكر حلب مع الأمير بدر الدين[٤] الوالى وأغاروا على ناحية المرقب[٥] ، ونهبوا حصن بانياس وخربوه ، وسيروا الأسارى إلى حلب ، ثم وقعت وقعة أخرى بينهم قتل فيها من الفريقين خلق كثير ، واستظهر فيها الفرنج على المسلمين ، فجهزت العساكر من حلب إليهم ، ثم استقرت الهدنة بين عسكر حلب والداوية[٦] والاستبار[٧][٨] .

(١) السمور : نوع من فراء حيوان السمور المستخدم فى صنع الملابس ، وحيوان السمور ببلاد الروس وراء بلاد الترك يشبه النمس ، ومنه أسود لامع وأشقر .
انظر : الملابس المملوكية ، ص٣٦ ، المصباح المنير ، مادة (سمر) .

(٢) الأنجاد : النجد الأرض الصلبة ، وماغلظ منها فى ارتفاع من الجبل .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٤٥ .

(٣) وردت هذه الأحداث فى الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩٩ - ٥٠١ ؛ مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣٢٥ - ٣٣٠ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٨ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٤٠ .

(٤) الأمير بدر الدين الوالى : كان أميرا جليلا ، وكان متولى قلعة جعبر فى أيام الملك الظاهر إلى أن أخذها الملك العادل فولاه الملك الظاهر بعد ذلك قلعة حلب إلى حين وفاته .
انظر : مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣١٠ - ٣١١ .

(٥) المَرْقب : اسم الموضع الذى يرقب فيه بلد ، وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس .
انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٠٠ .

(٦) الداوية : أو الديوية وهم الاسم الذى أطلقه المسلمون على الطائفة التى عرفت فى أوروبا باسم «فرسان المعبد» ، وهى طائفة دينية تخصصوا لحرب المسلمين فى الحروب الصليبية ، فأصبحت فرقة حربية ، وكانوا أشد المحاربين تعصبا وأكثرهم قوة وضراوة ومنهم طائفة أخرى تسمى الاسبتارية .
انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٨٣ ، حاشية(١) .

(٧) الاستبار أو الاستبارية : هم طائفة أخرى من فرسان المعبد (من الإفرنج) وهم مثل الداوية فى التعصب والحماس . انظر : نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٣٠٥ ، حاشية(١) .

(٨) وردت هذه الأحداث فى مفرج الكروب ، ج٤ ، ص٣١٠ - ٣١١ .

ذكر بقية الحوادث

منها أنه كان غلاء شديد بديار مصر، وبلاد الشام، وحلب، والجزيرة، بسبب قلة المياه السماوية والأرضية[١].

وفى تاريخ بيبرس: واحتبس الغيث فى هذه السنة احتباسا كثيرا جداً، وارتفعت الأسعار، فخرج الناس إلى جبل بانقوسا[٢]، واستسقوا، فجاء مطر يسير بعد ذلك، وانحلت[٣] الأسعار قليلا[٤].

ومنها أن الملك الكامل ابتدأ[٥] بحفر البحر الذى من دار الوكالة بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية، وعمل بنفسه فيه، واستعمل فيه[٦] الملوك والأمراء والأجناد وغيرهم، وكان هذا البحر فى أوان نقصه يصير طريقا إلى الجزيرة[٧] والمقياس[٨]، فبَعُد البحر عن مصر، وخشى السلطان بعده وارتدامه بالرمال، فحفر فيه إلى أن صار الماء محتاطا بالمقياس، وصار الناس بعد ذلك يخوضون فيه من قبلى المقياس فى وقت الاحتراق، وأما من صناعة الإنشاء إلى بحر المقس[٩] فكان ينكشف عند نقص النيل، ويبقى الناس يعدون الجزيرة[١٠] من قبالة ربع العادل، ثم إنه كان عند ابتداء مد النيل يسير الماء منحدرا فى أنابيب إلى أن يلتقى ببحر بولاق، فيكون يوم لقائه عند أهل مصر يوم سرور

(١) ورد هذا الخبر فى الكامل، ج١٢، ص٥٠٤؛ الذيل على الروضتين، ص١٥٩.

(٢) جبل بانَقُوسا: جبل فى ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال.
انظر: معجم البلدان، ج١، ص٤٨٢.

(٣) «وانحطت» كذا فى مفرج الكروب، ج٤، ص٣١٢.

(٤) ورد هذا الحدث فى مفرج الكروب، ج٤، ص٣١٢.

(٥) «ابتدى» كذا فى الأصل، والصحيح لغة ما أثبتناه.

(٦) «فيها» كذا فى الأصل، والصحيح لغة ما أثبتناه.

(٧) الجيزة» كذا فى نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٦٥؛ السلوك، ج١ق١، ص٢٤١.

(٨) المِقْياس: هو عمود من رخام قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل بمصر، له طريق إلى النيل يدخل الماء إذا زاد عليه، وفى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليها مقدار زيادته.
انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٦١٠.

(٩) المَقْسُ: بين يدى القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أم دُنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط.
انظر: معجم البلدان، ج٤، ص٦٠٦.

(١٠) الجزيرة: وهى جزيرة مصر وهى محلة من محال الفسطاط، وسميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها.
انظر: معجم البلدان، ج٢، ص٨٠.

وفرح ولهو وانفساح ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن ملك[١٣١] الملك الصالح نجم الدين أيوب الديار المصرية ، وشرع فى بناء قلعة الجزيرة ، فحفر بعض هذا البحر ، واستحضر المهندسين وسألهم كيف العمل فى جريان الماء بحيث لا ينقطع صيفا ولا شتاء؟ واتفق الرأى على أن تغرق مراكب فى بر الجزيرة قبالة باب القنطرة الذى بمصر مما يلى السور الذى بناه صلاح الدين ، وقبلى الجزيرة ، فغرقت المراكب ، وعمل البحر من ذلك اليوم قليلا قليلا ، ويتكاشف أولا فأول[١] ، وقطع كثيرا من بر مصر من دار الملك إلى قريب المقس ، ورمى قطعة من السور الذى بناه الكامل ، وكمله ابنه العادل ، وقطع المنشية الفاضلية[٢] .

ومنها أنه تكامل بناء المدرسة[٣] التى بسوق العجم فى بغداد ، المنسوبة إلى إقبال الشرابى[٤] ، وحضر الدرس بها ، وكان يوما مشهودا اجتمع فيها جميع المدرسين والمفتيين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلواء ، فحمل منها إلى جميع المدارس والرُّبَط ، وخلع على المدرسين والمعيدين والفقهاء يومئذ ، وكان وقتا حسنا[٥] .

وفى جمادى الأولى ذكر تقى الدين[٦] بن الصلاح الدرس فى المدرسة[٧] التى

---

(١) «فأولا» كذا فى الأصل ، والصحيح لغة ما أثبتناه .
(٢) وردت هذه الأحداث بتصرف فى نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٥ - ص١٦٦ ؛ السلوك ، ج١ق١ ، ص٢٤١ .
(٣) هى المدرسة الإقبالية التى بداخل باب الفرج وباب الفراديس ، شمالى الجامع والظاهرية الجوانية ، وشرقى الجاروخية والإقبالية الحنفية ، وغربى التقوية بشمال ، أنشأها جمال الدين بل جمال الدولة إقبال عتيق ست الشام .
انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص١٥٨ - ص١٥٩ .
(٤) إقبال الشرابى : بنى مدرسة بواسط وإلى جانبها جامعا ، وبنى ببغداد مدرسة فى سوق السلطان ، وجدد بمكة الرباط الذى اشتهر به ، وتوفى سنة ٦٥٣هـ .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص١٥٩ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٦١ .
(٥) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٨ - ص١٣٩ ؛ الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١ ، ص١٥٩ - ص١٦٠ .
(٦) تقى الدين بن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبى نصر النصرى الكردى الشهرزورى المعروف بابن الصلاح ، الشُّرخانى الملقب تقى الدين الفقيه الشافعى ، كان أحد فضلاء عصره فى التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال تولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس ، وتدريس المدرسة الرواحية ، ودرس بمدرسة ست الشام زمرد خاتون ، ولد سنة ٥٧٧هـ بشَرْخَان ، وتوفى سنة ٦٤٣هـ بدمشق .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٧٩ - ص١٨٠ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص٢٢١ .
(٧) يقصد بها المدرسة الشامية البرانية : وهى بالعقيبة ، وبانيها والدة الملك الصالح إسماعيل ، وأول من درس بها تقى الدين بن الصلاح ، وأنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان ، وهى من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقها .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٢٧٧ .

وقفتها بنت حسام[١] الدين لاجين بن ست الشام[٢] على الشافعية بدمشق ، المجاورة لمارستان[٣] نور الدين الشهيد[٤] (رحمه الله) .

وفي رجب ذكر الناصح[٥] بن الحنبلي الدرس في المدرسة[٦] التي أنشأتها ربيعة[٧] خاتون بنت أيوب بقاسيون[٨] .

ومنها أن تاريخ ابن الأثير الذى سماه الكامل انتهى فى هذه السنة[٩] .

ومنها أن الأشرف أبا العباس أحمد بن القاضي الفاضل سار في الرسلية عن السلطان الملك الكامل صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ببغداد ، فأكرم وأعيد معظما[١٠] .

---

(١) حسام الدين لاجين : هو حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين بن أخت صلاح الدين ، وهو صاحب نابلس ، وأمه ست الشام بنت أيوب ، أخت السلطان صلاح الدين ، توفى ليلة الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة ٥٨٧هـ ، ودفن بالتربة الحسامية التى أنشأتها أمه بمحله العونية (المدرسة الشامية البرانية) .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣٦٩ ؛ مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٢٦٥ .

(٢) ست الشام : هي بنت أيوب بن شاذى وشقيقة المعظم تورانشاه بن أيوب ، وزوجها ابن عمها ناصر الدين محمد ابن أسد الدين شيركوه ، توفيت يوم الجمعة في السادس عشر من ذى القعدة سنة ٦١٦هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٤٤ - ص٢٤٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٩٢ ؛ شفاء القلوب ، ص٢٢١ - ص٢٢٢ ؛ الدارس ، ج١ ، ص١٥٩ .

(٣) مارستان نور الدين : بناه السلطان نور الدين محمود بدمشق ، وهو مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم ، وهو لفظ فارسى مركب من «بيمار» أى مريض و«ستان» أى محل ، ويقال بيمرستان وبيمارستان ، والمارستان النورى أحسن مابنى من المارستانات بالبلاد ، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين ، وإذا لم توجد بعض الأدوية التى يعز وجودها إلا فيه ، فلايمنع منه الأغنياء .
انظر : خطط الشام ، ج٦ ، ص١٦١ - ١٦٢ ؛ البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣٠٠ .

(٤) ورد هذا الخبر فى المرآة ، ج٨ ، ص٤٤٠ .

(٥) الناصح بن الحنبلى : ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبو الفرج الشيرازى ، ويرجع نسبه إلى سعد بن عباده (رضى الله عنه) ، ولد سنة ٥٥٤هـ وتوفى سنة ٦٣٤هـ .
انظر : الدارس ، ج٢ ، ص٨٢ .

(٦) يقصد بها المدرسة الخاتونية البرانية ، غرب دمشق ، بنيت سنة ٥٥٧هـ ، وقد وقفتها الست خاتون أم شمس الملوك ، وأخت الملك دقاق . انظر : الدارس ، ج١ ، ص٥٠٢ - ص٥٠٦ .

(٧) ربيعة خاتون بنت أيوب بن شاذى ، أخت صلاح الدين ، تزوجت أولا بالأمير سعد الدين بن مسعود بن معين الدين أنر ، وتزوجت ثانيا بعد موت الأول بالملك مظفر الدين صاحب إربل ، توفيت سنة ٦٤٣هـ .
انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٨٢ ؛ شفاء القلوب ، ص٢٢٢ - ص٢٢٣ ؛ الدارس ، ج٢ ، ص٨٠ .

(٨) ورد هذا الخبر فى مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٤٤٠ .

(٩) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٥٠٥ .

(١٠) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ .

ومنها أن الملك السعيد المظفر كوكبورى[١] بن زين الدين صاحب إربل دخل بغداد ولم يكن دخلها قط ، فتلقاه الموكب وشافهه الخليفة بالسلام مرتين فى وقتين ، وكان ذلك شرفا له غبطه به سائر الملوك فى الآفاق ، وساءلوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يُمَكَّنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظما مكرما[٢] .

وفيها . . . .[٣]

وفيها حج بالناس من دمشق شبل الدولة كافور العادلى[٤] ، وكان فيمن حج الشيخ تقى الدين أبو عمرو بن الصلاح ، ولم يحج أحد من العراق لانتشار الفساد من التتار[٥] .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ابن معطى[٦] **النحوى يحيى بن معطى بن [عبد]**[٧] **النور الزواوى** ، صاحب الألفية وغيرها[١٣٢] من المصنفات النحوية المفيدة ويلقب بزين الدين ، أخذ عن الكندى وغيره فى الشام ، ثم سافر إلى مصر ، وكانت وفاته بالقاهرة فى مستهل ذى الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب[٨] الدين أبو شامة ، وكان قد رحل إلى مصر فى هذه السنة . وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته ، وأنه دفن قريبا من قبر المزنى بالقرافة فى طريق الشافعى عن يسرة المار .

---

(١) المظفر كوكبورى بن زين الدين : أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين ، تولى البلاد موضع أبيه بعد موته وكان عمره أربع عشرة سنة وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز ، وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩هـ ، وتوفى ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ٦٣٠هـ .
انظر : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص١١٣ ـ ص١٢١ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٧ .

(٢) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار سطر .

(٤) المرآة ، ج٨ ، ص ٤٤٠ .

(٥) ورد هذا الخبر فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٨ .

(٦) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٦٠ ؛ وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٩٧ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٢٩ .

(٧) مابين حاصرتين إضافة من البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ ؛ النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢٧٨ .

(٨) الشيخ شهاب الدين أبو شامة : هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسى الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبى شامة ، شيخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة ، ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٩٩هـ ، وتوفى سنة ٦٦٥هـ .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص٣ ـ ٤ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٦٤ ـ ص٢٦٥ ، الشذرات ، ج٥ ، ص٣١٨ .

وقال ابن خلكان[١] : وكان الملك الكامل أرغبه فى الانتقال إلى مصر ، فسافر إليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لإقراء الأدب ، ولم يزل إلى أن توفى فى سلخ ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعى ، وقبره هناك ظاهر ، ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة . والزواوى : بفتح الزاى نسبة إلى زواوة ، وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية ، من أعمال إفريقية ، ذات بطون وأفخاذ . قلت : كان يحيى بن معطى المذكور من سادات الأئمة الحنفية ذكره صاحب الطبقات فيهم . وكذا قال ابن خلكان : يحيى بن معطى النحوى الحنفى (رحمه الله) .

الدخوار[٢] الطبيب ، واقف الدخوارية بدمشق ، مهذب الدين عبد الرحيم بن على بن حامد ، المعروف بالدخوار ، شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف داره بدرب العميد بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم ، وكانت وفاته فى صفر من هذه السنة ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة فى وسط الجبل شرقى الركنية[٣] ، وقد ابتلى بستة أمراض متعاكسة منها ريح اللقوة ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة ، وعمره ثلاث وستون سنة . وقال القوصى : أنشدنى الحكيم[٤] الفاضل فى الإسرائيلى صاحب المعتبر :

لنا صديق يهودى[من حماقته][٥] إذا تكلم تبدو آفته[٦] من فيه
يتيه والكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه[٧]

---

(١) وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٩٧ .

(٢) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٩ ـ ص١٦٠ ؛ نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص١٦٨ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ ؛ المرآة ، ج٨ ، ص٤٤٤ ـ ص٤٤٥ ؛ الشذرات ، ج٥ ، ص١٢٧ ـ ص١٢٨ .

(٣) الركنية : هى المدرسة الركنية الجوانية الشافعية ، واقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان العادلى ، وهو الذى بنى الركنية الحنفية البرانية .
انظر : الدارس ، ج١ ، ص٢٥٣ .

(٤) الحكيم الفاضل : هو هبة الله بن صاعد أبو الحسن بن التلميذ الطبيب النصرانى لكن الشعر ليس لنفسه بل لابن أفلح كما فى أخبار الحكماء .
انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٥٩ ، حاشية(١)

(٥) حماقته : كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٦٠ .

(٦) فيه : كذا فى الذيل على الروضتين ، ص١٦٠ .

(٧) ورد هذان البيتان فى الذيل على الروضتين ، ص١٦٠ .

ابن العديم[١] الشيخ الصالح القاضى أبو غانم ، كان من المجتهدين فى العبادة والرياضة ، والعاملين بعلمهم . وقال ابن[٢] الأثير : إنه من شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث ، وانتفعنا برؤيته وكلامه ، مات فى هذه السنة .

أبو اسحق[٣] ابراهيم بن عبد[١٣٣] الكريم بن أبى السعادات بن كريم الموصلى ، أحد الفقهاء الحنفية ، شرح قطعة كبيرة من القدورى ، وكتب الإنشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلا شاعرا . فمن شعره قوله :

دعوه كما شاء الغرامُ يكونُ فلستُ وإن خان العهود أخونُ
ولينوا له فى قولكم ما استطعتم عسى قلبه القاسى علىَّ يلينُ
وبثوا صباباتى إليه وكرروا حديثى عليه فالحديثُ شجون
وسلوا على العشاقِ يوم تحملوا سيوفا لها وطفُ[٤] الجفونِ جفونُ[٥]

المجد[٦] البهنسى ، وزير الملك الأشرف ، من بيت الفضل والعلم ، كان أبوه فاضلا ، كتب شرح الحماسة بخطه فى ست مجلدات للتبريزى ، ووقفه فى الخانقاه[٧] الشُمَيْساطيَّة ، ليس فى الشام نسخة أصح منها ، وكان المجد فاضلا ، وُزِّرَ للأشرف مدة ، ولم يقطع رزق أحد ، وكان حسن المحضر عاقلا ، ولم يكن فيه ما يعاب به إلا استهتاره ، والله يعفو عنه ، وكان الأشرف قد عزله عن الوزارة واستأصله ، وأخذ جميع ماله ، وتوفى بدمشق ، ودفن بتربته التى أنشأها بقاسيون ، ووقف عليها وقفا ، وأوصى بكتبه تكون فيها .

(١) انظر : الكامل ، ج١٢ ، ص٥٠٥ ؛ البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٣٩ .
(٢) الكامل ، ج١٢ ، ص٥٠٥ .
(٣) انظر : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ .
(٤) الوطف : كثرة شعر العين . المصباح المنير ، مادة (وطف) .
(٥) وردت هذه الأبيات فى البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ .
(٦) انظر : الذيل على الروضتين ، ص١٦٠ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ ، المرآة ، ج٨ ، ص٤٤٤ .
(٧) الخانقاه الشميساطية : ورد اسم الخانقاه فى الدارس (السميساطية) وهى تنسب للسميساطى أبى القاسم على بن محمد بن يحيى السلمى الحبشى من أكابر الرؤساء بدمشق ، وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية ، وكانت هذه الخانقاه دار عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبى الأصبغ الأموى (أمير المؤمنين) وابنه عمر (رضى الله عنه) . انظر : الدارس ، ج٢ ، ص١٥١ - ص١٥٢ .

جمال[١] الدولة خليل بن زويزان ، رئيس قصر حجاج ، كان كيسا ذا مروءه ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة فى مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، مات فى هذه السنة ودفن بتربته عند مسجد فلوس[٢] .

(١) انظر: البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٤٠ .

(٢) مسجد فلوس : يقع قبلى الميدان على طريق حوران ، ويعرف اليوم بمسجد أبى فلوس ، ولم يبق منه إلا محرابه ، وهو الذى بناه وفيه قبره وعلى بابه بئر ، ومسجد فلوس أيضا على الطريق بناه الأمير أكز ، له منارة خشب ، وهو من مساجد دمشق . انظر : الدارس ، ج٢ ، ص٣٦١ .

كشافات الكتاب

١ - كشاف الأعلام .

٢ - كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق والجماعات .

٣ - كشاف الأماكن والبلدان .

٤ - كشاف الألفاظ الاصطلاحية .

٥ - كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص .

٦ - مصادر ومراجع التحقيق .

٧ - فهرست الموضوعات .

كشاف الأعلام*

- ب -

- ح -

- ع -

- غ -

- هـ -

- و -

كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق والجماعات

- ب -

- ن -

كشاف الأماكن والمدن والشوارع والأسواق والحارات والخطط والرباع والمساجد والجوامع والخوانق والخانات والأنهار والترع والجسور

- ب -

- د -

- غ -

- ف -

- ق -

كشاف الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب وأنواع الضرائب وأدوات الحرب والملبوسات والمحاصيل والمقاييس والأعياد والملاهى*

- أ -

- ح -

- خ -

- ذ -

- ر -

- غ -

- ق -

- ل -

- ن -

كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص

الصفحة

مصادر التحقيق

ابن أبى يعلى الفراء : (محمد بن محمد ، أبو الحسين) ت : ٤٥٨هـ/ ١٠٥٦م .

- طبقات الحنابلة

ط . دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

ابن الأثير : (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد) : ت : ٦٣٠هـ/ ١٣٢٢م .

- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية .

تحقيق عبد القادر محمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣م .

- الكامل فى التاريخ . بيروت ، ١٩٨٧ .

ابن أيبك الدوادار : (أبو بكر عبدالله بن أيبك) ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٣م .

- كنز الدرر وجامع الغرر ، المعروف بالدرة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية

تحقيق صلاح المنجد ، القاهرة ١٩٦١م .

ابن بطوطة : (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللوانى) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م .

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار .

تحقيق طلال حرب . ط . بيروت ١٩٨٧م .

ابن تغرى بردى : (أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى)ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٦٣م .

ابن الجوزى : (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م

- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك .

ط ١ . حيدر أباد ١٣٥٨هـ .

ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله) ت : فى حدود ٣٠٠هـ/ ٩١٢م .

- المسالك والممالك ، بغداد ١٨٨٩م .

ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق إحسان عباس .

ط . دار صادر ، بيروت ١٩٧٨م .

ابن دقماق : (غرس الدين إبراهيم بن محمد)ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م .

– الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين ، بيروت ١٩٨٥ .

ابن الساعى : (على بن أنجب الخازن) ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م .

– الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير .

ط . المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٩٣٤م .

ابن شاكر الكتبى : (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م .

– فوات الوفيات : تحقيق إحسان عباس .

ط . دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م .

ابن شاهنشاه الأيوبى (الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر) ت ٢١٧هـ/ ١٢٢٠م .

– مضمار الحقائق وسر الخلائق . تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م .

ابن شداد : (بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم) ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م .

– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، المعروف بسيرة صلاحالدين ، تحقيق جمال الدين الشيال . ط . أولى ، القاهرة ١٩٦٤م .

ابن عبدالحق : (صفى الدين عبد المؤمن بن عبدالحق)ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م .

– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

تحقيق محمد على البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٤م .

ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد) ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م .

– زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥٤ .

ابن عربى :

– الفتوحات المكية و السفر الأول ، القاهرة ١٩٨٥ .

ابن عساكر : (أبو القاسم على بن محمد) : ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م .

– تاريخ مدينة دمشق ، بيروت ١٩٧٩ .

ابن العماد الحنبلى : (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) ت ١٠٨٩هـ .

– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .

ط . بيروت ، د . ت .

ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن علي المصرى) ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م .

- تاريخ الدول والملوك ، المعروف بتاريخ ابن الفرات ، بيروت ١٩٣٦م .
ابن قتيبة : (أبو محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة)ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م .
ط . دار المعارف .
- تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
ابن القلانسى : (أبو يعلى حمزة بن أسد الدمشقى) ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
- ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .
ابن كثير (عماد الدين أبوالفدا إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م .
- البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين . بيروت ١٩٨٧م .
ابن مماتى : (شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد مهذب بن مينا بن زكريا) ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م .
- قوانين الدواوين . تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣م .
ابن منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى)ت ٧١١هـ/ ١٣١٢م .
- لسان العرب . تحقيق عبدالله على الكبير وآخرين .
ط . دار المعارف ، القاهرة . د . ت .
ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م .
- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . تحقيق جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٥٧م .
أبو شامة : (عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان) ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م .
- تراجم رجال القرنين والسادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين .
تحقيق عزت العطار الحسينى .
ط . أولى ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
- الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .
تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
أبو الفدا : (إسماعيل بن الأفضل علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه) ت : ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م .
المختصر فى أخبار البشر .
ط . بيروت . د . ت .
أحمد بن إبراهيم الحنبلى ت : ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م .

شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .
تحقيق مديحة الشرقاوى .
ط . مكتبة الثقافة الدينية ـ الظاهر ـ ١٩٩٦م .
الاصطخرى : (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى ، المعروف الكرخى) ت : ٣٤٠هـ/ ٩٥١م .
- المسالك والممالك .
تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى .
مراجعة شفيق غربال ، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .
البغدادى : (أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر) ت : ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م .
- الفرق بين الفرق
تحقيق محيى الدين عبدالحميد . بيروت . د . ت .
البندارى : (الفتح بن على البندارى) من مؤرخى القرن ١٣م .
- سنا البرق الشامى ،
تحقيق فتحية النبراوى ط . الخانجى بمصر ، ١٩٧٩م .
الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر) ت : ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م .
- البخلاء
تحقيق طه الحاجرى . ط . دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م .
حاجى خليفة : (مصطفى كاتب جلبى)ت : ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .
ط . مكتبة المثنى ، بغداد : د . ت .
الخطيب البغدادى : (الحافظ أبو بكر أحمد بن على) ت : ٤٦٢هـ/ ١٠٧١م .
- تاريخ بغداد .
صححة السيد محمد سعيد الفرقى ، بيروت د . ت .
الخوارزمى : (أبو عبدالله محمد بن أحمد) .
- كاتب مفاتيح العلوم . القاهرة : ١٣٤٤هـ .
الذهبى : (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان) ت : ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م .

- العبر فى خبر من غبر .
تحقيق أبو عامر محمد . ط . بيروت ١٩٨٥م .
الزبيدى : (محمد مرتضى الحسينى) ت : ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م .
ترويح القلوب بذكر ملوك بنى أيوب .
تحقيق :مديحة الشرقاوى .
ط . مكتبة الثقافة الدينية ـ الظاهر دار المصرى للطباعة .
سبط ابن الجوزى : (أبو المظفر يوسف بن قزا أوغلى) ت : ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م .
- مرآة الزمان ، جـ ٨ . ط . شيكاغو ١٩٠٧ .
السبكى : (تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن على بن عبد الكافى) ، ت : ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م .
- طبقات الشافعية .
تحقيق عبدالفتاح الحلو ، محمود الطناحى .
القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .
السلمى (أبو عبدالرحمن السلمي) ت : ٤١٢هـ/ ١٠٢١م .
- طبقات الصوفية .
تحقيق نور الدين شربية . ط . أولى ، القاهرة ١٩٥٣م .
السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن) ت : ٩١١هـ/ ١٥٠٥م .
- تاريخ الخلفاء . ط . مصر ١٩٥٩ .
الشهرستانى : (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشافعى) ، ت : ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م .
- الملل والنحل .
تحقيق محمد سيد كيلانى ، القاهرة : ١٩٦١م .
شيخ الربوة : (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى طالب الصوفى الدمشقى) ت : ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م .
- نخبة الدهر فى عجائب البحر والبر .
ط . ليبزج ١٩٢٣ .
عبدالقادر الرستمى .
- مختصر كتاب الفرق بين الفرض .

نشر فيليب متى ، مصر ١٩٣٤م .
العماد الكاتب : (أبو عبدالله محمد بن أبى الرجاء) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م .
- خريدة القصر وجريدة العصر - قسم الشام تحقيق شكرى فيصل ، دمشق ١٩٥٩م .
قسم مصر تحقيق شوقى ضيف وآخرون . القاهرة ١٩٥١م .
- الفتح القسى فى الفتح القدسى .
تحقيق محمد محمود صبح .
ط . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة . د . ت .
القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن علي) ، ت : ٨٢١هـ/ ١٤١٨م .
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩٦٣م .
- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ١٩٥٩م .
القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن علي) ، ت : ٨٢١هـ/ ١٤١٨م .
- مصطلحات صبح الأعشى جـ ١٥ .
- إعداد : محمد قنديل البقلى .
ط . مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
المتنبى : (أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى) ت : ٣٥٤هـ/ ١٩٦٥م .
- ديوان المتنبى . تحقيق مصطفى السقا .
ط الثانية ١٩٥٦م .
محمد بن أحمد النسوى : ت : ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م .
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى .
تحقيق : حافظ أحمد حمدى .
ط . دار الفكر العربى - ١٩٥٣م .
مطبعة الاعتماد بمصر .
المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى) ت : ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م .
- نفح الطيب من غصن الأندلسى الرطيب .
تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٦٨م .
المقريزي : (تقى الدين أحمد بن على) ت : ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م .

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا .
تحقيق جمال الدين الشيال . ط . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٧م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك .
جـ١ ، جـ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة .
ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٧م .
جـ٣ ، جـ٤ تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور .
ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
ط . مكتب الآداب ، القاهرة .
النعيمى : (عبدالقادر بن محمد) ت : ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م .
- الدارس فى تاريخ المدارس .
تحقيق جعفر الحسينى ، القاهرة ١٩٨٥م .
النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م .
- نهاية الأرب فى فنون الأدب ط . دار الكتب المصرية . ٣٣ جزء .
الهمدانى : (أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف بن داود) ٣٢٤هـ/ ٩٦٤م .
- صفة جزيرة العرب ، ط . مصر ١٩٥٣م .
ياقوت : (أبو عبدالله الحموى الرومى البغدادى) ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م .
- معجم البلدان .
ط . طهران ١٩٦٥م ، ط . دار صادر ، ببيروت ١٩٨٦م .

المراجع العربية والمعربة

إبراهيم مدكور :
فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه .
ط . مكتبة دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧م .
إسماعيل باشا البغدادى :
هدية العارفين بأسماء المؤلفين وأثار المصنفين .
ط . القاهرة ١٩٨٤م .
التهانوى :
كشاف اصطلاحات الفنون .
حسنين مؤنس :
نور الدين محمود
درويش النخيلى :
السفن الإسلامية على حروف المعجم .
ط . الإسكندرية ١٩٧٩م .
رنسيمان ، ستيفن :
تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العرينى .
دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨م .
زامباور :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامية .
أخرجه : زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، وآخرون .
ط . القاهرة ، ١٩٥١م .
الزركلى ، خير الدين :
الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) .
ط . بيروت ١٩٦٩م .
سعيد عبد الفتاح عاشور :
- العصر المماليكى فى مصر والشام .
- مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

عبداللطيف حمزة :
الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى .
دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٨م .
ماير :
الملابس المملوكية .
ترجمة صالح الشيتى . القاهرة ١٩٧٢م .
محمد جمال الدين سرور :
سياسة الفاطميين الخارجية :
دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٧٦م .
محمد رمزى :
القاموس الجغرافى للبلاد المصرية .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م .
محمد كرد على :
خطط الشام .
دمشق ١٩٤٦م .
محمود التنوخى :
المعجم الذهبى ، بيروت ١٩٨٠م .
مصطفى محمد مسعد :
الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٦٠م .
نبيل عبد العزيز :
خزائن السلاح ومحتوياتها .
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . المجلد ٢٣ لسنة ١٩٧٦م .
Dozy (R.): Sepplémcnt aux Dictionnaires Arabes, Paris, 1927.

فهرست محتويات الجزء الرابع من عقد الجمان
(العصر الأيوبى) ٦١٦هـ - ٦٢٨هـ

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة